

كتاب

الدرس التثاني في التيسار يخ العمام
المختص من كتب التواريخ الاوردية والعربية

في الساحة الخديوية

لقد تدريس لطالبة العلم بـ مدرسة دارالعلوم المصرية
بجمع وتعميق

العبـد الفقير ابي السعد اقصدي
المترجم يوان المعارف العمومية
ومدرس علم التيسار يخ العام في المدرسة المذكورة
جعل الله بالعناية الخديوية من المآثر الماثورة
آمين



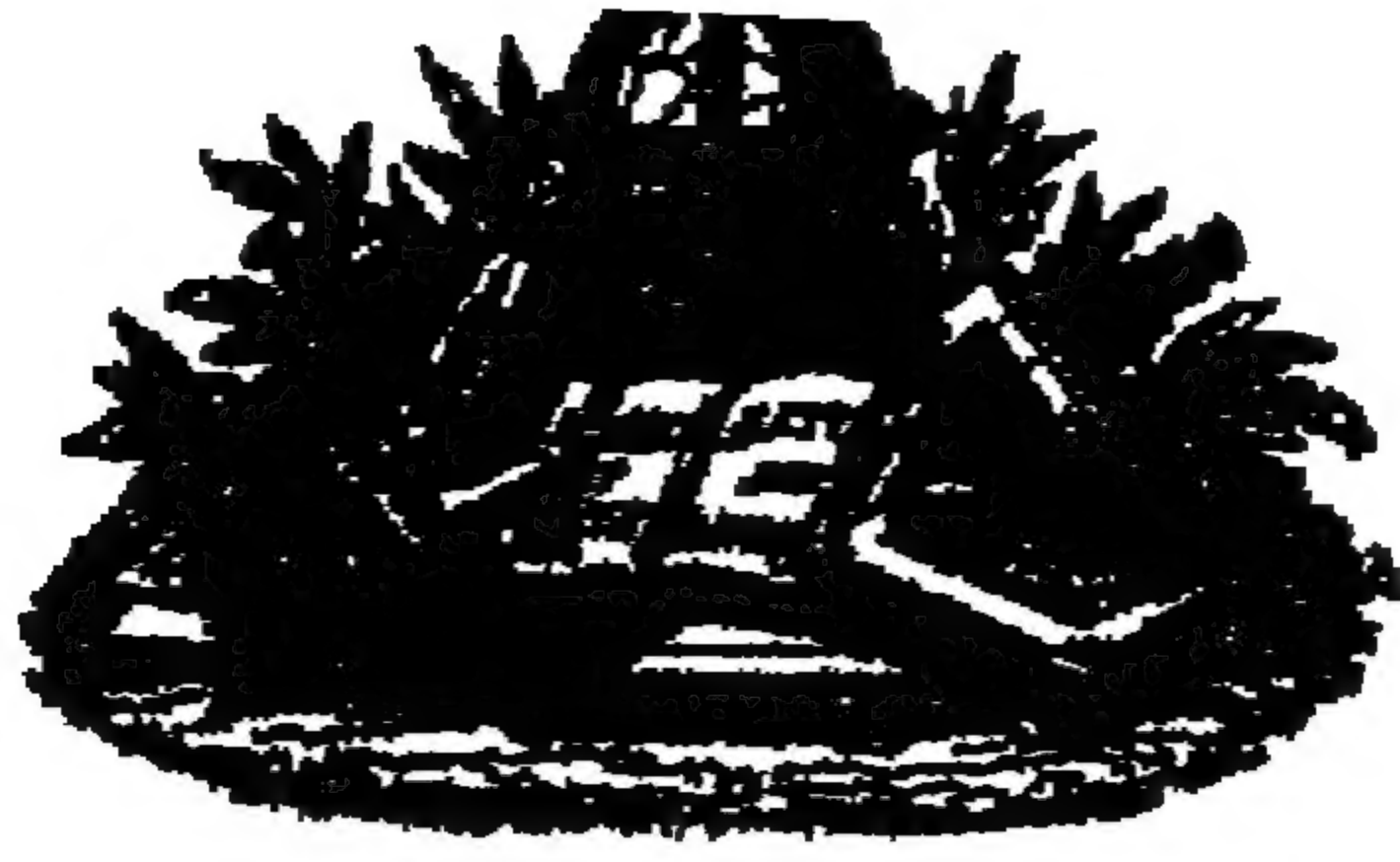
(طبعة أولى)

بمطبعة وادي النيل المصرية

الكائنة بخط باب الشعرية

بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تصف في كتابه العزيز أحسن الفصوص من أخبار القرون الأولى وآثار الأمم
السابقين ما فيه أسوة حسنة وقدوة مستحسنة لأولي الأبصار من الملل والأقوام الملاحقين
ونص فيه أمكن النص على ما فيه أجل عبرة للمعتبرين وأكمل تبصرة للتبصرين لقصد
التربية والتعليم وجعل التواريخ مدرسة مستمرة للتدبر والتجرب ومقبسة نيرة للحكم والتأديب
يهتدى بها في ظلمات الأعصار كل ذي ذوق سليم **وأتم الصلاة واعم التسليم على**
سيدنا محمد أفضل مؤسس للجماعة بشريه من عمدان البنية الدينية وبنیان العمارة الوطنية
على أقوى أساس وأكمل مقتبس للهداية القندية ورعاية الامنية بأضواء مقباس سمعت
سيرته ووضحت سنته فهو أحسن أسوة يهتدى بها المهتدون وأمر عروة يعتمد عليها
المعتمدون في السالك للطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الناصحين على منواله
والناهجين على مثاله الذين اعتنوا بما عليه اعتمدوا وابتنوا على ما كان لهم قدس يد وساعده
على مارام وفاموا من بعده بأعباء الامر أتم القيام فغازوا بعزبة التكيل وحازوا فتيحة التكم
رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه فهم في جنة النعيم المقيم

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله المعيد المبدى والمخلوق الحقير المدعو باسم أبي السعرة
أفندى انتافي عصر لا يقاس بالأعصار الأول وفي وطن وملة هما أفضل الاوطان والملل حدثت
فيه حوادث جليلة من آثار تمدن الملل الاوروية وغيرهم من الامم الاجتبية لم يكن مثلاً لها
في الازمان السالفة بعمود وبدع جليلة لم يكن شيء منها في الاوطان السابقة بمشهود كاستخدام
القوة الكهربائية في سرعة نقل الاخبار التراسلية بالإشارة التلغرافية وكاستعمال القوة
البخارية في قضااء الحوائج السفرية البرية والبحرية وغير ذلك من الاختراعات العصرية
ورتب على ذلك حصول حركة تقدمية شديدة ورغبة تعليمية أكيدة أخذ منها الملل الاوروية
وغيرهم من أبناء هذا الجيل في الممالك الاجنبية بأوفرنصيب وأكبر سهم مصيب حتى صار لهم
اليد العليا في أمور هذه الدنيا ولزمنا كذلك معاشر أبناء العصر من أهل مصر ان نشعر عن
ساعداً الجدد والاجتهاد ونسديهم هذا النوع من الجهاد كل ثغرة تقع علينا من هذا الوجه باجكم
سداد كل منا على قدر ميصرته ومدار منطقته ولكل مجتهد نصيب من عالي همة إما
بوظيفة

الدرس الثام (٣) في التاريخ العام

بوظيفة معلم أو متعلم أو مؤلف أو مترجم أو مأمور يا كان في دائرة مأموريته وها هو سعادة
اقتدينا خديوم مصرنا وولي أمر مصرنا **ابوالفدا السميعيل بن ابراهيم** بلغه الله
من المقاصد الخيرية كل حظ عظيم أول داع أماننا في طريق الحمدين والاسعاد وخير ساع قد أماننا
في طريق التحسين والحصول على المراد يريدان يمدتنا ويودان يصلح احوال ديننا ووطننا
ويرغب أن ينزرع قولنا ويكثر من قولنا ومعقولنا وما علينا إلا أن نقفوا أثره في الطريقة الجادة
ونسير وراءه في منهج السعادة حتى تأخذ حظنا كغيرنا من الأمم المعاصرين ونستوفي حقنا بأسوة
الملل المجاورين من هذه الحركة القهرية والبركة العصرية وتتحصل لأوطاننا المصرية من ذلك
الغرض المهم 'على أوفر نصيب وأتم وها هو أعز الله وبلغه من مقاصد الخير مناه دليلا
على شدة عنايته بمسألة التعلم والتعليم وصداقة رغبته في قضية نشر المعارف والعلوم قد أقام
بالنيابة عن ذاته العلية في مباشرة إدارة ديوان المعارف والاقواف والاشغال العمومية الأمير
النجيب والوزير المصيب **سعادة حسين كامل باشا** ثاني انجباله الكرام فجلس
في دست هذه النظاره وقام بأعباء هذه الوزارة ينظر في الأمور بعين الناقد البصير اذ كان
قبل ذلك قد تصرف في عدة من المصالح وعرف الاصلح منها والصالح وأبدى في حسن ادارتها
ما صدق فيه مدح المادح وأقام في جنبه بمقام الاستشاره حضرة العالم الفاضل والرئيس الكامل
علي مبارك باشا أحد رجاله العلماء الاعلام وأحاطه برجال عظام وابطال نخام كلهم
أولو حنكة في المواد التعليمية والادارة العمومية أفلا يجب حينئذ على كل واحد من الآحاد
أن يكمل عقد نظام هذه الأعداد ويساعد على جميل هذا الاستعداد وهل يبلغ قصده من
أعمال بمفرده جهده أم هل يصفق كف وحده كلاب البركة كل البركة في تمام الحركة وكما أن
الاتباع لا بد لهم من امام فكذلك الامام يطلب أتباعه ويد الله مع الجماعة
وها هو من مقاصده الخديوية الجيدة ومساعدية الخيرية العديدة انشأ في هذه الايام السعيدة
مدرسة اصلية جديدة ومغرسه للعلم مفيدة تسمى باسم دار العلوم الخديوية فضلا عن غيرها
من المدارس الملكية والعسكرية ليتربى بها ما مست اليه الان الحاجة مع غاية الانحاح
واللجاجة من المعلمين والخوجات اللازمين لساائر المدارس الميرية ولا سيما المكاتب الابتدائية
الجارية الاعتناء بانشائها في كل بند ومديرية بالعناية الدورية ولتكون لنقل النقائل منها
لقصد تربيتهم في أراضى المزارع التعليمية من أنفع المغارس العلمية وجئ بكم أيها الشبان
المصريون واجتمع ها هنا شملكم أيها الاخوان الازهريون مستوفين لشروط التجهيزات
الاولية اللازمة للاستفادة من الدروس العالية التي ترتبت لكم بمعرفة الديوان في هذه المدرسة
الاصليه لا يرا هذا القصد السعيد من حيز الامل الى حيز الوجود ومن يجب منكم ينتخب من
يصلح للتدريس في المدارس الاخرى وهذه لعمري مرتبة عليا هي بالاجتهاد أحق وأحرى

الدرس الثام (٤) في التاريخ العام

حيث تفوزون ان شاء الله تعالى من خدمة الاوطان وتأدية انفع وظيفة لامناء الاديان بسعادة لدارين الآخرة والدنيا اما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه من كلامه المحكم ومن اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادها معافاه فعليه بالعلم او كما قال وقد ترتب لكم من الاساتذة في خطة التربية والتعليم من لزم في كل فرع من العلوم حتى تنور منكم الافهام وتربي فيكم ان شاء الله تعالى ملكة التدريس كما يجب بحسب المرام وصدر لهذا العبد أيضاً من لدن ديوان نظارة المعارف والاوقاف والاشغال الامر العالي الواجب الامتثال بان يتحمل لكم اعباء تدريس التاريخ العام ورؤى فيه الاهمية للقيام بهذا المقام وان كان لا يرى في نفسه غير القصور عن ارتقاء مثل هذه القصور ووجب علينا المناسبة التقلد بوظيفة تدريس علم التاريخ هذه الجسدية ان نجعل براعه استملائنا وحسن ابتداء مقالنا بان نقيدها في هذه الخطبة هذه الحوادث التاريخية السديدة والوقاييع العديدة المفيدة وحيث كان الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود لنيل المقصود وبالاختصار ينال المراد وبالتأني كما قيل يبلغ التني وكان هذا الدرس لم يسبق لاحد في دارنا هذه ان يلقيه في محفل عام وها هو بالارادة الخديوية عليه والافادة النظرية السنية قد ترتب هنا هذا الكرسي لهذا المحفل الدراسي وهو بحر طام او بحر كثير الازدحام يلزمنا واياكم ان نلججه ونقتحم لججه ومن مواده العربية والاوروبية بقلم التعريب والتقريب والتلخيص والتحذيب نفوس عليه ونستخرجه فانه الله ولا حول ولا قوة الا بالله والمهمة المهمة للمحصل على هذه الثقة المهمة والبدار البدار لاجابة دعاء ولاة امورنا وجملة اعباء تدبيرنا على قدره يسورنا لبلوغ هذه المقاصد الكبار فقد قيل من احكم الاقوال في الامثال ان همم الرجال تقلقل الجبال ويقال ايضاً ان جميع الاعمال انما تعمل بالرجال وللرجال وهل على امام القوم الا ان يشير للطريق المستقيم ويسير فيه امامهم بالعزم والتعظيم مع ارشاد القاصد بتسهيل الوسائل لتسهيل المقاصد وعلى كل من اتبعه ان يقتفي أثره بقلب قوى قويوم وهاتين قد عزمنا وتوكلنا بالنسبة مع السائرين وصممنا على ان تؤدي فرض هذا الجهاد مع المسافرين ونبدى جهده المقل من هذا القصد الاجل على ان نسميه باسم **الدرس الثام في التاريخ العام** من قبيل حسن التفاعل في الاسماء والاعلام عسى ان يفوز هذا العمل من خزية التمام بتحقيق الامل بعناية افنديناولى النعم الخديو الاكرم وبرعاية مولانا الامير المعظم بخلة المكرم ويجوز بطول بقاء هذه الدولة المصرية الفخيمة والعائلة الخديوية الكريمة عند الله بالقبول والاكرام

وقل بذل رب لا تقطع عني * عنك بقاطع ولا تمنعني

من نورك الابهي المزيل للعمى * وانتم بخير يا رحيم الرحا

والامل ان شاء الله تعالى ان يطبع وينشر ولا ياول وينفع سائر اندارس وجميع الخواص والعوام والله سبحانه وتعالى هو الكفيل بتبليغ كل مرام

مقدمة

في مبادئ علم التاريخ

قال العلماء ينبغي لكل شارح في علم من العلوم أو فن من الفنون أن يتكلم ابتداء على مبادئ المنظومة في الايات المعلومة في قول بعضهم

ان مبادئ ~~هك~~ كل فن عشرة * الحمد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبته والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى * ومن حوى الجيسع حاز الشرفا

وذلك ليعرف الطالب حقيقة ما هو قادم عليه من المطالب ويقف على ما هو متصده من الرغائب ويكون على بصيرة تامة ونخبة عامه بالغرض المقصود له من الاشتغال بهذا العلم والفن الذي يريد ان يشتغل به ويصرف فيه نفيس زمنه فينعطف قلبه عليه ويميل بكيته اليه والافالوقت سيف بتار وفلك دوار والوقت كما قيل من ذهب يجب على العاقل ان يصرفه فيما ندب اليه او وجب والاقر منه وذهب ومن أضاع برهة من أوقاته سدى فتدخر جملة من ثروته واضاع غرة من ميسرته وضل عن طريق الهدى وافعال العقلاء تصان عن العبث فلذلك وجب علينا هنا ان يبحث أولاً في مبادئ علم التاريخ الذي نحن بصدده وننظر في اسمه وحده وغير ذلك من المبادئ المذكورة في تلك الايات المشهورة وذلك في عدة مباحث فنقول

المبحث الاول

في اسم هذا العلم وحده لغة واصطلاحاً على اختلاف اطلاقاته وتفرع تقسيماته

اما اسم هذا العلم فهو علم التاريخ وهو الاكثر استعمالاً على ألسنة الناس وقد يعبر عنه أيضاً بعلم السير جمع سيرة وهي في اصل اللغة قال في الصحاح « السيرة الطريقة » ثم نقل اصطلاحاً لما يراد في لفظ التاريخ ومنه قولهم السيرة النبوية وذكر اهل السير بمعنى المؤرخين كما لا يخفى وتُدعى باسماء خصوصية بحسب اختلاف اعتباراته كما سيأتي قريباً عند الكلام على تقسيماته

واما لفظ التاريخ فعناه التوقيت أي تعريف الوقت قال الجوهري في الصحاح « التاريخ تعريف الوقت والتورخ مثله وارخت الكتاب يوم كذا وورخت يعني » وعبارة الغير وزبادى في القاموس « أرخ الكتاب وأرخه وورخه وقته والاسم الارخة بالضم » وفي المصباح « ارخت الكتاب بالثقل في الاشهر والتخفيف لغة حكاه ابن القطاع اذا جعلت له تاريخاً وهو معرب وقيل عربي وهو بيان انتهاء وقته ويقال ورخت على البذل والتورخ قليل الاستعمال وارخت البينة ذكرت تاريخاً

الدروس الثام (٦) في التاريخ العام

وأطلقت أي لم تذكره ، الى آخر ما أوضحه وأوضح من هذه العبارات عبارة كشف اصطلاحات
الفنون للشيخ الاجل المولوى محمد اعلی بن على التهاونى المطبوع فى مدينة كلكته (كرسى
بمملكة الهند) فى سنة ١٨٦٢ الميلادية الموجود فى الكتبخانه الحسديوية المصرية فى ضمن
هدية الكتب المقدمة للحضرة الداورية ونصها : التاريخ فى اللغة تعريف الوقت قبيل هو قلب
التأخير وقيل هو : معنى الغاية يقال فلان تاريخ قومه أى ينتهى اليه شرفهم ففى قولهم فعلت
فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشئ الذى ينتهى اليه موقيل هو ليس به عربى فانه مصدر المورخ
وهو معرب ما دروز وما فى اصطلاح المنجمين وغيرهم فهو تعيين يوم ظهريه أمر شائع من مله
أودولة أو حدث فيه أمر هائل كزلزلة وطوفان ينسب اليه أى الى ذلك اليوم ما يراد تعيين وقته
فى مستأنف الزمان أو فى متقدمه وقد يطلق على نفس ذلك اليوم وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم
والوقت المفروض : كذا فى شرح التذكرة الخ اهـ

وحاصل ما يؤخذ من مجموع كلامهم ان التاريخ فى أصل اللغة هو مطلق التوقيت أى تعريف الوقت
تفعل من أرخ الرباعى مضاعف أرخ الثلاثى المخفف يارخ أرخا من الباب الثالث باب فتح يفتح
فخصا فهو أرخ والكتاب ماروخ كفاتح ومفتوح والاسم منه الارخة كالمنعة ومضاعف أرخ يؤرخ
تأريخا وتاريخا بالهمز والتسويل وقد يقال فيه ورخ يورخ يورخا ببدال الالف فى أوله واوا كما
فى أكد وكدومنه قوله عليه الصلاة والسلام : من ورخ مؤمنا فقد ابدى له : وأما قول بعض
الناس ترخ الكتاب فهو من غلط العوام وسقط الكلام الخالى عن الدراب لم يسمع من هذه
المادة ابدال الواو بالتاء كما فى وراث وتراث ولعل السبب كون الواو ايت فى أصلية هذا نهاية
القول فى لفظ التاريخ فى اللغة

وأما فى الاصطلاح فيطلق على جملة اطلاقات

الاول على ما يعبر اقتصاص الحادثة مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه
الثانى على يوم وقعت فيه حادثة شهيرة وواقعة كبيرة لامة من الامم أو دولة وقية - لذا أو مدينة
أو شخص من الآحاد فجعلت مبدأ التعبيرها من الوقائع تنسب اليها ويشتد فى اثباتها عليها
كواقعة الهجرة المحمدية بالنسبة لامة الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة لطوائف
النصرانية ولكل مله وقبيل تاريخ من هذا القبيل كتاريخ اليونان والروم والفرس والهنود
وغيرهم ولا حاجة لنا هنا بتوضيح جميع هذه التواريخ المختلفة وعوائد الامم الغير المتولدة

الثالث على المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض

الرابع يطلق لفظ التاريخ عند أهل الادب أيضا على ما يعرف عند البلغاء من كل جملة
شعرية أوثرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكر حادثة على وجه مجمل بحيث يكون حاصل فهم

الدرس الثام (٧) في التاريخ العام

حروف المسكتوبة بحساب الجمل المعروف مساوي للتاريخ وقوع هذه الحادثة على وجه خفيف
مألوف مثال الترقول بعضهم في تاريخ فتح السلطان محمد الثاني للقسطنطينية و بلدة طيبة
ومثال النظم كقول العبد الفقير جامع هذا المجموع البسير مهنثا السعادة أقندينا خذ يوم مصر
وامام العصر ومؤرخا لخدمة بولاية الامر في أول الشطرين من قصيدة محبوبه
الطرفين مطلعها

« تدارك اسماعيل مصر بعده وادرك ما يحيى رجاها بعقله »

سنة ١٢٨٩

ومثلهما اتفق له أيضا من تأريخ واقعة تقرير وزارة الحكومة المصرية في فرعه الكبرى الكريم على
عود النسب المستقيم في المصراع الأخير من يدين من هذا القبيل وهو قوله « يرث مصر آل
اسماعيل » سنة ١٢٨٤

والتاريخ بهذا الاطلاق هو من التفننات الادبية والانواع البديعية والمقصود به تخليد ذكر
بعض الحوادث على وجه جميل بعبارة وجيزة وكلمة على اللسان خفيفة عزيزة بحيث تتناقلها
أفواه الناس من جميل الى جميل ومن قبيل لقبيل على مر الزمان ويرجع اليها في توثيق
الحادثة عند النسيان وليس البحث في التاريخ بهذا المعنى البديعي والمدلول التبعي من
موضوع هذا الدرس بالنفس وانما تعرضنا له هنا بعض الشرح لداعي كونه من اطلاقات لفظ
التاريخ الاصلاحية وعلى توقع انتار بما أوردنا منه شيئا فيما بعد لمناسبة بعض الوقائع الكبيرة
في تاريخ لقرون الأخيرة على سبيل تشخيص الازدهان والمقصود لنا بالذات البحث عن التاريخ
بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث البشرية مع الايضاح والبيان على قدر الامكان

والتاريخ بهذا الاطلاق الاصطلاحي عرفه المحققون من علماء أور وبأبانه اذا جمل على أهم
اطلاقاته هو اقتصاص مطلق واقعة تستحق ان ذكر من أحوال الموجودات الكونية يا كانت قالوا
ومن ثم انقسم الى قسمين عظيمين التاريخ الطبيعي والتاريخ المدني

أما التاريخ الطبيعي فهو وما يتعلق ببيان أحوال سائر الكائنات المنحصرة فيما يعبر عنه
بالمواليد الثلاثة وهي المعدن والنبات والحيوان بما فيه نوع الانسان من حيث كيفية
انها وترتيب بنيتها وترتيب طبقاتها وبنان أحوالها الطبيعية وأطوارها العمرية
التي طبعها الله سبحانه وتعالى على ما هو هي عبارة عن مجموع العلوم التي تعرض منها تعريف
أجزاء الاجسام العضوية أي ذات الاعضاء بمعنى القائم بها الحياة وهي الحيوان
واللذان يوجدان على الارض والاجسام الغير العضوية أي الخالية عن
الحياة بمعنى الجادات وهي المعادن وسائر المواد التي منها قوام الكرة الارضية
سما التاريخ الطبيعي على وجه العموم الى ثلاثة أقسام

الاول علم حياة الحيوان وهو ما تعلق ببيان أحوال الحيوانات الطبيعية ويدخل فيه نوع الانسان من حيث أحواله الجبلية وقد يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعي بالخصوص ويسمى في اللغة الفرانساوية بعلم الزولوجيا (برأي مجمة قواوين في أوله)

الثاني علم النبات وهو ما تعلق بخصوص أحوال النباتات ويقال له علم البوتانيقي الثالث علم المعادن وهو ما تعلق بترتيب أنواع المعادن والمواد الارضية وبيان أحوالها وطبائعها كل منها على حدة وبيان فائدتها ومنزيتها ويسمى بعلم المينرالوجيا

وبما يرتبط بهذا القسم الاول من التاريخ ما يسمى في اللغة الفرانساوية (بالجيولوجية والجسيم الاعجمية) أي علم أحوال الارض من حيث ما اعتراها من التغيرات والاطوار وبيان ماهي مبنية منه من الطبقات والادوار ويبحث فيه أيضا عن توزيع أنواع المعادن والاجسام التي تتركب منها الكرة الارضية وكيفية دخولها في تركيب طبقاتها الحيولانية

وزعم بعضهم ان التاريخ الطبيعى ليس من علم التاريخ بل هو من علم الطبيعيات وكأنه غفل عن كون التاريخ هو مطلق اقتصاص الحوادث التي تسبق الذكر وله معنى ان تاريخ النبات والمعدن والحيوان لا ولي بالذكر والاعتبار من تاريخ الانسان حيث كان التاريخ الطبيعى عبارة عن ذكر أحوال ثابتة وقوانين منتظمة تدل على بداعة الخلقة الالهية وبراعة الحكمة الربانية بخلاف تاريخ الانسان فانه انما هو عبارة عن حوادث شتى وقايع غير منتظمة تدل في الغالب على سلطة الاقوياء على الضعاف وغلبة الباطل على الحق وانتشار الانحاف على الانصاف

وهذا القسم الاول بجميع فروع تقسيماته المذكورة ليس من موضوع درسا هذا وفيه تأليف خصوصية وله رجال مخصوصون من ابناء وطننا هم به عالمون ويتدريسه قائمون

واما التاريخ المدني وهو التاريخ الحقيقي الذي ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق وفي الحقيقة هو علم التاريخ المصدق فهو علم يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران أي من حيث هيئته اجتماعه وتأنسه وتعاونته على تحصيل مادة معاشه ومعاشه بآبائه جنسه وهذا هو المعبر عنه بتاريخ الجمعية البشرية والاضاع الحضارية التي تبلغ الانسان لدرجة الكمال الامكانيه وتسمى بالتمدن والعمران أو تاريخ الامم والملل والاديان والاهل والممالك والدول وما اشبه ذلك

وهذا التعريف بالنسبة اليها هنا أيها الاخوان يحتاج لبعض تهذيبان وتأسيس يبنى عليه فيما بعد فهم ما يرد علينا في سياق هذا المجموع من البيان وذلك كما أوضحه الما في ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تاريخه حيث قال ما ملخصه

قالت الحكماء من الاصول الطبيعية والاحكام العقلية المرعية ان الانسان مدني بالطبع ، وبيان ذلك ان الاجتماع أي حالة التأنس والعمران المعبر عنها في اصطلاح الحكماء بالمدينة أو الحالة

الدرس التام (٩) في التاريخ العام

المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو الحالة البدوية هو أمر ضروري لنوع الانسان وطبع لا بد له منه على أى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى بيديع حكمته وبلغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وركبه في صورة بحيث علق مادة حياته وبقائه بالضرورة بمعنى ان الانسان ليس من صفاته الداتية صفة القيام بالنفس التي هي من خصوص الالهية فهو مضطرا لأمرين أصليين يتفرع عنهما جميع أنواع العمل والاعمال البشرية ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضريه المنحصرة في مادة الزراعة والصناعة والتجارة (قال القاضي ابن خلدون) رحمه الله ما معناه قال بعضهم والامارة وعلى ذلك فالتقسيم رباعي وبعضهم يدرجهما في ضمن الصناعة فأما الزراعة فهي عبارة عن سائر الاعمال التي القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباشرة كالحبوب والخضراوات وما أشبه ذلك وأما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ومحصول ذلك والصناعة عبارة عن جميع الاعمال اليدوية التي تحتاج للتفكير والنظر ويعبر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والتجارة والحداثة والنسار وما أشبه ذلك وأما التجارة فهي كل ما كان من الاعمال القصد منه ترويج المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسهل على الراغب فيها تناولها والامارة عبارة عن تقلد وظيفة من الوظائف العامة كالمالك والسلطنة والقضاة والوزراء وما أشبه ذلك

والاول من الامرين اللذين يضطرا اليهما الانسان هو عوزة المادة الغذاء البدنية حيث خلقه الله مضطرا اليها في معيشته وهداه لاتباعها بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة بأبناء جنسه وجماعته فالنحلة الاسلام الغزالي في الاحياء ه ان الرغيف لا يوضع على المائدة الا بعد ان يمر به ثلاثمائة وستين صانعا ه

والثاني احتياج المادة للدفاع عن نفسه من الصائل وانتوقى من الغائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لغيره من الخيوانات التي خالقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوة وجعل لها أسلحة طبيعية لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غائلة أعدائها ولم يجعل للانسان في نظير ذلك غير ما منح سبحانه من قوة النطق والعقل أى الفكر والبيان ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يتيسر له هذان الامران الضروريان المذكوران الا بالكون بين اقربائه والعون باخوانه ومن ثم احتياج للزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هي ما تسمى بالعائلة او القبيلة او العشيرة المأخوذة من المعاشرة وهي عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهرة ومن ثم احتياج للكينونة بين اخوانه في الوطن والدين والاستعانة بهم فيما يكون به قوام معاشه ومعاده من المواد الضرورية وسائر الحاجات الدنيوية والاخرية وهذا هو معنى قولهم انما المرء باخوانه والسلطان بأعوانه وذلك هو ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضرية

أو الحضارة أو العمران أو العماره أو هيئة الاجتماع الانساني أو حالة الناس المدني أو العمراني وما أشبه ذلك من أمثال هذه العبارات التي هي تقريبا مترادفات وكلاهما عبارة عن الارتباط بروابط الاخوة الوطنية والوحدة الدينية وتركيب من العشائر والقبائل المتخذة للوطن والاديان في أكثر الاحيان وتديتحد الواس ويختلف الدين فيقال لها الجمعية الوطنية أو المدنية وبالعكس فيطلق عليها اسم الجمعية أو الطائفة أو الجماعة الدينية كما نقول جماعة المسلمين وطوائف النصرانية وتسمى بحسب اختلاف الاعتبارات بالملل أو الامم أو الكافة أو العامة وما أشبه ذلك من العبارات

ولا بد للناس في هذه الصورة بالضرورة من دين ينبنى عليه أساس الجمعية المدنية ويقال له دين الدولة أو الديانة الرسمية وهو عبارة عن معامل العباد مع حضرة الألوهية وبالمرم أن يترب على ذلك بالأدلة العقلية والنقلية في الدار الآخرة من الثواب على الأعمال المستقيمة والعقاب على الأعمال السيئة السقيمة ولا بد للجمعية البشرية أيضا في هذه الدار الدنيوية من دواعي تدفع بعضهم عن بعض بمقتضى أصول وقوانين مربوطة وثرائع وأحكام مفيدة مضبوطة بالنسبة لمن لم يزدجر يتوقع الثواب والعقاب في الآخرة لما تركب في طابع الانسان الحيواني من الخصال العدوانية وذلك بما يكون للأواع عليه من الغلبة والسلطة الشهريه وهذا هو معنى الملك أو السلطنة أو الدولة وولاية الامر العمومية أو الخصومية ولذلك قد يعبر عن هذه الحالة أيضا بالحالة الملكية بمعنى المدنية ومن ثم تميز في حالة الجمعية البشرية الراعي والرعية والاستقل كل عضو من أعضائها أي أفرادها بنفسه وكانوا فردى بينهم معنى أنهم لا رئيس لهم وخرجوا عن حالة الجمعية المدنية ووقعوا في حالة الاختلال التي هي أساسا من الحالة التوحشية البدوية

وعمالا بأس بالاماع لكم به هنا أيضا على سبيل الاستدراك وان كان في الحقيقة ليس من موضوع غرضنا الا على المراد أن تعار كذلك ان ولاية الامر العمومية ويقال لها أيضا الامامة العامة أو الكبرى أو الخلافة تنقسم الى قسمين الولاية لروحانية أو الرئاسة الدينية والولاية المدنية أو الجثمانية أو السياسية ويعبر عنها بالزمنية

وهذه تنقسم كذلك الى ثلاثة فروع أصليه الولاية التشريعية أي قوة تشريع الشرائع ويلحق بها الولاية القانونية وهي قوة تقنين القوانين السياسية اللازمة تأويل الأحكام الشرعية الأصلية وتوقيعها على مقتضى الاحوال الوتية والولاية القضائية أي قوة تطبيق الاحكام وتوقيعها على أفراد الجمعية البشرية والقوة التنفيذية والتجيزية وهي القوة بإجراء مقتضى الاحكام الشرعية والقوانين السياسية وأصول الضبطية المبرع عنها في لسان الناس بالحسبه وهناك ما يعبر عنه بالقوة العسكرية وهي عبارة عن الجنود المجندة والجيش المعظم

التي تستعين بها القوة التنفيذية والقضائية عند الاقتضاء على تنفيذ الاحكام الشرعية وتجزئ القوانين السياسية اعنى تحصيل الامنية لاجزاء الجمعية على نفوسهم واعراضهم واموالهم وانتظام اموالهم في داخل بلادهم والذب عن الحوزة الوطنية والمرتبة الاهليه بالجهات الخارجية لحفظ ناموس الجمعية البشرية بالقوة القهرية

وتتفرع القوة التنفيذية المذكورة كذلك الى عدة فروع أصلية قليلة أو كثيرة يتداخل بعضها في بعض وقد تجتمع عدة منها على رأس رجل واحد من أهل الكفاءة والنهض بحسب جسامه الجمعية واتساعها أو خفة كثافتها واجتماعها وعلى حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان من امتداد الشوكمة واتساع نطاق الملك والسلطان تسمى تلك الاقسام بالولايات والعمالات أو الولايات والمحافظات والحكداريات أو المديريات وأقسام المديريات والخطط والقسري أو النواحي وتسمى هذه الأخيرة في اللغات الأوروبية بالقومونيات أو المونيسيپاليتيه بمعنى المشيخة البلدية وهذه الفروع وهي ما يعبر عنه التقاسيم السياسية أو الخطط الأرضية السياسية

وتتفرع الولاية العمومية أيضا الى عدة فروع أصلية تسمى بالوزارات أو النظارات العمومية وهذه هي التقاسيم الادارية أو الوزارية أو النظرية وتسمى بالدواوين العمومية وهي أولا ديوان المصالح الداخلية المنوط بالنظر في تحسين احوال الاهليه ومواد الضبط والربط والحسبة ويعبر عنها في ديارنا الآن بالضبطية

ثانيا ديوان الامور الخارجية المنوط بالنظر في المواد السفارية وقضايا الطوائف الاجنبية ثالثا ديوان الحرب المعبر عنها ديوان عموم الجهادية أو نظارة الجهادية وهي المنوطة بإدارة أمور الجنود وتحصيل ما يلزم لهم من الآلات والادوات المعبر عنها بالمهمات العسكرية

رابعا ديوان البحر والبحرية وهو المنوط بإدارة الاساطيل وهي السفن الحربية خامسا ديوان بيت المال المعبر عنه عندنا الآن بنظارة المالية وهي المنوطة بالنظر في مواد جباية أنواع الخراج والجارك والعوائد الداخلية وضبط مواد المصارف والواردات الاهليه وتسوية مادة البودجه المعبر عنها عندنا هنا بالميزانية المالية

سادسا ديوان المعرف الاهلية والاشغال العمومية والاقاف الخيرية وهي المنوطة بإدارة مواد المدارس والمكاتب ونشر سائر المواد التعليمية والنظر في الاوقاف والصدقات التبرعية وصرفها في مصارفها الشرعية وفي ملاحظة الاعمال الدافعة والاشغال الجامعة لمصلحة عموم الناس كصحة تزيين المدن والبنادر وتحسين المساكن والخواضر (المعبر عنها بالاورناتو) والنظر في مصلحة الترع والخلاجان والقناطر والجسور وما أشبه ذلك من مهمات الامور

سابعا ديوان المواد القضائية المعبر عنها في بعض الجهات بالعديله ويعبر عنها عندنا بنظارة الاحكام المصرية أو الخفانيه وهي عبارة عن ادارة مواد القضاء والمحاكم الشرعية والمجالس المدنية والنظر في مواد الجنائيات وسائر القضايا والدعاوى التعاملية

ثامنا ديوان المواد الزراعية والتجارية والصناعية المنوط بالتظرف في مواد ترقية المزارع والمآجر الداخلية والخارجية وتقديم الأمور الصناعية الأهلية وقد تنداخل هذه الدوائر الثلاث في دائرة نظارة الداخلية أو الخارجية وقد يستقل كل منها بالخصوص بديوان مخصوص تاسعا ديوان الدائرة الملكية أو السلطانية المعبر عنها عندنا بنظارة الدائرة الخديوية الخفية وهي تختص بالنظر في كل ما يتعلق بإدارة أشغال ولي الأمر الخصوصيه ومصلحته الشخصية وكلها يعبر عنها عندنا بما يدري العموم أو المظارو والمراد بها ما يعبر عنه في اصطلاح الممالك الأجنبية بطاقم الوزراء وجماعة الوزراء أو أهل الدولة وعم أرباب المناصب الميريه وأصحاب المراتب الملكية والعسكريه أو حاشية الملك أو السلطان على حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان وكلها ترجع للوكالة أو النيابة عن ولي الأمر في بعض الفروع المتفرعة عن عموم ولايته وذلك إدارة عن استعانته في تمام تأدية وظيفته بأنواع الوزراء والمخدمين والاعوان والأمرام ومما يفتنى لكم أيضا أنها الإخوان أن تعلموه وتأملوا فيه وتفهموه أن ولاية الأمر المعبر عنها بالدولة أو الحكومة تنقسم من حيث الهيئة والدورة إلى ثلاثة صور أصلية ويعبر عنهم بكونية ترتيب إدارة البلاد الأساسية والسياسية وهي

الأولى الحكومة الملكية وهي عبارة عن أن تكون البلدة تحت حكومة رئيس واحد يلقب في العادة بلقب الملك أو السلطان ويقال له في الممالك الأوروبية الإمبراطور يسمى السلطان وتسمى البلاد التي يحكمها حيثئذ الملك أو المملكة والسلطنة أو الإمبراطورية وعنده تنقسم أيضا إلى قسمين (أحدهما) الحكومة الملكية المطلقة وهي ما كانت فيها قوة المولى أي مادة التصرف في أمور المملكة بيد الملك لا يشاركه فيها أحد ولا تتقيد بقيد غير القوانين الأساسية والاصول السياسية الأصلية المبني عليها ترتيب الدولة (وثانيهما) الحكومة الملكية المقيدة أو القانونية ويقال لها أيضا المعدلة أو النيابية وهي التي تكون فيها قوة المولى العليا متورعة بين رئيس المملكة ومجلس شوري النواب الأهلية وهو عبارة عن مجموع أناس ينتخبهم أهل كل خطة أرضية أي سكان كل بقعة من بقاع المملكة من ذوي الرأي أو التدبير والديانة والخبرة بحقائق الأمور ليبدوا رأيهم بعد المذاكرة بالنيابة عن سائر الناس فيما يعرض من المسائل المهمة التي تتعلق بترتيب أحوال البلاد وما ينزل من النوازل الوقعية على العباد وذلك بانتخاب الاتحاد بطريق المباشرة ويسمى الانتخاب حيثئذ الانتخاب بدرجة أولى أو بواسطة من يفتخرونه لذلك ويسمى الانتخاب بدرجة ثانية وتسمى مجالس الانتخاب بالدوائر الانتخابية ولذلك تسمى الحكومة حينئذ بالحكومة النيابية ولا يصدق عليها هذا الاسم إلا إذا كانت مبنية على ترتيب أساسي مربوط وقانون سياسي مضبوط

وقد تكون الحكومة الملكية المذكورة بكلا قسميها إما وراثية في عائلة ملوكية معينة أو انتخابية

الثانية الحكومة الاعيانية او حكومة الاعيان والاشراف ويطلق عليها في اللغة الفرانساوية اسم الارستوقراسيه ويعبر عنها عندنا بولاية أهل الحل والعقد وقد كانت في الاصل عبارة عن كون ولاية أمر الجماعة بيد اتقاهم ذمة ديانته وأرقاهم محبة وطنيه ولكنها آلت لان صارت هي عبارة عن ان تكون اارة مصلحة البلاد بيد جماعة هم أعيان الطوائف الاهليه وأكثرهم شوكة وماليه وتسمى أيضا في اللغة الفرانساوية باسم أوليجارشيه أى كون ولاية الأمر بيد شريحة قليلة من الطوائف الاهليه

الثالثة الحكومة الاهلية ويطلق عليها في اللغة الفرانساوية اسم الديموقراسيه وهي المعبر عنها أيضا بلفظ الحكومة الجمهوريه وهي عبارة عن كون ادارة مصالح الملة تكون بيدها أعني انها تحكم نفسها بنفسها من غير سلطة عليها من ملك ولا سلطان ولا جماعة أعيان فهي يعكس الحكومة الملوكية والاعيانيه وتستلزم تساوى جميع افراد الجمعية البلديه في جميع الحقوق المدنية والسياسيه وانعدام الامتيازات بالسكليه وحيث كان لا يمكن لجميع آحاد الطوائف الاهلية ان يباثروا ولاية أمرهم بأنفسهم لزم بالضرورة نصب رئيس للجمهوريه اما بيعت نواب عن كل خصة أرضيه بالطريقة الانتخابية السالفة الذكري ليركب منهم مجلس شورى نيابيه أو يأخذ الراى العام من جميع من يعتد برأيه من أجاد أهالى البلاد وذلك سميت بالجمهوريه والجمهور من الناس بالضم جلهم أى أكثرهم فهي بمعنى الحكومة الاكثريه

وسائر هذه التنظيمات والترتيبات الاداريه مع ما تدور عليه من التأسيسات الحضريه والانشات العماريه وما يتبع ذلك من أحلاق كل قوم وعوائدهم ومحاضرتهم ومشاهدتهم وقوانينهم وأحكامهم وشراعتهم وعالومهم وفنونهم ومعارفهم ومدارسهم ومزارعهم ومتاجرهم وصنائعهم كل ذلك هو ما يعبر عن مجموع بنظام الملك أو السلطان أو ترتيب المملكة أو السلطنة أو الحالة المدنية أو البلدة المتمتدة أو هيئة الاجتماع الانسانيه وكيفية التأنس العمرانيه وغير ذلك من العبارات التي ذكرنا بعضها فيما سلف آنفاً ومجموع ذلك كله هو ما يسمى بالتمدن والعمران وموضوع علم التاريخ المدنى هو الانسان من هذه الحيثيه وبعبارة أخرى مختصرة تعريفيه التاريخ المدنى هو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران واذاقرر هذا التمهيد في الاذهان على هذا الوجه من الايضاح والبيان ساغ لنا ان نقول الآن قال علماء الاوربا وبين وينقسم التاريخ المدنى الى عام وخاص

أما التاريخ المدنى العام فهو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانسانى وحاله العمرانى كله من عهد الخليفة الى عصرنا هذا وهو الغرض المقصود لنا الاشتغال به في درسنا هذا وذلك عبارة عن مدة نحو ستة آلاف سنة التي هي عمر الدنيا من عهد آدم الى هذا العهد حسبما حققه الحكماء المحققون واقف عليه العلماء المدققون من الاوربا وبين والاسلاميين وكما

سنوضحه بعد وقد جرت عادة المؤرخين من الافرنج بأن يقسموا التاريخ المسند في العام أعني مدة الستة آلاف سنة المذكورة الى أربع مدد أو عهود أصلية

الاولى مدة العالم القديم أو الدنيا القديمة ويسمونه بالتاريخ القديم وهو تلك الاعصار الخالية والقرون الماضية من ابتداء خلق الدنيا لغاية سنة ٤٧٦ قبل المسيح عليه السلام وهي سنة زوال الدولة الرومانية باغارة أقوام شمال أوروبا عليهم أعني زوال دولة ملوك الروم الاولى التي كانت قائمة بمدينة رومية الكبرى (بيلا دايطاليه) وذلك عبارة عن مدة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا

والتاريخ المسند في العام القديم عبارة عما يعم تاريخ الامم الشهيرة والممالك الكبيرة التي ظهرت في تلك الاعصار العتيقة بجميع أقطار الارض المعمورة وهم

اولا القبط أعني دولة قدماء المصريين أو الفراعنة الاقدمين

ثانيا اليهود أو العبرانيون ويقال لهم بنو اسرائيل أو الاسرائيليون

ثالثا الفنيقيون أو الصوريون وهم سكان سواحل الشام السالفون

رابعا الاسوريون أو السريانيون والبابليون وهم قدماء سكان العراق وكرديستان وجزيرة ابن عمر

خامسا الميديون وهم قدماء سكان أذربيجان والفرس المعروفين عند العرب بدولة الهم

سادسا الليديون وهم قدماء سكان الخطة الغربية من بلاد أرمنية أو ساروخان

سابعا السيتيون أو أقوام ياجوج وماجوج وهم قدماء أهل بلاد الروس والترك

ثامنا اليونان أو الهيلينيون

تاسعا الروم أو الرومانيون وهم دولة ملوك الروم التي كان مقرها بمدينة رومية الكبرى بيلا دايطاليه

عاشرا القرطاجيون وهم أهل مدينة قرطاجنة أو قرطاجنة القديمة أي قدماء سكان ايلة تونس الغرب

فهؤلاء هم الامم المشهورون والملل المعتبرون الذين اتفق جميع المؤرخين الاوروبيين على ان يعبر عنهم بالتاريخ القديم حيث بقي لهم بعض آثار دلت عليهم أو ذكر عنهم في الكتب المنزلة أو كتب المؤرخين السالفين من اليونان والروم وبعض أخبار سيرة أو كثيره أو قدتهم على بعض أحوالهم وأما من عداهم من سكان الارض المعمورة في الاعصار السالفة المذكورة كاهل الهند والصين واسلاف سكان جزائر الاوقيانوس (البحر المحيط الاعظم) المسماة باسترالية واسلاف سكان بلاد اسبانية المعروفة بالاندلس وكذلك اسلاف سكان جزيرة العرب في أيام الجاهلية الاولى

الدرس التام (١٥) في التاريخ العام

وبلاداً مريقة وغيرهم فجميع هؤلاء ليس لهم تاريخ مستقر يذكر ولا خبر ثابت يؤثر لعدم الوقوف لهم على شيء من الآثار والأخبار وإن كان الظاهر أنه قد كان لهم دول كبيرة وملل ممتدنة شهيرة في تلك الأعصار

المدة الثانية الأعصار المتوسطة أو القرون الوسطى ويسمونه بتاريخ القرون الوسطى أو التاريخ المتوسط وهي المدة المنقضية من بعد سنة ٤٦٧ قبل المسيح لغاية سنة ١٤٥٣ من بعد ميلاده وهي سنة افتتاح الدولة العثمانية لمدينة القسطنطينية أي زوال دولة الروم الثانية المعروفة بالسلطنة الرومانية الشرقية أو السلطنة السفلى التي كان مقرها بالقسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني من السلاطين العثمانيين عبارة عن ألف وتسعمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا وهي المدة التي باثنا عشر نشا دين الاسلام وظهرت أمة العرب واشتهرت على جميع أمم الانام

المدة الثالثة الأعصار الحديثة أو القرون المتأخرة ويسمونه التاريخ الحديث أو المتأخر أو تاريخ القرون الأخيرة وهي المدة الماضية من سنة ١٤٥٣ لغاية سنة ١٧٨٩ من تاريخ المسيح وهو تاريخ العالم الجديد أو الدنيا الجديدة أي تاريخ الأمم المتأخرين والملل المتجاورين ببلاد آسية وأفريقية وأوروبة وأمريقة والأوقيانوسية من الترك والفرنسيين والانجليز والالمان والاسكاندينافية والامريكانية وغيرهم من سكان المعمورة في المدة المذكورة وهي عبارة عن مدة الثلاثة قرون الأخيرة لغاية أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي

المدة الرابعة مدة العصر الحاضر ويعمى بالتاريخ العصرى أو المعاصر وهو تاريخ الأمم المذكورة في هذه المدة الحاضرة الأخيرة أي مدة القرن التاسع عشر من الميلاد المسيحي هذا هو تقسيم التاريخ المدني العام على الوجه المبشور عليه الانقسام عند جمهور المؤرخين المتأخرين من العلماء الاوروبيين وبعضهم يدخل هذه المدة الرابعة في ضمن المدة الثالثة أي مدة الأعصار الحادثة ويجعل الاقسام ثلاثة وهذا القسم أعنى التاريخ العام هو ما كتب فيه مثل كتاب السكامل لابن الاثير الجزري وتاريخ ابى الفدا وتاريخ الخلدس والمسعودي وما أشبهها

وأما التاريخ المدني الخاص فينقسم أيضاً في اصطلاح المؤرخين الى قسمين الاول التاريخ المدني الخصوصي وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة أو إقليم أو مملكة أو سلطنة أو دولة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة ويطلق عليه في هذه الصورة الأخيرة في اللغة الغرانية اسم الب وجرافيه أي السيرة أو القصة أو الحياة الخصوصية كسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخ دمشق وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للشيخ السيوطي والروشتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية للشيخ المقدسي ووفيات

الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان وخلاصة الاثر في أعيان القرن الثاني عشر للمعني وما أشبه ذلك

الثاني التاريخ المدني الجزئي وهو ما تعلق بخصوص مدة شهيرة أو حادثة كبيرة كذا تاريخ حروب الصليب وتاريخ حرب الثلاثين سنة وغير ذلك

ويطلق على التاريخ الخاص اسم التاريخ القيسي أو السفاري أو السياسي أو الشرعي أو القضائي أو التجاري أو الزراعي أو الصناعي أو الأدبي أو تاريخ العلوم والسنون أو غير ذلك من الموضوعات الخصوصية على حسب ما يقيده المؤرخ تأليفه من المواد الختصة وصيه والأغراض الشخصية فان كتب التاريخ على حسب ترتيب السنين بقلم فحل ووجه شمل قيل له تاريخ الحوادث السنوية وان كان بعض ما كتب على هذا الوجه قد يكتب بطريقة أدبية وان كان المؤرخ معاصر الماسطره من الحوادث العصرية ومشاهدتها من الحوادث العصرية وكان له فيها بعض مدخلية حيث شاهد بعينه مشاهدتها وعهد معاها سمي ما يكتبه بالتذكرة التاريخيه وان تعلق بذاته الخصوصية سمي بالحياة الشخصية

وينقسم التاريخ على وجه العموم من حيث طريقة تحريره وكيفية تخطيطه أي بالنظر لادريقة المساوكة في اقتصاص الوقائع الزمنية الى ما يسمى في اللغة العرانية باسم الكرونولوجيه أي علم الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الاتتظام والى ما يسمى باسم الاتوجرافية وهو ما يتبع تاريخ كل أمة من الأمم على حداثها فان تقبّع جميع الحوادث الواقعة من الأمم التي في عصر واحد سمي باسم السنكر ونديم ويسمى التاريخ بالنفري أو الفلسفي اذا كان المؤرخ قد اقتصص الوقائع مع توضيح اسبابها ومسبباتها وغير ذلك

وينقسم التاريخ القديم من حيث أصل استمداده الى التاريخ المقدس أي المظهر أو الإلهي وهو تاريخ اليهوديكون أصل استمداده من التوراة وهو المبرع عند ما يقصص الأنبياء والتاريخ الديوي أو البشري وهو تاريخ من عداهم من الأمم المذكورين أي ما يكون من أليف البشر ووضعهم

ومن فروع علم التاريخ العام علم الانساب وهو معرفة أصل كل أمة أو قبيلة أو رجل من مشاهير الرجال وكبار الأبطال المذكورين في التواريخ البشرية أو المقدسة

وما يتهد بعلم التاريخ الاتحاد الشديد ويرتبط به الارتباط الاضطراري ما يفسر في علم الجغرافية أو الجيوبرافية أي علم وصف الأرض وتكوين أحوال البلادان على ما هي عليه في كل عصر وأوان وما يقال ان على الكرونولوجية والجغرافية هما التارخيين هينان ويقال أيضا ان التاريخ والجغرافية اخوان يناموان وفرسار هان يتسابقان ويتداخلا كل منهما في الثاني اذ لا تتم معرفة حوادث الزمن من غير وقوف على ما وقعت فيه من المواضع والامكنه

ومن قروع علم التاريخ أيضا ما يسمى في اللغة الفرانساوية بعلم الاستانستيك أى علم التعداد بمعنى احصاء الاشياء واستقصاء جميع المواد في كل بلدة من البلاد وليس علم الجغرافيه من موضوع درسننا هذا ولذلك نيط لعهدة مدرس فاضل من اخوات المدرسين الذين هم اتعليكم متعينون ليطلعكم منه مع ما منلقبه اليكم من فوائد علم التاريخ العام على ما ينور منكم ان شاء الله تعالى الافهام ويكون لكم في معرفة حقيقة السكره الارضية التي نحن أهلها ودار الدنيا التي نحن ساكنوها كالاعلام اليمن من العار ان يجهل الانسان في داره ولا يعرف كل ساكن بجواره والغرض المقصود انسابا لخصوص كمال علم وبما أو فنهنا لكم الى هنا فتم انما هو ايراد فوائد تامه وشواهد مختصرة مفيدة تفهمها الخاصة والعامه من أخبار الامم الذين ساكنونا في هذه اندار واعتنوا فيها باسباب العماره في جميع الاقطار والامصار على تعاقب الايام والاعصار بطريق التاريخ الاتنوغرافي والوجه التعليمي التعريفي أعني استئصال أحوال كل أمة بمفردها واستقصاء أخبار كل ملة بعدملة على حدتها من الامم المذكورة آنفا في كل مدة بعد مدة من المدد المسطر رسالها خالفا على وجه الاختصار هذا ما تجرد اليه منا القصد لنبذل فيه ان شاء الله تعالى الجهد والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب فان توهم جاهل أو قال قائل هؤلاء أمم قد دخلت ومضت وملل اندرست وانقرضت أو أقوام في أقطار نأت عنا وبعدت فما لنا ولا نستئصال أحوالهم وأعمالهم وما الفائدة العائدة علينا من استقصاء أقوالهم وأفعالهم قلنا الجواب في هذا المبحث الآتي بعد

المبحث الثاني

في بيان ثمرة التاريخ وأصله وحكمه وماذا ينتج من مطالعة علمه

قال القاضي ابن خلدون رحمه الله تعالى في أول مقدمة تاريخه مانصه : اعلم ان فن التاريخ من فن عزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبيا في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا اه وفي هذه العبارة كفاية للدلالة على نفاسة فن التاريخ وبيان كثرة فوائده وثمرته وشرف غايته وان المقصود به هو علم الاخلاق وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل بواسطة الاقتداء بما يراه الناظر فيه من الافعال الحمودة والانهاء عن الاعمال المذمومة في جميع أحواله الدينية والدنيوية

وما أحسن ما ذكره الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن ابراهيم المقدسي مؤلف كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية رحمه الله تعالى في خطبة ذلك الكتاب حيث قال واصاب أما بعد فانه بعد ان صرفت جن عري ومعظم فكري في اقتباس الفوائد الشرعية واقتناص

الدرس الثامن (١٨) في التارخ العام

الفرائد الادبيه عن علي ان اصراف الى علم التارخ بعضه فأحوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء بسيرة من مضى من كل عالم مرتضى فقل امام من الائمة الاويجكي عنه من أخبار من سلف فوائده منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رأيت أحدا أعلم بأيام الناس من الشافعي وروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشر بن سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه قال الشيخ المقدسي رحمه الله وأكرم مثواه قلت وذلك عظيم الفائده جليل العائده وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفة وآباء القرون الخالفة ما فيه عبر لذوي البصائر واسد اداب يوم تبلى السرائر قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » وقال سبحانه وتعالى « واقصصناهم من الأنبياء ما فيه من درج حكمة بالغة فاتغن الذر » وحدث النبي صلى الله عليه وسلم حديث أم ذرع وغيره مما جرى في الجاهلية والايام الاسرائيلية وحكي عجائب ما رآه إليه أسرى به وعرج وقال حدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج وفي صحيح مسلم عن مالك بن حرب قال قالت لجابر بن سمرة أ كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مجلسه الا الذي صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طالعت قام وكانوا يسمعون نورا فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « كتب النبي الله صلى الله عليه وسلم يثني ثمان عن بني اسرائيل حتى نسخ الحديث » قال الشيخ المقدسي رحمه الله قلت ولم تزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يسمعون في حديث من روى وذاكرون ما سبقهم من الاخبار وانقضى الى أن قال « واقدرا أنت بما سمع في هذه عشرة درسا وفيهم قاضي قضاة لك الزمان وغيره من الاعيان بغير بينهم بأمر الشيخ دأري من عمره عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن فقال جبريل عليه السلام يا محمد يا محمد وعلموا جبريلهم في ذلك عما يجب فنجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يتد إلى ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو أبوهم وأحقهم بلزم ان هذا اصل من أصول الشريعة قد أحملوه وباب من أبواب العلم جهلوه وازم من قولهم انتراج بني المطلب من هذه الفضيلة فابتغيت الى الله تعالى الوسيلة وانتم انفسى من ذلك انتم فأنخذتها بعلم أخبار الانام وتصحيح نسبتها وايضاح نسبتها الى آخر عبارته اني لولاني شية اطالها لا وردنا هاتر متها

ومما قال في ضمن هذه العبارة ايضا من الكلام المناسب لما نحن فيه من المنام « ورأيت ان المطلع على أخبار المتقدمين كانه قد عاش معهم أجمعين وانهم عندنا كمن في أحوالهم وكنهم كأنه كان معاصريهم ومحاضريهم فهو قائم له مقام الحياء وان كان متعيا الوفاء » قال الشيخ

المقدس رحمه الله * قال نعيم بن حاد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له الا تستوحش فقال كيف استوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في الحديث، وأنشد لبعض الفضلاء

كتاب أطالعه مؤنس * أحب الي من الآنسه
وادرسه في ربي القبر * ون حضوراً وأعظمهم دارسه

قلت وقريب من هذا قول بعضهم

لنا جلساء لا يمل حديثهم * البساء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * وعقلا وتأيسدا ورأيا مسددا
فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست مفنددا

وقال ابن الاثير ايضا في الكامل في هذا المقام رحمه الله ولا بأس هنا بما يراد ما أبداه ونصه، ولقد رأيت جماعة ممن يدعى للمعرفة والدراية و يظن بنفسه النحر في العلم والرواية يحتمق التواريخ ويردريها ويعرض عنها ويأغيبها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذا حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره واصح محشليا جوهره ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهذا صراط مستقيماً علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخرية جمة غزيرة وهانحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها وتكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فأما فوائدها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يجب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فيا ليت شعري أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في ضمن الكتب المتضمنة لأخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعهما فكانه عاصرهم واذا علمها فكانه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوا همدونة في الكتب يتناقضها الناس فيرويهما خلف عن سلف وتظروا ما اعقبت من سوء الذكرو قبيح الاحدوثه وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استعجبوها وأعرضوا عنها وأطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجليل بعد ذهابهم وان بلادهم ومجالسهم عرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوها ما ينافية هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا الكافي به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث امر الا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به أهلا ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرا

رأيت العقل عقليين * فسموع ومطبوع

ولا يتقع مطسبو * ع اذالم يك مسجوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان والمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والافهوزيادة في عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكرشي من معارفها وتقل طريفة من طرائفها فتري الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأمله ما يورده ويصدره مستهسنة ما يذكره واما الفوائد الاخرى فنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وبنيتها وتتابع نسجاتها الى اعيان قاطنيتها وانها سلبت نفوسهم وذاثرهم واعدمت اصغرهم واكبرهم فلم يبق على جليل ولا صغير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للاخرة منها ورغب في دار تهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص واعمل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا فيا ليت شعري كم رأى هذا القائل قارئ القرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذه الحطام فان القلوب مولعة بما يحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه ذوكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم وينوبه مانابهم شعر

وهل أنا من عزيزة ان غوت * غويت وان ترشد عزيزة ارشد

واهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد به كرها للحكايات والاعمار فقد تمسك من أقوال الزبغ بمحكم سببها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ووفقنا للسداد في القربى والعمل وعوضنا ونعم الوكيل انتهى كلام ابن الاثير في الكامل

وفي عبارات هؤلاء العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل ما لا مزيد عليه في التنبيه على منية علم التاريج وفضله والتنويه بفخامة قدر المشتغل بروايته ونقله وعلم مرتبته واتدريج بسنيته أي منسوبة مع التلويح بكونه قديما ككون في بعض الحالات من الواجبات يعني فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقط الوزر عن الباقي كسائر العلوم والفنون والصنائع والحرف النافعة كما هو معلوم وها هو الشيخ المقدسي رحمه الله وبردثراه قد نص في ضمن عبارته المنقولة هنا بأعلاه على ان علم التاريج هو من أصول الدين وهو كذلك يبين ويبيانه ان من الاصول المقررة والقواعد الاصلية المسطرة ان شرع من قبلنا شرع لنا اذالم يرد في شرعنا

ما يناقضه وعلى ذلك ينبغي انه يقتضى لنا ان نعرف شرائع الامم الماضية ونقف على احوال الملل الخالين حتى نقف على حقيقة حال شريعتنا ونعرف كيفية تركيب جسم جمعيتنا وتقابلها بأحوال من مضى ونعرف فضلها ومن يتها بالنسبة لاحوال الجيل الذى انقضى ولهذا المعنى يرجع ما فى قول الشيخ المقدسى ان درج من حديث حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فضلا عما يجب مع ذلك من معرفة توار يخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ومعرفة علم الانساب الذى توقف عليه كما أوضحه الشيخ المقدسى رحمه الله فى ضمن حكاية الواقعة المسطورة فى خطبة المذكورة من الانحراف عن الصواب والعدول عن اداء الواجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولعل هذا هو معنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه فيما روى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه فليتنظر ذلك وليتأمل وليعمل له من وفقه الله تعالى للعمل

وذلك فضلا أيضا عما ينتج من مطالعة علم التار يخ للناظر فيه من جليل العبر والاقتداء بتجميل السير والانتها عن الفحشاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بتحسين الاحوال فى الحال والاستقبال كما صرح به فى الآيات القرآنية المذكورة اعلاه ودل عليه حديث من ورخ مؤمنا فقد احياه ، وقد قالوا ان التار يخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالغائب وغير ذلك وقد عدا العلماء علم التار يخ من جملة العلوم الاثنى عشر الادبية ويقال لها العربية المضبوطة فى قول الشيخ حسن العطار المصرى رحمه الله

نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق فريض الشعر انشاء

كذا المعانى بيان الخط فافية * تار يخ هذا لعلم العرب إحصاء

واعل المراد بذلك هو ان هذه العلوم الاثنى عشر بالكيفية التى هى عليها فى اللغة العربية هى من علوم العرب التى اشتغلوا بها ودونوها لانها مختصة بهم على وجه بحيث انهم هم الذين اخترعوا أصلها وكونوها ولا نظير لها عند غيرهم من الامم فان من اطلع على اللغات الاجنبية ولا سيما على لغات الامم الاوربية علم ان لكل أمة ممتدنة نحو وصرفا وعروضا ولغة وشعرا وتاريخا وغير ذلك من العلوم المنسوبة للعرب فى هذا القول الذى اشتهروا به المعبر عنها بالنسبة لكل أمة بعلوم الادب والتار يخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث هو علم قديم بقدر مدة قدم العالم تصعد أوليته بالضرورة لعهد آدم وما أخذ ذلك من قوله عند استيقاظه من نومه التى ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه حسبما ورد فى التوراة وهذه عظم عظمى ولحم لحى ، اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة عهدها وما أشبه ذلك ثم ترقى التار يخ بهذا المعنى شيئا فشيئا كسائر العلوم البشرية والصنائع والفنون والحرف الخضرية حتى دونه السلف من الامم المتقدمين كالعبرانيين والقبط واليونان والرومانيين وجاءت مله العرب المسلمين فاعتنوا به كذلك ودونوه كسائر العلوم الاسلاميه

والصنائع والفنون والحرف العملية والعلمية لغريزة الميل بالطبع لتناقل الاخبار والآثار
لقصد الفخار الى ما يأتي من الاعصار ولضرورة تداول أحكام الشرع من السلف للخلف في جميع
الاقطار فان قيل وهل لعلم التاريخ هذا أصول ثابتة يستند اليها وقواعد قوية يعتمد عليها وهل
له أساس يدمع بة يؤخذ منها وموارد مستقرة يروى عنها أم هو كما قد يتوهم خبط عشواء وخلط
عمياء وأقوال هوائية من روايات القصاصين وحكايات الراوين لأصل لها والأفامسائله
واستمداده وما حالته التي آل اليها في هذا العصر واستمداده والجواب عن ذلك في البحث الآتي
ابراده

البحث الثالث

في قواعد علم التاريخ ومسائله واستمداده وما آل اليه من حالة كماله واستمداده
لا شك في ان التاريخ علم متين وفن مكين مبني على قواعد قوية وأصول ثابتة مستقيمة سوية
وبيان ذلك ان التاريخ لما كان عبارة عن حكاية وقائع الزمان وحوادث الحدثنان كان مبنيا
أما على دلائل المشاهدة والعيان التي هي أقوى أنواع البرهان وأما على النقل عن الرواة الثقة
بالأسانيد المعتبرة والروايات المعتمدة المشتهرة كعلم تفسير القرآن والحديث بل يصح ان يقال
انهما فرع منه فهو داخل في ضمن قول بعضهم « العلم ما كان فيه حدثنا » وانما يرجع على كل
حال لآمانة حاكمه وديانة راويه على ان علم التاريخ لا يكتب في مجرد النقل والرواية بل
لابد من النظر فيه أيضا بنور العقل والدراية قال القاضي ابن خلدون رحمه الله في صدر مقدمة
تاريخه في سياق قوله المنقول أعلاه « فهو (أي علم التاريخ) محتاج الى ما أخذ متعددة ومعارف
متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبه الى الحق وينبكان به عن المزال والمغالط لان
الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة والبيعة العمران
والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم
يؤمن فيها من العثور ومزلة التقدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للثورخين والمفسرين
وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سمعنا لم
يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهاها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع
الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بساتين الوهم والغلط
ولاسيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهى مظنة الكذب
ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد (انتهى كلام القاضي ابن خلدون
رحمه الله)

ومن ثم يعلم ان علم التاريخ له قواعد يعتمد عليها وأصول يستند اليها وهي

الدرس التام (٢٣) في التاريخ العام

أولا على دلائل المشاهدة والعيان فضلا عن النقل مع النظر في ذلك بتور العقل ومبناه في كتبنا الحالتين حسبما أسلفناه وكما يفهم من أصل وضعه وتعريف معناه على أساس الصدق ومراعاة الحق من غير كذب ولا تملق ولا تعرض لقصدا كتساب حطام الدنيا الفانية كما أنه لا ينبغي أيضا أن يبنى على إنكار فضل الفاضل وعدم الاقرار بكمال الكامل وبخس الناس أشياءهم لحقد أو حسد أو حمية دينية أو غير ذلك من أنواع سوء الخلق فقلنا لو أن المؤرخ يقتضى أن يكون حكمه عدل وقاض منصف أو شاهد بالحق والانصاف يتقل الشهادة عن السلف للخلف من غير ميل ولا انحراف ومن هذا الوجه يخالف التاريخ ما يعرف الآن عند أدباء الأفرنج باسم **رومان** بمعنى الحكايات المخترعة والخرافات المصطنعة لقصد الترغيب في مكارم الأخلاق والترهيب من المساوى والنفاق وإن كانت قد تستند لأصل تاريخي وما أخذوا على حقيقته مع بعض زيادات وتأغيقات وتوفيقات وقد تعنون بلفظ التاريخ أو القصة كقصة عنسترة بن شداد والقصة المترجمة من اللغة الانكليزية باسم روينسون كروزي أو السندباد وغير ذلك

ثانيا من الأصول التي يعتمد علم التاريخ عليها والقواعد التي يرجع فيها أصول العادة وهو المقتصد بقوله ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب ومعنى ردها لأصول العادة قياسها بأشياءها ونظائرها من الوقائع المضاهية لها وهذا أمر لا يحتاج من الإيضاح لزيادته

ثالثا منها أيضا كما نرى عليه القاضي ابن خلدون رحمه الله في عبارته المنقولة عنه أعلاه قواعد علم السياسة أي سياسة الأمم والدول والممالك وما يقتضى أن يكون عليه سيرها من الطرق والمساالك ومبنى ذلك كله بطريق الاجمال هو كما ذكره الفلاسفة المتقدمون وأوضحه الحكماء المتأخرون على العقد الاجتماعي أو الناسي أو عقد الشركة الانساني وهو ما انعقد ضمنا في مبدأ كل اجتماع تأنيس بين كل رئيس ومرؤس أو صريح بما بعد بعقد المبايعتين كل راع ورعية على الحقوق والواجبات اللازمة على كل من الطرفين المتعاقدين وذلك عبارة كما قالوه ونصوا عليه في مكانه وأولوه عن كون المرؤسين بمجرد رضاهم بالسير امام رئيسهم المتقدم عليهم لمصلحة الدفاع عنهم في أول الامر مثلا كأنهم قالوا له انما رضينا بترئيسك علينا بشرط أن تقوم لنا بكل ما يجب لحفظنا وما فيه تحصيل غرض راحتنا وسعادتنا والتزمنا لك في نظير ذلك ببذل نفوسنا وأموالنا معك وكل ما يلزمك من المعونة والجنود للحصول على هذا الغرض المقصود وهو تقبل ذلك منهم بمجرد سيره بالفعل امامهم وكونه رضى بأن تقدمهم وكذلك الحال فيما يترتب على المبايعات الشرعية الصريحة من الحقوق والواجبات الصحيحة الحاصلة بين الامام والرعية بالوجه الصريح حسبما يقع عليه في صيغتها التصريح وبعبارة مختصرة أخرى أصول السياسة ترجع كلها الى امرين أصليين أحدهما ما يجب على الراعي من حفظ الرعية وهو حق الرعية عليه وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « كل راع مسئول عن رعيته » والثاني ما يجب

على الرعية من اعانتته وهو حقه عليهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم عليه ولا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه ، كما هو مبسوط في كتبه المخصوصة به رابعا من الاصول التي ينبنى عليها علم التاريخ كما نص عليه أيضا أعلاه القاضي ابن خلدون رحمه الله طبيعة العمران واختلاف أحوال اجتماع الانسان يشير بذلك الى ما ذكره بعض الحكماء وأوضحه أيضا العلماء من انهم كما صوروا في علم تعبئة الجيوش العسكر في صورة طائر له جناحان المينة والميسرة ورأس، أو طبيعة وذنب أو ساق كذلك صوروا كل اجتماع انساني وتأنس عراني أو دولة أو مملكة أو بلدة أو خطه أرضية ايا كانت من مدينة أو إقليم أو قرية أو غير ذلك في صورة جسم آدمي حي وهيئة شخص معنوي رأسه ولاية الامور والامراء وقلبه العلماء ويده العساكر والجنود وباقي الاعضاء والاطراف هم سائر طوائف الرعية ومن ثم يعبر عن آحاد الناس في كل جمعية عمارية باعضاء الجمعية البلدية وينو على ذلك ان لجميع الامم والملل والاديان والنحل وكل جمعية حضريه كالأشخاص البشريه من توالي الاعمار ما يعتريه سائر الاطوار فلا بد لهم من المرور بطور الطفولية والشبية والكهولة والشيخوخة والهرم وانه قد يعتريه في اثناء ذلك من الاعراض بعض أحوال مرض وسقم ويختلف تاريخ كل أمة من الامم بحسب اختلاف أحوال تلك الاطوار قال القاضي ابن خلدون رحمه الله كلزوم العصبية في أول أمر كل دولة من الدول أو ملة من الملل بخلاف ما اذا بلغت الحد الكمال والاستقرار وغير ذلك من الاحوال التي تختلف بحسب اختلاف الاعمار على عمر الاعصار وبهذا المعنى ألم أحمد بن الحسين المتنبى المشهور في شعره المأثور بقوله

أتى الزمان ينوه في شببيته * فسرهم وأتيناه على الهرم

خامسا من القواعد الاصلية والاصول السكية التي ينبنى عليها علم التاريخ شكل الارض وطبيعة القطر والمكان الذي حصل فيه الاستيطان وبيان ذلك كما نص عليه غير واحد من المؤرخين الاورباويين وغيرهم من المؤلفين ان لاختلاف أشكال الاراضي وتنوع طبائع البلدان تأثيرا عظيما على أحوال من بها من السكان فلا تجد نزلة بشريه ولا استيطانة حضريه اللهم الا على ما عجارو على نهر من الانهار او على سواحل البحار ومن كان استيطانه من الامم على أرض خصبة صالحة للزراعة كان الغالب عليها العناية بالاعمال الزراعية وان كانت اراضيهم جبلية ذات مراعي واعشاب توجهت عنايتهم لتربية المواشي والدواب والا كان الغالب عليهم في تحصيل مواد معاشهم والتماس وسائل سعادتهم وانتعاشهم الاشتغال بالاعمال الصناعية وترى الملل الذين استوطنوا سواحل البحار اكثرهم بحاره واغلب عنايتهم بالتجارة الى غير ذلك من اختلاف احوال الاقطار والممالك وحيثما فيختلف تاريخ كل ملة من الملل بحسب اختلاف طبيعة اراضيها من سهل او جبل كما علم ذلك بطريق الاستقصاء وثبت بدليل النظر والاستقراء

فهذا هو ما تبصر لنا استنباطه من القواعد الاصلية والاصول الاساسية التي ينبغي عليها علم التارخ الخاص والعام كما نبه عليه هؤلاء الائمة الاعلام

واما مسائل علم التارخ فقد قال العلماء ان مسائل كل علم هي اصوله الكلية وقواعده الاصلية التي تنفرع عنها احكامه الجزئية وبعبارة اخرى هي قوانينه الاجمالية المستنبطة من ادلته التفصيلية كقوله سم في علم النحو مثلاً لا كل فاعل من فوع ينبغي عليه ان زيد في قولك ضرب زيد يجب رفعه في مثل هذا المثال وهكذا على هذا المنوال وتطبيق ذلك على علم التارخ ان تقول يقتضى ان تكون مسائل علم التارخ هي قواعد الاصلية واصوله الكلية التي ذكرنا بعضها فيما سلف وعنى ان يأتى من بعدنا من يستقصيها فيمن خلف حيث تنفرع منها احواله الاستقرارية واحكامه الجزئية كقوله سم مثلاً ان كل دولة او مملكة في اول امرها يلزم لها العصبية وان كل ملة بلغت الهرم صعب معالجته ما لا بد ان يعترى من المرض والسقم وعلى ذلك ينبغي اننا اذا شاهدنا في التواريخ والاعخبار دولة او ملة بهذه الاحوال والآثار ردنا تلك الاحوال الجزئية الى هذه الاصول الكلية والقواعد الاصلية وهكذا على هذا المثال

واما استمداده وأصل منبعه وايراده فهو من عدة أمور حسبما هو بعد مذكور

الاول الكتب الدينية التي بقيت على عمر الاعصار اوحصل الثور عليها في بعض الآثار الماثورة عن الامم السالفة والملل الآتفة وأسبغها التوراة مصحف موسى عليه السلام حيث ذكر فيها تاريخ خلق العالم وقصص الانبياء السالفين وأخبار بعض الملوك المتقدمين وغير ذلك ولذلك يقول مؤلفوا الا فرنج عن موسى عليه السلام انه هو اول مؤرخ يعرف وان التوراة هي اول كتاب في التاريخ تدون وتآلف ومن ثم اعتمدها المؤرخون من السلف في اقتصاص حادثة الخليفة وقصص الانبياء وأخبار العبرانيين وكثير من تواريخ الامم المتقدمين وقد ذكر منها أيضاً في القرآن المجيد مقدار عديد عبرة لاولى الابصار وتبصرة لذوى الاعتبار

الثاني الارصاد الفلكية وذلك عبارة عن مادتين أصليتين (احداها) مجموع الارصاد النجمية التي جرت مدة ألف وتسعمائة سنة متعاقبة بمدينة بابل ويعتبرها الاسكندر بن فيليبش حين افتتح تلك البلدان الى بلاد اليونان فادرجها الحكيم بطليموس اليوناني في كتابه المعروف بالمجسطى (الثانية) حادثة كسوف الشمس الموكري الذي حصل احتسابه ببلاد الصين قبل تاريخ المسيح عليه السلام بمدة ٢٢٥٥ عاماً وغير ذلك من الآثار التي صار الحصول عليها من هذا القبيل وبمضاهاتها بمعرفة النجمين المعبرين والعلماء المشهورين وافقت ما ذكر في نصوص التوراة من التواريخ والاعخبار فحصل عليها الاعتماد وصار اليها الاستناد في تعيين تاريخ الخليفة وحادثة الطوفان وغيرهما من حوادث علم الازمان على قدر الامكان

الثالث التأليفات البشرية القديمة والقصائد الشعرية العتيقة التي ألفها بعض مؤرخي تلك

الازمان ونظمها بعض شعراء اليونان والرومانيين او صنفها بعض قسوس قدماء المصريين كالشاعر اليوناني الشهير باسم **أوميروس** المذكور في قول بعض شعراء المسلمين . كانى أميروس لدين محمد ، وذكره ترجمة مخصوصة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وغيره من الشعراء والمؤرخين السلف الذين ترجمت كتبهم من أصولها اليونانية واللاطينية أى لغة أهل بلاد إيطاليا القديمة الى اللغات الاوروبية الحديثة ووقف عليها الخلف وطبقوها على نصوص الكتب الدينية المأثورة والارصاد الفلكية المذكورة وغيرها من القواعد المتقدمة واستخرجوا منها النتائج المسلمة وذلك كتأليف المؤرخ اليوناني الشهير باسم **هيرودوت** داليكارناس بمعنى الاليكارناسي (نسبة الى قرية ببلاد اليونان) وتأليف المؤرخ الروماني المشهور باسم **ديودور** الصقلي (نسبة الى جزيرة صقلية الكائنة في بحر سقيدا والبحر المتوسط الابيض) وكالقسيس **مانيتون** المصري الذي ألف جداول ملوك الفراعنة السالفين بأمر أحد ملوك البطالسة الخالفين وغيرهم

الرابع ما عثر عليه السياحون المتأخرون من الامم الاوروباوية بين المعاصرين من الكتابات القديمة والتقييدات العتيقة المعروفة بالانتيقة أى الآثار القديمة التي وجدت في بعض النواويس والقبور واطلال المدن والعمارات والقصور التي كانت قد تشيدت في سالف تلك الدهور كالأهرام وغيرها من عمارات تلك الايام وذلك بواسطة ما اتدب اليه في هذه المدة الحاضرة بعض العلماء الاوروبيين من كشف حقيقة مطالعة خطوط الامم السالفين والتوصل لمعرفة كتابة الملل المتقدمين كالقلم القبطي القديم المعروف باسم **الهيورج** ليلف وقلم اللغة السريانية والهندية المسمى باسم **السنسكريت** أى لغة أهل الهند القديمة وكذلك الصينية وغيرها وما تسطر أعلاه من الاسانيد المذكورة والمواد المسطورة انما هو بالنسبة للتواريخ القديمة دون تواريخ القرون الوسطى والاخيرة ومع ذلك فلا ينبغي ان يتصور ان المجتهدين من العلماء الاوروباويين مع بذل غاية مجهودهم وصرف أوقاتهم ونقودهم تحصيلوا على تمام مقصودهم من الوقوف على حقائق أحوال الامم المعاصرة لعهد خلقة العالم في تلك الاعصار الغابرة وغاية ما هنالك انهم توصلوا لمعرفة اسم ملك أو دولة كان قد سقط من سلسلة العائلات الملوكية أو لا وقوف على ايضاح بعض أحوال كانت غامضة من أحوالهم السلوكية ولم تزل تلك الازمان على العموم غامضة سقيمة وتوارى عنها بعد غير مستقيمة واما بالنسبة لتواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فبتعاقب الايام والاعصار حصلت البصيرة والابصار وانتشرت الانوار وباختراع صناعة الورق الذي يكتب عليه المسمى بالقرطاس أو الكاغد من الخلقان البالية وقش القمح أو الارز وغير ذلك من المواد الاولى انتشر فن الكتابة في أكثر الامم والملل واعتنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الآثار وكتب كل قوم تاريخهم وسيرهم وقيدوا قصصهم وأثرهم وجاءت بدعة

المطبعة الجيبيه في هذه الاعصار القريه قسملت نشر سائر المعارف والعلوم كما هو لكل أحد الآن من العلوم وبذلك ضبط علم التاريخ كغيره وانتفع الخاص والعام بفائدته وخيره اذ كتب فيه من المؤلفات ما لا يحصى وطبع فيه من المصنفات ما لا يستقصى وصار من الاعتماد والاستعداد لحالة الاستقرار والسداد بحيث صار يدرس الآن في البلاد الاوربيه وغيرها من الممالك المتقدمة الاجنبيه في ضمن الفروع التعليميه الاصليه ومواد الترييه الاوليه كالنحو والصرف وسائر الاصول العلميه الضروريه للاطفال الصغار في المكاتب الابتدائيه الاهليه فضلا عن الشبان والكهول السكار في المدارس العاليه الميريه المالكيه والعسكريه وفضلا عما انتشر منه أيضا بمعرفة العلماء الاعلام بين طبقات العوام من الرسائل المختصره لقصد تقريب تناوله للافهام القاصره وها هو بالعنايه الداوريه والرعايه الاميريه ساغ لنا بحمد الله وحسن توفيقه ان نستفيد كغيرنا من علم التاريخ والجغرافيه اللذين بهما تنوير العقول وتكثير النقول وغيرهما من العلوم الرياضيه المتكفله بترييه الافهام وازالة الاوهام ما لا بد منه من الفوائد ونستعيد من تلك المعارف البشريه والعلوم الضروريه ما كان قد نذعننا من الشوارد وصار يسهل لثلاثان نحصل على نتيجة مدارسهم ونأتي بثمره مغارسهم وتنقل زبده اجتهادهم وتمارسهم ونهايه القصد من بذل هذا الجهد هو ان تلقى عليكم أيها الاخوان وتفيد في هذا المجموع لكم ولغيركم من سائر أبناء الاوطان ومن شاء الله تعالى له أن يطلع على أيام الناس وأحوال البلدان من علم التاريخ العام زبده ما استقر عليه الحال وأقره العلماء الاعلام لغايه الآن على الوجه التام الذي يقرأ به لهصد الترييه في المدارس الاوربيه مع تحري الصدق في النقل والاتقان على قدر الامكان وهذا آخر ما تبسر لنا ان تقدمه لكم في هذه المقدمة على سبيل التمهيد الضروري لفهم ما سنبديه اليكم في سياق الغرض المقصود من الايضاح والبيان

تنبينه قد جرت عادة بعض المؤلفين ولا سيما المؤرخين ان يكتبوا بعض مؤلفاتهم على صورة السؤال والجواب ظننا منهم ان في ذلك تسهila على الصبيان ودليلا للاذهان وربما كانت هذه الطريقة من الصواب بالنسبة للعقائد الدينيه وغيرها من العلوم الاوليه التي يكون جل القصد منها الحفظ واكثر الاعتماده فيها على اللفظ ولما كان علم التاريخ يقتضي ان يكون الاستناد فيه على تعقل الطلبة ومفكرتهم أكثر من الاعتماد على حافظتهم ومذكرتهم وكان يكفي فيه تعليق ما لا بد من تعليقه منه بالمعنى من غير حفظ اللفظ اذ لا يمكن فيه على ظهر القلب الحفظ استصوابنا ان نسطر هنا بطريق التكرار وعلى سبيل الاختصار ما تقدم في هذه المقدمة من الفوائد المتقدمه وهكذا في آخر كل باب من الابواب الآتيه على هيئه مسائل ارشاد المسؤل والمسائل ولم نحرر الجواب بازاء السؤال اعتمادا في تحصيل هذا العلم على التعقل والفهم ليأتى الطالب بالجواب من مظنته ويستخرجه مما سبق له تقرر في الباب يقر بحتة تمرينا للاذهان وتبيينا لسكيفية الامتحان على هذا الوجه الآتي بعدم البيان

مسائل

تشتمل على مختصر ما تضمنته المقدمة من مبادئ علم التاريخ المتقدمه

المبحث الاول

- ١ ما اسم هذا العلم وما الاكثر استعمالا من اسمائه
- ٢ ما معنى السيرة لغة واصطلاحا
- ٣ ما معنى التاريخ لغة وما كيفية تصريفاته
- ٤ علام يطلق لفظ التاريخ اصطلاحا وما المراد منه في اصطلاح البلغاء على الخصوص
- ٥ ما تعريف التاريخ اذا أخذ على اعم اطلاقاته ومن ثم الى كم قسم ينقسم
- ٦ ما المراد بالتاريخ الطبيعي وما كيفية تقسيماته
- ٧ ما المراد بعلم حياة الحيوان
- ٨ ما المراد بعلم النبات
- ٩ ما المراد بعلم المعادن
- ١٠ ما المراد بما يسمى في اللغة القرائن ساويه بعلم الجيولوجيه
- ١١ هل جعل التاريخ الطبيعي من ضمن علم التاريخ هو مسألة اتفاقيه ام خلافيه وما توضيح هذا المقام
- ١٢ ما المراد بالتاريخ المدني وما منشأ قول الحكماء ان الانسان مدني بالطبع وما بيان ذلك
- ١٣ ما هي الاقسام التي تنحصر فيها الاعمال المدنية او الحضريه
- ١٤ ما ضابط الزراعة والصناعة والتجارة والاماره
- ١٥ ما هما الامران اللذان يضطر اليهما الانسان بالطبع وما المراد بالعائلة او القبيلة والعشيرة
- ١٦ ما المراد بقولهم حالة الجمعية البشريه او الحضريه او التمدن او نميئة الاجتماع الانساني وما أشبه ذلك من العبارات
- ١٧ ما المراد بالجمعية الوطنيه او المدنية والجماعة الدينية أو الجمعية الدينيه
- ١٨ ماذا يلزم لا تتظام الجمعية البشريه من الامور الاصلية الضرورية
- ١٩ ما المراد بالدين وما المقصود بقولهم دين الدولة والديانة الرسمية
- ٢٠ ما معنى الوازع وما المراد بالملك والسلطنة والدولة وولاية الامر العامة وما أشبه ذلك
- ٢١ الى كم قسم تنقسم ولاية الامر العموميه
- ٢٢ ما المراد بالولاية الروحانيه والجماعيه
- ٢٣ ما المراد بالولاية التشريعية والقانونية والقضائية والتففيذية او التنفيذيه
- ٢٤ ما المراد بالقوة العسكريه وما الغرض المقصود منها

- ٢٥ الى كم فرع قنطرة الولاية التنفيذية وما المراد بالتقسيم السياسي او الخطط الارضية وما هي
- ٢٦ ما هي التقاسيم الادارية او الوزارية او الدوائن وما المراد بكل واحد منها
- ٢٧ ما اقسام ولاية الامر من حيث الهيئة والصورة
- ٢٨ ما معنى الحكومة الملوكية وكيف تنقسم وما الفرق بين الحكومة الملوكية المطلقة والمقيدة او النيابية وما المراد بمجلس شورى النواب
- ٢٩ كيف تنقسم الحكومة الملوكية من وجه آخر
- ٣٠ ما معنى الحكومة الاعيانية او حكومة الاشراف وما المراد بهذا اللفظ
- ٣١ ما معنى الحكومة الاهلية او الجهورية
- ٣٢ وحيثما المراد بنظام الملك او السلطان وما المراد بالتمدن والعمران وما أشبه ذلك
- ٣٣ ما موضوع علم التاريخ المدني وما تعريفه بطريق الاختصار وكيف ينقسم
- ٣٤ ما المراد بالتاريخ المدني العام والمدة التي يستغرقها من الدهر على الاصح من اول عهد الخليفة الى هذا العصر
- ٣٥ كيف قسم المؤرخون من الافرنج التاريخ المدني العام
- ٣٦ ما المراد بالتاريخ القديم وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٣٧ يقتضي تعداد الامم الشهيرة الذين يعبر عنهم بالتاريخ القديم
- ٣٨ الم يكن يوجد في الاعصار القديمة غير هؤلاء الامم المذكورين وهل لهم توارخ ثابتة
- ٣٩ ما المراد بالتاريخ المتوسط وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤٠ ما المراد بالتاريخ الحديث وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤١ ما المراد بالتاريخ العصري وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا وهل هو قسم مستقل بذاته أم كيف الحال
- ٤٢ ما المراد بالتاريخ المدني الخاص وما تقسيماته
- ٤٣ ما المراد بالتاريخ المدني الخصوصي والجزئي والقسمي والسفاري وغير ذلك وما المراد بقولهم تاريخ الحوادث السنوية والتذكرة التاريخية والحياة الشخصية
- ٤٤ كيف ينقسم التاريخ المدني من حيث طريقة تحريره وما المراد بما يسمى في اللغة الفرنسية باسم الكرونولوجيه والاتنوغرافيه والسكرونيسم والتاريخ النظري او الفلسفي
- ٤٥ كيف ينقسم التاريخ من حيث اصل استمداده وما المراد بقولهم التاريخ المقدس والتاريخ الدنيوي او البشري

٤٦ مانسبة علم الانساب وعلم الجغرافيه وعلم الكرونولوجيه وعلم الاستانتيك لعلم التاريخ
المبحث الثاني

٤٧ ماثرة علم التاريخ منلقارثيه وهل هو عبارة عن مجرد اقتصاص قصص واخبار للتفكه
بهاين السمار وما الفوائد الحقيقية والثمرات الدنيوية والاخرويه التي تنتج عنه
حسبما يؤخذ من كلام العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل الاسلاميين الذين صنعوا فيه
٤٨ ما حكم علم التاريخ

٤٩ ما ضرية علم التاريخ بخصوصا بالنسبة لعلم الاخلاق
٥٠ هل علم التاريخ معدود في جملة العلوم الاثني عشر المنسوبة للعرب وما المراد بذلك
٥١ ما أصل علم التاريخ وما كيفية تربيته على مر الازمان الى ان صار لحالة التكامل التي هو
عليها الآن

المبحث الثالث

٥٢ هل لعلم التاريخ اصول ثابتة يستند اليها وقواعد مستقرة يعتمد عليها أم كيف الحال
ومن أين يؤخذ ذلك

٥٣ ماهي القواعد التي يبنى عليها علم التاريخ
٥٤ ما اول اساس يقتضى ان يبنى عليه علم التاريخ وما الفرق بينه وبين ما يسمى باسم الرومان
٥٥ ماهي القاعدة الثانية التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد برده لاصول العاده
٥٦ ما القاعدة الثالثة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بقول الحكماء العقد الانسي
او السياسي او عقد الشركة الانساني

٥٧ ماهي القاعدة الرابعة التي يبنى عليها علم التاريخ وكيف صور الحكماء في صورة محسوسة
كل اجتماع انساني ومكان عمراني وما المراد بذلك وهل يستأنس لهذا المعنى من قول
بعض الشعراء المشهورين

٥٨ ماهي القاعدة الخامسة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بذلك

٥٩ ما مسائل علم التاريخ وما كيفية تطبيق ذلك عليه

٦٠ ماهي الامور التي منها استمداد علم التاريخ وما توضيح كل ماد مقدمة منها وهل هذه المواد
التي منها علم التاريخ الاستمداد هي بالنسبة للتاريخ العام بجميع اقسامه ام كيف الحال
وماذا آل اليه علم التاريخ الآن من حالة الكمال

٦١ ما فائدة تكرار ما تقدم في المقدمة السالفه وفي آخر كل باب من الابواب الخالفة
بطريق الاختصار في صورة مسائل بالنسبة للمسئول والمسائل

اذا تقرر هذا في الازهان ساغ لنا ان نشرع الآن في الغرض الموضوع له هذا المجموع منقسم
الى ثلاثة اقسام او فروع على مقتضى الترتيب الطبيعي والله سبحانه وتعالى هو المسئول في تمام
كل مشروع

القسم الاول

في التاريخ القديم

معلومات اوليه وتقسيمات اصلية

مسألة عمر الدنيا

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم عبارة عما يشمل احوال عدة أمم شهيرة وملل كبيرة في مدة القرون الاولى من ابتداء حادثة خلق الدنيا لغاية حادثة زوال دولة الروم الاولى باغارة اقوام شمال اوروبة عليها في سنة ٤٧٦ من ميلاد المسيح عليه السلام والقرن في اصطلاح المؤرخين وفي بعض اطلاقاته عند اللغويين وعلى حسب ما يفهم من مدلول هذا اللفظ عند جريانه على الالسنه هو عبارة عن مسافة من الزمن معينة على الاصح بمائة سنه كما صرح به في القاموس وتوضيح في شرحه المسمى بالاوقيانوس وقد يطلق هذا اللفظ ويراد منه الجيل أى اهل زمان واحد من غير تعيين مدة سنوات معينه قال في الصحاح « والقرن من الناس أهل زمان واحد » (قال الشاعر)

« اذا ذهب القرن الذي أنت فيه » وخلفت في قرن فانت غريب »

اه والسنة او العام عبارة عن مدة من الزمن متكونة من اثني عشر شهرا والشهر أربعة أسابيع والاسبوع سبعة أيام واليوم عبارة عن المسافة الزمنية التي تدور فيها الشمس حول محورها حسبما يفهم ذلك من مبادئ علم الفلك والهيئة أو قسم الجغرافية الفلكية المندرج في ضمن فروع علم الجغرافية العمومية وقد جرت العادة عند الملل المعبره والامم المشتهره بتقسيمه الى اربع وعشرين ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والثانية الى ٦٠ ثالثة وهلم جرا اذا احوجت الى ما فوق ذلك الضرورة

والشهر اما قري او شمسي فالشهر القمري عبارة عن مدة الزمن المنقضية من ظهور هلال الى آخر وهي المسافة التي يدور فيها القمر حول الشمس وهي مدة ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة في المعاملات المدنية يجعل الشهور القمرية على التعاقب شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما

والشهر الشمسي عبارة عن مدة الزمن التي تسيرها الارض حول الشمس مسافة ثلاثين درجة وعدة الشهور الشمسية تارة ٣٠ يوما وتارة ٣١ يوما الا الشهر المعنى باسم قبريه او فبراير حيث يكون دائما ٢٨ يوما في السنة البسيطة و ٢٩ يوما في السنة الكبيسة

وبناء على ذلك تكون السنة اما قريه او شمسيه . وكلتاها اما بسيطة او كبيسه فالسنة القمرية هي التي تتركب من الشهور القمرية اعني من دوران القمر حول الارض اثنتى عشرة مرة وعدة ايامها ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة بجعل السنة القمرية ٣٥٤ يوما عددا كاملا وتسمى حينئذ بالسنة القمرية البسيطة واما السنة القمرية الكبيسة فهي ما يضاف اليها في كل اربع سنين يوم يتحصل من حاصل جمع الزيادة المذكورة فتكون عدة ايامها ٣٥٥ يوما والسنة القمرية هي الجارى عليها العمل في المراد الشرعية الاسلاميه والتواريخ العربية

والسنة الشمسية هي المركبة من الشهور الشمسية وهي عبارة عن مدة دوران الارض حول الشمس وعدة ايامها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٥ ثانية فهي أكثر من السنة القمرية بنحو واحد عشر يوما وينبى على ذلك ان كل دور ٣٢ سنة شمسية يساوى نحو ٣٣ سنة قريه والسنة الشمسية هي المستعملة عند جميع الامم الاوروبية وسائر طوائف النصرانية في معاملاتهم الشرعية واستعمالاتهم السياسية لكنهم يفرضون عدة ايامها ٣٦٥ عددا كاملا فقط وتسمى حينئذ بالسنة الشمسية البسيطة وفي آخر كل أربع سنوات يضمنون مدة الزيادة التي هي نحو ست ساعات فيتكون منها يوم يضمنونه الى تلك السنة الرابعة فتتم ايامها ٣٦٦ يوما ونعني بالسنة الشمسية الكبيسة وانما ينقص عندهم عدد السنوات الكبيسة في كل أربعة قرون سنة واحدة لداعي نقص مدة الزيادة المسطورة بنحو ١١ دقيقة في كل سنة كبيسة

ومن السنوات الشمسية ما يسمى بالسنة القبطية وغاية الفرق ان الاتباط يجعلون شهورهم الشمسية كلها مركبة بطريقة مطردة من ٣٠ يوما ويضمنون اليها في آخر كل سنة عدة ايام لواحق يسمونها بايام النسيء (وهو في اصل اللغة التأخير) وهو خمسة ايام في السنة الشمسية البسيطة وستة ايام في الكبيسة تتأخر في كل سنة قبطية فيضمنونها اليها تتم عدة ايام سنتهم ٣٦٥ او ٣٦٦ يوما كعدد ايام السنة المستعملة عند سائر الطوائف النصرانية والسنة القبطية هي التي عليها العمل في مواد الحسابات الديوانية والمواقيت الزراعية بالديار المصرية

والقرن ان تتركب من سنوات قريه فهو قري والافه شمسي وهناك ما يعبر عنه أيضا في اصطلاح علماء الكرونولوجية اي علم الازمان بالدور وهو عبارة عن المدة التي تدور فيها الحوادث الفلكية وتعود الى مثل احوالها الاولى وهو كذلك قري او شمسي فالدور الشمسي ٢٨ سنة والقمرى ١٩ سنة ولكنهم جعلوه في العمل ٣٠ سنة

واما العصر فهو الدهر بمعنى مطلق الزمن والذي نحتاج لمعرفة هنامن جملة تواريخ الامم المتنوعة بمعنى الحوادث الشهيرة والوقائع الكبيرة

الدرس التام ٣٣ في التاريخ العام

التي جعلوها مبدءاً للنسبة غيرهما من الوقائع التاريخية اليها على حسب عوائدهم الغير المؤتلفه كما سبق توضيحه في المقدمة عند الكلام على اطلاقات لفظ التاريخ الا صلاحية المتقدمه هو تاريخان

الاول التاريخ المسيحي او الميلادي لداعي انه هو الجاري عليه العمل في كتب التواريخ الاوربيه التي نعتد عليها ونستند اليها في ترجمتنا هذه الى اللغة العربية وهو الذي عليه في توقيت الحوادث التاريخية الاعتماد حيث يقال وقعت الحادثة الفلانية في عام كذا قبل الميلاد او بعد الميلاد ومبدءاً من ميلاد السيد المسيح عليه السلام والثاني تاريخ الهجرة المحمدية لكونه في تاريخ القرون الوسطى هو مبدءاً تمدننا الوطني المحلي ومنشأ تاريخنا الديني الاهلي والجاري عليه العمل عند جميع أهل الاسلام ومبدءاً على الاصح من يوم الجمعة السادس عشر من شهر يوليه الا فرنجي سنة ٦٢٢ لميلاد عيسى عليه السلام كما حققه العلماء الاعلام وهو يوم هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد من مكة المحترمة الى المدينة المنورة المكرمه كما هو مقرر في الافهام

اذا علمنا هذه المعلومات الاولى ساغ لنا ان نقول ان مسألة تعيين مبدء خلقه العالم او المدة التي مكثها الغاية الآن المعبر عنها بعمر الدنيا وعبر عنها المؤرخ المحقق والملك العالم المدقق أبو الفدا اسماعيل بن كمال في مقدمة تاريخه بعمر الزمان هي مسألة خلافية حيث لم يحصل فيها غاية الآن الوتوف على قول ثابت صحيح ولا رأى واحد راجح يطمئن العقل اليه ويسكن القلب لديه وذلك ان العلماء الاوروبايين والمؤرخين المتأخرين مع بذل غاية مسورهم وفضل مساعدة ولاية أمورهم لم يصلوا بعد لأن يعينوا لعلم الكرونولوجية مبدءاً ثابتاً عليه يعتمد ولم يعرف أحد لغاية هذا العهد متى خلقت الدنيا ولا وقف على اول الوقت الذي آخرج الله فيه آدم من جنة عدن الى الارض السفلى وان اصل الاشياء انما هو بعد مجهول حيث لم تصل اليه العقول واختلفت فيه النقول ولذلك تشعب الخلاف في هذه المسألة الى نحو مائتي مذهب لا اقل قال بعضهم والذي هو للصحة والاعتماد من جميع هذه المذاهب اقرب هو قولان معتبران ورأيان شهيران

الاول ان المدة المنقضية بين حادثة الخليفة وولادة عيسى بن مريم عليه السلام هي ٤٠٠٤ أعوام وهذا هو التاريخ الذي قال به المؤرخ المادعوب اسم اوسيريوس الارلندي (نسبة لجزيرة ارلندة من الجزائر الملحقة بمملكة انجلترا التي هي بلاد الانجليز) قال به المؤرخ المذكور في سنة ١٦٥٠ بعد الميلاد ومشى عليه أشهر المؤرخين من الفرنسيين كلاسقف بوسوه والمؤرخ رولان ودانو وهذا القول هو المشهور والاكثر اتباعاً عند الجمهور وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا من أول عهد آدم الى الآن عبارة عن ٨٧٧٥ عاماً حاصلة من جمع مبلغ الاربعة آلاف وأربع سنوات المذكورة آنفاً على مبلغ ١٨٧٣ سنة التي بلغ اليها التاريخ المسيحي في هذا العام وهو

الدرس التام ٣٤ في التاريخ العام

قريب مع بعض نقص من مبلغ الستة آلاف سنة الذي ذكرناه في المقدمة سالفا (١٣٣ سنة)
القول الثاني ان المدة المنقضية بين الحادثتين المذكورتين هي ١٣٨٤ عاما وهذا القول
هو الذي أبداه المؤرخ الانجليزى المسمى باسم كلاثون فى سنة ١٨٢٩ للميلاد ومشى عليه
المؤرخ ويكتور دوروى وزير المعارف العمومية فى عهد الدولة الامبراطورية الفرانساوية الاخيره
ورققاؤه من جماعة المدرسين والمؤرخين الذين القوا تحت ادارته الرسائل التاريخية الشهيرة
وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الانبياء عبارة عن ٦٠١١ عاما من جميع المدة المسطورة مع
مدة التاريخ الميلادى المذكورة وهو قريب من مبلغ ٤٠٠٠ الذى ذكرناه فى مقدمة تنا مع بعض
زيادة يسيره (١١ سنة)

ومن اطلع تفصيلا على جميع الاقوال التى ادى اليها الخلاف فى هذا المجال علم انها كلها انما
هى مبنية على حسابات مؤسسه على الاعداد الواردة فى أصل التوراة عند ذكر تواريخ الولادات
والوفيات ومدد الولايات والاعمار لبعض الانبياء وغيرهم ممن ذكر فيها من مشاهير الرجال وانه
لم يكن واحدا من القائلين بهذه الاقوال يقول بان المدة المنقضية من ابتداء خلق العالم لغاية ميلاد
المسيح تزيد عن ٧٠٠٠ سنة ولا تنقص عن ٣٧٠٠ سنة وهذه الاقوال كلها الاجمال لها اللهم
الا عند الملل الذين يعتقدون تقديس التوراة وكونها منزلة من عند الله تعالى على موسى بن عمران
عليه السلام واتضح له ايضا ان هذا الخلاف انما هو ناشئ كناية عليه الملك المؤيد أبو الفدا فى مقدمة
تاريخه عن تنوع نسخ التوراة وهى ثلاثة أصل النسخة السامرية والعبرانية والترجمة اليونانية التى
نقلها اثنان وسبعون حبرا بالاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ سنة لبطليموس ثانى الملك
اليونانيين الذين تولوا امر مصر بعد الاسكندر وتعرف بتوراة السبعين وهى التى لها على ما عداها
الترجيح كما سيأتى لذلك فى موضعه زيادة توضيح على اننا اذا خرجنا عن تلك المعلومات المستنبطة
من نسخ التوراة وجدنا فى هذا المقام اشع الحسابات واشنع المبالغات وذلك ان كل واحدة من الامم
الاقدمين والملل السالفين ارادت ان يكون لها قصب السبق والتقدم فى مادة العتاقة والهرم على
غيرها من سائر الملل والامم فحسبت لنفسها من مدد الاقدمية فى مبداء تواريخها الاولية اعدادا
تعد باآلاف الملايين من السنين لاجل الفخار ولقصد تقديم اصل وجودها فى بحر ظلمات
الاعصار فمنهم من زعم انه متوغل جدا فى مادة القدم حتى انك ترى بعض ملل جعلوا لانفسهم قبل
ان يترقب لهم عائلات ملوكية من البشرية دول من آلهة وانصاف آلهة مكثوا تحت حكمهم على
حسب زعمهم مدة من الازمنة تبلغ ستة آلاف سنة وبعضهم أربعة وعشرين ألفا وبعضهم
اثنين وسبعين ألفا وبعضهم أربع مائة واثنين وثلاثين ألف سنة

ومن هذا القبيل ما قال به وألف فيه رسالة مخصوصة بعض المؤلفين المتأخرين من علماء الفرنسيس
للمعاصرين بقبول ما ذكره القسيس المصرى المسمى باسم مائيمون السالف الذى ذكر من ان ديار مصر

في سالف الدهر قبل ان ياتي املوك من البشر كانت محكومة بدول عديدة من الالهة وارواح
اناس من الاموات مدة مسافة من الزمن تبلغ ٥٧٢٠ سنة قبل الملك مينيس الذي كان اول من
ولى مصر من البشر في سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حسبما اعتمد ذلك القائل وعارضه غيره
من علماء هذا العصر

والذى يقتضيه الذوق السليم ويتنضى به العقل المستقيم هو انه لا حاجة للمناقضة فى الستة قرون الاولى التى يقول بها الهندودولا فى شأن الدول الالهية التى يزعمها اهل الصين واهل جزيرة يابونية وقدماء المصريين وما يخرج عن حد العقل من عتاقة نسبة قدماء الكلدانيين أى العراقيين بل ولا فيما هو والطف من ذلك واخف من جميع ما هنالك مما حسبه لا تقسم قدماء الفرس المعروفين عند العرب الآن بالاعجم وانما الذى يصح التشبث به فى تحقيق هذا المقام هو ما يستنبط من النتائج التى هى اكثر علمية وان كانت هى ايضا حدسية تقريبية عن تأمل الارصاد الفلكية كمنطقة فلك البروج وغيرها من الآثار السماوية واكبر من ذلك كله الى الصحة اقربية هو ما نتج عن دقة النظر فى أحوال الكرة الارضية وكيفية تكونها وما اعتراها من التغيرات والاحوال الى ان صارت الى ما هى عليه الآن من المآل وهو المعير عنه بعلم الجيولوجية وذلك ان طائفة العلماء الاوروبيين المتأخرين المدعويين بالجيولوجيين (بمعنى علماء الجيولوجية أى علم طبقات الارض كما سلف ذكره) قالوا باختيارهم ان الكرة الارضية على الحالة التى هى عليها الآن لا ينبغي ان تكون اولية خلقها مؤرخة من مدة زمنية أكثر من ستة آلاف الى ثمانية آلاف سنة شمسية حسبا أثبتته الفيلسوف المحقق والعالم الطبيعى الفرانساوى المدقق المشهور باسم كوفيه فى رسالته المعنونة بخطابة فى مادة تغلبات الارض فهم يرجعون ما يعرف فى اصطلاح المؤرخين بمحادثة خلقة الدنيا الى زمن قريب مما يضعه فيه الكرونولوجيون (علماء الكرونولوجية أى علم ترتيب الازمان) من احبار النصرانية العيسويين

قال المعلم كرلوس دريس (بكسر الدال وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت) في آخر مبحث
الخليفة من كتاب السكروولوجية العمومية الذي الفه من ضمن كتب التواريخ المؤلفة تحت إدارة
ويكتوردو روى السالف الذكر مانصه : وعلى كل حال فتعين تاريخ للوقت الذي حصل فيه
نفخ الروح المتفكر في الحياة البشرية على الكرة الأرضية بالقوة الإلهية هو من قبيل الجراءة السلبية
ومع ذلك فن اللزوم الضروري ان تقدم عليه جريا على العادة التعليمية لننخذ لنا مبدءا ثمشى عليه
في ترتيب الا زمان بكتابنا هذا وهو قول المؤرخ كلا تون الانجليزى القائل بان حادثة خلق الدنيا
كانت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر ٤١٣٨ من الاعوام ٥٠٠٠٠ معربا

قلت وهكذا قياسي على هذا الكلام يقتضي لنا ايها الطلبة الكرام ان نتخذ لنا ايضا في سياق
 هذا الدرس التمام في التاريخ العام مبدءا تاريخيا نرجع في توقيت سائر الاحداث اليه ومنشأ
 زمني نعلم في تاريخ الوقائع عليه وهو هذا القول الاخير والمذهب التاريخي الشهير لاسمها

وهو الجارى عليه العمل في سائر الاصول الاوربيه اننى ننقل منها ونزوى لكم عنها في سياق درسنا هذا باللغة العربيه

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية

وطريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية أعني ارجاع التواريخ الشمسية الى القمرية بالعمل حسبما قد تمس اليه الحاجة وكما قد تعلق بذلك منكم الامل وليكون عليه في معرفة تواريخ الحوادث التاريخية الاعتماد سواء كان ذلك قبل الميلاد او بعد الميلاد هي ان تجمعوا بالقواعد الحسابية الاصلية المعلومة لكم الى تاريخ كل حادثة مؤرخة بالسنوات الميلادية اذا أردتم ان تعرفوا تاريخها بالسنوات الهجرية وكان التاريخ المطلوب تحويله قبل الميلاد مبلغ ٦٢٢ الذى هو مقدار الفرق بين الهجرة المحمدية والولادة المسيحية او تطرحوا هذا العدد الاخير من اصل التاريخ المطلوب تحويله اذا كان ذلك بعد الميلاد ثم تقسموا على كل حال من الحالىين حاصل الجمع او باقى الطرح الجارى بين على العددين المذكورين على عدد ٣٢ على حسب اختلاف الصورتين وخارج القسمة يضاف الى نتيجة احدى العمليتين فيكون مجموعها هو التاريخ الهجرى المطلوب حسب المرغوب وتوضح ذلك بالمثال لاجل ان يقاس عايه في سائر الاحتمال

مثال الصورة الاولى المطلب تحويل تاريخ خلقه الدنيا وهو ١٣٨٤ قبل الميلاد بناء على القول الذى جرى عليه الاعتماد الى التاريخ الهجرى المعتمد اعني معرفة تاريخ الخليفة كم كان من السنوات بالنسبة للهجرة كما حسبه المؤرخون الاوروبيون بالنسبة للميلاد والجواب هكذا على حسب ما هو مما قررناه بالضرورة استفاد

		٤١٣٨
		٠٦٢٢
		٤٧٦٠
	٣٢	٣٢
١٤٨	$\frac{٢٤}{٣٢}$	١٥٦
٤٧٦٠		١٢٨
٤٩٠٨	$\frac{٢٤}{٣٢}$	٠٢٨٠
		٢٥٦
		٢٤

ومن ثم ينتج ان حادثة الخليفة قد كانت قبل الهجرة بقدر اربعة آلاف وتسعمائة وثمانى سنوات وتحولت الى سنة قريية وذلك هو المطلوب وهو قريب مما ذكره الشيخ الكبير والعالم الولي الشهير محيى الدين بن العربى رضى الله عنه في بعض تأليفه ونص عليه في بعض تصانيفه

مثال الصورة الثانية المطلوب تحويل تاريخ فتح القسطنطينية على يد احد سلاطين الدولة العثمانية وهو سنة ١٤٥٣ الميلادية الفاصل بين مدنى التاريخ المتوسط والاخير حسبما ذكره من مؤرخى الاقربى الجيم الغفير الى التاريخ الهجرى الذى هو فى التواريخ الاسلاميه مذكور والجواب عن ذلك حسبما هو بعد مسطور ١٤٥٣

٦٢٢			
٢٢		٠٨٣ ١	
٢٥	$\frac{٣١}{٣٢}$	٦٤	
٨٢١		١٩١	
٨٥٦	$\frac{٣١}{٣٢}$	١٦٠	
		٠٣١	

ومن ثم يتج ان حادثة فتح القسطنطينية قد كانت بعد الهجرة المحمدية بقدر ثمانمائة وست وخمسين سنة هجرية مع زيادة سنة قريية واحدة ناشئة من كسر $\frac{٣١}{٣٢}$ بعد فرضه دورا كاملا وعددا صحيحا شاملا حتى تتم جملة ذلك ٨٥٧ وهذا هو المطلوب وهو عين تاريخ هذه الحادثة الشهيرة حسبما ذكره سائر المؤرخين الاسلاميين وارضه فى ضمن قوله (بلدة طيبة) بعض الادباء المعاصرين كما أسلفنا ذكره فى المقدمة

مثال آخر من الصورة الثانية - المطلوب تحويل سنة ١٨٧٣ الميلادية الحاضرة الان الى سنة هجرية أعنى معرفة السنة القمرية المقابلة للسنة الشمسية الحاضرة والجواب هو كما يظهر من هذه العملية الآتية ١٨٧٣

٦٢٢			
٢٢		١٢٥١	
٣٩	$\frac{٣}{٣٢}$	٩٦	
١٢٥١		٢٩١	
١٢٩٠	$\frac{٣}{٣٢}$	٢٨٨	
		٠٠٣	

ومن ذلك يتج ان السنة الهجرية المقابلة لسنة ١٨٧٣ الميلادية التى هى العام الميلادى الحالى هى سنة ١٢٩٠ القمرية مع زيادة بعض اجزاء كسرية ($\frac{٣}{٣٢}$) ليس لها قيمة اعتبارية حيث كانت هذه الطريقة العملية انما هى فى الجملة تقريبية والا ففى أراد مقابلة السنوات الميلادية بالهجريه على وجه الضبط مع معرفة مبداء السنة القمرية باليوم والشهر من السنة الشمسية فليراجع الجدول الزمنى المسطور فى آخر الكتاب المسمى نظم التالى فى السالك فيمن حكم فرانسوا ومن قابلهم على مصر

من الملوك تعريب العبد الحقير المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٧ في عهد أفندينا المرحوم محمد علي باشا الكبير حيث ذكر فيه مقابلة كل سنة قريية بنظيرتها من السنوات الميلادية من اول الهجرة النبوية الشريفة لغاية عقد ١٣٠٠ من السنوات الهجرية المنيفه

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

ثم ان المؤرخين الاور وباوين قسموا التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها الى ثلاثة أجزاء اصلية وهى الاعصار الاولى والاعصار الخرافية والاعصار التاريخية ثم قسموا الاجزاء الاصلية المذكورة الى مداد أصلية أخرى بالطريقة التى هى بعدمسطوره فاما الاعصار الاولى فهى فى اصطلاحهم عبارة عن مدة من الازمان اولها حادثه خلق الانسان وغايتها حادثه الطوفان وتبليبل اللسن وتفرق الناس الى البلدان ومن ثم انقسمت تلك الازمان الى مدتين عظيمتين احدهما مدة الخليقة الدنيوية والثانية المدة الطوفانية واما الاعصار الخرافية فهى عبارة عن المدة المنقضية بعد تلك المدة من ابتداء تفرق الناس على الكرة الارضية وتأسيس الدول والممالك ببلاد الصين وآسية وبلاد مصر واليونان وما تلا ذلك من انشاء المدن والقرى وسائر أنواع العمران لغاية المدة التى نشأ فيها الانبياء المعبرون والشعراء المشهورون من الامم المتنوعين ووضعوا أوائل اسس تمدن العالم الدنيوى ولذلك انقسمت تلك الاعصار أيضا الى ثلاثة مدد اصلية

الاولى تسمى فى اصطلاحهم بالازمان الوثنية وهى تلك الازمان المقيمة بنشأة الدول والممالك ببلاد الصين وآسية ومصر وبلاد اليونان وانما سميت وثنية لداعى ميل جميع الامم الذين تكونوا فى تلك الازمان لترقية ملوكهم الاولين وارباب دولهم السالفين فى مرتبة الآلهة المقدسين

الثانية تسمى عندهم بالازمان البطلية (نسبة للبطل بمعنى الشجاع) وهى تلك المدة المنقضية بعد ذلك بما حدث فيه من نوع البشر رجال اختطوا المدن واسسوها وابطلوا تعدى بعضهم على بعض فى تلك المدن واقتحوها وكان الناس حينذاك قد اخذوا فى أن تنورت قرومهم وانتشرت علومهم وشرعوا فى أن يميزوا بعض التمييز الحقيقة الآلهية عن الطبيعة البشرية فاقصر واعلى ان يدعو من تميز من الرجال بخصلة من تلك الخصال بمجرد لقب الابطال او انصاف الآلهة بمعنى كبار الرجال ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بالازمان البطلية

الثالثة تسمى عندهم بالازمان النبوية والشعرية وهى المدة التى نشأ فيها الانبياء الكرام والشعراء العظام ووضعوا أوائل اسس تمدن الامم والملل وتمكن الممالك والدول ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بهذه النسبة الاصطلاحية واما الاعصار التاريخية فهى المدة التى أخذ علم التاريخ فيها فى أن يكون على بعض درجته من

الثبات والاستقامة بخلاف المهد السابقة على تلك المدة حيث كانت بمكان ممكن من الغموض والسقامه ولذلك سميت هذه المدة الاخيرة بهذا الاسم فهي تنقسم في العادة الى ستة اقسام عند أهل العلم

الاول يقال له المدة التشريعية وهي المدة التي ظهر فيها في عصر واحد تقريرا كل من المشرع اليوناني اللقدموني (نسبة الى لقدمونية اقليم بلاد اليونان) وهو المسمى باسم ليكورجه اوليكورغه (بالجيم اوبالعين المعجمة) في مدينة اسبرطة ببلاد اليونان والمشرع الروماني المعروف باسم رومه بونبوليوس ثاني ملوك رومية الكبرى ببلاد ايطاليا والمشرع اليوناني الاثيني المشهور باسم سولون بمدينة أثينة أو أثينة (بالتاء الشذاة الفوقية او بالتاء المثلثة احدى مدائن بلاد اليونان الشهيرة) وهو احد الحكماء اليونانيين السبعة المشهورين والمشرع الصيني المشهور باسم كونفسوس (بضم الفاء الموحدة) في بلاد الصين

الثاني مدة فجار بلاد اليونان

الثالث مدة الفتوح الرومانية اى فتوح دولة الروم الاولى للكثير من البلدان

الرابع مدة الخلاف الذى حصل في الجمهورية الرومانية

الخامس مدة استفعال الامبراطورية الرومانية اى سلطنة دولة الروم الاولى

السادس مدة اضمحلال السلطنة المذكورة وهذه المدة تنتهى بنا الى سنة ٤٧٦ قبل الميلاد

التي هي مبدأ تاريخ القرون الوسطى حسبما ذكرناه في المقدمة

ملحوظات عامة

تعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم في اصطلاح المؤرخين الاور وباوين هو عبارة عن تاريخ عدة أهم شهيده وملل كبيره كانوا في تلك الاعصار العتيقة موجودين وهم المصريون والعبرانيون والفنيقيون والاسوريون والميديون والليديون والسينيون واليونانيون والرومانيون والقرطاجيون

لكن تاريخ جميع هؤلاء الملل والامم ليس على حد سواء من حيث كونه منتظما او غير منتظم ولذلك نر من قبل ان تسكلم على كل واحدة منها بالخصوص ان تلقى نظرة عامة اليها وذلك بعدة ملحوظات كما هو بعد آن

المحوظة الاولى انتظام تاريخ الرومانيين واليونانيين

اما تاريخ الامة الرومانية فانه كما هي ترجمة عبارة ويكتور دوروي وزير المعارف العمومية

الدرس التام ٤٠ في التاريخ العام

في متأخر عهد الدولة الفرنسية السلطانية يتكوّن منه مجموع جليل وعقد من نظام جميل كأنه قصيدة شعرية من نوع القصائد الجسدية أو الهزلية التي تؤلف للعب بها في المجال التياترية أي الملاعب التصويرية أذيراه قاريه يتوارد على نظره وينكشف لبصره شيئاً فشيئاً من أول عهد نشأة مدينة رومية مع ما كانت عليه في أوائل أمرها من حالة الخمول على يد المدعو باسم رومولوس إلى أن بلغت إلى أعلى درجة الكمال فالت إلى النزول حتى نزلت به المصيبة الكبرى التي وقعت هذه المدينة العظمى بعد أن كانت سلطنة سلاطين الدنيا جميعين تحت إندام رئيس قوم متوحشين وانما مثل مدينة رومية هذه كمثل حبة انبذرت في أرض فبنت ونمت وامتدت وسعت حتى صارت شجرة عظيمة ودوحة ذات فروع جسيمة فالتت أكلاها واثيرت واستكملت عملها واشجرت حتى استقال في ظلها واستقالت بأكلها نحو ثمانين مليوناً من النياس ثم مالت وذبلت وسقطت من ثقل ما حملت وانقطعت منها الانفاس وانفقد منها ماء الحياة فاعتزتها الوفاة قال ويكتور دوروي المروي عنه أعلاه وأما بلاد اليونانيين فقد كان سكانها اقواماً متنوعين ومداثن شتى عامرة بقبائل متشعبين ولم يكن ما يجذب نظر الناظرين في تاريخ بلاد اليونان من حيث التمدن والعمران مدينة واحدة بل مدناً متعددة واقواماً مترددة فان من أراد ان يقف على احوال مدينة اتينه او اتينه واسبرطة وكورنثة وأرجوس (يسكون الراء المهمل) وسدينه تيبه او طيبه (اليونانية بالطاء او بالهاء) ومملكة مقدونية وغير ذلك من قبائل اليونان المستعمره ونزائلهم المنتقلة إلى بعض البلدان الغير المعمره لزمه ان يردد نظره ويعد بصره على سائر نواحي بلاد اليونان وجميع سواحل البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد بل وإلى اذهى بلاد آسية إلى امد بعيد غير انه يرى من ذلك كله منظر واحد ومقدماً متحداً وامة لم تفرق احوالها وعهدا ظاهر الوضوح والمعلومية من جملة ككيفية الحياة البشرية العمومية ومعيشة الملل والامم في هذه الدنيا الدنيوية .

المحوظة الثانية عدم انتظام توارخ الامم الباقية المعبر عنهم بالتاريخ القديم وأما توارخ الامم الاقدمين الباقين غير اليونانيين والرومانيين وهم المعبر عنهم في اصدياح المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ القديم الحقيقي فليس لها رابطة معنوية تربطها ولا جامعة تمدنية تضبطها بل ترى قدماء المصريين والاسوريين والقرطاجيين والليديين والميديين والفرس وغيرهم من الامم المتقدمين يعيش كل منهم في بلاده امة وحده بحيث لم يخلط بغيره عقائده الدينية ولا مصالحه المدنية ولا شيئاً مطلقاً من احواله الدنيوية والاخرية اللهم الا في الازمان الاخيره من مدة التوارخ القديمة حين اجتمعت جميع هذه الامم غير القرطاجيين تحت ولاية ملك واحد وهو ملك الجحيم الملقب في ذلك العصر بالملك الاعظم غير ان جميع هؤلاء الامم يتجمعهم امر عام واحد هو انهم انما مهدوا طريق التمدن والعمران لامتى الرومانيين واليونان وساعدوا

على

على ما تحصل عند الملتين المذكورتين من ترقى درجة هيئة اجتماع الانسان وسبب ذلك كون الملوك اليونانيين الخالفين للاسكندر حكوا اقاليم السلطنة الفارسية وكذلك دوله رومية استولت على ممالك القرطاجيين ويمكن لنا ان نقول ان ما كان قد تحصل في تلك الاعصار السالفة من العقائد الدينية والعلوم والفنون عند الاسوريين والمصريين انما هو الذي جهزتمدين بلاد اليونان وجاءت بعد ذلك رومية فورثته منها واخذته عنها بحيث اننا اذا أردنا ان نعرف اولية المعارف البشرية فلا ينبغي لنا ان نقف عند مدينة رومية ولا اتينة بل يجب ان نأخذ في الحسبان المدائن القديمة التي كانت هي التحوت العظيمة لتلك الممالك المشرقية الفخيمة وهي مدينة منقيس (مائة رهينه) وبابل واكباتان (قال المعلم بوليبيت في معجم التواريخ والجغرافية العمومية واعلها ما يعرف الآن بهمدان) ومدينة پرسپوليس (المسماة الآن اتشيل مينار وهي التي توجد آثارها على القرب من استنار في الشمال الشرقي من شيراز كما في المعجم المذكور)

المحفوظة الثالثة ليس التاريخ القديم بعد الاعبارة عن تاريخ الامم المتوطتين على سواحل البحر المتوسط الايض (او بحر سفيد)

قال ويكتوردوروي المذكور آنفاً يظهر لنا في التاريخ القديم انه لم يشتمل على تواريخ جميع الامم السالفين الذين كانوا في تلك الاعصار القديمة على الارض المعمورة كاثنتين وانه لم يتعد على وجه العموم سواحل البحر الايض المتوسط (او بحر سفيد) اللهم الا الى امد غير بعيد من جهة بلاد الفرس وانه لم يعرف بعد من تواريخ الامم الموجودين في ذلك العهد خارجا عن المنطقة الضيقة المحيطة بذلك البحر غير شي نزر وفي الواقع ونفس الامر نحن لانعرف من التواريخ القديمة فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد اسبانية (المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) المسمين بالايبير او الايبيريين واسلاف سكان بلاد الجول والغاللة (فرانسة) المسمين بالسلت او السلتيين ولا فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد الالمان المدعوين باسم الجرمان او الجرمانيين واسلاف سكان بلاد سراسية (بلاد اوروية) المعروفين باسم الاسلاوا والاسلاويين غير بعض اخبار مبهمه وآثار مظلمة ولا نعرف غير الاسم من احوال الاقوام المسمين بالسيتيين (وهم باجوج وماجوج اي اسلاف سكان بلاد الروس والترك) وأما الهنود فان لهم علوم اعظيمة وآداب جسيمة لم تزل تنكشف للعلماء الاور وباو بين المتأخرين شيئاً فشيئاً غير انهم ليس لهم تاريخ يؤثر لكونهم وان كانوا قد حفظوا ابغاية الذقة والتحرى عقائدهم الدينية في ضمن قصائد شعرية ذكروا فيها توبساتهم التخيلية فيما يتعلق بالهتهم غير انهم لم يتعرضوا فيها لذكر حوادث تاريخية من احوالهم الدنيوية

وكذلك مله العرب المسلمين لا يعرفون شيئاً من اخبار اسلافهم المتقدمين وأما الصينيون فان لهم جوادث سنوية منتظمة وتواريخ زمنية محققة مستقيمة تصعد الى أقصى الاعصار القديمة غير انهم يعيشون بكيفية معاشية لم تزل لغاية الآن مخافة كلفة عيشنا بالسكية ولم يزلوا بعد لغاية هذا

العهد متخصنين خلف أسوارهم العظيمة كائنين في عالم واحد هم بحيث تبقى البحث فيما يتعلق بالوقوف على حقيقة أخلاقهم وعوائدهم وكيفية دياناتهم وعقائدهم وترتيباتهم السياسية وهيئات اجتماعاتهم التأسيسية وما اعتري بلادهم من التقلبات والاحوال منظورة فيه بعد بين العلماء الارروباو بين لغاية هذا الوقت الحال

ولانعرف شيئاً أيضاً من تاريخ هذه الطائفة السردانية المحررة لبلاد افريقية رلامن تاريخ الامم التابعين للطائفة المعصاة بالماليزية الكائنة في بعض جزائر البحر المحيط الغربى المسماة بالوقيانوسية ولا تاريخ القبائل الامريقية المعروفين بذوى الجلود الحمراء مع انهم كانوا قد اسسوا بلادهم الأصلية في تلك الاعصار الحالية بمالك دولة قبل ان تنزل عليهم انترائل الاوروبية قال المكرم ويكتور دوروى المذكور وحينئذ فلم تنو من العلم فيما يتعلق بتاريخ الامم القدم الا قليلا جدا وان كانت اجتهادات العلماء الحاصلة مع شدة العزم لم تنزل تزيد فيه وتوسعه وتقويه هـ

هذا ما سطره ويكتور دوروى في الباب الاول من مختصر تاريخه القديم وبني عليه تبعا لفريقه الموسيوجيلمان أحد أعضاء جمعية العلماء والمدرسين الذين القوا الكتب التاريخية تحت ادارته المشى على ما جرت به عادة المؤرخين الارروباو بين السلف من تقسيم التواريخ القديمة الى قسمين أصليين

الاول تواريم الممالك الشرقية وهى ممالك آسية وافريقية القديمة يعنى الامم الكبيرين والممل الشيرين الذين كانوا قد انتشروا في تلك الاقاليم الشرقية وظهروا في تلك الاعصار العادية ماعد اليونان والرومانين

الثانى تواريم الممالك المغربية يعنى الامم الارروبية الذين حصل الوتوف لهم على تواريم حقيقة وهى اليونان والرومانيون ولذلك انقسم هذا القسم الثانى أيضا في طريقة سلف المؤرخين الارروباو بين بالطبع الى قسمين متميزين أحدهما تاريخ اليونان والثانى تاريخ الرومانين ولم يتعرض ويكتور دوروى المذكور من التواريخ القديمة لتساريم من عدا هؤلاء الامم المذكورين من الامم السالفة كالعرب والهنود والصينيين وغيرهم من الامم المتقدمين وهذه هى الطريقة المدرسية القديمة أى الجارى عليها العمل في تدريس التاريخ القديم بالمدارس الارروبية من قديم الزمان وهى المعروفة بطريقة المؤرخ رولان وهى عبارة عن الاختصار في تأليف الكتب التاريخية القديمة وتدريس المتعلمين على ما كان قد التقطه قسما مؤرخى اليونان والروم في تلك الازمان من أفواه الناس المعاصرين لهم على حسب الروايات المتداولة بينهم في تلك الاعصار الغابرة باثناء سياحاتهم في ممالك المشرق العامرة وادعوه في ضمن كتبهم القديمة التى بقيت على مر الازمان فنقلت الى اللغات الارروبية الحديثة قضية مسلمة من غير تدقيق نظر ولا امان وذلك كالمؤرخ هيرودوت الالبكارناسى وديودور الصقلى وغيرهما وسائر من حذا على حذوهما وهى

الطريقة التي مشى عليها ابن الاثير الجزري في السكامل والملك المؤيد أبو الفدا والقاضي ابن خلدون في تاريخهما وغيرهما من سائر علماء المسلمين في جميع ما سطره وكتبوه وحرروه من أخبار الأمم المتقدمين مع ما اعتري ذلك من الخلط والخطب والغلط والسقط في أسماء الرجال والبلدان الالهجية بتخريف جهالة الناسخين وتصحيف العملة الماسخين من المترجمين وغيرهم في أثناء النقل الى اللغة العربية اذ لا سبيل لهم غير ذلك ولا مواد عندهم سوى ما هنالك هذا وأما الآن فان العالم المدقق والمؤرخ المحقق الذي اشتهر باسم فرانسوا الورانسيس لونورمان أمين كتبخانة الانستيتوت (أى جمعية العلماء الفرنسية بمدينة باريس كرسى دولة الفرنسيس) انتدب لتأليف كتاب في قسم التاريج القديم فريد وانتصب لتصنيف مؤلف في هذا الفن وحيد اشتمل على ثلاثة جلود يسمى بماعناه الرسالة اليدوية في تواريج الأمم القديمة المشرقية لغاية الحروب اليونانية الميمنية وقد طبع عدة طبعات اخرها المؤرخة في سنة ١٨٦٩ الميملادية أعنى من منذ نحو أربع سنوات فنقل الى اللغة الانجليزية وهرع اليه من الناس ببلاد اوروربة الجهم الغفير فاخططوا له نسخة المطبوعة في مسافة بعض شهور حتى صارت نادرة الوجود ممنوعة لا يوجد منها غير اليسير وذلك انه اقترح في قسم التاريج القديم طريقة نظرية جديدة ودقة فلسفية مفيدة واحداث فيه عدة اصلاحات عديدة على غير الطريقة المدرسية التي كانت لغاية تمام تأليفه هي المعهودة وضم اليه ذمها لم تكن في كتب التواريج القديمة المتداولة في أيدي الناس بالمدارس الاورورية مشهودة وعقد فيه أبواب وفصولا لاخبار بعض أهم من الملل الاقدمين كانت لغاية الآن في التواريج القديمة مفقوده فكلهم فيه فضلا عن الأمم المذكورة فيه بعد على تواريج أهل الهد وأخبار القبائل العربية في أيام الجاهلية مستند في ذلك كله لئمر الاستكشافات التاريخية التي وقف عليها السياحون الافرنجيون المتأخرون ومعتمدا على نتيجة المجادلات العلمية التي انتدب اليها العلماء الاوروبيون المعاصرون مبينا بازاء كل باب من الابواب التي عقدها أصل الموارد المعتمدة التي اعتمدها والمواد المعتمدة التي أخذ عنها واستمد منها ثم اختصر تاريخه هذا الكبير حسب التمس منه الجهم الغفير من الملتسمين ولا سيما دولة القوم المعروفين بجهورية الاسويجيرة والسويسيين في جزئين مختصرين وجلدين صغيرين لحاجة التدريس على مقتضاها في المدارس الاورورية من الآن فصاعدا على حسب هذه الطريقة النظرية الفلسفية عنون أحدهما بعنوان تاريخ القوم اليهود والثاني بتاريخ الأمم المشرقيين والهنود والاول هو المعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاوروباوين السلف بالتاريخ المقدس كما اوضحناه في موضعه من المقدمة فيما سلف قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور في دياحة الجزء الاول من التاريخ القديم المسطور ما معناه وانما عنونت كتابي هذا بهذا العنوان لا بالتاريخ المقدس حسب الجارى فيه لغاية الآن لكوني بنيت في الأكثر على ملحظ تأسيسه على الوفايع البشرية أكثر من بنائه على مجرد اقتصاصه في التوراة العيسوية

الدرس الثام ٤٤ في التاريخ العام

واسسته على اساس الاستكشافات العلمية العصرية كغيره من توار يخ الامم السالفين في تلك المدة الدهرية مع ملاحظة ما هو مبني عليه من التأسيس في التأليف والتدريس على صفة التقديس اعنى كون هذه الامة الاسرائيلية لم تزل ملحوظة بعين العناية الالهية الى ان قدمت وبلغت للحالة الاضحلالية ولم يتعرض المؤرخ المذكور في الجزء الثاني لتاريخ العرب والعين وغيرهم من بعض الامم المتقدمين الذين ليس لهم تاريخ ثابت مبين وان كان قد عمد بابا مخصوصا للعرب قبل الاسلام في تاريخه الكبير وقال في ديباجة تاريخه المذكور ما ملئ صه وانما لم اتعرض في كتابي هذا لتاريخ أهل الصين مع كونهم من الامم القديمة أولى التوار يخ المنظومة كما أسار على به بعض المشيرين لكوني لم أجد نفسي في الحقيقة أهلا لتحرير تاريخ هذه الامة العتيقة ولدا على انه تراءى لي ان تاريخ الامة الصينية وان كان من التوار يخ اليقينية هو دائما معزل بالكلية عن سائر توار يخ العوالم الدنيوية على وجه بحيث لا يليق ان يدخل في دائرة كتابي هذا لكونه لا مدخل له مطلقا في اقتصاص أخبار أنواع الهيثات التمدنية التي كان لها تأثير قريب او بعيد على كيفية التمدن المنحصلة عند الامم الاوروبية في هذه الحقبة الزمنية (اهم عربا بالمعنى) والحاصل من نتيجة هذه الملحوظات العمومية والفوائد التاريخية القديمة ان لكتابة قسم التاريخ القديم وتدريسه من حيث كيفية بنائه وتأسيسه مذهبين مختلفين وطريقتين متباينتين

أحدهما الطريقة التقليدية القديمة وهي المبنية على ما تضمنته كتب قدماء مؤرخي اليونان والروم من الروايات الالهية والحكايات الاولى من غير تدقيق نظر ولا معان وهي طريقة المؤرخ رولان ومن تبعه من مؤرخي الافرنج لغاية الآن وهي طريقة معيبة وكيفية في اغلب تأسيس قسم التاريخ لقديم على وجه العموم غير مصيبة ولذلك صارت مركة في هذا الاوان لاعتماد عليها ولا استناد اليها اللهم الا فيما اثبتوه في بطون تلك الاوراق من أخلاق القدماء وعوائدهم ودياناتهم وعقائدهم لاستنادهم فيه الى دليل المشاهدات حيث يحقق فيما هو من هذا القبيل انه لا بأس بالاسترشاد بهم والاعتماد عليهم اذ هم في ذلك خير دليل بخلاف ما يتعلق بسلاسل الملوك وترتيب العائلات الملوكية وسائر أحوال الدول القديمة فان أكثر أقوال مؤرخي اليونان والروم العتيقة وجدت في ذلك كله بالتحريات الاخيرة غير مصادفة للحقيقة

الثانية الطريقة الاجتهادية الجديدة وهي المبنية على السندات الاصلية والتحريرات الرسمية أى الكتابات الدولية المعتمدة والآثار الاولى المعتبرة التي كانت تلك الدول والملوك قد حرروها في كتاباتهم الالهية بنفوسهم وأودعوها في داخل قبورهم ونواويسهم وعبروا فيها عن حقيقة أحوالهم وتفاصيل وعايعهم وأعمالهم حسيما اتضحت حقيقة ذلك في هذا العصر الاخير بالبحث والتحرير بمعرفة الجمل الغفير والعديد الكثير البالغين الى حصد التوار يخ من السياحين المعتمدين

والعملة المشاهدين من الاقرخ المتأخرين والعلماء المجتهدين المعاصرين حيث عثروا على تلك الآثار المعتبرة واختبروا هذه الاخبار المحررة بقراءة كتاباتهم المسطرة بعقيق أقلامهم في اطلال قصورهم وعماراتهم وهذه هي الطريقة التي اقترحها المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وهي الطريقة الجادة والمذهب القويم الذي يقتضي ان يكون لكل مؤرخ محقق ومعلم لعلم التاريخ القديم مدقق هو المادة ولذلك التزمنا ان نتبع في تقرير قسم التاريخ القديم طريقة هذا المؤرخ العظيم اعني اننا ترجم ما يلزم من كتبه هذه غنية بارده ونضم اليه من مظانه المعتمدة المتفق عليها ما لم يكن يوجد فيه من كل شاردة عملا بقوله تعالى في نص القرآن الكريم وهو اصدق القائلين « وأسألوا أهل الذكرا ان كنتم لا تعلمون » قال المفسرون المراد بالذكرا في الآية الشريفة التوراة كما نص عليه أبو البقاء الحسيني في كتاب المكليات وليست التوراة المنزلة مبدلة في نصوص نسخها الاصلية ولا محررة في أصل كلماتها التنزيلية كما هرشائع من قبيل الاوهام على السنة أكثر العرام من أهل الاسلام والتغيير والتبديل انما حصل فيما طرأ عليها بعد ذلك من الشرح والتأويل كما قد يختلف علماء المسلمين في تفسير بعض الآيات المتشابهة القرآنية اذ لا يعقل ان أمة تجاري على تبديل كتاب مقدس متصف بالتنزيل عليها من لدن الحضرة القدسية كما نص عليه المحقق ابن خلدون رحمه الله في أوائل الجلد الثاني من تاريخه المذكور أعلاه

وحينئذ فلا موقف للاعتراض علينا بتضعيف سندنا من بعض سقماء الافهام بدعوى ان العدالة الشرعية مشروطة بالاسلام لاننا نقول ان ذلك انما هو في الدعاوى والخصومات وغيرها من أنواع المعاملات والعبادات حيث كانت الشهادة فيها هي مظنة الكذب والتدليس اللذين كثيرا ما ينشآن عن الحمية الدينية بخلاف المواد العلمية فان الاصول الفقهية لا تنأى فيها الاعتماد على أهل الكتاب اذ التدليس فيها مأمون ولو اختلف الدين لان علماء كل أهل دين يؤلفون هذه الكتب فيها لانفسهم ويدرسونها بمدارسهم ولا شبهة فيها للغش والتدليس ولم يرزل العلماء الاسلاميون السالفون يأخذون الفنون والعلوم بتعريب كتب اليونان والروم ويعتمدون عليها كل الاعتماد في عهد الخلفاء العباسيين بمدارس بغداد وفي أيام الخلفاء الامويين وغيرهم بمدارس قرطبة وغرناطة بالاندلس كما يؤيد ذلك وله يستأنس بما يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من الاحاديث المشهورة والاختبار المأثورة في قوله « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله ايضا « الحكمة ضالة المؤمن يلقها حيث وجدها » او كما قال عليه الصلاة والسلام وما أحسن قول القائل من بعض الأوائل في هذا المقام

خذ العلوم ولا تنظر لقائلها * من أين كان فان العلم بمدوح

كدرة أنت تلقاها من ريلة * ألسن تأخذها والزلزل مطروح

وانما العيرة بضبط التعريب لا بالترجمة على وجه التقريب والعمدة على ضبط أسماء الرجال

والبلدان الأجنبية سواء كان النقل من التوراة أو من الكتب التاريخية الأوروبية المنقول منها إلى اللغة العربية وهذا هو ما تحراه وتلتزمه وتتوخاه على قدر الامكان ان شاء الله والله المستعان في كل ما تنعاه

وكل يدعى وصلابليلي * وليلى لا تقرأ لهم بذلك

وبنا على ما توضح أعلام من هذه المعلومات الأولية والتقسيمات الأصلية لزمانان تقسم هذا التسم الأول حسبما صار عليه من المؤرخ فرانسيس لونورمان المعول وكما هو الصواب إلى عدة أبواب

الباب الأول وهو كما مقدمة لسائر الأبواب التالية له في تاريخ الأعصار الأولي والازمان الأصلية من ابتداء عهد خلق الإنسان إلى عهد تبليل اللسان بيا بل وتفرق الأمم ومنشأ الملل والنول بعد الطوفان

الباب الثاني في تاريخ قدماء المصريين ودول الفراعنة المتقدمين

الباب الثالث في تاريخ الامراتيليين والعبرانيين وبلاد يهودا و فلسطين

الباب الرابع في تاريخ الاسوريين والبابليين وأهل بلاد العراق واذربيجان السالفين

الباب الخامس في تاريخ الميديين ودولة الفرس الأصليين

الباب السادس في تاريخ الفنيقيين والصوريين وسكان سواحل الشام الاواين

الباب السابع في تاريخ قدماء الليديين أي أهل أسيّة الصغرى أو بلاد أرمنية وأهل الشام المنحماة سورية

الباب الثامن في تاريخ قبائل العرب في أيام الجاهلية وسالف الحقب

الباب التاسع في تاريخ بلاد الهند وما عرف من أخبارهم بعد

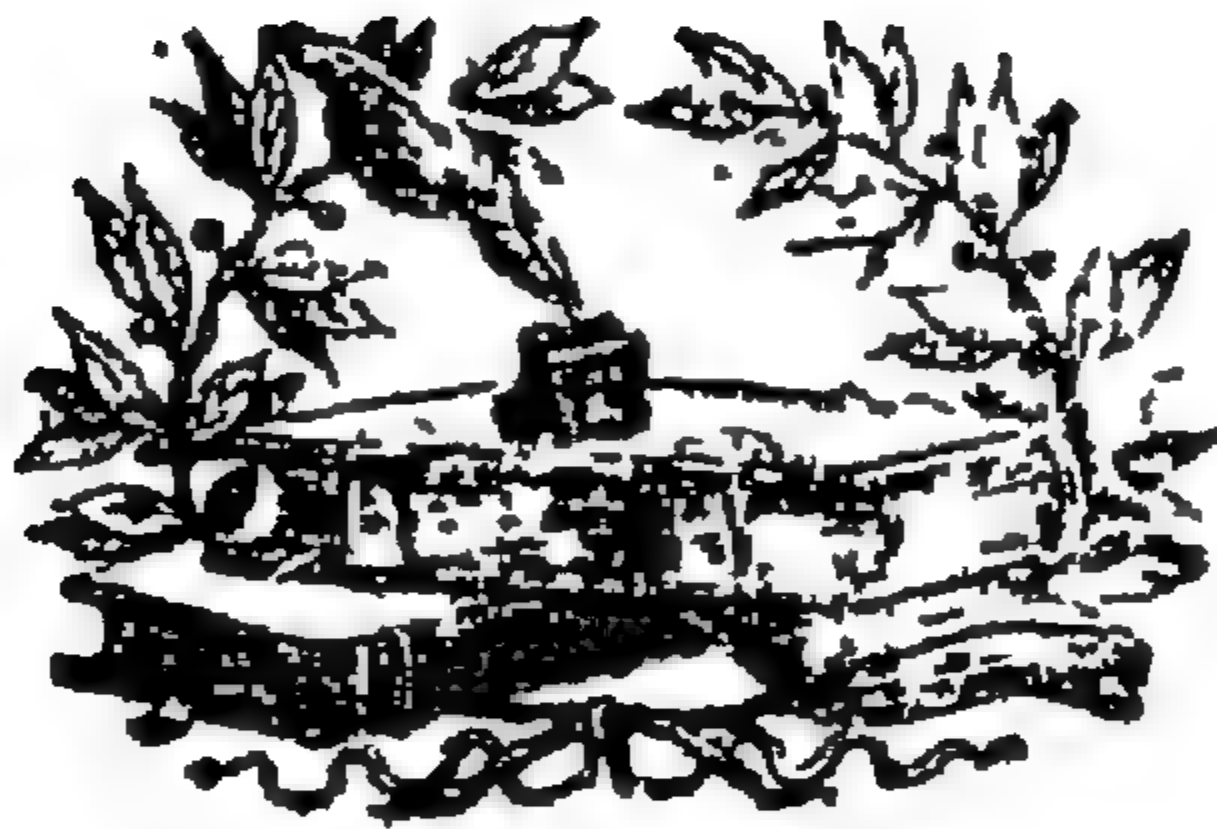
الباب العاشر في تاريخ بلاد اليونان ودولها وحكائنها في سالف الزمان

الباب الحادي عشر في تاريخ الامة الرومانية ومنشأ مدينة رومية الكبرى ببلاد ايطالية

الباب الثاني عشر في تاريخ القرطاجيين والامم الليبيين وهم سكان بلاد برقة وما والاها من الاقوام المغريين

الدرس التام ٤٧ في التاريخ العام

وحيث نجهزت منكم الافهام أيها الطلبة الكرام بهذه الافكار العامة والفوائد العلمية التامة التي أردنا ادخالها في أذهانكم على هذا الوجه التام قبل الشروع في تعليمكم واعدانكم بعلم التاريخ العام فلنشرع الآن في الكلام على تاريخ كل قوم من هؤلاء الأقوام في بابها بالخصوص على هذا الترتيب المخصوص عازين ما سنسطره لكم في هذه الابواب من النصوص فيما يتعلق بأساطير هؤلاء الأمم الاولين بقلم التعريب الى أصل المؤلف الذي أخذنا منه واعتمدنا حتى تستندوا الى أصل الاستناد ونعتمدوا عليه كل الاعتماد فتفهّموا معنى هذه القصص والاخبار وتعلموا مغزى تلك الحكايات والآثار الذي هو حسن التذكّار والاعتبار بأحوال من تقدمنا من السلف الصالح في تلك الاعصار كما علمتم مما أسلفناه وكما هو الغاية القصوى من تعلم كل علم وتحصيل فحواه ولكن تأخذوا أذهانكم منه * على قدر القرائح والفهوم



الباب الاول

في تاريخ الاعمار الاولى والازمان الاصلية من ابتداء عهد
خلقة الانسان الى عهد تفرق الامم بعد الطوفان
وفيه فصلان

(معربا من تاريخ اليهود المختصر للمؤرخ فرانسيس لونورمان وأصل ما خذ الباب الاول لغاية الباب
الحادي عشر من سفر الخليفة من التوراة)

أفكار تقديمه وفوائده العمومية

هذه المدة تشتمل على تاريخ نوع الانسان من أول عهد مباديه أعني من أول ما خلقه الرحمن فنشأ
غريبا وحصل له على الارض ازل الاستيطان قبل الطوفان وبعد الطوفان فنأزلا الى عهد تفرق
الامم وانتشارهم في البلدان وهي تنقسم كما أسلفناه آنفا بفصل حادثة الطوفان سالفًا وخالفًا
الى عهدين مختلفين ومدتين أصليتين

الاولى من عهد خلق الانسان لغاية حادثة الطوفان أعني من ابتداء سنة ٤١٣٨ ق. فإزلا لغاية
سنة ٢٤٨٢ قبل ميلاد المسيح وهي سنة حصول حادثة الطوفان على الاصح أو الاقرب للصحيح
كما اختاره علماء الازمان وهي عبارة عن مدة ١٦٥٦ سنة شمسية حسب ما يؤخذ من نسخة
ترجمة التوراة اليونانية المعروفة بالسبعين وكما اختاره المؤرخ الانجليزي المسمى باسم كلا تون وغيره
من جمهور المؤرخين الفرنسيين ويعبر عنها في اصطلاح المؤرخين الاوروبيين بالمدة السابقة على
الطوفان

الثانية من عهد الطوفان لغاية تفرق الامم في البلدان أعني من ابتداء سنة ٢٤٨٢ ق م
فنازلا الى النهاية هي غير محققة بعد اذ لم يعلم تاريخ معين لهذا العهد واما يفهم من كلام بعض
علماء الازمان الاوروبيين لامن قبيل اليقينيات العلية بل من قبيل الحدسيات التاريخية
ان النمرود كان قد اختط مدينة بابل العراق على شاطئ الفرات واختط أسور مدينة نينوى على
نهر الدجلة في سالف الزمان قد كان بعد الطوفان في نحو سنة ٢٢٠٠ ق م وبناء على
ذلك تكون هذه المدة عبارة عن نحو ٢٨٢ سنة شمسية ويقال لها في اصطلاح المؤرخين
المدة اللاحقة للطوفان وذلك بعيدا مما نص عليه أبو الفدا في تاريخه حيث قال «ثم ولد لغالغ
(بالغين المهملة في آخره) (رعو) ولغالغ مائة وثلاثون سنة وعند مولد (رعو) تلبلت

الاسن وقسمت الارض وتفرقت بنو نوح وذلك لمضى ستمائة وسبعين سنة للطوفان ، اه ما ذكره ابو الفدا من التفصيل والبيان والفرق جسيم فليتنظر وما قاله أبو الفدا هنا أيضا هو مخالف لما سنقله بعد عن المؤرخ فرانسيس لونورمان (في الفصل الثاني من هذا الباب) من ان تبليبل الاسن وتفرق الامم كان في زمن فالنغ بن سام بن نوح عليه السلام وبالجملة فاقوال المؤرخين في تلك الاعصار الاولى لبعدها عننا هي مضطربة فليتدبر وعلى كل حال فقد لزم ان يكون في هذا الباب الاول فصلان

الفصل الاول

في تاريخ الانسان من عهد الخليفة لغاية حادثة الطوفان (من سنة ٤١٣٨ قنازلا الى سنة ٢٤٨٢ ق م) وفيه عدة مطالب

مطلب اصل مأخذ تاريخ اوائل الانسان وعدم امكان الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان وبعد الطوفان

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لا نعرف من تاريخ اوائل الانسان لغاية حادثة الطوفان ولا في شأن أصل النوع البشري كيف كان غير ما أفادنا به الكتاب المقدس (يعني التوراة) وان كان بعض الحوادث الاصلية من هذه التواريخ الاولى ترجع مأثورة مع بعض تغيير وتبديل في الروايات الاهلية والحكايات المليمة المتداولة في عدة أقطار شتى من الارض متباعدة بعضها عن بعض ولم يكن أهلها يتخالطون منذ ملايين من السنين

ومن المستحيل في الحالة التي صارت اليها المعارف البشرية في هذا الجيل ان يتوجه أمل أحد الى تعيين تاريخ معين لاول منشأ النوع البشري على وجهين فان التوراة لم يرد فيها عدد صحيح في هذا الغرض وليس لها في الحقيقة علم أرمان لا فيما يتعلق بالازمان الابتدائية السابقة على عهد خلق الانسان ولا في الحقبة الماضية من عهد الخليفة الى عهد الطوفان بل ولا فيما بعد الطوفان لغاية عهد بعثة ابراهيم (عليه الصلاة والتسليم) والتوقيعات التي زعمها المفسرون للتوراة انما هي أقوال هوائية ليس لها قيمة اعتمادية من الحيثية الاعتقادية بل هي من قبيل الخدشات التاريخية لا غير وغاية ما يصح ان يقال في هذا المجال هو ان ظهور نوع الانسان على الكرة الارضية انما هو حديث عهد جدا بالنسبة لجسامة مدة الاعصار الجيولوجية التي توالت على مادة الخلقة الكونية وان ما يدعيه بعض الامم الاقدمين كالاصريين والكلدانيين (العراقيين) والهنود والصينيين من أسبقية وجودهم على غيرهم من العالمين بملايين من السنين في رواياتهم الخرافية على حسب زعمهم في سالف الدهر انما هو بالكيفية والجزئية و حديث خرافة يأأم عمرو ،

مطلب خلقة الانسان ذكر في أول سفر الخليفة الذي هو السفر الاول من التوراة ان الله سبحانه وتعالى خلق على هذا الترتيب النور فالفلك فالارض فالكواكب السيارة فالشمس فالاسماك فالطيور وسائر أنواع الحيوانات ثم ختم صنيعته بخلقة الانسان وكان قد خلق آدم أولا

في حالة براءة مطلقة من الذنوب ونزاهة محققة من العيوب وسعادة تامة ثم عصى ربه كبراني جنة عدن اللذيذة حيث كان أولاً قد أسكنه فيها ثم أخرجه منها وحكم عليه لداعي هذا العصيان هو وخلفه بالسك والالم والموتان وصرح في سفر الخليقة المذكور بان الله سبحانه كان قد خلقه من أهل أمره للعمل غير ان هذا العمل صار تعب وأصعب تركه غير الخطيئته حيث قال الله تعالى له كما هو أنص التوراة « ستأكل خبزك بعرق جبينك » وسرى هذا الحكم على سائر ذريته

مطلب تاريخ الآباء الاولين والانباء السالفين - ولدا آدم وحواء اللذين هما أول زوج خرج الى حيز الوجود من يد الخالق المعبود ولدان

أحدهما قايين (وهو المعرب في القرآن العريث باسم قاييل)

الثاني **هابيل** وكان الاول قد اتخذ حرفة الفلاحة والثاني حرفة رعاية المواشي وهكذا نصت التوراة على أصعاد أولية هاتين الحرفتين الى أول عهد الخليقة البشرية وقتل قاييل أخاه هابيل حسدا منه بغضاله حيث كافأ الله أخاه على تقواه ثم هاجر بحالة يأسه على قتل أخيه التي صار اليها يوم نفسه وتوطن مع بنيته وعائلته وذويه على شرقي جنة عدن حيث انشأ هناك أول مدينة حدثت منذ خلق العالم من المدن سماها أنوشية (بالشين المعجمة في آخره) باسم ولده البكرى المدعو باسم انوش وكان الله سبحانه قد خلق الانسان على حالة من الهبات اللدنية العقلية والبدنية بحيث يقدر على أداء الغرض المقصود من ابرازه الى حيز الوجود أعني كونه ينشئ اجتماعات بشرية منتظمة ويحدث شركات تأنسية وترتيبات تمدنية تامة وقد نص سفر الخليقة المروي عنه أعلاه على ان عائلة قايين او قاييل هي التي ينتسب اليها أولية اختراع الفنون الصناعية ثم ذكر فيه انه ولد لآنوش بن قايين او قاييل

لامك اولامخ (بالكاف في آخره وقد يعرب بالخاء المعجمة من فوق) وولد لامخ عدة أولاد منهم

جايل الذي هو كالمخصوص بمن التوراة أبو الرعاة والقاطنين تحت الخيام

وجوبال مخترع الموسيقى (وهو من الالحان والمغاني)

وتوبال قايين او توبال قاييل الذي هو مبتدع فن سبك المعادن وصناعتها

ومنهم أيضا البنت المسماة **نعيمه** (على صيغة التصغير) وهي المخترعة لصناعة غزل صوف

المواشي ونسج الاقشة منه

ثم ولد لآدم ولد ثالث يسمى باسم **شيث** وهب الله آدم عدة أولاد آخرين كثيرين لكن كان

ولده **شيث** هو الذي عمر تسعمائة واثنى عشرة سنة وصار له خلف كثير حافظوا بعناية الامانة على بقاء

الروايات الدينية الماثورة عن النبوة الاولى فيهم الى عهد الطوفان بخلاف ما كان عليه غيرهم من

بقية ذراري آدم في تلك الازمان من الاعتكاف على عبادة الاوثان والانهمالك على الرذائل

التي تفل بمرتبة الانسان ثم بعد ذلك صارت هذه الفضيلة وآلت تلك المنقبة الجميلة من أبناء **شيث**

ابن آدم الى بني **سام بن نوح** (عليه السلام) ومن أبناء **شيث** بن آدم

اينوس (بالسين المهملة في آخره)
وقاينان اوقيننان (بتشديد الياء او بتخفيفها للتعريب)
ومهلثيل (بياء هموزة ثم ياء أخرى مشناة من تحت)
ويرداويزد (بالدال المهملة او بالذال المنجمة كما في تاريخ أبي الفدا)
وحنوخ (بحاء مهملة ونون يلبها واو فحاء معجمة في آخره وهو ادريس كما في تاريخ أبي الفدا)
وهو الذي سار في سبيل المولى الباقي مدة ثلاثمائة وخمس وستين سنة ثم رفع الى السماء
ومن ولد حنوخ أيضا **ما توزاليم اومتوشلخ** (بتاء مشناة من فوقها وقيل بتاء مثناة وآخرها
مهملة كما ضبطه أبو الفدا) وهو اطولهم عمرا عاش تسعمائة وتسعا وستين سنة
ثم **لامك اولاخ** (آخر غير لا مخ بن أنوش بن قاين اوقايل السالف الذكر)
ثم **نوح** وهو أبوسام وحام وياقت وقد كان كل منهم اصلا لنسل كثير وخلف كبير (كما سيأتي
توضيحه بعد) اه معريامن مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان
تنبية حصل في هذا الفصل من تاريخ أبي الفدا نقلا عن ابن الاثير وغيره رحمهم الله تعالى
أجمعين في عمود نسب الآباء الاولين والانبياء السابقين نخط كبير ونحيط لا ينحفي على النقاد
البصير وكلاهما في ذلك معذور بالنسبة لما هو هنا مذکور من تصحيح النسب نقلا عن اصل
التوراة الاصلية وهو أخرى بالالتفات اليه والتعويل عليه والشئ من معدنه لا يستغرب (رجع
للقفل من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ما حصل عليه العثور من الآثار الواهية للاجيال الانسانية الخالية
دلت الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة على تمام نصديق ما قص في نص الكتاب المقدس
(يعني التوراة) في شأن اصل نوع البشر وكيفية مباديه في أول الامر وذلك بواسطة ما حصل
العثور عليه من الآثار العديدة والعلامات المفيدة الدالة على اصل وجود الانسل قبل
الطوفان في طبقة الاراضي المتكونة بعد العهد السابق على مدة عهدنا هذا المنفصل منه بفواصل
هذه الحادثة الكبيرة المذكورة فان بعض امتعة منزلية وآلات معاشية عمارية مصطنعة بيد
الانسان مع بعض عظام بشرية من بقايا اجسام الناس في تلك الزمان وجدت في تلك الطبقة
الارضية مختلطة بآثار عظام الحيوانات الغائلة والوحوش الهائلة التي كانت موجودة بتلك
الاعصار فيما نحن مقيمون عليه الآن من الاقطار ثم زالت بحادثة الطوفان كنوع الحيوان
المسمى باسم الماموت (او الفيل ذي اللبد) ونوع الحيوان المعروف باسم الكركدان او الخرطيط
(أو ذى القرن القاتل للفيل) ذى الشعر الطويل وفرس البحر والنمر والذئب والضبع والذئب
وقد وجدت جميع تلك الحيوانات كلها كبرجها واكثر قوة وعزما من انواعها الموجودة الآن
ولقد كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الارضية على العموم اربال الجهات المغربية تسمى بالخصوص

لا اقل في تلك الاعصار السالفة اشد قساوة وصعوبة على نوع الانسان مما صارت اليه بعد في الزمان
الخالفة لغاية الآن فكانت اشبه بما هو متسلطن في هذا الزمان من درجة الهواء الجوية بالجهات
الشمالية من بلاد الروسية وكان البرد الشديد متحكماً بجميع بلاد اوروپة يقع فيها من الجبال قطع
هائلة من الثلج فتبقى في جميع الاودية المرتفعة وكان وادي الرون (بلاد اوروپة) مثلاً عند الغاية
جبال يورة وكان بعض انواع الحيوانات التي لا يمكن ان تعيش الآن الا في نواحي القطب تعيش على
سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) في ذلك الزمان ومن ثم يعلم كيف كانت من حالة
الشدّة والصعوبة معيشة الناس قبل الطوفان في مثل هذه الدرجة من الاقليم وفي وسط وحوش
غائلة يضطرون للدفاع عن أنفسهم منها على الدوام في كل حين واوان وفي الحقيقة يظهر ان ما كان
قد قضى الله سبحانه وتعالى به على النوع البشري من الالم والحكد على سبيل العقوبة في نظير
عصيان آدم عليه قد كان ظهراً أثره على الناس في ذلك العهد منذ عهد المباشرة للذنب على وجه
اصعب واتعب مما صار اليه الحال فيما بعد

وقد كان الناس الذين حصل العنور لهم على بعض الآثار في الاراضي السابقة على حادثة الطوفان من
تلك الاعصار في اقبح حالة من التوحش والاعسار لا يعرفون زراعة الارض ولا رعاية المواشي ولا
بناء مساكن ياوون اليها بل كانوا باعائلا تهم يهيمون في الغابات ويتقوتون بمجرد الثمرات الوحشية
وما تيمر من الصيد ويسكنون الكهوف الجبلية ويستترون بجلود الحيوانات ليدفعوا عن أنفسهم
شدة البرد وكانوا يجهاون صناعة المعادن فلا يتخذون منها الاسلحة الحربية ولا الادوات المنزلية
ولم يمكن لهم من الادوات في ذلك الزمان غير قطع من حجر الصوان مقتطعة على هيئة غليظة
او عظام حيوانات مسخونة ومع ما كان عليه نوع الانسان في تلك الزمان من حالة التوحش
والبداءة يرى بديهانه كان له قوى عقلية وغرائر خلقية يفوق بها سائر انواع المخلوقات من حيوان
ومعدن ونبات وذلك ان الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان كانوا بوسيلة ما بايديهم من
تلك الاسلحة الغشمية يغيرون على الوحوش التي تقشعر منها الابدان في هذا الزمان ويقوة التحيل
والخداع يتوصلون للظفر بها والغلبة عليها فضلا عن مجرد الدفاع وكانوا يعتقدون في حياة أخرى
غير الحياة الدنيا ويتخذون محافل جنازية على مقابر موتاهم ويعانون رسم صور بعض الحيوانات
المحيطة بهم بسن حصة يجعلونها كالاقلام على أحجار لينة او قطع من العظام من هذا القبيل
ما حصل عليه العنور بهذا العصر في كهف باقليم بريجورد (بلاد فرانس) من صورة فرد من نوع
الحيوان المسمى بالمماموت السالف الذكر مرسومة بيد رجل من الناس الذين كانوا موجودين
قبل الطوفان في سالف الدهر ولقد يرى في بعض تلك المبادئ الاولى من الصناعة التصويرية
ان نوع الانسان كان عنده الشعور بالامر الظريف وان كان لا يمكن لاحد ان يجتهد في تعيين وقت
معين لاولية هذا الفن اللطيف

ولقد ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية ان النوع البشرى كان قد انتشر قبل الطوفان على جميع سطح الكرة الارضية وأنه لم يكن شاغلا منها لاقبل من المسافة التي هو عليها الآن ودل كل ما استكشف من هذا القبيل من آثار ذلك الجيل على ان نوع الانسان قد كان في كل مكان من الارض في ذلك الزمان على مثل حالة التوحش التي كان عليها الجميع لا يتفاوت في ذلك بعضهم عن بعض غير انه مما ينبغي التنبيه عليه ويقتضى التيقظ اليه ان البحث عن تحقيق هذا القصد لم يحصل بعد في اقطار بلاد آسية التي اتفق جمهور العلماء عموما على انها كانت لنوع الانسان هي أول مهد وفي الواقع ونفس الامر قد كانت الامم الذين هاجروا من تلك الاقطار في أوائل ذلك العصر قد مكثوا على الحالة التي كان عليها آدم عند خروجه من جنة عدن بخلاف القبائل الذين بقوا منهم على القرب من ذلك الوطن الاصل والمهد الاولي فانهم كما يؤخذ من ذات حكاية التوراة كانوا هم الذين حصل فيهم تقدم التمدن الانساني الحسى المتصور في مادة انشاء أول المدن والتشيت بأول تربية المواشى وزراعة الارض واختراع صناعة المعادن وحرقة الغزال والحائك وذلك هو غاية ما كان قد وصلت اليه درجة التمدن الانساني فيما هنالك

مطلب قصة الطوفان ومع ذلك فقد كان فساد اخلاق الناس في ذلك الوقت لا يزال يزيد الى ما لانهاية لهم من الحدود وبلغ بغيرهم وطغيانهم لغاية أن المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم واراد أن يقطع دابرهم ويستأصلهم من أوطانهم الى آخرهم وكان نوح الذي هو من نسل شيث قد نفي وحده بحال الاستقامة والصلاح فلذلك اتم الله عليه وأمره أن ينشئ سفينة ليقيم عليها هو وبنوه مع سبعة أزواج من جميع أنواع الحيوان ثم ابتدأت طامة الطوفان وهي عبارة عن غرق هائل عم جميع سطح الارض واما ف على أعلى رؤس الجبال العليا وأهلك سائر الناس الذين كانوا موجودين في ذلك العصر بجميع اقطار الدنيا غير نوح وعشيرته حيث التجأوا الى سفينةه وقد نفي في ضمن الروايات الاهلية المتداولة عن كثر الامم القديمة ذكرى حادثة الطوفان والرجل الصالح الذي أنجاه الله لقصد عمارة الارض بالثاني واستكشف العلماء الجيولوجيون عدة آثار عديدة تثبت حصول هذه الحادثة الطبيعية الشديدة وقرروا انها آخر الحوادث الكبيرة التي كانت سببا لتكوين الكرة الارضية وصيرورتها الى الحالة التي هي عليها الآن وقالوا ان الانقلابات التي هي من هذا القبيل كانت كثيرة في سالف عهد خلقه الا كوان قبل ظهور الانسان وان كل دور جديد من أدوار تكوين الارض كان مسببا عن طامة كبرى من هذا القبيل وكان دور هذا الطوفان الاخير هو الذي قارن وجود الانسان على الارض وأنه هو آخرها وبه تشكلت الاراضي القارة (أى البرور) المقابلة للجزائر والبحور على الهيئة التي نراها عليها الآن من الجبال والسهول والوديان لم يتغير منها شيء فيما بعد عما كانت قد صارت عليه في ذلك الزمان بحادثة هذا الطوفان اللهم الا في بعض بقع يسيرة وقطع من الارض غير كبيرة لاسباب حوادث خصوصية وبواعث محلية

مطلب تحقيق عينية الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام ثم انه بعد ان مكثت المياه الطامية على سائر سطح الارض مسافة مائة وخمسين يوما اخذت في التناقص وفي الشهر الثامن من ابتداء تاريخ الطوفان وقفت السفينة على جبل ارارات او عرارات (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) والمراد به الجبل المسمى باسم اراراته عند سلف القبائل الياقشية الاولى وباسم ميرو عند أهل الهند وباسم جبل البرج عند الفرس أعني بولورداغ أي جبل بولورا والرتوة الالابية (نسبة الى جبال ألپه) المسماة باسم يامير في ولاية بخارى الصغرى (أي بلاد تركستان الصينية) وليس على الجبل المسمى باسم عرارات بلاد أرمنية قال المؤرخ المذكور هذا ما يدل عليه صريح نص التوراة وقضية ذلك انه قد تصرح فيها بان بنى نوح انما وصلوا الى سهل سنهار الكائن فيما بين دجلة والفرات من الموضع الذي وقفت عليه السفينة سائر دأئما من المشرق الى المغرب وهذا دليل لا يروج معه ان يظن كون مبداء سيرهم كان من بلاد الارمن بل من اكلته الجبلية الكائنة بولاية بخارى الصغرى (بلاد الصين) كما ينطبق عليه هذا الدليل على وجه تام مبين اه فتأمل هذا مع كون المكرم ويكتورد وروى مشى في توارينه على ان سفينة نوح وقفت على جبل ارارات بلاد الارمن وقال أبو الفدا (صفحه عدد ١٠٠ من نسخة تاريخه المطبوع بمدينة القسطة طينية في سنة ١٢٨٦ الهجرية) ما نصه « وكان استقرار السفينة على الجودي من أرض الموصل » اه كلامه بلفظه ومعناه وهو مخالف لما حققه المؤرخ فرانسيس لونورمان أعلاه فان أرض الموصل هي بلاد أرمنية بعينها وانما أخذ أبو الفدا قوله هذا من أقوال مفسري القرآن الشريف حيث قال الزمخشري في الكشاف « الجودي جبل بالموصل » اه وفي اتقان وزاد المولى أبو السعود في تفسيره « الجودي هو جبل بالموصل أو بالشام أو بآمد » اه وفي اتقان السيوطي « الجودي جبل بالجزيرة » اه ومن المعلوم ييقين ان جميع هذا لا ما كن هي في جهة الغرب من المكان المدعوب باسم سنهار الواقع عند ملتقى دجلة والفرات من اقليم بابل القديمة (ولاية بغداد الآن) لانها كلهما من ممالك غربي آسية كما هو مذكور في جغرافية المعظم فوزي تبير الفرانساوي الشهير واذا كان مبدأ سفر بني نوح بعد الطوفان قد كان من ايترب عليه ان سفرهم كان من المغرب الى المشرق بخلاف الوارد بنص التوراة فليتنظر هذا مع ما حققه المؤرخ المحقق والعالم المدقق فرانسيس لونورمان السالف قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما ملخصه وأما سبق الظن لكونه هو جبل ارارات الكائن ببلاد الارمن فذلك الاداعي ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الاوطان في سالف الازمان اطلقوا على بعض الاماكن من اوطانهم الجديدة أسماء بعض اوطانهم القديمة كما هي العادة المعهودة اه معربا باختصار (رجع للنقل فيما يتعلق بالطوفان من كتاب مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان) قال مؤلف الاصل ثم أخذت الارض في الانكشاف فارسل نوح عليه السلام جماعة من الحمام

الذي كان معه بالسفينة طارت ثم رجعت عند غروب الشمس وفي منقارها غصن من شجرة زيتون استدل به على ان المياه قد تقشعت عن الارض وانه يمكنه ان يخرج اليها ويستولي عليها حيث جفت ونشفت ولما خرج نوح من السفينة مع بنيه الثلاث ومن كان معهم من الالبان قرب للمولى سبحانه وتعالى قربا بالشكر اله على ما اولاه من النجاة وعاد يزرع الارض كما كان وكان نسله كثيرا جدا حيث عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وكان مبالغ عمره حين لحقته الوفاة تسعمائة وخمسين عاما

الفصل الثاني

في تاريخ نوع الانسان بعد الطوفان من سنة ٢٤٨٢ فنار لا غاية نحو سنة ٢٢٠٠ ق م

مطلب تفرق الامم بعد الطوفان الى البلدان

قال مؤلف الاصل وكانت ذرية نوح قد تكاثرت جدا في اسرع وقت غير انه من ابتداء ذلك العهد كانت اعمار بني آدم قد تناقصت نقصا كبيرا وصاروا لا يعيشون كثيرا بل صارت الاعمار البشرية في ذلك العصر على العموم لا تنيف على متوسط الاعمار المعتادة في هذا العصر كما صار ذلك من المعلوم بدليل ما شوهد من هذا القبيل في اقدم الكتابات المصرية العتيقة المؤرخة من نحو ألف سنة قبل بعثة ابراهيم عليه السلام وان كان سام بن نوح (وكذلك اخواه المذكوران بحسب التخمين) قد عمر عدة قرون وقد ذكر نص التوراة ان اهل البيت الذي نشأ فيه ابراهيم عليه السلام كانت اعمارهم لغاية نشأة ابراهيم فيهم تطول أكثر من اعمار غيرهم من الناس الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت وذلك من غير شك ولا نكر لداعي ما كان قد اعتاد عليه الالباء الاولون والانباء السالفون في طريقة معاشهم من اخلاق القناعة والاكتفاء من العيش بالشئ النزر

وكان كل اهل بيت من البيوتات واعضاء كل عائلة من العائلات في ذلك العصر يتكلمون في أول الامر بلغة واحدة ويتفاهون بلهجة متحدة فلما توالى بعد الطوفان عدة قرون من الزمان كانت ذرية نوح عليه السلام قد كثرت جدا واستقرت في السهول المتسعة الكائنة من بلاد آسية فيما بين دجلة والفرات من تلك الاقطار وهي القطر المسمى في مبادئ ذلك العصر باسم سنيهاز ومعناه بلغة بني سام القديمة بلاد النهرين ثم فتحكم فيهم الكبر والعجب بانفسهم لداعي كثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيل لهم انهم على كل شئ قادرون وتوهموا يجهلهم انهم بكل امر جديرون فقال بعضهم لبعض هيا بنا نبني مدينة وصرحا عاليا تبلغ رأسه السماء فاستقم الله من كبرهم بان خلط لغاتهم بحيث صاروا لا يفهم بعضهم بعضا فاضطر والافتراق في البلدان وذهبت كل عائلة أو جملة عائلات مجتمعة بما بقي معها من اللهجة التي حفظتها فتكلمت بها من حيثئذ ومن ثم تولدت في اقطار العالم أنواع اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التي رتبها العلماء على عدة مراتب متميزة بحسب ما يوجد بينها من علائق المشابهة والموافقة وعلى هذا الوجه كان أصل منشأ الانسال البشرية

الثلاث الذين عمرت بهم الدنيا بالشاني بعد الطوفان وهم

ولد حام انتشروا في قطعة من آسية وافر يقية

ولد سام باقطار آسية

ولد يافث باقطار اوروپه

وتبقى الصرح المذكور غير تام التشييد والتعمير يسمى باسم بابل ومعناه بلغه بقى سام السلف الاختلاط لداعي اختلاط اللسان واللغات في ذلك الموقف وكانت حادثة تلبيل اللسان واللغات وتفرق الامم الى سائر الجهات كما يؤخذ ذلك من ظاهر معنى عبارة التوراة وان كانت قد كثرت عليها من المفسرين لها الشروح والتأويلات في زمن ولد سام المسمى باسم فالغ (بالعين المعجمة في آخره) وكان خامس ولده وقد وقعت تلك الواقعة على عهد قريب من مولده فدعى بهذا الاسم ومعناه الفراق تذكارا منهم لهذا الحادث

تنبيه قف على هذا القول مع ما سبق عن أبي الفدا من النقل

قال مؤلف الاصل على انه لا يوجد في نص التوراة ما يمنع من الظن بأن عدة عشائر من ابناء نوح الذين كان قد أعدهم الله لعمارة الارض بعد الطوفان بالشاني كانوا من قبل قدها جروا من ذلك المسكان الذي كان قد اجتمع فيه جملهم والتأم فيه شملهم وانشأوا بعض زائل مستعمرة خارجا عن مركز هذا المجمع العام ودليل ذلك أن تناسل أولاد نوح عليه السلام من يافث وسام وحام على الوجه الذي ورد به في سفر الخلق من التوراة لم يتعرض فيه الا لامم الطائفة البيعنا من نوع البشر ولم يذكر الطائفة الرنجية او السود ولا الطائفة الصفراء (بنى الاصفر) التي منها سكان بلاد الصين

مطلب ذراري بني نوح عليه السلام - نسل حام

يظهر ان من قبيل اليقينيان الرجحة والحوادث التاريخية الصحيحة كون بني حام كانوا قد توطنوا أولا في أكثر اقطار بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل بني سام وأن هؤلاء الاخبرين طردوهم منها وازالوهم عنها ودليل ذلك ما ذكر في التوراة من أن النمرود الذي هو ولد كوش بن حام حكم ولاية بابل واختط مدينتي آراش وشالانه (مدينة أور) في بلاد سنهار وكان اول من انشأ اقدم دولة او سلطنة في سالف الاعصار وان جماعة من بني حام كانوا اول من عمر البلاد المحاطة بنهر جيحون لغاية الصعيد الاعلى من مجرى نهر السند وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الآن على الاعتراف بان الاقطار السكائنة على شواطئ نهر الدجلة من بلاد الميديّة والفرس لغاية بلاد الهند كانت عامرة في سالف العهد من بني كوش بن حام قبل ان يشغلها بنو سام والقوم المسمون باسم الأرياء أو الآريين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ولنا من الاسباب القوية ما يقتضي أن القوم المسمين بالسكراريين وهم أول سكان الجزء الاعظم من بلاد الارمن في سالف الزمن كانوا أيضا من ولد حام ولا شبهة لاحد في أن ولد حام المذكورين كانوا هم القوم المتحكمين دون غيرهم من الاقوام السالفين

الدرس الثام ٥٧ في التاريخ العام

السالفين في أول الامر على سواحل بلاد القرمات و بلاد الجيدرو زية (وهي الاقليم المدعو الآن من بلاد ايران التي هي مملكة العجم باسم ميكران) وعلى طول سواحل البحر المحيط الهندى وسائر الاطراف الجنوبية من الجزيرة العربية

وهكذا يرى مما ذكر أن بني حام هم الذين كانوا أول المهاجرين عن مركز اجتماع الناس الأولين من الانسال الثلاثة الاصليين الذين تفرقوا بعد تبلبل اللسان واللسن بصرح بابل في سالف الزمن وانتشروا أولا في اوسع مسافة من الكرة الارضية وانشأوا أقدم الدول الملوكية وانهم كانوا هم الذين حصل فيما بينهم اسرع الحركات التقدمية في امور التمدير المادية غير ان نزاع عليه السلام كان قد دعا باللعنة على ولده حام لدأى انه كان قد آساء الادب في حقه اذ كان أبوه قد شرب خمرافسكرا فأنكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه أبوه فقال له انك لتكون خادما لياقت وسام واقدمت على تلك اللعنة على الوجه التام وذلك ان الممالك التي كان بنو حام قد أنشأوها لم تلبث ان تخالطت مع أقوام من نسل أخويه المذكورين فتنازعوها معهم وكانت الدائرة على أبناء حام والغلبة لابناء ياقت وسام فاخذوها منهم واستوطنوها بدلا عنهم واقام ولد سام في بلاد كلداء والشام وفلسطين وجزيرة العرب واقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين في بلاد الهند وفارس (بلاد العجم) ولم يبق لنسل ولد حام الملاعين دولة الا بافرقية وخصوصا بالديار المصرية حيث كان لهم بمصر في ذلك العصر اى نزل مستعمرة وابهج دولة ظاهرة (يعنى دولة الفراعنة الغابرة) بل استجيبت الدعوة الابوية باللعنة على بني حام حتى في تلك الاقطار فيما بعد على توالى الاعصار حيث كان بنو حام وان مكنوا مستبدين بدولتهم مستعلين بصولتهم في تلك النواحي أكثر من غير هال كنهم كانت عاقبة أمرهم في آخر عصرهم بأن صاروا فيما بعد خدما لابناء سام وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفنيقية والديار المصرية وشمال افريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولدياقت صاروا بعد ذلك أيضا تحت طاعة العرب المسلمين مسافة مدة مديدة من القرون واستولى الحبش الذين أصلهم أيضا من ولد سام على الايتيوبين (وهم سكان بلاد الحبشة الاقدمون) وبالجملة فاذا كان ولد حام قديقا للغاية هذه الاعصار متوطنين في بعض الاقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائما اصل اهلها فانهم منذ آلاف من السنين لم يتيسر لهم فيها ان يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم أعنى انهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة او ملة مستقلة

مطلب ذكر ولد سام واما ولد سام فقد كانوا ثاني من انتشر في الارض بعد مهاجرتهم من مركز الجمع الاصلى والمكان الاول الذى كان قد اجتمع فيه افراد الانسان بعد الطوفان وتوطنوا في النواحي الممتدة من عند النواحي العليا من بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة) لغاية جنوب جزيرة العرب ومن عند سواحل بحر سفيد لحد ما وراء نهر الدجلة وحيث نشأ ولد سام بن نوح

الدرس التام ٥٨ في التاريخ العام

كان أصل الاسوريين (او السريانيين) والعبرانيين (أى اليهود أو الاسرائيليين) والعرب والسوريين (الشاميين)

مطلب ذكر ولد يافت وأما يافت بن نوح فدلّول هذا اللفظ في اللغة السريانية القديمة الانتشار وانما سمي بذلك لكون خلفه انتشر واعلى مسافة متسعة من الاقطار وقد ذنوا آخر من اجتمع شملهم فهاجروا من المكان الذى كان قد اقام فيه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة (على الخلاف السالف الذى حصل في هذا المسألة بين العلماء الاعلام) قال مؤلف الاصل وانما لم يذكر في التوراة تعداد جميع شعوب بني يافت الذين تربطوا في جميع البلدان بعد الطوفان لداعي ان موسى عليه السلام كان قد اقترعهم منهم بالضرورة على الامم المعروفة في العبرانيين المعاصرين له واما علماء هذا العصر الاوروبيون فانهم استدلو بالبراهين المستنبطة من المشاهدات النيزولوجية (نسبة لعلم النيزولوجية أى علم منافع الاعضاء الحيوانية ومعرفة كيفية تركيب البنية الجسمانية) ودلائل العلائق اللغوية فتوصلوا في هذه المسألة بطريق الاثبات لتقيم ما ذكر من شهادة سفر الخليفة من التوراة وارجعوا عدة عديدة من الامم التي هي الآن موجودة لاصل الشجرة اليافقية واتفق جمهورهم على وجه العموم على ان من ولد يافت بن نوح في بلاد اوروبة اليونان والرومانيين والجرمان او الالمان والسلافيين والاسكندريين والاسلاويين وفي بلاد آسية فارس والميديين والبكتريين والطبقات العليا من أمم الى بلاد الهند وذلك ان هؤلاء الاقوام المتأخرى الذكروا قد اجتمعوا في سالف العصر باسم الآريين وكانوا عدة عديدة وأعمار عديدة ملتئين في الاقطار التي يسقيها كل من نهري جيئون وسيجون أعنى بالقطارين المسميين أحدهما ببلاد البكترية (وهي المسماة الآن بخانية بلخ من بلاد التتار المستقلة ببلاد آسية) والثاني ببلاد السوجديان (وهي ما يسمى الآن بخانية بخارى وحقوقند وما يليهما من تلك البلدان) وقد كانت تلك الاقطار هي أول الاوطان التي أقام فيها جميع بني يافت في سالف تلك الزمان ثم تفرع منهم فرع توجه الى جهة الجنوب وتعدوا الى ما وراء الهند كوشا والهند كوه (بالشين المججمة او بالهاء في آخره) وهي سلسلة الجبال السكائية في وسط بلاد آسية فيما بين ٢٤ الى ٣٦ درجة من العرض الشمالي و ٥٩ الى ٧٢ درجة من الطول أعنى البلاد الممتدة (من عند تنوم ملكة فارس الى حد الشاطئ الايمن من نهر السند) وتوغلوا في بلاد الهند بازالة من كان قد سبقهم اليها من ولد سام عنها او بادخالهم تحت طاعتهم وغلبتهم عليهم وتوطن فرع آخر منهم بالبلاد الممتدة فيما بين بحر الخزر والدجلة وفي جبال بلاد الميديه وفارس بل يرى انهم كانوا قد خالطوا في بعض الاحيان من سالف الزمان الاسوريين وحكموهم مسافة عدة قرون من الزمان وحيث كان الامر كما ذكر يتمضى ان يكون ولد يافت هم من يعبر عنهم أيضا باسم النسل الهندي الاوروبي الاشارد الى سعة ما استولوا عليه من الممالك والبلدان (قال مؤلف الاصل) وهذا هو النسل الذي نحن منه.

وهو النسل الشريف الصحيح والفرع النوحى المدعوله بالوجه الصريح الذى نيط اليه من الملك
المدير لجميع الكائنات امانة تبليغ درجة الفنون والعنوم والفلسفة وسائر المعلومات الى درجة
كمال لم يصل اليها غيرهم من التسليين الاخرين فقد ورد في نص التوراة ان نوحا عليه الصلاه والسلام
دعا ليافت بقوله « يارك الله فى يافت وأمد عقبه الى أمد بعيد واسكنه فى خيام سام وجعل طاماله
من الخدام والعبيد » ولقد تحقق هذا الدعا وتصدق هذا الرجا وظهر من هذا الخبر بالغيب
اتم الاثر فان نسل يافت لم يكونوا فقط أكثر عددا وأكبر ملكا ومددا من سائر من عداهم من
نسل أخويه بل هو النسل المتسلطن على المملكة الدنيوية ولم يزل يتقدم فى كل يوم الى ان يصير
ليده مقاليد السلطنة العمومية

مطلب مراتب اللغات البشرية الاصلية اعلم ان كل واحدة من الفروع البشرية الاصلية
الثلاثة التى ذكرنا كيفية نسبتها بناء على سفر الخليقة من التوراة يقابلها مرتبة أصلية وفصيحة اولية
من مراتب اللغات البشرية التى حصل الاستدلال على ترتيبها بواسطة علم اشتقاق اللغات الانسانية
ومقابلة بعضها ببعض من حيث المشابهات اللسانية وذلك انه قد تحقق بالادلة النظرية انه يوجد
أظهر المشابهة اللغوية بين اللهجة الهندية المقدسة القديمة المسماة باسم السنسكريت ولغات فارس
واليونان وايطالية القديمة والسنة الجرمانيتين والاسكندينية واويين والسلتين والاسلاويين (بلاد
أوروبية) وثبت عند العلماء الاورپاويين المتأخرين اتحاد المواد الاصلية والاصول الاولية التى
قد كان منها منشأ اشتقاق جميع هذه اللغات المتنوعة واللهجات المتفرعة وعلم انها كلها ترجع
الى لغة أصلية ولهجة اولية وهى لسان القوم المسمين بالآريين السالفين فى قديم الزمان حيث
استدل على معظمها الآن ومن ثم استنبطوا أعنى انهم بنوا على ما تحقق عندهم من النسبة
بين اللغات بانضمامها الى ما ثبت من الروايات عن التوراة انه يوجد أصل عام لجميع فروع
نسل يافت بن نوح عليه السلام

وغاية ما هناك ان أصل ما جوج بن يافت هو المستثنى وحده من ذلك كله حيث تحقق ان اللغات
التورانية (نسبة الى بلاد توران التى هى بلاد التتار المستقلة الآن فى مقابلة بلاد الفرس المسماة
بايران) وهى اللغات التتارية (أى لغات قبائل التتار بلاد آسية) واللغات الفنلندية (لغات بنى
ما جوج بلاد أوروبا) أعنى سائر لغات ولده ما جوج المذكور يتكون منها مرتبة لغوية منفردة
وحدها وفصيحة من اللغات مقيرة عن غيرها مستقلة بمفردها لكن هناك بعض علامات تدل
للظن بأن تقدمات العلم لا بد وانها تصل ذات يوم لارجاع فصيلة اللغات المذكورة الى أصل اولى
وماخذ سابق من أصول مرتبة اللغات الهندية الاوروبية وعسى ان تكون هذه الطائفة
اللغوية الى أوججية انما هى فرع انفصل من أصل شجرة مرتبة اللغات الهندية الاوروبية
بعمومية قبل غيره من سائر الفروع اللغوية

وليس اتحاد لغات بني سام باقل وضوح من اتحاد مرتبة لغات بني يافث وذلك انه قد تحقق عند علماء
الافرنج الا ان لغات الكلدانيين (أى البابليين او قدماء العراقيين) والسوريين (أى قدماء
أهل الشام) والعبرانيين والاسوريين والعرب والحبشة كلها مرتبطة بعضها مع بعض باشد الروابط
القراية واوكد العلائق النسبية بحيث يتكون منها مجموع مرتبة لغوية تام وأصل فصيلة لسانية
عام ويقتضى ان ينضم اليه أيضا لسان الفنيقيين (أى السوريين) وان كانوا من ولد حام بواسطة
ولده كنعان لكنهم لما كانوا قد دخلوا بني سام مخالطة شديدة مدة أعسار عديدة امتزجوا بهم
بطريقة أكيدة جدا حتى تسكموا بلغتهم وصاروا من حيث ترتيب اللغات يعدون في مرتبتهم
وكذلك لغات بني حام يتكون منها مرتبة لغات متميزة وفصيلة لهجات متبانية لم ينزل تنفر علماء
اشتقاق اللغات البشرية يؤدي للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها واهمها وأتواها لغة
القبطية القديمة حيث ثبت بواسطة معرفتها والوقوف عليها الا ان انه يرجع اليها بالضرورة لغة
الليبيين (سكان جبال ليبيا) وهي بلاد برقة وما والاها من بلاد افرقية وهذه اللغة هي التي
لم ينزل يتكلم بها لغاية الآن الاقوام المعروفون بالقبائل والطوارق بشمال بلاد افرقية وكذلك اللغة
الايتيوبية القديمة التي لم ينزل يتكلم بها لغاية عصرنا هذا قبيلنا العرب البشارية المقيمة على شواطئ
نهر النيل الاعلى

تتمة

تتضمن على عدة مسائل

المسألة الاولى (من تاريخ جيلمان)

(قال مؤلف الاصل) قد تحصل لنا مما ذكرناه ان تاريخ تمدن بلاد المشرق الذي ذكرت أحباره
وانتشرت آثاره عن السلف في قديم الزمان يصح ان يقال انه يرجع لتاريخ طوائف ذراري نوح
السلان الذين تعمروا منهم الارض بالثاني من بعد الحوادث المذكورة وهي متبانية كل منهم
عن الاخرى كل التباين في الاخلاق والعوايد والالسن والعقائد وهي كالمبين بعد
الاولى طائفة بني يافث ويعبر عنها أيضا بالنسل الهندى الاوروبى وهي تشمل كذا ذكرناه آنذا
على الطبقات الشريفة العليا ببلاد الهند وفارس واهل جبل قوه فاف او القوفارية واهالى اقطار
أوروبية كلها

الثانية طائفة بني سام وهي تشمل على جميع اهالى بلاد آسية انغريية والجنوبية من عند نهر
الفرات الى حد بحر سفيد

الثالثة طائفة بني حام وهي تشمل على جميع اهالى افرقية وخصوصا المصريين والايثيوبيين
غير ان الفنيقيين والقرطاجيين الذين هم خلفهم وان كانوا من بني حام بواسطة ولده كنعان

الدرس التام ٦١ في التاريخ العام

لكنهم لداغى اختلاطهم بينى سام صبح أن يلحقوا بهم ويعلموا منهم والذي دل على تمييز الطوائف أوالانسأل الثلاثة المذكورة هو ما حصل بعناية علماء الافرنج المتأخرين من امعان النظر الدقيق وزيادة التأمل بعين التحقيق فضلا عن الاخبار التوراتية والآثار التاريخية ومقابلة الاشتقاقات اللغوية وكيفيات تركيب البنية الجسمية في افراد كل واحد منهم حيث دلهم كل ذلك على اخوية سائر الأمم المتنوعة والاقوام المتفرعة عنهم ورجوعهم الى أصل واحد منهم فمن ذلك ما ثبت عندهم من أن اللغة الهندية المقدسة القديمة المسماة بالسانسكريت يوجد بينها وبين لغات فارس واليونان وايطالية القديمة مشابهة عظيمة جدا وان هذه اللغة العتيقة قد كانت مستعملة بالحقيقة فيما يتعلق باصولها الاصلية في الاعصار الاولى لا اقل في سائر الاقطار الممتدة من أول بلاد الهند لغاية بلاد الاسكندرية (ببلاد أوروبا) ومن ثم استنبطوا أن الهنود والفرس والجرمان أو الالمان واليونان كلهم يرجعون الى أصل واحد عام وهو يافث بن نوح عليه السلام وان عينية بنى يافث مع الطائفة الاهلية التي عبر عنها في اصطلاح العلماء المتأخرين من الملل الافرنجية بالطائفة الهندية الجرمانية أو الهندية الاوروية قد صارت من أوضح الواضحات والعلوم البديهيات على الوجه التام

وكذلك ثبت لديهم فيما يتعلق بطائفة ولد سام ان اللغة هي الرابطة العامة والعلاقة التامة الجامعة بين الكلذائين والسوريين والعبرانيين والعرب باضافة الفنيقيين اليهم ولا غرابة فيما لوحظ من اتحاد لغة الفنيقيين مع لغات بنى سام وان كانوا هم من بنى حام اذا نظرنا لما علم من شدة اختلاطهم وما ثبت خصوصاً من كون الفنيقيين المذكورين كانوا قد صاروا تحت سلطة الساميين من أول الامر في سالف الدهر (قال المؤرخ جيلمان المحكى عنه أعلاه) ومما كان يظن اولاً من مدة مديدة من الزمان بين العلماء الاوروباء وبين ان لغة قدماء المصريين هي لغة مستقلة بذاتها ولهجة منفردة على حدتها غير ان ما لم يزل يتحقق عند العلماء المتأخرين من العلائق العديدة والمناسبات الاكيدة بين اللغة الفرعونية والعبرانية يؤخذ منه كما هو المتبادر انه يقتضى ارجاع اللغة القبطية الى أصل جماعة اللغات السامية كما هو الظاهر (اه الى هنا معرباً من تاريخ جيلمان) قلت وعمد الايخالف ما نقلناه آنفاً عن مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانكيس لو نورمان من ان لغات بنى حام وهم المصريون والليبيون والايثيوبيون هي مرتبة من اللغات البشرية مستقلة وفصيحة متميزة من اللهجات التي اختص بها كل قوم من بنى نوح عند تفرقهم بعد الطوفان وذلك ان مرتبة اللغات الحامية وان كانت كذلك لكن ثبت عند بعض علماء الاشتقاقات اللغوية المتأخرين ان بينها وبين اللغات السامية مناسبة شديدة وقاربة أكيدة بحيث لا يمكن إلا أن تكون كلتا الطائفتين طائفة متحدة وكأن لغات بنى سام وحام قد كانت في الاصل واحدة كما ذكره فرانكيس لو نورمان في تاريخه الكبير فليتأمل

(ثم قال المؤرخ جيلمان بعد ذلك أيضا) ومن ثم استقر الحال على أن ينسب سام وحام ويافت هـم الذين تكونت منهم الاقسام الثلاثة الاصلية التي ترجع اليهم المراتبة الاهلية البشرية التي انبثقت منها في اصطلاح العلماء الاوروبيين المتأخرين بالقوقازية التي عمرت بلاد آسية الغربية وسائر الاقطار الأوروبية وشمال افريقية غير أن هناك مرتبتين أخريين وهما المراتبة الصفراء او المغلية (أي التتارية) التي اقامت دائما بالاقطار الشرقية والشمالية من آسية والمرتبطة بالسوداء او الزنجية التي انحصرت ببلاد افريقية اما السوداء فلاتار مع لها وأما الصفراء التي منها قبائل الماعل او التتار والصينيون فقد بقيت بمعزل تام عن مركز التمدن انعام فلذلك لم تتعرض لتاريخ هاتين المراتبتين من المراتب الاهلية البشرية الى آخر ما ذكره وبنى عليه طريقتا التاريخيتين

المسئلة الثانية

مطلب ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية
ما ذكر أعلاه في ضمن عبارة المؤرخ جيلمان فيما عنه نقلناه هو جعل المراتب البشرية الاهلية التي تنقسم اليها سكان الكرة الارضية من حيث الصفات الطبيعية والعقلية التي تتميز بها كل مرتبة منها عما سواها وذلك ان علماء التنوع جرافية والجغرافية رتبوا جميع سكان الكرة الارضية من هذه الحثية على ثلاث مراتب أصلية يعبر عنها بالانسال أو الانواع الاهلية البشرية وهي تتميز بميزا ظاهرا وتباين تباينا واضرا باختلاف الالوان وتقاديع الوجوه وشكل الرأس والشعر واللغات وغير ذلك جسيما بعدات

الاولى المرتبة البيضاء وهي عبارة عن النسل او النوع الأبيض من جنس البشر والادميين وتسمى أيضا بالمرتبة القوقازية او القوقازية (نسبة الى جبال قوقاز او قوقد في المسماة في كتب العرب بجبال قاف وهي سلسلة الجبال السكائية فيما بين البحر الاسود وبحر الخزر وهي بلاد بختر كسر والاباطة وجرجستان) وانما نسبت هذه المرتبة اليها لكون تلك الجبال هي موطن وعرصة تقربها في وسط الاقطار التي توجد فيها هذه المرتبة الاهلية ولدأى انه انما يوجد في احدى تلك السلسلة الجبلية أكمل افراد هذا النوع وأجل النموذج لهذا الفرع من الخلقة البشرية

وتنتشر هذه المرتبة في غربي القارة القديمة اعني في جميع بلاد أوروية والنصف الغربي من بلاد آسية وشمال افريقية وقد نزل منها عدة ترائل مستعمرة وقبائل متكاثرة في بلاد القسم الثالث والرابع من أقسام الدنيا العاصرة ولا سيما في بلاد أمريكية

والصفات الاصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الاهلية هي كون الرأس منها على شكل بيضاوي منتظم والجيبة عريضة تكاد ان تكون افقية وسعة العينين مع كونها في الاكثر متراوين او زرقاوين وشعورها جعدة دقيقة متضففة في الغالب وعلى وجه العموم سمراء ارضة قراء الافي الاقطار الجنوبية من الكرة الارضية حيث تكون شعور هذا النوع سوداء وزاوية الوجه منه على العموم

الدرس الثامن ٦٣ في انتشار النج العام

منعرجة جدا (وتعني بزوايا الوجه المتكونة من خطين متوهجين يبتدى أحدهما من ثقب الاذن والثاني من ابرز موضع من الحبهة ويتقاطعان عند اطراف الاسنان القواطع العليا) وأظهر ما تتميز به هذه الطائفة الالهائية من الصفات المميزة الاصلية هو كون البشرة الجلدية منها بيضاء وردية وقد يكون لونهما نالا لا سفرة بل قد يكون أسودا بالكلية في الاقطار الجنوبية وهذه هي صفاته الحسية بمعنى الظاهرية واما ما يتميز به من الصفات العقلية والمعنوية بمعنى الباطنية فهو كونه ذات نشاط وأقدام على الامور وطامع كبير واليه ترجع جميع الامم والملل الذين يدهم مقاليد رياسة المدن ومقاو يد سياسة قوة الدول

الثانية المرتبة الصفراء والنسل أو النوع البشري الاصفر (وهو المعبر عنه عندنا بيني الاصفر) وتسمى هذه المرتبة أيضا بالمرتبة المغلية (نسبة الى المغل بمعنى التتار رأى التتارية) وانما نسبت هذه المرتبة البشرية بهذه النسبة الاصطلاحية لكون اقوام التتار هم الذين يوجد فيهم أتم أنموذج من افراد هذه الطائفة الالهائية وعى تنتشر في جميع الاقطار الشرقية من بلاد آسية وقد يوجد منها أقوام قلائل وبعض قبائل في شمال شذال القسم من الارض وفي النهايات الشمالية من بلاد أمة رقة وأوروية وفي شمال الاوقيانوسيه

والصفات الاصلية التي تمتاز بها هذه المرتبة البشرية الالهائية هي كون وجوههم عريضة مستوية وأنوفهم فطساء أعينهم مستطيلة جدا مع كونها ضيقة من تقعة مائلة الى الخارج وشعورهم سوداء مصقولة متوترة والوانهم مصفرة اوزيتونية وزاوية وجوههم أقل انغراجا من زاوية وجوه المرتبة البيضاء وكثير من الاقوام الذين هم من المرتبة الصفراء هذه ولا سيما أهل الصين قد كانوا من أقدم الامم المتقدمة في سالف الاعصار واعتق الملل المتمصرة في جميع الاقطار وكانوا قد عرفوا من قديم الزمان كما عرف ارباب المرتبة البيضاء عدة فنون بدیعة وجملة صنائع عجیبة غير انهم بقوا في ماد المدن والحضارة على حالة واحدة من غير تقدم حتى فاقهم ارباب المرتبة البيضاء بكثير الآن واقصر سكان الارض المعمورة قاموا وهم الاقوام المسمون بالسكيمين واللاپونيين (وهم سكان أقصى شمال اوروية وآسية) هم من هذه المرتبة (وأطولهم قامة يبلغ أربعة أقدام أى ثلث و متر و ٣٥ سنتيمترا في الاكثر)

الثالثة المرتبة السوداء او الزنجية وهي تنتشر في وسط بلاد افريقية وفي جهة الجنوب منها وفي جنوب بلاد الاوقيانوسية كبلاد الاوسترالية منها ويعرف أهل هذه المرتبة بكون ألوانهم أما سوداء أو مسودة وجبا هم متخفضة مع كون الفكين بارزين والاسنان مائلة مع كونها أطول من اسنان المرتبتين الآخريين وأنوفهم فطساء عريضة وشدهم غليظة وافواههم متسعة جدا واصداغهم مرتفعة وشعورهم صوفية وزاوية وجوههم قليلة الانفراج وأهل هذه المرتبة هم أقل تمدنا والظاهر انهم أقل فهما وفطنة من ارباب المرتبتين السالفتين وقد استرق منهم الاوروابيون أتوا ما كثير بن

الدرس الثامن ٦٤ في التنازح العام

ونقلوهم الى بلاد امر يقية بحالة المأسورين فاستخدموهم هنالك في نرائلهم وادخلوهم في مستعمرات قبائلهم .

هذه هي المراتب الاهلية الاصلية التي ارجع اليها العلماء الاور وباويون جميع أنواع الاعم والممل الموجودين على سطح الكرة الارضية من الخلقة والبشرية وهناك عدة فروع أو انسال بشرية ثانوية بمعنى انها غير مستوفاة للصفات التي تمتاز بها على وجه بحيث تعد من احدى تلك المراتب الاصلية بل يوجد فيها بعض صفات من كل واحدة منها فهي مشتركة بينها لذلك سميت براتب البين بين الاهلية أو بالمراتب الفرعية او الثانوية فيها

أولا المرتبة الجراء ويقال لها الامر يقية وهي سكان بلاد امر يقية المتوحشون أي اهلها البليدون الاصليون وهم ذراري الاقوام الذين كانوا متوطنين بتلك القارة الجديدة قبل أن ينزل الاور وباويون اليها ويستولوا عليها ويتميزون بكون جلودهم حمراء نحاسية وشعورهم مستوية تدلية واعينهم متسعة ورؤسهم مستطيلة وجباههم منخفضة وانوفهم كبيرة بارزة

واطول سكان الارض المعمورة وهم القوم المسمون بالبتجونيين أو البتغونيين (بالجيم المجمعة التحتية أو بالغين المجمعة الفوقية) هم من اهل هذه المرتبة الاهلية الفرعية (وهم أناس يبلغ ارتفاع متوسط قاماتهم من ٦ الى ٧ اقدام أي أكثر من مترين لا إلى أكثر من ٨ اقدام أي إلى ما يقرب من ثلاثة امتار كما بالغ في ذلك بعضهم)

وقد ثبت عند العلماء الاور وباويين أن بعض الاقوام الامر يقيين الاصليين في الاعصار السالفة قبل أن تنزل عليهم النرائل من الاور وباويين قد كان لهم دول قوية وممل متمدنة غير انهم الآن انما هم أقوام متوحشون وقبائل ضعاف بدويون (انتهى الكلام على هذه المسئلة معربا باختصار من جغرافية فورتنبير الكبرى)

المسئلة الثالثة

مطلب حل مسئلة كبيرة ومنظرة هي بين العلماء الاور وباويين شهيرة وهي هل جميع سكان الأرض من مراتب الانسان هم من أصل نسل واحد وتويع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان وهذه المراتب انما هي فروع عنه متفرعة أم هم أنواع مستقلة متنوعة وبعبارة أخرى هل افراد العالم هم من نسل آدم واحد بمعنى أنهم هل كانوا في أصل نوعهم متحدين أم هم من انسال عدة أو ادم متعددين ويا هل ترى كيف الحال في هذه الحال وحاصل ما يقال في الجواب عن هذا السؤال هو ان هذه المسئلة خلافية فيها تولان شهيران ومذهبان مختلفان

القول الاول - قال بعض علماء الطبيعيات من الافرنج الآن وهم القائلون بتعدد اصل الانسان ان اصل جميع الناس من العالم متعدد وانهم ليسوا من نسل آدم واحد ولا نوع متحد قالوا بل هم أنواع متنوعة لافروع متفرعة وبنوا على هذا الكلام أن الطوفان لم يكن بعام واقوى

تليل لهم على ذلك وغاية ما يروج مذهبهم هذا فيما هنالك هو ان سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه عند الكلام على عمود تناسل الامم والملل الا قدمين من ابناء نوح الثلاثة يافت وسام وحام لغير المرتبة البيضاء وبعض المرتبة الصفراء من العالمين ولم يتعرض لكيفية تناسل الاقوام الزنجيين ولا لاهل الصين وغيرهم من كثير من الامم والملل الذين يقتضى أن يكونوا من أول عهد خلق العالم في الاقطار المتنوعة من الارض المعمورة موجودين مع تنوع انسا لهم وأنواعهم وتباين تقاطيع بنيتهم وطبائعهم اذ منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر وما بين ذلك القول الثانى - مذهب الطبيعيين القائلين بوحدة نوع الانسان على جميع الكرة الارضية من كل مكان سواء الابيض منه والاصفر والاسود والاحمر وبعموم حادثة الطوفان على سائر البلدان قالوا واختلاف الصفات والالوان انما هو ناشئ عن اختلاف احوال الاكوان المعبر عنه عندهم بالوسط الذى يكون عليه الانسان أى اختلاف الاحوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد المدنية التى يكون عاينها الشخص بحسب اختلاف الاوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب المعتمد المرجح الذى عليه جمهور علماء الانام من الافرنج وأهل الاسلام قال أبو الفدا فى تاريخه مانصه

« والصحيح ان جميع اهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى « وجعلنا ذريتهم هم الباقين » فجميع الناس من ولد سام وحام ويافت اولاد نوح عليه السلام » الى آخر ما ذكره واستدل علماء الافرنج على وحدة النوع البشرى فضلا عن هذا الدليل الثقلى بدليل آخر واقعى عقلى وهو ما شوهه فى جميع أنواع الحيوان من انه اذا حصل تزاوج نوعين مختلفين تولد منهما نتاج بصير عقيما كالبغل المتولد عن مزاج نوع الفرس والجار وبالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الانسان حيث يتولد عن مزاجه انساله كالابيض مع الاسود مثلا ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل وغيره كما يحصل تعلية الفرس العربى على البرذون اذ يترتب على ذلك تحسب من مادة النتاج لا عدم الانتاج ومن ثم استنبطوا ان مراتب الانسان ترجع كلها الى نوع واحد وأصل متحد بمعنى انها فروع عنه متفرعة لا انواع متنوعة واجابوا عن اقتصار التوراة فى توزيع بنى نوح على الارض وذكر البعض دون البعض بانه انما ذكر فيها الامم المعروفة للبرانيين فى ذلك العصر واستدلوا على عمومية حادثة الطوفان بما تحقق عندهم أيضا من البرهان على وجود طامة كبرى من هذا القبيل فى روايات اغلب الامم السالفة فى ذلك الجيل مع ذكر الرجل الصالح الذى نجاه مولاة وان اختلف منه الاسم فى رواية كل قوم منهم كما قدمناه وعلى كل حال من هذين القولين والمذهبين الشهيرين فبيان كيفية تناسل بنى نوح عليه السلام وانتشارهم فى انظار الارض حسبما يقتضى فى الباب الحادى عشر من سفر الخليفة من التوراة وكما دل عليه ما تحقق وثبت عند علماء

الافرنج المتأخرين من المعلومات هو كما في هذا المطلب التالي آت

المسئلة الرابعة

مطلب تفصيل ما اجل فيما تقدم عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام فيما يتعلق
يتناسل جميع أهل الارض من بنى نوح عليه السلام

عائلة حام نص في سفر الخليفة من ا تورااة على أنه ولد لحام بعد الطوفان أربعة سببان بهم
أولا كوش (بالشين المعجمة في آخره)

ثانيا مصر او مصرائيم (ببائين أولاهما هم موزة قسم في آخره)

ثالثا - فوت (بباء مشاة فوقية في آخره)

رابعا - كنعان (بفتح الكاف في أوله ونون موحدة فيها آخره)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير اما كوش فولده الايتيو بيون وهم اسلاف الحبش
حيث تحقق كون الصكوشيين هم عين الايتيو بيين وذلك أن كل ما عثر عليه من الكتابات
الهيوري بجليفية المصرية العتيقة وجد فيه التعبير باسم كوش عن جميع الامم والاقوام الساكنين
على شواطئ الصعيد الاعلى من النيل بجهة الجنوب من بلاد النوبة وبذلك ثبت ان كوسا هذا
هو ابوالسودان

واما مصرائيم فهو ابوالمصر بين لما أنه كان يهبر عن وادي مصر في التوراة دائما بلاد مصرائيم ولم
ينزل العرب لغاية هذا العصر يسمون جميع وادي مصر بتمامه أو كرسى ولايته فقط باسم مصر
(واخطأ من زعم أن مصرائيم هذا هو عين مينيس الذي هو أول ملوك مصر كما سيأتى توضيحه
في الباب الثاني)

وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجدد عند العلماء الاوروايين بهذا العهد
أنه ابوالاخم والاقوام الساكنين على السواحل الشمالية من افر يقية وان كان قد ذهب جماعة من
اعلمهم بهذه المادة ان اسم فوت هذا اذا أخذ على اعم اطلاقاته انما يدل على الاقوام الميديين
الاواين (أى أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين) الذين نزل بهم فيما بعد بعض
قبائل من بنى يافث وتوطنوا معهم

وأما اسم كنعان فلا شك في أنه يشمل الفنيقيين (أى الصوريين) وكل من انتسب اليهم بأكد
القراية من القبائل الذين كانوا قبل ان ينزل عليهم العبرانيون متوطنين بالقطار المدعو باسم كنعان
(من سواحل الشام) أى فيما بين صيدا وغزة لغاية سدوم وجومورة (من قرى قوم لوط عليه
السلام) اعنى سائر البلاد المنحصرة فيما بين بحر سفيدي وبحيرة لوط وهى البلاد المسمى اذ باسم يهودا
او فلسطين أو بلاد القدس الشريف

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور ومما يظهر من قبيل الامور المحققة والنظنون المصدقة ان بنى حام سكنوا في اول الامر الجزء الاكبر من بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل ان يتوطن بها بنو سام حيث جاء هؤلاء فطردوهم منها وأزالوهم عنها بدليل ان النمرود الذي هو من نسل حام حكم ولاية بابل واختط فيها المدينتين المسماتين باسم (أراش وشالانة) ببلاد سنهارا وشنغار وأنه كان أول من أحدث دولة وأنشأ سلطنة في قديم الاصرار وقد كان في ذلك العهد من بنى حام أيضا أول من سكن البلاد المحاطة بنهر جيحون مما يمتد لغاية نهر السند ولذلك سميت سلسلة الجبال الكائنة بتلك البلدان باسم هندكوش وبقى هذا الاسم يطلق عليها لغاية الآن وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الاور وباوين في هذا الاوان على ان سواحل نهر الدجلة وبلاد فارس الجنوبية وبجزء من ذات بلاد الهند (حيث يدعون القبائل الذين هم هنالك من أصل بنى حام لغاية الآن باسم الكوشيكاس) قد كانت كلها معمورة بأقوام من بنى كوش بن حام قبل ان ينزل بها عليهم أقوام من بنى سام ومن الآريين الذين هم من بنى يافت وهنالك أدلة قوية تدل للظن بأن القوم المسمين باسم الكاريين الذين هم أول من توطن بجزء عظيم من بلاد آسية الصغرى وأرمينية هم أيضا من ولد حام ولقد تسلطت عائلة حام أيضا على سواحل بلاد القرمان وبلاد الجيسد وزية (المسماة الآن باسم ميكران من بلاد فارس المسماة باسم ايران) وعلى طول البحر المحيط الهندي وجميع جنوب جزيره العرب كما ذكر آنفا في غير هذا المكان

عائلة سام — قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير أيضا ما معناه ذكر بنص التوراة أنه ولد لسام بعد الطوفان خمسة صبيان وهم كالمسطر أدناه

أولا - ايلام (بكسر الهمزة في أوله)

ثانيا - أسور (بمد الهمزة في أوله)

ثالثا - ارفخشذ (بالذال المعجمة في آخره) ومن ولد ارفخشذ عابر وقحطان

رابعا - لود (باللام والواو والذال المهملة في آخره)

خامسا - آرام (بمد الهمزة والراء المهملة والميم في آخره)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه كان أول من ولد لسام بعد الطوفان حسبما ورد في سفر الخليفة من التوراة مع غاية الايضاح والبيان هو ولده المدعو بايلام وهو أبو القوم المدعويين بالايلاميين الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان (وهي المسماة ببلاد خوارزم الآن)

وأما أسور فهو الولد الثاني لسام وهو أصل القوم أولى الدولة القوية والصولة الشديدة المعروفين باسم الآسوريين أو السريانيين الذين كان لهم أعظم مدخلة في تاريخ بلاد آسية الجنوبية قال في

التوراة مانصه « اختط آسور كلا من مدينة نينوى وريزانة (مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة) ومدنية كالاش ، ودل على ذلك ما تحقق الآن عند علماء الإفرنج المتأخرين من قراءة الكتابات الاثرية القديمة من أن اللغة التي كانت مستعملة في أقليم بابل وبلاد كلدة (أي بلاد العراق القديمة) هي عين اللغة التي كانت يتكلم بها في مدينة نينوى وهي اللغة السريانية العتيقة وكان أكثر الاهالي بتلك البلاد من نسل آسور هذا وان كان أصل أساس الطوائف الالهية الاصلية فيهم اھم من بني حام بواسطة ولده كوش المذكور آنفا حيث كان أول تأسيس السلطنة فيهم اعلی يد الخروء كما ذكرناه سالفاً وخالفنا وبذلك علم ان سكان تلك الاقطار في سائف الاخصار كانت شتملة من بني سام وحام وغيرهما من أصول الانام

وأما أرفخشذ فهو ثالث أبناء سام ومعناه في اللغة السريانية متاخم كلدة (العراق) ومن ثم علم انه كان أصل جميع الامم الذين كانوا بأصيق رابطة النسب من تبطين وفي تلك الازمان بعد الطوفان بتلك الاقطار متوطنين ومنهم تناسل العرب والعبرانيون وبيان ذلك ما ذكر بالتوراة من ان من ولد ارفخشذ المذکور عابر الذي هو جد ابراهيم والملة العبرانية وقحطان الذي هو أبوقبائل العرب الجاهلية الاولى الذين اختلط بهم فيما بعد بنو اسماعيل وصار لهم الغلبة عليهم ويدل على ذلك أيضا ما سيأتي ذكره (في الباب الثالث) من ان ابراهيم عليه السلام في وقت بعثته كان متوطنا بين أظهر الكلدانيين

وأما لود فهو أصل أسلاف القوم الاقدمين المسمين بالليديين وبحسب الفن القوي قد كان هؤلاء القوم قد أقاموا في أول الامر على القرب من بلاد الآسورية والجزيرة ثم هاجروا بعد ذلك في سالف العصر وتوطنوا في النهاية الغربية من بلاد آسية الصغرى (وهي أرمنية) حيث دلت انقار علماء هذا العصر الاخير فيما بقي من اللغة الليدية ورواياتهم الالهية من النشأ اليسين على انهم من أصل الذرية السامية

وأما آرام فهو كما نصت عليه التوراة رابع أبناء سام وهو أصل نسل قداماء أهل الشام الذين كانوا متوطنين في الجهات الكائنة فيما بين بحر سفيد والفرات بل قد كان أيضا من الآراميين جماعة كثيرة في الجهة الغربية من بلاد الجزيرة ولذلك كان العبرانيون يقيمون بلاد آرام الى عدة أقسام فيقولون

الاول آرام النهرين ويريدون بذلك ما كان يعبر عنه عند اليونان من الجهات ببلاد الميزوبوتامية أي ما بين النهرين دجلة والفرات (وهي المعبر عنها عند علماء الاسلام بجزيرة ابن عمر أو بمطلق الجزيرة على الوجه العام)

الثاني بلاد آرام الحقيقية ويعنون بذلك بلاد الشام الاصلية التي كان أقدم كراسيم وأعظمها من قديم الازمان هو دمشق الشام

الدرس الثام ٦٩ في التاريخ العام
الثالث آرام سبأ وهي القطر الذي فيه فيما بعد نشأ ملك مدينة بلير (وهي تدمر)

عائلة يافث — ذكر سفر الخليفة من التوراة انه ولد ليافث بن نوح عليه السلام بعد

الطوفان سبعة صبيان وهم

أولاً جومير (بأمانة الميم على الياء المتناة من تحت والراء المهملة في آخره)

ثانياً مأجوج

ثالثاً ماداي (بياء مشناة تحتية مشددة في آخره)

رابعاً نو بال (بالتاء المتناة الفوقية في أوله)

خامساً مسوخ (بضم الميم في أوله وناء مججمة في آخره)

سادساً تيراس (بكسر التاء المتناة الفوقية في أوله وسين مهملة في آخره)

سابعاً چاوان (وهو المعرب يونان)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فاما جومير فهو أصل العشائر القديمة والقبائل العتيقة التي كانت

قد توطنت في غابر الأزمان حول بحر بنطس (بضم الباء الموحدة في أوله وسكون النون وضم الطاء

المهملة وبالشين المججمة في آخره) أو بحر بتسكان وهو المسمى بالبحر الاسود الآن وفي شمال

البحر حيث جزيرة الهيلىسية (وهي بحيث جزيرة المورة ببلاد اليونان) وقد نسب لجومير هذا في التوراة

ثلاثة أولاد وهم

أولاً اسكيناز (بفتح الهمزة في أوله والراء المججمة في آخره) وهو أصل الاقوام المعروفين الآن

من الاور وباوين باسم الجرمان أو الالمان أو الجرمانيين أو الالمانيين والاسكنديين أو

الاسكنديين أو كانوا حينئذ منضمين بالشمال الشرقي من بحر بتسكان

ثانياً قدريفات وهو أبو السلت والسلتين والنغالة أو النغليين (أي اسلاف أهل البلدة المعروفة

باسم قرانسة الآن) وقد كانوا في أول الامر قبل أن يأتوا الى فرانسة متوطنين بالجبال المعجمة

في قديم الزمان باسم جبال الريفه وهي المعروفة الآن بجبال السكيات (ببلاد اوروبه)

ثالثاً توجارمة وهو أبو الارمن كما علم ذلك من الروايات الماثورة والحكايات التي هي لغاها الآن

بين هؤلاء القوم مذكوره

وأما مأجوج (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير السالف الذكر والبيان) فلا

يزال مذكوراً في نصوص التوراة (كما هو كذلك في نص القرآن) مصحوباً باسم مأجوج والذي

يفهم من اشارات انبياء بني اسرائيل العديدة الى كثرة مقاسد هؤلاء الاقوام العنيدة هو انهم اقوام

رحالة تزلّة كانوا ازالين بجهة الشمال الشرقي المجاور لبحر الخزر وقيل هم قرييون مما عبر عنه

عند اليونانيين باسم الماسيجيتيين وسماهم يوسف مؤرخ اليهود باسم السيتيين والظاهر من جميع

ما ذكر في الكتاب المقدس أن يأجوج ومأجوج عبارة عن جميع القبائل العديدين المعبر عنهم عند العلماء الاوروباويين المتأخرين بالمرتبة التوراتية وهي تنقسم الى نوعين كبيرين أحدهما الاوجريون الفنلنديون والثاني أيضا الى فرعين آخرين أحدهما الفرع التركي وهم أهل بلاد تركستان وصماری بلاد آسية الوسطانية (ومنهم نسل اترك بنى عثمان المستولين على مدينة القسطنطينية الآن) ومنهم كذلك القوم المعروفون بالبحر المقيمين ببلاد اوروپة من مدة عديدة من الدهر والثاني الفرع الاورالي الفنلندي وهو يشمل القوم المعروفين باسم الفنلنديين والاستونيين واللاتشوديين وسائر القبائل المتوطنين بالمنطقة الشمالية من اوروپة وآسية بخلاف قبائل الفرع الثاني من الفرعين المذكورين آنفا وهم الدراويديون حيث كانت مواطنهم بالجهة الجنوبية فهم ما يتركب منهم الاهالي البلديون ببلادهم دستار وغيرهم من الاقوام الذين غلبت عليهم الاقوام الآريون واستولوا على ما كان لهم هناك من الاوطان

وأما توبال فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليرزانيين والسياريين ومن نسلهم القبائل المتوطنون لغاية الآن بأودية جيل قوه ناف

وأما مسوخ فهو أبوا القوم المعبر عنهم في تاريخ هيرودوت باسم المسوخيين الذين كانوا مقيمين بالأرض الكائنة بين بلاد التيماريين المذكورين واقام افرنجية (بلاد آسية الصغرى) وأما تيراس فهو أصل القوم المسمى عند اليونانيين باسم الاتراسيين (أى أهل اقليم تراسية القديمة وهو الجزء الشمالى الشرقى من الايالة المسماة باسم الروملى الآن) ودليل ذلك ما ذكر بكتب مؤرخى اليونان من أن الاتراسيين كان أصلهم من بلاد آسية الصغرى ثم هاجروا فى تاريخ لم يزل بعد مجهولا من اقليم بثنية (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وهو الجزء الشمالى الغربى من الايالة المسماة باسم الاناضول الآن) وتعدوا بونغاز هيلسبون أو هياسبونوس (وهو بونغاز الدردانيل المسدود الآن باسم بونغاز شق قلعه على لسان اترك بنى عثمان) وتوطنوا بالاقطار الكائنة على شمال اقليم مقدونية من بلاد اليونان

وأما جاون العرب يونان فهو أبوا القوم اليونانيين المعبر عنهم الآن بالاجريكيين أو الهيلينيين فى بعض الاحيان وذلك انهم كانوا قد خرجوا من الاقطار الجنوبية من آسية الصغرى وامتدت أوطانهم على سواحل البحر المسمى فى سالف الزمان باسم بحر ايجية (وهو ما يسمى الآن ببحر الارخبيل أو بحر جزائر اليونان وهو جون أبى جزء من البحر داخل فى الارض من أصل البحر الأبيض المتوسط أو بحر سفيد) وكذلك فى الجزائر الكائنة فى البحر المذكور ومن أبناء يونان أيضا سكان جزائر الارخبيل اليونانى وجزيرة كوريدا وجزيرة كينك أهل اقليم الايبير (وهم القوم المعروفون الآن باسم الارثووط) وأصل كثير من سكان بلاد ايطاليا الاقدمين

والحاصل ان العلماء الاوروباويين المتأخرين اتفقت كلمتهم على وجه العموم لما صار عندهم من

المقرر بالمعلوم على ان من بنى يافت بن نوح عليه السلام ببلاد اور وبة كلاء من اليونان والرومان
والجرمان أو الالمان والسلت والاسكندرية و في بلاد آسية الفرس وعليه الاقوام
المدعورين بالميديين والبكتريين والطبقة العليا من أهل بلاد الهند المجتمعين تحت اسم الآريين
هذا حاصل ما اوضحه المؤرخ فرانسيس لونورمان من التفصيل والبيان في تاريخه الكبير وان كان قد
يستغنى عنه بما عر به آناه أنفا من تاريخه الصغير وهو بيان ما ذكره أهل النسب والتواريخ من مجمل
قولهم ان جميع أهل الارض بعد الطوفان هم من أولاد نوح الثلاثة وهم يافت وسام وحام فسام نو
العرب والعجم والروم وحام أبوا الحبشة والزنج والنوبة و يافت أبو الترك والخرر والصفالية
ويأجوج وماأجوج وهو القول الصحيح كما قد نباه وذلك بواسطة ما توضح اعلاه من تعدد نسلهم فليعلم
ذلك وهو غاية ما هنالك

المسألة الخامسة

مطلب - تفصيل ما اجل في ما سلف عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام على
مراتب لغات نوع الانسان
قال في القاموس ما نصه واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم جمعها لغات ولغون ولغا
لغواتكلم، اه وفي المصباح ولغى بالامر يلغى من باب تعب لمع به ويقال اشتقاق اللغة من ذلك
حذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها لغة مثال غرفة وسمعت لغاتهم أى اختلاف كلامهم
اه وفي الصحاح واللغة أصلها لغى أولغوا والهاء عوض وجمعها لغى مثل بريرة ويرى ولغات أيضا
وقال بعضهم سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء والنسبة اليها لغوى
ولا تمل لغوى، اه صحاح
وحاصل ما يفهم من أقوال اللغويين المنقولة أعلاه فضلا عن اختلافهم في أصل ما أخذ لفظ اللغة
واشتقاقه ومبناه هو أن اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم في معاملاتهم
ومخاطباتهم ويعبر عنها أيضا باللهجة قال علماء اللغة اللهجة اللسان ويعبر عنها أيضا باللسان من
باب تسمية الشيء باسم آله الأصلية وهل اللغات الانسانية هي من الاوضاع الالهية أو البشرية هذه
مسألة خلافية مشهورة بين العلماء الاورباويين والاسلاميين والاصح عند الاقربح انها من الاوضاع
البشرية ناشئة عن القوى الادراكية الخصوصية والمزايا العقلية التي اودعها الله سبحانه وتعالى
في نوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان وعلى كل حال من هذه الاحوال وبناء على كل قول من
تلك الاقوال فتاريخ أصل منشأ اللغات البشرية في مبادئ تلك الحقبة الدهرية هو امر لم يرل بعد
من قبيل المجهول اذ لم يستدل على حقيقة حاله بمعقول ولا مقول كما ان حقيقة حال ذات الانسان
في مبادئ أمره لم يوقف عليها للغاية الآن وغاية ما يصح أن يقال في هذا الجمال كما هو

ما يخص ما شرحه المؤرخ فرانسيس لوتو رمان في تاريخه الكبير تقلا عن بعض علماء اشتقاق اللغات فيما يتعلق بهذا الامر في هذا العصر الاخير هو ان اللغات البشرية على العموم لا بد

وانها مرت بثلاثة احوال دورية وان منها ما وقف عند بعضها ومنها ما مر بجميعها وهي الاولى الحالة المقطعية بمعنى ان اللغات الادمية كانت مركبة في الاصل من مقاطع اللفظية أي كلمات ساذجة بسيطة غير متصرفة ولا متغيرة الاخر ينطق بها الصوت دفعة واحدة وكانت تلك الكلمات اسماء وافعالا في أن واحد بحيث تدل على معناها بقطع النفاذ عن كيفية استعمالها والذي يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية انما هو كيفية اتحادها مع غيرها من الكلمات المستعملة في الجملة الكلامية وهذه هي حالة اغلب لغات المرتبة الالهية الصغرى المعبر عنها باللغات التوراتية (أي التتارية ولغات أهل الصين القديمة والحديثة ولغات أهل الهند الصينية على وجه العموم وغيرهم ومن هذا القبيل اصل اللغة التركية العثمانية وان كانت قد ترققت بالاخذ من اللغة العربية والفارسية على حسب ما صار اليه أهلها من الحالة التمدنية)

الثانية الحالة الالتحامية أي اللغات التي ينضم فيها إلى أصل بذية الكلمات الاصطلاحية حروف زوائد للدلالة على اختلاف الاحوال المرادة منها وهي وان كانت متصرفة متغيرة الا واخر أيضا كاللغات المتصرفة التالية ثلثها لم تبلغ من حسن الحال لما عليه لغات الحالة الآتية بعد من درجة الكمال

الثالثة الحالة التصريفية أي اللغات ذوات التصريف بمعنى التي يعترى كذا انها من احوال التغيرات الآخريّة والتصرفات الفعلية ما يدل على اختلاف أنواع الدلالات المتروعة حسب ما يفتضيه اختلاف أنواع الاستعمالات المتفرعة من العدد أي الافراد والتثنية والجمع والجنس أي التذكير والتأنيث والزمن أي الماضي والحال والمستقبل وما يتفرع عنه من احوال الغيبة والانعكاس والخطاب وغير ذلك من الاحوال حسب ما يقتضيه المقال وهذه هي حالة لغات بني سام وياقت المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الأوروبية الهندية أو اللغات الآرية (أي لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المسمين بالاريا والاريين) ومن ثم فهم ان مرتبة اللغات المتصرفة تنقسم إلى طائفتين كبيرتين وفصيليين أصابت أحدهما اللغات السامية والثانية اللغات الأوروبية الهندية أو الآرية وإلى هاتين الطائفتين اللغويتين ترجع لغات جميع الأمم المتممة لشهيرة والملل المتحضرة الكبيرة التي تذكر تواريخها في ضمن قسم التاريخ القديم ولذلك انزمتها هنا إلى الأخوان ان نسرد ههنا لكم لتكون عندكم من المعلوم فنقول

أما اللغات السامية فهي ثمانية

الاولى اللغة العبرانية وهي التي كان ينسبها بنو امرايل والفنيقيون بينيتين وسائر اقبياس

الكامنيتين

الدرس التام في التاريخ العام

المكتنعانيين بطريق الظن والتخمين

الثانية اللغة الآرامية وهي التي كان يتكلم بها في سالف الزمان بلاد سورية (بلاد الشام) وهي تنقسم الى عدة فروع وأقسام احدها ما يعرف باللغة الآرامية التوراتية وهي التي تألف بها بعض أسفار التوراة في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام الثاني الآرامية الترجمة وهي التي كتب بها ترجمة التوراة أي تفاسيرها التي تحررت في أوائل التاريخ المسيحي الثالث اللغة السورية الكلدانية وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها اليهود في بلاد فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية في وقت ظهور عيسى عليه السلام وكتب بها تأليفات احبارهم المسماة باسم التلمود (بالشاء المثلثة في أوله) الرابع اللغة النبطية وهي لغة قدماء سكان الشمال الغربي من جزيرة العرب الخامس اللغة السامرية (نسبة الى الارض المسماة باسم سامريه ببلاد فلسطين) وهي اللغة التي حدثت على الارض المسكونة باحد الاسباط أي قبائل بني اسرائيل القديمة المدعو بسبط افرايم بعد ان افتتحها الاسوريون ثم بقيت بصفة اللغة الادبية عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين وهم معتزلة الاديان اليهودية

الثالثة اللغة السبئية (نسبة الى سبأ) وهي اللغة المستعملة لغاية الآن عند القوم المدعوين بالمنديين المتوطنين في جنوب حوض الفرات وهم قوم وثنيون يتدينون بمذهب ديني مخصوص متكون من بقايا جاهلية الاسوريين والفرس الاقدمين

الرابعة اللغة السورية وهي اللغة التي كان يكتب بها في كل من بلاد اديس (وهي أورفة) ونصيبين أو نصيب (وهي انطاكية) من بلاد الجزيرة في القرن الثاني لغاية القرن السادس من تاريخ المسيح

الخامسة اللغة الاسورية أو السريانية وهي التي كان يتكلم بها أهل مدينتي بابل ونيوى وبها عثر الآن على بعض كتاباتهم المأثورة من قديم الزمان

السادسة اللغة الحيرية وهي لغة أهل جنوب جزيرة العرب في سالف المدة العصرية ولا يوجد منها الآن غير بعض كتابات أثرية

السابعة اللغة الغيزية (بالغين المعجمة في أوله) وهي لغة بلاد الحبشة القديمة وقد كانت موجودة في تلك البلاد الافريقية حتى بعد ان تمكن بهادين النصرانية أعني في القرن الثالث من تاريخ المدة الميلادية

الثامنة اللغة العربية وهي التي يتكلم بها لغاية الآن دون جميع اللغات السامية التي كانت مستعملة في سالف الزمان وتفرع الى بعض لغيات يسيرة لا يختلف بعضها عن بعض مخالفة كبيرة وهذه اللغة وان كانت في سالف الزمان لم تكن الا لغة بني اسماعيل أو معدل كنها قد انتشرت

فما بعد بانتشار القرآن فى كثير من البلدان بهذا الزمن من عند أقليم بابل لغاية مرا كش ومن عند بلاد سور ية لغاية بلاد اليمن

فهذه هى جملة اللغات المعبر عنها بالسامية وهناك طائفة لغوية أخرى من اللغات الحامية تشاركها فيما لها من الهيثة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية لكون معظمها ولا سيما أهمها وأعظمها وهى اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الاقوام المتوطنون بوادى النيل وأعظم اللغات التى هى من هذا القبيل هى

أولا - اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو بالهيور مجليزية وهى أقدم اللغات التى بقى لنا منها كتابات أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فاندمنت بالكلى ولم يبق لها أثر الا فى صورة الادعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قسس الطائفة النصرانية المصرية المعروفة بالقبطية

ثانيا - لغة القوم المعروفين باسم الجلى (بفتح الجيم المعجمة واللام المشددة المفتوحة) ببلاد الحبشة وما ألحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التى يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الابيض (المعبر عنه بالبحر الابيض) والبحر الاحمر وان أهل جزيرة مدغشقر ولغات بلاد النوبة وكردفان وهى كثيرة لا حاجة لحصرها غير انه لا بأس بأن يقال ان منها اللغة المسماة بالبشارية التى لم يزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم والظاهر انها بقايا اللغة التى كان قد كتب بها الكتابات الهيور مجليزية المأثورة عن الدولة الايتيوبية بمدينة ميرويه القديمة (التي كانت موجودة فى سالف الزمان ببلاد السودان وهى بالمالقة الميم على ياء مشناة تحتية يليها راء مهمل مضمومة ثم واو مفتوحة بعد ياء مشناة تحتية ساكنة فها ساكنة أيضا كآخر نحو سيويو) وكذلك لغات أم البربر (ببلاد المغرب) وهى بقايا اللغة الليبية القديمة ولم يزل يتكلم بها القبائل المتوطنة فى جهة الشمال والشمال الغربى من أفريقيا كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه

فهذه هى طائفة اللغات الحامية النيلية وهى وان كانت مرتبة لغوية خصوصية تقابل مرتبة بنى حام فى جملة ما سلف ايضا من مراتب الانسال النوحية غير انه استقرار الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الاقرنج المتأخرين على ان يبنوا بين لغات بنى سام من العلائق القرابية والروابط النسبية ما يقتضى ان تعد منها وان كانت هى مرتبة من اللغات منفردة عن اركان لغات بنى سام وحام كانت فى الاصل واحدة كما قال به بعضهم وذهب اليه وتقدم فى موضعه التنبية عليه

وأما اللغات الباقية المعبر عنها أيضا بالهندية الاوروبارية أو اللغات الآرية فهى كثيرة جدا لا تكاد تنحصر عدا ولكنها مرتبة على ست مراتب فرعية

الاولى - اللغات الهندية وأصاها اللغة المعروفة باسم السنسكريت أي اللغة الالهية وهي اللغة المقدسة بمعنى المطهرة المحترمة عند أهل الهند حيث يوجد بها مكتابات أصول ديانة أرباب المذهب المعروفين بالبراهميين وتدون علومهم وهي لغة عتيقة كان يتكلم بها في بلاد الهند مدة أكثر من عشرين قرناً ثم بقيت عندهم فيما بعد بصفة لغة أدبية وتولد منها اللغة المسماة بالپالية التي كان يتكلم بها في سالف الزمان بشرقي ولاية هندستان ثم صارت هي اللغة العلمية لأرباب المذهب المعروفين باسم البوديين في جزيرة سيلان والمادورة والهند الصينية وسلطنة برمان (بكسر الباء الموحدة في أوله) وكذلك لغيات بلاد الهند العامية التي كان يتكلم بها في تلك البلاد فيما قبل الميلاد ثم الالسنه المتنوعة المتفرعة عنه فيما بعد وهي الهندى والهندستانية والبنغالى والجوزراتى والمهراتى والنپيالى وغير ذلك

الثانية - اللغات الايرانية وأصلها اللغة المسماة بالزندية وهي أصل اللغة الفارسية ومن هذه المرتبة أيضاً من اللغات التي يتكلم بها لغاية الآن اللغة الافغانستانية والبيلو تشية والكردية والارمنية وغير ذلك

الثالثة - اللغات اليونانية اللاطينية المسماة أيضاً بالپيلاجية فأما اليونانية فهي معلومة وأما اللاطينية فهي لغة أهل بلاد ايطالية اقدمية ومنها تفرعت في مدة القرون المتوسطة جميع اللغات الافرنجية المستعملة الآن في بلاد أوروبا الجنوبية كالايطالية والفرنساوية والبروتنسية والاسبانية والبرتغالية ولغة بلاد الجريزون (من جمهورية أسويج وميلاد الاوروية) ولغة ولايتى الافلاق والبغدان المسماة الآن باللغة الرومية

الرابعة - اللغات الليتية الاسلافية ومن هذه المرتبة اللغوية اللغة الليتانية والبروسيانية والاسلاوية وهي المستعملة في صور الادعية والصلوات التعبدية بكاثس بلاد الروسية والبلغارية والروسية والصربية والمجارية والتيكية والبوهيمية وغير ذلك

الخامسة - اللغات الجرمانية والالمانية وهي على فرعين أحدهما الجوتى أو النورثى (بالجيم أو بالتعين المجعمة) واليه ترجع اللغة الاسكنديناوية القديمة المسماة بالنورسية وهي أصل اللغة الدانيمركية والاسويجية وكذلك اللغة السكسونية التي هي أصل الانجليزية واللغة الالمانية السفلى التي هي أصل الفلمنكية والثانى الفرع الالمانى الاصلى واليه ترجع اللغة الالمانية العليا والسوابية والنمساوية والفرانكونية

السادسة - اللغات السلطية وهي أيضاً على فرعين أحدهما الابريطانية والثانى الغلية والى كل منهما يرجع بعض لغات فرعية لم يزل يتكلم بها لغاية الآن في بعض الجزائر الابريطانية (جزائر بلاد الانجليز) وبعض الاقاليم الفرنسية (اهـ هذا المطلب والذي قبله معرباً من تاريخ فرانسيس لونورمان الكبير)

المسألة السادسة

مطلب - اين كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها أبونا آدم في أول الامر ثم اخرج منها وهل كانت في السماء أم في الارض وماذا كان صنف نوع الشجرة التي كان الله سبحانه قد نهاه عنها هذه مسألة لم تحل بعد لغاية هذا العهد عند العلماء الاورباويين ولا عند العلماء الاسلاميين أما الشق الاول منها فهذا هو تعريب ما ذكره فيه المؤرخ فرانسيس لونورمان عند الكلام عليه في تاريخه الكبير كما هو بعدمسطور قال المؤرخ المذكور وكان مسألة تعيين تاريخ معين لاولية خلق الانسان هو مما لا حاجة اليه ولا سند قوي يشهد له ولا عليه فكذلك يقال في حق من تتعلق منه الآمال بتعيين المكان الذي قد كان فيه أول مبدء لنوع الانسان ولا اين كان موضع جنة عدن من الجهات على حسب ما يفهمهم من التوراة حيث لم يرد فيها دليل قطعي في هذا الموضوع ولكون اعلم المفسرين لهاوأكثرهم تعلقا بالاعتقاد فيها توفوا في هذا المشروع فوجب علينا أن نقسديهم في ذلك ونقتصر على ما اشتهر من القول العام فيما هنالك وهو القول بان بلاد آسية هي التي كانت أول مكان لأول عائلة من نوع الانسان وأول مبدء لكل تمدن وعمران اه كلامه وهو الصواب وان كان أعكس المتنلسفين من العلماء الاورباويين على ان جنة عدن كانت بالارض فيما بين دجلة والفرات وكثيرا ما يعبرون عنها بالجنة الارضية ومن المعلوم ان معنى الجنة البستان وكون جنة عدن بالارض هو ما يجنب اليه أكثر ميل علماء الاسلام وان كانوا توفوا في هذه المسئلة أيضا عند تفسير ماورد فيها من الذكر في القرآن قال المولى أبو السعود رحمه الله عند تفسير قوله تعالى «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها حيث شئت مارغدا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» ما نصه

« والمراد بها (أي بالجنة) دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الالهياط على النقل منها الى أرض الهند كما في قوله تعالى «اهبطوا مصر» لما ان خلته عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من اعظم النعم ولا نها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم أن الالهياط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل يمكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع اه

وأما الشق الثاني اعني تعيين نوع الشجرة المأكول منها فهو أيضا مما كثر فيه الاقوال قال المولى أبو السعود رحمه الله في تفسير الآية الشريفة المدكوزة اعلاه « والمراد بها (أي بالشجرة) الخنطة أو العنبية أو التينة وقيل هي شجرة من كل منها حدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع» اه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال

المسألة السابعة

مطلب - أصل منشأ الممالك القديمة فى وادى النيل والفرات والدجلة (معرباً من مختصر التاريخ القديم تأليف ويكتور دوروى) قال مؤلف الأصل ما معناه ان ما ذكر اعلاه فيما يتعلق باولية الدنيا هو ما اقتصر فى سفر الخليفة من التوراة وثمن فيها أيضاً على أن النمرود قد كان أول رئيس تقلد سياسة الامم والملل غير أن سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه لبيان تأسيس اقدم الدول فيما سلف من تلك الا عصر الاول ولم يصل علم العلماء بعد من الاستكشافات التى حصلت فى هذا الوقت لما يسد فراغ ما حصل عليه منها الصمت وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا المجال هو انه يظهر ~~مكون~~ كون الناس قد اجتمعوا من أول الامر على هيئة الاجتماع والاتناس والتعاون بعضهم ببعض على ظهر الارض وانهم توطنوا فى سالف العصر على شواطئ الانهار الكبيرة التى اخصبت مياها تلك الاقطار الشهيرة من الديار المصرية ولادلاً لآمورية (بلاد العراق) حيث كانت طرق المعاش فى تلك السهول سهلة الحصول لكون الاقوات الضرورية فيها تكاد ان تخرج منها بمجرد القوة الطبيعية (أى من غير معالجة صناعية) (قال مؤلف الأصل) ولكن متى كان أول اجتماع الناس على هيئة الجمعية البشرية ويا هل ترى من كان رؤساءهم الاولين وزعماءهم السابقين وكيف كانت احوالهم وماذا كانت اعمالهم لا تدرى ولا تخال تدرى بل لا تزال تجهل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر (اهمعرباً من مختصر التاريخ القديم للأورخ ويكتور دوروى)



مسائل

تضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الاول من الفوائد والافكار

مسألة عمر الدنيا معلومات أولية وتقسيمات أصلية

- ١ - ما المراد بالقرن لغة واصطلاحاً
- ٢ - ما المراد بالسنة أو العام والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية والثالثة الزمنية
- ٣ - ما المراد بالشهر القمري أو الشمسي
- ٤ - ما المراد بالسنة القمرية أو الشمسية وما المراد بالسنة البسيطة أو الكبيسة وما عدد أيام كل واحدة منها
- ٥ - ما الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والشمسية البسيطة والكبيسة وماذا ينبغي على ذلك
- ٦ - ما السنة القبطية وما الفرق بينها وبين السنة الشمسية المعتادة
- ٧ - ما المراد بالقرن القمري أو الشمسي
- ٨ - ما معنى العصر والذهر
- ٩ - ماها التاريخان اللذان يحتاج اليهما في تعليم علم التاريخ العام هنامن تواريخ الام المختلفة
- ١٠ - ما المراد بالتاريخ المسيحي أو للبلادى وما مبدأه
- ١١ - ما المراد بالتاريخ الهجرى وما مبدأه
- ١٢ - ما قدر الفرق بين التاريخ الميلادى والهجرى
- ١٣ - ما المراد بمسألة عمر الدنيا وهل هي مسألة اتفاقية أم خلافية
- ١٤ - ماها القولان الاقرب للصحة من جملة الاقوال العديدة التي تشعب اليها الخلاف في هذا المجال وما أصل تشعب هذا الخلاف
- ١٥ - ما الذي يقتضيه الذوق السليم ويقضى به العقل المستقيم فيما يدعيه بعض الامم من الاسبقية في القدم وماذا يصح التثبت به في تحقيق هذه المسألة التاريخية
- ١٦ - ما هو القول الذي يلزم اتخاذه مبدأاً تاريخياً ومنشأً زمنياً للمشي عليه هنا طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية
- ١٧ - ما هي القاعدة العمومية في تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية وما هي كيفية توضيحها بالامثلة العملية

تقسيمات خاصه بالتاريخ القديم

- ١٨ - كيف قسم المؤرخون الاوروبون التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقاة وعدمها
- ١٩ - ما المراد بالاعصار الاولى
- ٢٠ - ما المراد بالاعصار الخرافية والى كم قسم تنقسم
- ٢١ - ما المراد بالاعصار الوثنية والبطلية والنبوية والشعرية
- ٢٢ - ما المراد بالاعصار التاريخية والى كم قسم تنقسم وما المراد بالمدة التشرعية
- ملحوظات عامة

تعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

- ٢٣ - الملاحظة الاولى — ماذا يلحظ فيما يتعلق بتاريخ اليونان والرومانين في جملة التاريخ القديم على وجه العموم من حيث كونه منتظما أو غير منتظم وما هو القول المروى في هذا المعنى عن المؤرخ ويكتور دوروى
- ٢٤ - الملاحظة الثانية — ماذا يلحظ من حيث الانتظام وعدم الانتظام في شأن توارىخ باقى الامم القدام وماذا قال المؤرخ ويكتور دوروى في هذا المقام
- ٢٥ - الملاحظة الثالثة — ماذا يلحظ في شأن تاريخ جميع الامم المذكورين فيما يعبر عنه بالتاريخ القديم على وجه العموم حسبما نراى للمؤرخ ويكتور دوروى وماذابنى على ذلك لتاريخ القديم من التقسيم
- ٢٦ - يقتضى التوضيح والبيان لطريقة التاريخ الجديدة التى مبشى عليها المؤرخ فرانسيس اونورمان وماذابنى عليه طريقته هذه من أقوى الاساس والبنيان
- ٢٧ - وحيث نذفاهما الطريقتان التاريخيتان المستعملتان عند متأخرى علماء الافرنج الآن وما لاساس كل واحدة منهما وما أصوبهما
- ٢٨ - ما درجة قوة الاعتماد التى يعتمد عليها وما كيفية الاستناد التى يستند اليها في تعليم علم التاريخ العام بهذا الدرس الثام
- ٢٩ - ما عدد الابواب التى ينحصر فيها الكلام على قسم التاريخ القديم على مقتضى هذا الوجه من الاستناد القويم

الباب الاول

أفكار تقديمية وفوائد عمومية

- ٣٠ - ماهي المدة التي ينحصر فيها الباب الاول الكلام وكيف يجري عليها الانقسام على حسبا يؤخذ من كلام بعض علماء الا زمان الاوروبين وما مقدار تلك المدة على حسب قول بعض المؤرخين الاسلاميين وما حال أقوال علماء التاريخ في توقيت الحوادث بتلك الاحصار التاريخية على وجه عام

الفصل الاول

- ٣١ - ما مقدار المدة التي يتكلم عليها في الفصل الاول من الباب الاول وما مبدأها وانهايتها من أصل جملة عمر الزمان
- ٣٢ - ما أصل مأخذ تاريخ أوائل الانسان وهل يمكن الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان وبعدها الطوفان
- ٣٣ - ما كيفية ترتيب خلق المخلوقات حسبما ذكر في التوراة وما الحالة الاولى التي كان الله سبحانه وتعالى خلق عليها الانسان ثم ماذا وقع منه بعد ذلك وماذا ترتب على ما حصل منه من العصيان
- ٣٤ - من هما ولدا آدم الاولان وماذا كانت حرفة كل واحد منهما وما أول خطيئة قتلت نفس وقعت في الدنيا وماذا ترتب على هذا البغي والعدوان
- ٣٥ - ما أول مدينة أنشئت في الدنيا
- ٣٦ - كيف كان الله سبحانه وتعالى قد خلق نوع الانسان من حيث الهيات الدنية العقلية والبدنية وأي عائلتي ولدى آدم الاولين ينتسب اليها اختراع الفنون الصناعية
- ٣٧ - من ولد أنوش بن قابيل ومن هم ولد ولده وما هي الخاصية التي ذكر بها كل واحد منهم في التوراة
- ٣٨ - من هو ولد آدم الذي بقيت في عقبه فضيلة حفظ الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى والى من انتقلت هذه الفضيلة بعد الطوفان
- ٣٩ - من هم أبناء شيث بن آدم وماذا ذكر في التوراة لحنوخ أو ادريس بن شيث من خواص الصفات
- ٤٠ - من هم ولد حنوخ وماذا ذكر في التوراة لكل واحد منهم من خواص الصفات وما عمود النسب من آدم الى نوح عليهما السلام

- ٤١ - هل ما ذكره تقي الدين التوراة من تناسل بني آدم لغاية نوح عليهما السلام هو موافق لما تناقلته أفلام الرواة من مؤرخي الاسلام أم كيف الحال في هذا المقام
- ٤٢ - ماذا انت عليه الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة فيما يتعلق بأصل وجود نوع البشر وكيفية مباديه في اول الامر
- ٤٣ - كيف كانت درجة الهواء الجوية من السكرة الارضية في تلك الاعصار الاولى وماذا ينبغي على ذلك من حيث ما قضى الله به من العقوبة على بني آدم في تطير الخطيئة الابوية
- ٤٤ - كيف كانت حالة الناس قبل الطوفان من حيث مادة التمدن والعمران وماذا ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية من حيث انتشار نوع الانسان على سائر البلدان من السكرة الارضية بالنسبة لما هي عليه الآن وابن كان اول مهد لنوع الانسان وماذا كانت قد بلغت اليه غاية درجة التمدن والعمار في تلك الاعصار
- ٤٥ - ما زبدة قصة الطوفان على حسب ما ورد في نص التوراة من الايضاح والبيان وهل لذكر هذه الحادثة العظيمة آثار في ضمن الروايات الاهلية المتداولة عند بعض الاصحاح القديمة غير العبرانيين وما قول العلماء الجيولوجيين في شأن هذه المسألة الجسدية
- ٤٦ - في أي مكان كان الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام وما كيفية تحقيق هذا المقام
- ٤٧ - كيف عرف نوح عليه السلام ان المياه قد تشعبت عن الارض وماذا فعل من العبادات والاعمال بعد النجاة حسب ما ورد في التوراة وكم عر نوح بعد الطوفان وما حلة عمره من الزمان

الفصل الثاني

- ٤٨ - ما مقدار المدة التي يتكلم عليها في الفصل الثاني من تاريخ الانسان بعد الطوفان على مقتضى بعض الاقوال التي قيلت في هذا الشأن
- ٤٩ - هل كانت مدة اعمار بني آدم بعد الطوفان كما كانت قبل الطوفان وماذا آلت اليه بالنسبة للاعمار البشرية المعتادة الآن وهل هذه القاعدة كانت كلية ام لها بعض احوال استثنائية
- ٥٠ - ما قصة حادثة تفرق الاصنام بعد الطوفان الى سائر البلدان وما اسم المكان الذي كان قد اجتمع فيه بنو نوح عليه السلام من بلاد آسية بعد الطوفان وابن كان ذلك المكان وما منشأ تنوع مراتب اللغات والانسال الثلاثة البشرية التي تعمرت بهم الارض بعد الطوفان

- ٥١ - ما كيفية توزيع ذراري نوح عليه السلام في أقطار الارض المعمورة على وجه عام
- ٥٢ - في زمن أي ولد من بني سام كانت حادثة تبلبل اللسان وتفرق الامم في سائر البلدان على حسب ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان وما القول الذي يقابله من أقوال علماء الاسلام
- ٥٣ - هل في نصوص التوراة ما يمنع من الظن بأن بعض عشائر من بني نوح كانوا قد هاجروا من مركز مجتمعهم قبل حادثة تفرق أكرهم وما دليل ذلك
- ٥٤ - من كان أول المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الاصلي وما كيفية سير بني حام في عمارة الارض بعد الطوفان وأي بني نوح دعا عليه أبوه وماذا ترتب على تلك الدعوة من المتريات حسب ما ورد في التوراة
- ٥٥ - من كان ثاني المهاجرين من بني نوح عن مركز الاجتماع الاصلي وما كيفية سير بني سام في عمارة الارض بعد الطوفان ومن هم الملل المتناسلون منه
- ٥٦ - من كان آخر المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الاصلي وما معنى لفظ يافث في اللغة السريانية القديمة ولما دأبى بذلك وما الداعي لعدم ذكر شعوب بني يافث في التوراة وماذا توصل علماء الافرنج المتأخرون لارجاعهم الى ذلك النسل الاولى
- ٥٧ - ما مزية بني يافث على النسلين الاخرين وما أصل ذلك حسب ما ورد في نص التوراة
- ٥٨ - ما مراتب اللغات البشرية الاصلية وما هي الادلة التي توصل بها علماء الافرنج المتأخرون لترتيبها وما حاصل ما تحقق عندهم في هذه المسألة العلمية
- ٥٩ - ماذا ثبت عند علماء الافرنج المتأخرين في شأن اللغة القديمة بالخصوص

تتمة

المسألة الاولى

- ٦٠ - ما حاصل ما ذكر في شأن عمارة الارض بيني نوح عليه السلام بعد الطوفان وما الدليل العقلي على هذا الاثبات فضلا عن الدليل النقل الذي يؤخذ من صريح التوراة
- ٦١ - ماذا كان يظن أولا في شأن لغة المصريين القديمة وماذا تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين في هذا الخصوص وما كيفية التوفيق بين هذا القول وما سبق عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من النقل في النصوص
- ٦٢ - ما الذي استقر عليه الحال في كيفية عمارة الارض من بني نوح عليه السلام بعد الطوفان

المسألة الثانية

- ٦٣ - ما كيفية ترتيب سكان الكرة الأرضية على ثلاث مراتب أصلية وما حيثية تباينها
- ٦٤ - ماهي المرتبة الأولى وما المراد بها وما الداعي لتسميتها بالقوقازية وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات الأصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الأهلية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٥ - ماهي المرتبة الثانية وما المراد بها ولماذا سميت بالمغلية وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات التي تتميز بها هذه المرتبة الأهلية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٦ - من أقصر سكان الأرض المعمورة ومن أي مرتبة أهلية هم من هذه المراتب المذكورة
- ٦٧ - ماهي المرتبة الثالثة وما مكانها من الكرة الأرضية وما الصفات الأصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الأهلية من الصفات الحسية والمعنوية وما درجتها من حيث التمدن والفهم بالنسبة للمرتبتين السالفتين
- ٦٨ - ما الفرق بين المراتب الأهلية الأصلية والثانوية
- ٦٩ - ما أشهر المراتب الأهلية الثانوية وما هي الصفات التي تتميز بها عن المراتب الأهلية الأصلية
- ٧٠ - من أطول سكان الأرض المعمورة وما المرتبة الثانوية التي هم منها
- ٧١ - ماذا ثبت عند علماء الأفرنج المتأخرين في شأن تمدن أهل أحرية الأصلين في سالف الزمان وما حقيقة حالهم الآن

المسألة الثالثة

- ٧٢ - هل جميع سكان الأرض من نوع الإنسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان أم كيف الحال يقتضي توضيح ما قيل في هذه المسألة من الأقوال وما الحجج به كل صاحب مذهب لمذهبه من وجوه الاستدلال وما القول الأصح والمذهب الأرجح من هذه الأقوال

المسألة الرابعة

- ٧٣ - بيان تناسل ابتداء نوح عليه السلام من هم أولاد حام وسام ويافت ومن هم الأمم والأقوام المتفرعة عن ذرية كل واحد منهم

المسألة الخامسة

٧٤ - بيان مراتب اللغات البشرية - ما المراد بالغة وماهى الالفاظ المرادقة لها وماهى الاحوال الدورية التى يقتضى ان اللغات البشرية قد مرت بمراحل على تمادى الاعصار وما مرتبة اللغات السامية وكم هى وماهى والحامية والياقضية وما مراتبهم والافروع المتفرعة عنها

المسألة السادسة

٧٥ - اين كانت الجنة عدن التى كان قد وضع فيها آدم فى أول الامر وهل كانت فى السماء ام فى الارض وما معنى الجنة وما نوع الشجرة التى أكل منها وماذا قال علماء الافرنج والاسلام فى هذا المقام

المسألة السابعة

٧٦ - ماذا قيل فى شأن منشأ الممالك القديمة بعد الطوفان وما تقدم الممالك فى سالف الازمان



الباب الثاني في تاريخ المصريين والفراعنة المتقدمين

أعني تاريخ الديار المصرية والنيل وما يعترية من الأحوال السنوية وأخبار دول الفراعنة السالفين في الأعصار الغابرة من أول عهد تأسيس الدولة الفرعونية في الديار المصرية لغاية افتتاحها بالدولة الفارسية

وأصل ما آخذ هذا الباب الأصلية هو

أولاً من كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخي السلف من اليونان والروم وغيرهم
ثانياً من مجاميع النصوص الأصلية وذات الكتابات الأثرية الأولية التي حصل العثور عليها في نواويس قدماء المصريين وقبورهم وأطلال عماراتهم وقصورهم وغير ذلك
ثالثاً من تأليفات متأخري العلماء الأور وباو بين وأهل الخبرة بأحوال المصريين المسمين بالاجيبييتولوجيين وسياحات السياحين من الأفرنج العصريين

افكار تقديميه وفوائد عموميه

جرت عادة المؤرخين الأور وباو بين بأنهم يبتدئون من الأمم المذكورين في قسم التاريخ القديم بتاريخ العبرانيين وكثيراً ما يفرّدونه بالتأليف ويعلمونه لأطفالهم في المدارس الابتدائية باسم التاريخ المقدس أي المطهر الشريف وأكثرهم على الابتداء من ذلك بتاريخ قدماء المصريين والفراعنة المتقدمين وهي طريقة الجمهور ومذهب الجمل الغفير وقد استصوب بنا المشي على هذا المسلك الأخير لكون هذا البلد العظيم هو بلدنا وهذا الوطن الكريم هو وطننا وأول ما يقتضى للإنسان أن يتحلى به من أنواع العرفان هو أن يعرف تاريخ وطنه ويقف على حقيقة التغيرات التي اعترت هيئته تمدنه وإذا كان هؤلاء الأقوام من الأفرنج الذين هم بديننا كفار وليسوا مصرنا من العمار يضربون آباط آلات البخار ويوفدون لسرعة سيرها في البرور والبحار

فما تراه الفهم الجري من شديده وقود النار و يهرعون من أفتى بلادهم لمشاهدة ما يفر على
 من الاعصار لاوطانها هذه من بعض الآثار و يسارعون للوقوف منها على حقائق التواريخ
 والاخبار و يذلون نفائس أنفسهم وأموالهم و يصرفون أعز أوقاتهم وأحوالهم في السفر لعائنة مثل
 الأهرام وهي اقرب الينامن يدنا الى فينا وقائمة برأسها الى عنان السماء فينا وما من من تتعلق
 رغبته بعائنتها وتشوق علقته لمشاهدتها حتى ان من جملة علماءهم وزمرة الاساقفة وحكامهم
 طائفة من أهل العلم عندهم مخصوصين يعتنون بمعرفة أحوال ديار مصر بالخصوص و يزعمون
 بمطالعة ما يتعلق بها من الآثار والنصوص يقال لهم الايجيبتولوجيون يعني أهل العلم والخبرة
 بأحوال مصر في سالف العصر اقلنا الى منهم بالعناية بمثل هذا الامر وهل لا يقتضى أن يكون
 صاحب الدار اذرى بما فيها وأولى بمعرفة حقائق ظواهرها وخوافيها ورحم الله عصر ابدى
 مضى ودهرا انقرض وانقضى كان فيه مثل الشيخ عبد اللطيف البغدادي المقيم في القاهرة الذي لا يرب
 نزيل مصر رحمه الله وأكرم في أعلى عليين من الجنان مشوا يذهب بنفسه ويتسلق أعلى
 الأهرام بحالة قدره و يقيس ما عليه بناؤه من الابعاد والمقادير و يتطرق في حقيقة أحوالها نظر
 العالم البصير ويرجع الى خلوته فيكتب مثل رحلته المسماة (بالقادة والاعتبار في الامور
 المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر) ولقد سرح بنا سائر الفكر اني ما آل اليه الحال
 من حيث العناية بالعلم في هذا العصر ولا حول ولا قوة الا بالله واليه يرجع كل امر فانه كف عنان
 القلم ولا تقطع بعناية الدولة الخديوية اعزها الله من اصلاح الاحوال في الحال والاستقبال حبل
 العثم ونرجع لما نحن بصدده من تاريخ ديار مصر في سالف الدهر وبتدري : ج د على الغالب
 فنقول ان في هذا الباب مقدمة وعدة فصول تشتمل على جملة مطالب



مقدمة

في بيان جغرافية ديار مصر الطبيعية و ذكر احوال نهر النيل
 المبارك وما يعتريه من احوال الزيادة والنقص السنوية

مطلب - ما المراد بما يعز عنه بمصر في كل عصر - قال الجوهري في الصحاح ما نصه الممر
 هي المدينة المعروفة تذكروثوث عن ابن السراج والمصر واحد الامصار والمسار الكوفة
 والبصرة والمصر ايضا الحد والحاجز بين الشيتين قال (الشاعر)
 وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصل

وأهل مصر يكتبون في شروطهم اشتري فلان الدار بمصورهاى بحدودها، الى آخر ما ذكره من المعانى اللغوية المعهودة في هذه المادة العربية

يقال الفيروز بادی فی القاموس فی ضمن عبارته ایضا مانصه والمصر بالكسر الحاجرین الشیثین کالمصر والحدیین الارضین « الى أن قال « ومصر والمكان تمصيرا اجعلوه مصرا فتصير والمصر المدينة المعروفة سميت لمصرها ولانه ينالها المصر بن توح وقد تصرف وقد تذكروا وجر مصار ومصارى تجمع مصرى والمصران السكوفة والبصرة ويزيدو مصر محدث « الى آخره وقال صاحب المصباح مانصه « مصر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفقى والصدقات قال ابن فارس وهذه تجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتتبع والجمع امصار « الى آخر ما أوضحه ومن ثم يفهم ان لفظ المصر وان كان فى الاصل علما جامدا امر تجللا لاحد ابناء حام بن نوح عليه السلام لكنه فى أصل اللغة العربية صار من جملة مدلولاته اللغوية هو الحاجر بين الشیثین والحدیین الارضین وان من اطلاقاته اللغوية ایضا المدينة المعروفة وهو فى هذه الحالة معروفة تامة من جملة الاعلام الخاصة وحينئذ يجوز فيه التأنيث على ارادة البقعة او البلدة فيمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ويجوز تميزه ببناء على القاعدة النحوية المعروفة لكونه ساكن الوسط كهند اسم امرأة مخصوصة ويجوز فيه التذكير على ارادة البلد او المكان فيجوز مجراه وقد يطلق على القطر بتمامه كما أسلفناه وقد يكون نكرة عامة يطلق على كل مدينة عامرة وفى هذه الصورة الاخيرة يذكر ويؤنث ایضا ويجمع على امصار وفى عبارة بعضهم ان المصر هى كل بلدة اجتمع فيها حكم شرعى وسياسى اى قاض ووال وحينئذ تكون مثل بنها العسل وطن دنا ودمهور ومنية ابن خصيب واسيوط وقنا واسنا وما اشبهها من مقر كل مديرية فضلا عن مثل القاهرة ودمياط ورشيد والاسكندرية من المدن المحكومة بما يعبر عنه بدواين المحافظات يصدق عليها اسم الامصار وهكذا الحال فى سائر الاقطار وفى هذه الصورة ایضا اشتق منه فعل متصرف يقال مصر البلدة تمصير فتصرفت اى صارت مصرا كما يقال مذهبنا تمدنت بمعناه فاللفظان مترادفان وعلى كل من الحالتين يجوز ان يدخل على لفظ المصر ارادة التعريف كما يجوز فيه التذكير والتأنيث والتصرف وعدم التصريف كما يفهم من صريح عبارتي القاموس والصحاح خلافا لصاحب المصباح حيث خص جواز التأنيث والتذكير مع هذا الجواز الاخير بحالة التنكير كما يفهم من نص عبارته الذى هو بأعلاه مسطور

ومن الحالة الاولى وردتوك تعالى « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوا القوم كما بمصر يوتا » وعلى الحالتين المذكورتين ورد قوله تعالى « اهبطوا مصرا » بالتنوين فى القراءة المشهورة وورد ايضا فيما يعرف « اهبطوا مصر » بدون ان يصرف قال المولى ابوالسعود رجه الله فى تفسير هذه الآية الشريفة مانصه « والمصر البلد العظيم وأصله

الدرن الثام ٨٨ في التاريخ العام

الحديثين السيتين وقيل اريد به العلم وانما صرف لستكون وسطه أو بتأويله بالبلد دون الديانة
ويؤيده انه في مصنف ابن مسعود رضي الله عنه غير ممنون وقيل اصله مصر ائيم فمرب هاه
وتدتحصل لنا بما ذكر اعلاه ان لفظ المصر له حالتان تشتملان على ثلاث اطلاقات الحاله الاولى
أن يكون منكرا يطلق على كل مدينة من سائر الاقطار اجتماع فيها بعض شروط على حسب
اختلاف الاقوال في ذلك وانها حيث تجميع على أمصار واشتق منها فعل يتصرف كسائر الافعال
يعني التمدن والاستحضار

السانية أن يكون معرقا وله في هذه الحالة اطلاقان احدهما أن يكون علما على كرسى ملكة
قطر مصر في كل عصر وحيث تذك كل من مدينة منفيس أو منف (مائة رهينة) وطيبة الصعيد
(مدينة أبو) وكذلك الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة المعزية كلها يطلق عايتها اسم مصر
بطريق العلمية الثاني أنه قد يطلق على سائر القطر المتد من أعلى الصعيد يعني من عند مدينة
اسوان الى غاية البحر المتوسط الابيض أو بحر سفيد

ومصر بهذا المعنى الاخير تسمى ايضا في اللغة اليونانية واللاتينية باسم ايجيبتوس (يجيم فارسية
بعدها ياء مشناة تحتية ثم ياء فارسية بعدها تاء مشناة فوقية ينتهي بين مهملة في آخره كما كثر
الاسماء اليونانية) وهو المرخم بلفظ (ايجيبت) في اللغة الفرانساوية والعرب باللفظ القبط في اللغة
العربية وحيث تذك لفظ القبط كما يطلق على ذات القطر يطلق كذلك كالا في على هذه الطائفة
النصرانية التي هي بقايا قسما اهل مصر وجمعها قباط كما يجمع لفظ العرب على اعراب والترك على
أترك وهكذا

وتسمى مصر ايضا في اللغة القبطية اي المصرية القديمة باسم (كهي اراكيمية اي الحامية بمعنى
أرض حام بن نوح عليه السلام)

ويعبر عنها في التوراة بالعبرانية باسم مصر ائيم (بائين تحتيتين اولاهما هموزة) كما سلف تعريف
ذلك ومصر بهذا الاطلاق الاخير (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مقدمة تاريخه الصغير) هي
هذا القطر المستطيل من الجنوب (المعبر عنه على لسان اهل البلاد بالقبلي) الى الشمال (المعبر عنه
عندهم بالبحري) وهو الكائن في الزاوية الشمالية الشرقية من قسم افرقية او كما كان الساف
الاقدمون يقولون من بلاد الليبية (وهي برقة وما يليها من الاقطار المغربية) وذلك حيث تتصل افرقية
ببلاد آسية بواسطة برزخ السويس وحده مصر من جهة الشمال هو البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد
ومن جهة الشرق برزخ السويس والبحر الاحمر او بحر القلزم ومن جهة الجنوب بلاد النوبة حيث
يخترقها النيل قبل أن يدخل مصر من عند جنادل اسوان (المسماة ايضا بشلال اسوان)
وحدها من جهة الغرب صحاري يوجد فيها بعض الواحات أي أراضي خصبة ينبوع فيها بعض
عيون من الماء فتزرع ارضها ويسكنها الناس وهي المسماة بسلسلة الجبال الليبية أو البرقية
وتتدفق جهة الجنوب الغربي الى قريب من البحر الابيض كما أن الجبال الشرقية المسماة بسلسلة

الجبال العربية تمتد الى سواحل البحر الاحمر وتمتد تلك الصحارى ايضا الى امد بعيد في داخل ذات بلاد مصر وكل ما كان من ديار مصر لم يصل اليه الري بزيادة نهر النيل السنوية فهو غير قابل لسكنى الناس فيه لكونه لا يخرج به اثمار من حبوب ولا خضراوات ولا اشجار ولا اعشاب مطلقا ولا يوجد فيه ماء غير بعض آبار على مسافات متباعدة بعضها عن بعض في تلك القفار وبعض تلك الآبار اقل عرضة من بعض لأن يفيض ماؤها في درجة من الجفوة على الدوام متقدة النار وفي صعيد مصر اى في الجهة الجنوبية (الوجه القبلى) منها ترى المطر حادثة نادرة جدا وجميع ارض مصر عبارة عن رمال او صخور ما عدا ارض وادى النيل وهو وادى لغاية تفرع النهر فيه الى عدة فروع اعنى في مسافة أكثر من ثلاثة ارباع طول الديار المصرية لا ينيف متوسط عرضه على أربعة فراعخ وخمسة وفي بعض المواضع منها هودون هذا القدر بكثير كما ذكره المؤلف رويو

ولقد أصاب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت حيث قال ان ديار مصر كلها انما هي هبة من هبات النيل اه وذلك انه لو انعدم النيل من ارض مصر لكانت كلها صحراء جردية لا ينبت فيها غير خصية لا ماء فيها ولا زرع ولا نبات بها ولا ضرع ولو انحرف مجرى النيل من الجهة العلوية لانعدمت الديار المصرية بالكلية وكانت قد خربت هذه الفكرة بخاطر أحد سلاطين بلاد الحبشة السابقين في القرن الثالث عشر من التاريخ المسيحى ثم لرجل يرتعالي يقال له الفونس دالبوكيرك كان عاملا لدولة البرتغال (احدى الممالك بأوروپه) على ما كانت قد استولت عليه مدة حقبة من الزمن ببلاد الهند الشرقية في القرن الرابع عشر وأراد كل منهما أن يصرف نهر النيل عن طبيعى مجراه بأن يسده من اعلاه ويوجه مصبه الى جهة البحر الاحمر فلم يتيسر له تحقيق ما تمناه وفي الواقع ونفس الامر ترى نهر النيل فيه خاصية ظاهرة دون غيره من الانهار وهي كونه في جميع الجزء الاسفل من مجراه لا يأتى به مادة أخرى تنضم اليه وانه بخلاف سائر الانهار يعتبر به النقصان كما منزل الى أدناه بدلا عن أن يزداد كما اسفل لداعى كونه يفرغ ماءه في الترعرع والجحان المعدة لرى الاراضى ولا يصب فيه ما يجبر هذا النقصان (اه معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور دوردى في تاريخه القديم عند الكلام على ديار مصر لا بأس بإيرادها هنا أيضا وهي هذه قال المؤرخ المذكور في هذا الشأن ما تعريه ان ديار مصر عبارة عن واد تبلغ مساحته ٨٨٠ كيلومترا طولا (والكيلومتر عبارة عن الف متر والمتر ذراع وثلاث ذراع بالذراع المصرى المسمى المعتاد) وهو منحصر من جهة الجنوب بين سلسلتين جبليتين صوانيتين لا يبلغ عرض ما بين سفحهما ومجرى النهر غير بعض مئين من الامتار ثم تتباعدان شيئا فشيئا حتى تسكادان ان تزولا بالكلية كلما نزل النهر الى جهة الشمال وتنتهى ديار مصر

من هذه الجهة بحر سفيدي واما حدها من جهة الجنوب فقد كان غير ثابت ولا شك في انه انما تعينت حدودها على وجه القطع من هذه الجهة بجنادل أسوان من بعد حروب طويلة حصلت بين المراعنة المتقدمين وملوك بلاد الايتيوبية (ملوك الحبشة السالفين) وذلك انه يوجد في ذلك الموضع من النهر بعض صخور تطل بجراها كأنها قد فاصلت للسفريه (وهي المعبرة بها بجنادل أسوان أو شلالات أسوان) ويمتد على مينة هذا الوادي ويمسرت صحارى جديدة متكونة من رمال غير ثابتة تحركها الرياح كأنها بحر من البحر وكثيرا ما يحصل الغرق على هذا الاوقيانوس من البرارى وذلك ان تلك الرمال في أغلب الاحوال قد تنقلها الرياح فتجتمع عند مائع ياءها من بعض الصخور والجبال فتتلمع وتوافل من السيارة كاملة مما يحيطها من الاجمال والجمال ودائما يخشى من هذا الامر على وجود أرض مصر قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم هيرودوت ما معناه ان أرض مصر هي هبة من هبات النيل ومعنى ذلك كما يظهر هران بتريدي قد كان في سالف الزمان داخل الى أمديعيد في هذا الوادي المديد ثم صار النيل على توالي الاعصار يأتي من أعالي الاقطار بما يجره معه من المواد الراسبة الكثيرة (وهي المعبر عنها بالطمي) حتى ارتفعت الارض التي يقيم عليها ويرى فيها بالبحر شيئا فشيئا الى ان انهدا البونجاز (معنى الجزء من البحر الداخل في البر كما هو معلوم من ان يعرف ان الاصطلاحية المستعملة عند علماء الجغرافية) الذي كان متذكرا من البحر الابيض المتوسط في موضع ما يدعى من أرض مصر عند اليونان باسم (الداتيه) من ذلك المكان وقد صار أرضا جافة تزرع بعد ان كان بحرا فيه بالسفن بقلع وانظ الدلة هذه عبارة عن الجزء الاسفل من وادي مصر من عند اقتراق النهر الى فرعين (المسمى على لسان أهل مصر ببطن البقرة أو فم البحر) الى سواحل بحر سفيدي سمي بذلك لكون هذه القطعة الارضية من الدار المصرية مقفلة من جهة الشمال بالبحر الملح محاطة من جهتي الشرق والغرب بفرعي النيل الاصليين على وجه بحيث يتكزن منها شاكل على هيئة أحده حروف الهجاء اليونانية المسمى باسم الدلة وبعبارة أخرى أحسن من هذه انما سميت تلك القطعة بهذه اللفظة لكونها تصور منها شاكل مثلث قاعدته بحر سفيدي ورأسه مفرق نهر النيل الى الفرعين الاصليين (انتهت عبارة المؤرخ ويكنو دوروي) وانما أردنا ما هنا في هذا المكان مع عبارة المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشتمالها على فوائد زائدة عنها وان كان فيها تكرار لبعض المعاني المفهومة منها وشكل حرف الدلة هذا قريب من شكل حرف الدال من حروف الهجاء العربية وذلك لما كان يسمى في عهد الحكومة الخديوية السابقة بهذا العصر باسم مديرية روضة البحرين وهو مجموع مديرتي المنوفية والغربية (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب الكلام على نهر النيل وصفة هذا الوادي الجليل — قال مؤلف الاصل ما معناه ان وادي النيل يكاد أن يكون في جميع الامكنة من طوله منحصرابين سلسلتين من الجبال

تسمى احدها وهي الشرقية بسلسلة الجبال العربية والثانية وهي الغربية بسلسلة الجبال الليبية (أو البرقية أي جبال برقة وما والاها من سلسلة الجبال المغربية) وهاتان السلسلتان الجبليتان تتقاربان في بعض الاماكن جدا احدهما من الاخرى ولا سيما في جهة الجنوب من هذا الوادي حتى يتكون منهما ما يسمى (في الاصطلاحات العسكرية بالمضيق أو الدربند الحقيقي) ومع ذلك فانك ترى الاقليم المعروف من ديار مصر باسم الفيوم الكائن على غربي النيل في جملة الاقاليم المصرية الوسطى فوق المكان الذي كانت مدينة منفيس أو منف كائنة فيه يروى بواسطة خلجان تخرج من النيل بواسطة بحيرة هناك مصطنعة ولذلك ترى ديار مصر وان كانت من عند شلالات أسوان لغاية ذلك المكان ليست الا عبارة عن واد كنز يأخذ عرضها عند هذا الاقليم في بعض اتساع عظيم ثم اذا بلغ الوادي الى مادون مدينة القاهرة التي هي كرسى دولة مصر الآن) وهي كائنة على القرب من اطلال مدينة منفيس كرسى دولة الفراعنة في سالف الزمان ترى النيل يتفرع الى فرعين أحدهما وهو فرع رشيد يتوجه الى جهة الشمال الغربي والثاني وهو فرع دمياط الى جهة الشمال ثم ينحرف الى جهة الشمال الشرقي وقد كان السلف من الامم الاقدمين يعرفون للنيل خمسة فروع أخرى غير هذين الفرعين الاصليين ارتدت الآن أو صارت غير صالحة للسفر والسفن فيها وترى عدة ترع واخلجان ثانوية تتحرق داخل ديار مصر السفلى أو الوجه البحري من الديار المصرية

ثم ان النيل يتكون منه على القرب من البحر الملح عدة بحيرات أو برلك كبيرة مغلقة من جهة البحر يبرز من البركة كونه من طين أو رمل متصلة ببحر سفيدي بواسطة فرجات والبحيرات الاصلية منها ثلاث احداها بحيرة المنزلة في جهة الشرق من الجهات البحرية الثانية بحيرة البرلس في وسط السواحل المصرية الثالثة بحيرة مريوط وهي المسماة في سالف الدهر باسم بحيرة مريوطيس في جهة الغرب من سواحل مصر على القرب من مدينة الاسكندرية الشهيرة التي أنشأها الاسكندر الاكبر في المكان الذي قد كان به القرية القديمة المسماة باسم راكوتيس وقد كانت تلك الجهة معمورة في سالف العصر وتسمى المسافسة المنحصرة فيما بين أبعد فروع النيل باسم الدلتة (أو حرف الدال) لداعي موافقة شكلها الذي يكاد ان يكون شكلا مثلثيا الشكل الحرف المسمى بهذا الاسم من حروف ألف باليونانية اذا كتبت بقلم الثلث (قال مؤلف الاصل اه هذا القول منقول من كتاب المؤلف رويو)

مطلب زيادة نهر النيل الدورية — قال مؤلف الاصل وفي كل سنة في وقت الانقلاب الصيفي اعني عند آخر شهر يونية الا فرنجي أو حيزر لن الرومي (أي عند منتهى شهر يونيو القبطي) يأخذ النيل في الزيادة وفي مدة يسيرة تبلغ مياهه الى حد ضئفيه ثم تفيض عنها فتطفو وتنتشر فجأة في سائر الوادي لكونه على وجه العموم هو أسفل من ضفتي النيل وقد توصل أيضا

بواسطة أعمال الري الصناعية لنشر خيرات النيل على أرض الديار المصرية الى أكثر من حدود زيادته الأصلية ثم في اواخر شهر سبطمبر الافرنجي أو ايلول الرومي (منتصف شهر توت القبطي) تبلغ مياهه الى أعلى درجة من الزيادة وتمكث على هذه الحالة مدة أيام قلائل ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى اذا جاء شهر دسمبر الافرنجي أو كانون الاول الرومي (أواخر هاتور القبطي) رجع النيل لحالته الأصلية وعاد مجراه لدرجة ارتفاعه الاولى وأخذ أهالي مصر في بذر الأرض (المعبر عنه عندهم بالتخضير) واستمروا على هذا العمل كلما نزل النيل وسفل وبنضج الزرع عندهم فيحصل في شهر مارس الافرنجي أو شهر اذار الرومي (برمهاث القبطي) وان أعمال الحرث عندهم لمهلة كثيراً حيث كانت أرض مصر خصبة مستعدة للزرع استعداداً كبيراً وفي مدة فيضان النيل ترى الناس منحصرين في المدن والقرى حيث كانت كائنة على ربوات من الأرض إما طبيعية أو صناعية فائمة في وسط المياه كأنها جزائر في وسط بحيرة أو بركة من الماء متسعة ينتظرون مع غاية القلق والضجروا متى عرفون الى كم تبلغ درجة فيضان النيل في العام اذ بذلك يتعلق أمر كثرة الحصاد وقلتها وهو عندهم ميزان السخاء والرخاء أو القحط والغلاء (قال مؤلف الاصل انتهى هذا القول منقولاً من كتاب رويو ثم قال بعد ذلك ما معناه) وهذا الأمر العجيب القائم بنهر يخرج من طبيعى مجراه في أوقات معلومة ليروي الأرض ثم يعود الى حالته الأصلية قد كان استغربه الامم الاقدمون لكونهم لم يكونوا يعلمون ان جميع الانهار التي منابعها بالمنطقة الحارة هي بهذه المزية فتوجهت أفكارهم وتنوعت أنظارهم في تأويل هذه الحادثة الى عدة حدسيات غريبة وتوهوا في هذه المادة بجله أو هام عجيبة من أراد أن يطلع عليها فليقرأ تاريخ المؤرخ هيرودوت داليكارناس المؤرخ اليوناني وديودور الصقلي السالفي الذكر والقول الصحيح في سبب زيادة النيل انما هو كثرة نزول الامطار الدورية التي تنزل في أعلى بلاد الحبشة حيث ينزل النيل منها وينقل فيضانه هذا عن الاغبر (اه معرمان مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور وروي في هذا المطلب لا بأس بإيرادها هنا أيضاً لاشعة لها على زيادة توضيح وهي هذه كما هو معرب قوله الصريح

ان نهر النيل كل عام عند حلول الاقلام الصيفي في يوم يكاد أن يكون معيناً فيما بين ٢٠ شهر يونيه لغاية أول شهر يوليه (١٤ الى ٢٥ بؤنه) يزداد بالتدريج شيئاً فشيئاً مدة مائة يوم ثم يطفو على ضفتيه في الاقاليم الوسطى وفي القطعة المعبر عنها من الديار المصرية باسم الدلتا وينتشر في سائر البلاد الى آخر شهر سبطمبر (أواخر شهر توت) فيسرى منه في أراضي مصرية من الماء باجتماعها مع الانداء التي تتساقط عليها بالليل تكفي لغذاء النباتات فيها ثم في أوائل شهر اقطوبر الافرنجي أو تشرين الاول الرومي (أواخر شهر توت القبطي) يأخذ في التناقص حتى اذا

حل الانقلاب الشتوى يعود الى مجراه الاصلى و يترك على الاراضى التى رواها راسباد سما خفيفا يكون للارض بمنزلة العماد (أو الدبال بالدال المهملة كلاهما بمعنى ما يعبر عنه عند العوام بالسباح وذلك هو المعبر عنه باسم الطمى على لسان أهل البلاد) ولا يزال النيل يتناقص لغاية آخر شهر مايس أو مايه الا فرنجى أو ايار الرومى (أو آخر بشنس القبطى) ولا بد من ان الزيادة تبلغ من ٧ الى ٨ أمتار ونصف متر حتى تعلو المياه على جميع سطح الارض الصالحة للزراعة فتأتى المزارع بالخصيدة الواقعة فان وقفت الزيادة دون ذلك المقدار لزم الاقتصار فى زراعة الارض على ما لحقه الرى فقط وبقي ما عداها منها غير مزرع (يعبر عنه بالارض البورا والشرافى) وان انافت الزيادة على ثمانية أمتار كانت مضرة حيث كانت المياه حينئذ تترك على الارض مدة مديدة فان كانت الزيادة فوق ثمانية أمتار ونصف كان الغلاء متحققا لان الارض تصبح مستحجرة فلا يمكن زراعتها ويخشى على الديار المصرية حينئذ من وقوع الوباء فيها ولما كان النيل فى جهة الصعيد منحصرا بين ضفتين عاليتين لزم ان يتدارك فيه أمر رى الاراضى الزراعية بالطريقة الصناعية وقد علم بالحساب ان ارتدام الطبقة الارضية العليا من وادى مصر الناشئ عن تراكم راسب مياه النيل المعروف بالطمى يقتضى ان يكون يقدر ١٢٦ ر . ٠ ميليمترا (أى مائة وستة وعشرين جزءا من الالف من المتر الواحد) فى كل قرن من الزمن

وهذه الحادثة وان كان قد تخيل للسلف من الأمم المتقدمين انها من العجائب التى لم تعلم أسبابها صار لا وجه الآن لاستغرابها فانها من المعارف الضرورية وليست لنهر النيل بخصوصية حيث كانت جميع الانهار التى مناسبتها فى الاقليم الحار يعثر بها أحوال فيضان ينشأ على وجه النظام عن الامطار الدورية التى تسقط بتلك الاقطار الارضية وذلك ان جبال بلاد الحبشة التى ينزل منها النيل لما كانت موضوعة فى جنوب دائرة الانقلاب لزم ان ينزل عليها فى كل عام فى موسم رياح الجنوب الغربى أعنى فى موسم سقوط الامطار على تلك الاقطار مقادير جسيمة من الماء تنجر الى مجرى النيل فينقلها مع ما يتبعها من المواد التى تأتى معها من اعلى اراضيها الى اسفل وادى النيل ولولا ذلك الحال لكانت ديار مصر تسترها الرمال وكانت الصحارى تمتد بماهى عليه من حالة الجذب والقحولة الى حد البحر الاحمر بالسهولة وباليتم شعري ماذا كان يترتب على ذلك من المترقيات وما الذى كان يلزم عليه من جميع المضرات لاشك اننا لو فرضنا ان ثنية من الارض منعت مجرى النيل من السير فى طريقة المعتاد الى جهة البحر الابيض المتوسط وصرفته الى جهة البحر الاحمر لزم عليه ان ديار مصر على الحالة التى نعرفها بها الآن أعنى كونها أحد مراكز تمدن العالم الدنياوى ومربط بلاد أور و بة ببلاد آسية وافريقية تنحس من خريطة بلاد الدنيا بالكلية وكانت بلاد اليونان لا تيسر لها أن تستمد شيأ مما منها وكان الاسكندر لا يأتى اليها ولا يفتيحها وبقيت بلاد افريقية أمة وحدها وبقيت بلاد الدنيا الى الابد وقام

مانع حصين وقاطع رصين لا يمكن تجاوزه بعد بين بلاد اوره وبلاد الهند حيث كان وادي النيل فيما بينهما هو الطريق الاعظم والمسلك الاقوم

مطلب - مصاب النيل (معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكنودوروى) (قال المؤرخ المذكور) لما كان النيل في الديار المصرية لا بسدة مائة تلتقى معه طبيعة وكان يخرج منه عدة ترع ولجان صناعية تتفرع عنه لقصد ري الاراضي منه لئلا ينقص كلما قرب من البحر وهو يمر عند وصوله الى ديار مصر ببعض قطع من الصحر توجد في مجراه وتظهر رؤسها منه على سطح الماء عند بلوغه لادنى درجة الارتفاع (المعبر عنها في اصطلاح أهل البلاد بالتجاريق) وهذه الصحور هي ما يسمى بشلالات النيل او بجنادل النيل وكان لها شهرة كبيرة عند الامم الاقدمين ومع ذلك فلما كانت هذه الصحور قريبة من وجه الماء كانت غير مشوية جدا وغاية ما هناك انها تعطل السفر على النيل بعض التعطيل حيث يترتب عليم الوصول بعض انحدارات مائية وتيارات نهريه* ولكنها غير مانعة للسفر فيه بالكلية ثم ان النيل يجري من عند اسوان الى مدينة منفى او منفى واحد حتى اذا بلغ الى قاعدة المثلث الذي يعرف باسم الدلتا تفرع الى عدة فروع وذهب حتى يصب في بحر سفيد بسبعة مصاب اربعة كانت تسمى في سالف الزمن احدها بمصب قانوب او قانوبوس (بوقير الآن) والمانى بمصب الرابية وهو المعروف الآن بفرع دمياط والثالث بمصب سينيت او سينيتوس (بالسين المنحرفة في اوله) ربهى الآن سمود والرابع المصب الفاتى او الفاتى (بالميم او بالنون الموحدة الفرقية) وهو فرع رشيد والخامس مصب منديس او الدية والسادس مصب مدينة نائيس (المسميات ام نرح اوسان الآن) والسابع مصب مدينة ييلوز (وهى المسماة في سالف الزمن بمدينة اواريس وفي التوراة باسم ابنة) (بضم اللام) والان باسم تينه (بالتاء المنناة الفوقية في اوله) ولم يبق الان من فروع النيل التى ينبع بها في بحر سفيد غير فرعى دمياط ورشيد وساعداهما صار الان من قبيل الترع والخلجان ولما كان النيل يطفو مائة في اثناء جريانه على كذا ذنتيه بدون مانع يمنعه لئلا ان الخطاة الارضية المتشكلة بين فرعيه الاصليين بشكل الدلتا لا تمتد في البحر الملح الاشياء قليلا اعنى بنحو ثلاثة امتار او اربعة في كل عام حدا وسطا (قال المؤرخ ويكنودوروى) وهذا بخلاف النهر المسمى باسم الپو (بالباء الفارسية بعدها واو فى آخره) وهو المسمى بنهر بادوس (بلاد ايطاليا) فانه حيث كان منحصر بين جسرين كانت خطته الارضية المنحصرة بين فرعيه المسماه ايضا بالدلتا ترتد من قاع البحر بما يجريه ماءه من الرمل والحصا بنحو ٢٥ مترا في متوسط كل عام (اهم معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ المذكور)

مطلب - اختلاف مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول (وهو من الكتاب المذكور آنفا ايضا منقول)

الدرس التام ٩٥ في التاريخ العام

يظهر لعين الناظر لهيئة غيظان الجهات البحرية من الديار المصرية ثلاثة مناظر أصلية تختلف بحسب اختلاف فصول السنة الزراعية فمن أول منتصف فصل الربيع من السنة العادية تجمع الحصاد وتسال عن الأرض فلا يرى الناظر من مجموع أرض الديار المصرية في هذه الجهة البحرية حينئذ غير أرض زرقاء غبارية يتخللها أشقوق غميقة جدا بحيث لا يتيسر للسائر فيها أن يمر بها إلا بغاية المشقة فإذا حل وقت الاستبدال انزف في ترى الأرض كأنها بساط ممتد من ماء أحمر ملح يبرز من باطنه رؤس تخيل وقرى وجسور ضيقة هي الطرق الموصلة بين القرى بعضها البعض ثم متى نزلت المياه عن الأرض لا يرى الناظر إلى آخر الفصل غير أرض سوداء وحلوة ولا تظهر محاسن الطبيعة وخيرات البديعة إلا في مدة فصل الشتاء بالديار المصرية حيث ترى حينئذ من طراة الهواء وقوة النبات الحادث وكثرة الثمرات التي تملأ سطح الأرض ما يفوق كل جميل استغربه الرأي في أجل بلاد الدنيا من هذا القبيل وذلك أنك ترى ديار مصر من الأول إلى الآخر كأنها مرج جميل أو روض ازهار جليل أو أوقيانوس زاخر و يشته تظهور هذا المنظر الخصب بما يشاهد من ضده خصوصاً من الرمال والجبال المحيطة به حيث لا ترى منها غير مطلق القحولة والجذب

وفي هذا الاقليم السعيد لا ترى الماء ينجم والثلج أمر مجهول لا يوجد والأشجار لا تسكاد تسقط أوراقها إلا ليخرج لها أوراق أخرى تستجد ولا ترى النبات في الأرض يتعطل عن العمل وترى الزراعة فيها حيث لا يخيب منهم الأمل لا يرون جميع فصول السنة إلا كأنها فصل واحد ينتج الكثير من المحصول لولا أن تغير أحوال فيضان النيل يوجب الاقتصار على الزراعة في بعض الفصول ومن ثم يعلم إداداتهم استبدال أعمال الري الطبيعية بأعمال صناعية لزم أن تعطى الأراضي المصرية حصيدتين إلى ثلاث حصائد في كل سنة زراعية وينضم لما منح الله سبحانه وتعالى ديار مصر من المزايا الطبيعية ذكرى تمتد عتيق يصعد إلى أقصى الأزمان يسحر خصوصاً فطر كل سياح ذي تبصر وعرفان وذلك أن بلاد صعيد مصر يكثر بها من مآثر الأمم الأقدمين وتذاكر الأقوام السالفين في الأعصار الغابرة ما يتخيل لناظره ارتكك البلاد هي في الحقيقة مسحورة وذلك هو ما يترآى حتى لا قل ذوى العقول تبصروا وأدناهم تدبروا وتفكروا فانه يرجد فيها نحو عشرين مدينة عتيقة وكثير من الأماكن الغير المعمورة كلها تظهر لعين السياح وهو على الدوام لا يزال يتعجب منها أنها اطلال قصور وهياكل قديمة وآثار بدائع من فن العمارة عظيمة لا من حيث عظم اجرامها الجسمية بوهيئتها الدينية الكريمة فقط بل كذلك من حيث بساطة تركيبها وحسن هندسة ترتيبها وظرافة ما يوجد عليها من الصور والتماثيل الإشارية وكثرة ما هي مزيينة به من أنواع الزينة التي تقف عندها الأفكار وتنهل منها الابصار حيث كانت كلها لا تتخلو عن دلالات معنوية ومعاني تاريخية قال المؤرخ ويكتور دوروي (ناقلا هذه العبارة الآتية عن نص العالم الفرانساوى المدعو باسم دوروزير الذي كان متوظفاً بوظيفة رئيس المهندسين في المعادن واحداً من أعضاء جماعة العلماء

الفرانساوية الذين كانوا حضروا مع غزوة الفرانسييس لدار مصر في مبادئ هذا القرن الثالث عشر لقصد النظر في أحوال هذا القطر ما معناه بالعربية **وهو** ومن ذلك مدينة طيبة صعيد مصر فانها وان كانت قد توالى عليها الكثير من تقلبات الدهر وصارت الآن اطلالا خربة وتلا لاجسدية لم تزل تملأ من العجب والاستغراب قلب من أطلع على العجائب القديمة والغرائب العظيمة التي توجد بمدينة روميسة الكبرى (كرسى مملكة ايطالية) ومدينة اتينة العظمى (كرسى بلاد اليونان) ولقد وقف عند منظر مدينة طيبة هذه على حين فجأة منهم جميع عساكر الفرنسيس المنصورة صائحين **ككلهم** من شدة العجب والاستغراب صيحة واحدة بالاعجب العجائب وهذه المدينة التي اشتهرها الشاعر اليوناني المشهور باسم أوميروس في أشعاره وقد كانت في عصره اهل مدينة في العالم الانساني لم تزل لغاية الآن بعد مدة أربعة وعشرين قرناً من تخريب الزمان اعجب مدينة تنظر واغرب حاضرة تذكر فان من تأمل لجسامة اطلالها وتنظر لعظمة آثارها وتلاها وفخامة عمارتها وما تبقى بعد مما لا يحيط به العدد من بقايا عظم سعتها تخيل له انه انما هو في عالم رؤى يامنامية وحالة توهية لاحقيقة علمية (٥١) معرباً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى

تنبيه

مطلب صفة ديار مصر على حسب ما هي عليه في هذا العصر يقتضى أن يتنبه هذا السكون بعض ما ذكره المؤرخ ويكتور دوروى وأبداه من أحوال النيل ومناظر الديار المصرية على حسب اختلاف السنة الزراعية في ضمن المطلبين المسطورين اعلاه هو ليس بمحقق الآن ولا صادق في حيز الوجود والعيان وان ما ذكره من وصف النيل ومصر من التفصيل والبيان انما هو بحسب ما كان في سالف الزمان وأما الآن فقد تغير منظر البلاد بحسب ما حدث فيها في هذا العصر من الاصلاح والاستجداد بالنسبة لما كانت عليه في العهود السابقة من الاهمال والفساد وذلك ان ديار مصر منذ وليها المرحوم محمد على باشا الكبير عليه سبحانه الرحمة والرضوان وهكذا بعدة ولاية بعض خلفه الامجاد لغاية الآن صار يترأى عليها في جميع فصول السنة على وجه العموم والاجمال والحق ينبغي أن يقال انها كأنها فردوس من الجنان أو كما قال فيه وتحقق قواه بعض التحقق تخيل الشاعر المفلق حيث قال

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر

فاولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ولقد صدق فيها كل الصدق قول الآخر

من شاهد الارض وأقطارها * والناس أنواعا واجناسا

ولا رأى مصر ولاهلها * فخارأي الدنيا ولا الناسا

ولذلك ترى افاضل الناس في سائر الاعصار من سائر الاقطار يهرعون اليها ليتفرجوا عليها ويقتبسوا منها المعارف والافوار دون سائر الامصار وبيان ما صارت اليه الآن ديار مصر من المنظر الحسن بطريق التخصيل والبيان وبديل العيان الذي هو أقوى برهان انه لو وقف من ديار مصر على مكان عال ناظر ذوب مصر مديد او مسافر في عرائن سكك الحديد يقلب نظره ذات اليمين وذات الشمال كلما انتقل من مكان الى آخر على حسب اقتضاء أحوال التنقل والارتحال لظهر له من حسن منظر هذا القطر وظاهر ما آل اليه من اصلاح احوال الامكنة في هذا العصر بالنسبة لما كان عليه في سالف الازمنة من اختلاف المنظر بحسب اختلاف الفصول حسبما هو آتفا منقول ما ينتج على فؤاده نتيجة عمل السحر ويخرج من قلبه نفحات الشعر حيث يرى (اولا) ان جميع جهات القطر صارت متقطعة بفروع شجرة من سكك الحديد أصلها في محطة مصر القاهرة وأغصانها متنوعة ظاهرة تمتد من نهايات الجهات السائرة الى أمد بعيد كأنها سدرة المنتهى المذكورة من القرآن الشريف في بعض الآيات ويرى القطاران المجرورة عليها تظهر للناظر على البعد كأنها هي ما ذكرها من عجيب الثمرات ويرى الناظر (ثانيا) منظر آخر يسر الناظر ويروق الخاطر وهو ان هذا النهر الاكرم يخترقها ويزين فروع سكك الحديد ما هو قائم عليها من جميع الاطراف من قوائم الخشب الحاملة لسلك القلغراف منحصر الآن بين جسرين عظيمين بمسكانه عن الطغيان يسميان بجسرى العموم او جسرى البحر الاعظم (لا كما ذكر في الوصف السالف البيان وانما ذلك بحسب ما كان) ومبداء انشائها يصعد لمدة عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير عليه سحائب الرحمة والرضوان ولم تزل العناية بالمحافظة عليهما في مدة الفيضان من الحكومات الخديوية الخالفة لغاية الآن ويتخللهما على النيل من الخافقين ويخرج منهما من الضفتين اقسام نحو مائة من كبير الترع والخجان منحصرة كذلك بين ما يليق بها من متين الجسور والقناطر ومكين البنيان شبيهة بغدران صالحة للسفر فيها بالسفن في كل زمان وكلها صناعية مستحثة في مدة عهود الدولة الخديوية المصرية بيد الانسان واكثرها يبلغ من الطول من خمسة عشر الى عشرين او ثلاثين فرسخا تفرع عنها مساق وترع اصغر منها كثيرة تروى سائر الجهات المتباعدة عن شواطئ النيل والترع والخجان الكثيرة الى حد يبلغ جدا بحيث يصعب حصرها عدا وان كان البصر المديد قد يحيط بهامدا وهي تأخذ ماء النيل المبارك في وقت الفيضان وتوزعه الى سائر النواحي والبلدان بحيث لا تبقى ناحية من فلول ديار مصر منه بحاله الحرمان وتسمى حيثئذ بالترع والخجان النيلية ومنها ما يبر عنه بالترع الصيفية وهي ما يبلغ قاعها الى استواء أدنى قاع مجرى النيل في وقت تحاريقه فلا يزال يجري فيها ماؤه في غير مدة الفيضان حتى يعود لعادة فيضانه فتسقى منها المزارع الصيفية أما بالراحة او بالآلة فمن ذلك مثل الترع الضيفية المسماة بالشرقاوية والبسوسية والاسمعية المعروفة ايضا بالترعة الحلوة الموصلة ماء

النيل الى جهات التربة المالحة الموصلة بين البحرين الابيض والاسود بجهة السويس وكذلك بحرمه وسواطيه والمحمودية الموصلة ماء النيل الى نواحي الاسكندرية ورياحات القناطر الخيرية بالجهات البحرية ولا سيما التربة الصيفية المستجدة باسم الابراهيمية في الاقاليم الوسطى ونواحي الصعيد مصر وغير ذلك مما تغيره تظاهرة الديار في هذا العصر وصارت لا يصدق عليها اكثر ما قيل في وصفها في سالف الدهر حيث صارت جميع اراضي الوجه البحري وكثير من اراضي الوجه القبلي من القطر المصري الى ما يعبر عنه على لسان أهل البلاد في العادة في الجهات البحرية بالرواتب وفي جهات الصعيد بالنباري بمعنى ما يستنى من ماء النيل بالراحة والارادة في مقابلة ما كان يدعى بالملق بمعنى ما يعمه ماء النيل الجاري بطبيعته ولا يمكن الحصول على زراعته بالمزارع النيلية والذي ينطبق عليها في الحقيقة من الوصف الصادق والهول المنحوق الا انه هو كما يأتي بعد من وصفها بالتفصيل والبيان على قدر الامكان في كل موسم وادان وذلك ان السنة الزراعية بالديار المصرية تنقسم الى ثلاثة مواسم فصلية

الاول موسم الزراعات الصيفية

الثاني موسم الزراعات السيلية

الثالث موسم الزراعات الشتوية

فاما ما سطره المؤرخ ويكتور دوروي في شأن منظر الجهات البحرية من الديار المصرية في هذا الجزء من السنة الزراعية أي في موسم الزراعات الصيفية أعني من أول منتصف فصل الربيع من الوصف البديع فهو كما وصف وتفنن في التعبير عما عليه وقف غير انه وصف شيئا وغابت عنه أشياء وحكى ظاهرا بارقا حال تلك البلاد في ذلك الاوان من كونها حفر اقفر كأنها صحرا حسبا كان ولكن فاته شئ ما حدث فيها في هذا الزمان من حسن المنظر بالاستجداد والاستحيا ولا بأس بان يقال له هنا على وجه التمثيل مع بعض تغيير في البيت وتبديل كما قال الشاعر الفصيح

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مخضر مليح

المير الرائي الآن ان منظر البلاد في مثل هذا الاوان بالوجه البحري من القطر المصري بل وفي الاقاليم الوسطى وبعض نواحي الصعيد قد تحول الى منظر حسن جديد بواسطة ما حدث الآن في منظر تلك البلدان من تقطع الارض البور بما يتخلل المنظر المذكور من أصناف الزراعات الصيفية المعهودة لاهل مصر من سالف العصر مع ما ابتدع او توسع فيه من أصناف الزراعات الصيفية الجديدة كالنيلة والارز وقصب السكر والتبناك والاقطان حيث يمتلئ قلبه سرورا ويتفقأ به بهجة وجورا اذا نظر لآلات الجزار المعبر عنها بالبواير قائمة بما فيها الشاخصة

الدرس التام ٩٩ في التاريخ العام

في وسط تلك القفار وعلى الجانبين من شواطئ النيل وسائر الترع والمخجان تشغل معامل السكر ودواليب حلب الاقطان وتسقى تلك المزارع الخضرا مع السواقي المعروفة بالنواعير بدلا عن عمل الانسان مع حسن منظر القرى والتواحي والمدن محتفة بالسائقين والاثجار مصطفة في وسط تلك الصحرا بما فيها من التين والزيتون والتخيل والاعناب وغير ذلك من أنواع الاثمار المير المسافر في خط سكة الحديد المتوجه الى جهة الصعيد من سعة الاراضي المزروعة بالقصب السكري ما يقضي منه العجب الميمد نظره الراكب على عربات خط سكة الحديد المتوجه الى جهة السويس فيرى تلك المدن والعمارات المصرية القائمة برؤس منارات مساجدها وقباب معابدها في وسط تلك الاراضي المتسعة المستحياة من تلك الجبال على الجانبين من التربة الاسعيلية المستجدة المعروفة بالتربة الحلوة وعلى ترعة برزخ السويس الحادثة امامها بالتربة الملحة حيث يجد ان الارض الزراعية قد اغارت من تلك الجهات على الاراضي الرملية واستولت منها على مقدار وافرح ج عن حالة الموات وصار أرضا مزروعة تسر الناظر وتروق الخاطر ولا يخلو ان يلاقى تظر الناظر في خلال تلك المزارع الوسيعة والمناظر البديعة حقير منظر رجل فلاح ضئيل يعمل بالشادوف على بئر مصطنعة لسقى مقدار قليل من أرض له ضيقة مزروعة بالذرة البلدية او بعض الاقطان (نحو نصف فدان) ولعمري ان هذا المنظر الحقير لا يلبى بان يقف عليه تظر الناظر البصير من تلك الوسايا المتسعة من حيث ما يدل عليه ذلك المنظر الفقير من صبر الفلاح المصري على كذا العمل وكونه بكل مشقة على مصلحة معاشه بتخيل

فاذا حل موسم الزراعات النيلية أعنى وقت الاعتدال الخريفى او اوان فيضان النيل صبح من وصف الواصف المسطر آتقا ما قبل غير انه فاته انه بصيرة أكثر الاراضي من قبيل الرواقب والنبارى صارت تزرع أكثر تلك الاراضي الشبيهة بالقفار والبرارى بالمزارع النيلية كالاصناف الحضارية والذرة المعروفة بالذرة الشامية وغيرها من المزارع المتنوعة البلدية وينضم اليها ما يبقى على الارض من المزارع الصيفية فيحدث من مجموع ذلك منظر جميل حيث تسقى المزارع من الآن بالراحة من ماء النيل فيستتر وجه الارض في ذلك الاوان في كثير من الجهات بما هو أشبه ببساط من سندس أخضر جليل

ثم اذا حل موسم الزراعات الشتوية وعمت عملية التحضير كان منظر وادى مصر في مثل هذا الاوان بهذا العصر اجمى وابهى وانور وازهى وازهر وأخضر مما هو في الوصف السالف مسطر يفوق خصوصاً في ذلك الاوان ما هو في كتب الادب العربية في جملة منتزهات الدنيا السبع قديماً كـ من وصف غيضة دمشق الشام بل جنة عدن التي سبق عليها الكلام وكل ذلك بعناية الدولة الخديوية ورعاية الهمة الدورية في هذه الحقبة العصرية

وبالجملة فاعلموا ايها الاخوان ان وطننا هذا بحسب موقعه الجغرافى الجميل الشأن وبعض ما يذكر

أيضاً من وصفه التعريفي أعني كونه الوصلة بين بلاد آسية وأوربية وأفريقية والطريق الأعظم إلى بلاد الهند الشرقية ومخزن ميرة الحرمين الشريفين والجامع الآن خصوصاً بواسطة ما حدث من جدول برزخ السويس بين البحرين (الأحمر والأبيض) هو أجل الأوطان وإن بلدنا هذا هو أفضل البلدان ولعل هذا هو معنى ما سارت به الركبان من القول بأن مصر هي أم الدنيا ومصدق ما ورد فيها من الآيات القرآنية والروايات النبوية ذات السندات العليا كقوله صلى الله عليه وسلم «مصر أطيب الأرض تراباً وعجمها أطيب العجم» وغير ذلك مما ذكره المقرئ وغيره فيما يعلم وإن هذا البلد العظيم والمقام الكريم لا يحيط به الوصف ولا يسع المتكلم عليه غير أن يقف مثلاً بقول سيدى عمر بن الفارض الشاعر المصري رحمه الله فيما نزهه بقوله هذا وعناه .

وعلى تفنن واصفيه يوصفه * يغنى الزمان وفيه ما يوصف

مطلب - الكلام على ما ورد في بعض التواريخ القديمة من ذكر دولة ميرويه (مصرياً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى)

قال المؤرخ المذكور طالما قيل أنه كان يوجد في قديم الزمان على جنوب الديار المصرية في القطر المسمى على وجه المجاز باسم جزيرة ميرويه أعني فيما هو كائن من البلدان فيما بين نهر النيل والغدير المعروف عند السلف باسم الاسبتابوراس (وهو الغدير المسمى الآن في بلاد الحبشة باسم ادبرة والتاجازة) دولة ايتيوبية قديمة ذات شوكة عظيمة كان منها على ما يقال قد قامت أقوام من أسلاف سكان بلاد الحبشة تحت قيادة بعض قسس معبود قدماء المصريين المسمى باسم اوزيريس وساروا على مجرى النيل الأسفل إلى جهة الشمال حتى نزلوا بصعيد مصر ولتختطوا مدينة طيبة الصعيد وأنشأوا هناك معابد في مدينة تيس (بكسر التاء المثناة من فوق مدينة مصرية عتيقة بصعيد مصر لم يوجد لها الآن أثر) وفي جزيرة ايليننتين (المسماة عند العرب بجزيرة الساج وهي جزيرة أسوان) وجعلوا ما كان مفرقاً هناك على شواطئ النيل من رعاة الماشي وحرث الأرض واحد ثوا منهم دولا صغيرة ثم عمروا بالتدريج نواحي الأقاليم الوسطى من الديار المصرية ثم ما يعرف باسم الدلتة من الجهات البحرية وهذا القول لا أصل له فلا ينبغي الالتفات إليه ولا التعويل عليه إذ لم يعثر لغاية الآن فيما يوجد بصعيد مصر من البلدان على آثار عمارات قديمة سابقة على عهد العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة من البنيان (انتهى كلام المؤرخ ويكتور دوروى في هذا المقام)

والقول المعتمد الآن في أصل عمارة ديار مصر في سالف الزمان هو ما يأتي بعد منقولاً عن المؤرخ فرانسيس لونورمان (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب - تقسيم قديم تاريخ الديار المصرية الى ثلاثة أقسام أصلية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم مامعناه اعلم ان تاريخ ديار مصر هو اقدم تاريخ عثر له على حوادث تاريخية مؤرخة بالسنوات تذكر انه يستل على أكثر مدة من القرون الصاعدة الى أقصى الدهر تحصر وقد عد قدماء المصريين لانفسهم في تلك المدة المديدة والاعصار العديدة احدى وثلاثين دولة او عائلة ملوكية تداومت الولاية بطريق التوالى واحدة بعد واحدة على بلادهم وقد جرت عادة المؤرخين السلف ان يميزوهن بصفات تعدادهم على حسب ترتيب وجودهم فيقولون العائلة الملوكية الاولى والثانية والثالثة وهكذا الى آخرها ثم جاء المحققون من المؤرخين الخلف فائتوا بالديار المصرية في تلك المدة الدهرية ثلاث مدد كبيرة او عهود تاريخية شهيرة بناء على ما تحقق عند العلماء الاوروباء وبين المتأخرين من التحريات العلمية والنقصات التاريخية ورتبوا تلك العائلات الملوكية الكثيرة والدول المصرية المذكورة الى ثلاث مراتب أصلية وهي ما يعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاسلاميين بدول الفرائضة السابقين وهي هذه

الاولى ما يعبر عنه بالاولى المصرية القديمة وهي عبارة عن ولى ديار مصر في سالف العصر من ابتداء العائلة الملوكية المصرية الاولى لغاية العاشرة وذلك عبارة عما يشمل مدة من الزمن يمكن حصرها بوجه التقريب فيما بين سنة ٤ فنازلا الى سنة ٣٠٠٠ ق م

الثانية الدولة المصرية الوسطى وهي عبارة عن العائلات الملوكية المصرية من ابتداء العائلة الحادية عشرة لغاية السابعة عشرة وتشمل على المدة الزمنية المنقضية من بعد نحو سنة ٣٠٠٠ ق م فنازلا الى سنة ١٧٠٠ ق م

الثالثة الدولة المصرية الحديثة ومبدأها من العائلة الملوكية الثامنة عشرة أى من القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام لغاية العائلة الملوكية السادسة والعشرين اعنى سنة ٥٢٧ ق م

ولنتكلم على تاريخ مصر في سالف العصر على هذا الترتيب حسبما سطره المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور في مختصر تاريخه الصغير موزعا على عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في الكلام على الدولة المصرية القديمة

مطلب ذكر أصل الامة المصرية ومنشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشك ولا تردد الآن في ان اول السكان لمصر في سالف العصر هم من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسمى باسم مصر او مسرائيم وانهم وفاقا الى الاقطار النيلية من بلاد آسية بطريق صحارى بلاد سورية وتوطنوا في وادى النيل الكريم وهذه حادثة تاريخية ثابتة من طريق العلم وواقعة محققة اكدت كل التأكيد ما ورد عن موسى عليه السلام بنص التوراة من الذكر المفيد وأما ما كان يقال سابقا وكان مقبولا عند الجمهور من القول بان أصل الامة المصرية ينتسب الى نسل من الانسال الافريقية كان أول من كثر في مدينة ميرويه وأنه نزل بالتدريج من أعلى صعيد شواطئ النيل الى حد سواحل بحر سفيد فهذا قول بعيد لا يسوغ ان يعتد به الآن بدليل ما ثبت بطريق العلم من البرهان وقضية ذلك اننا نعلم اليقين الآن بدليل قراءة ما وجد على العمارات المصرية القديمة من النحس والبيان على ان أقدم مركز للتمدن بالديار المصرية قد كان في القطر الكائن حوالى مدينة منفيس اعنى في الاقليم الوسطى والسفلى أى البحرية من الديار المصرية قبل ان يحصل للمدينة طيبة الصعيد بمصر العليا التأسيس وأنه يكمن ان نتتبع أثر التمدن المصرى ناشئ بالتدريج في سالف العصر من ثمة فصاعدا مع صعود وادى النيل فى اتجاه بلاد الايتيوبية بعكس ما كان قد توهم أولا فى بادئ الامر غير ان أخبار الاعصار الاولى التى كان قد أقام فيها بنو مسرائيم على تلك الارض التى كانوا قد توطنوا عليها قد ضاعت فى بحر ظلمات الروايات الخرافية وانقطعت عنا بالكلى وصارت تاريخ الديار المصرية لا يمتد بها الا من حين ان قامت بهادولة وراثية وولاية سياسية محضنة خالصة عن الولاية الدينية يظهر عليها ظهورا ينشا اثر القوة العسكرية اعنى انها جاءت فاحدثت الولاية الملوكية بدلا عما كانت الديار المصرية محكومة به لغاية ذلك الحين من الولاية الالهية بمعنى نوع الولاية التى ولالة الامر فيها معتبرون كأنهم يولون امر الرعية بطريق الوزارة والتفويض من لدن الحضرة الالهية (اتسمى معربا من تاريخ فرانسيس لونورمان الصغير)

مطلب ما ذكر فى كتب التواريخ القديمة للديار المصرية من الولاية عليها بالدولة القيسية (معربا من مختصر التواريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى) - قال المؤرخ المذكور اعلم ان تاريخ الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية يكاد أن يكون مجهولا لنا بالكلى وانما حكى القسس المصريون للمؤرخ اليونانى الشهير باسم هيرودوت ان الالهة المعبودين للمصريين كانوا قد حكموا هذا القطر فى سالف العصر مدة حقبة طويلة من الدهر يريدون بذلك ان خرقه

القسس كانوا قد مكثوا مدة مديدة من الدهر ويسد هم مقاليد ولاية الامر على ديار مصر ثم احوجت ضرورة المدافعة عن تلك البلاد من غارات الاقوام الرحالة التزالة بالصحارى والجبال لاحداث الطبقة العسكرية وبعد توالي عدة اجيال قام بعض الجنود فاجبر الطبقة القسيسية على ان تقسم معها الولاية امرية العمومية وتعترف بصحة الملوكية لا حدر ثساء القوة العسكرية (٥) (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان كما كان)

مطلب أحداث الولاية الملوكية بالديار المصرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان المباشر لهذه الحادثة السياسية رجلا جنديا من قواد العساكر المصرية يدعى باسم مينيس اصل مولده بمدينة تينيس بالاقليم الوسطانية وهي التي دعيت فيما بعد من ذلك العهد بمدينة آبيدوس (بمذاهمة في أوله) وقد كان هو الذي اختط مدينة منف أو منفيس وأخذها قاعدة ملكه وكرسى سلطنته ولقد نص على اسمه سائر المؤرخين اليونانيين والرومانيين المعتمد على تأليفاتهم في تدريس علم التاريخ بالمدارس الأوروبية عند الكلام على ديار مصر في سالف العصر واكد ما ذكره عنه منطوق السندات الاصلية الاهلية حيث لم يزل مينيس هذا يذكر فيها دائما بنعت مؤسس السلطنة المصرية وبالجملة فلم نعتزل غاية الآن على أثر عمارة معاصرة لعهد هذا الملك الذي قد كان من ذريته ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى

مطلب ذكر العائلات الملوكية المصرية الاولى - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ثم جاءت العائلة الملوكية المصرية الثانية وكان أصلها كالأولى من مدينة تينيس المذكورة آنفا ولا شك انها كانت من أقاربها حيث لم يميزها المؤرخون السالفون دائما عنها وكثيرا ما يخلطونها بها ولقد عثرنا على بعض عمارات اثرية معاصرة لعهد هذه العائلة الملوكية المصرية يشاهد عليها علامات البداوة الاولى والغشامة الاصلية وعدم ثبات طريقة الابنية العمارية مما يدل على ان الفنون الصناعية المصرية في عهد العائلة الملوكية الثانية كانت لم تزل تبحث عن الطريق المستقيم وأنها لم تكن قد بلغت بعد لغاية ذلك العهد لتعام الاهتداء الى سواء السبيل اللهم الا بشئ قليل

وبعد انقراض هذه العائلة الملوكية الثانية كانت قد جاءت عائلة ملوكية ثالثة أصلها من مدينة منفيس وأخذت بزمام الولاية المصرية في تلك الحقبة العصرية ومن هذه العائلة الملوكية كان أول من خرج فيما يعرف من الفراعنة الفاتحين للممالك الاجنبية من تلك الارض الفرعونية وذلك انه عثر في صخور جبل الطور على نقش بارز يشاهد فيه تمثال الملك المسمى باسم اسنفرو (بهمزة مكسورة في أوله يليها سين مهملة ساكنة فنون موحدة فوقية ممالة على فاء موحدة فراء مهملة يليها واو في آخره) الذي هو الملك السلف لآخر ملك من ملوك العائلة الملوكية الثالثة

مصورا على هيئة الزاج قبائل عرب البوادي الكائنة بالشمال الغربي من بلاد العرب ولتسد استدلال يحصل عليه العثور من العمارات المعاصرة للعهد المذكور على ان هيئة التمدن المصري في ذلك العهد الدهري كانت قد بلغت من درجات التمام وحسن الانتظام لمثل ما كانت قد صارت عليه في مدة اقتراب ديار مصر بدولة الفرس والمقدونيين (أى اليونان أو الروم) غير انها كانت في ذلك العصر متكيفة بكيفية خصوصية وصفة شخصية قائمة بهامع جميع العلامات التي تدل على انها قديمة جدا ومتوغلة في حيز وجود سابق طويل من سالف الدهر ويبان ذلك ان سكان وادي النيل كانوا قد بلغوا في ذلك العصر تأنيديا سائر أنواع الحيوان النافعة لنوع الانسان بل وبعض أنواع حيوانية من ذوات الشدى لا تعرف لنا الآن الا بالحالة الوحشية فن ذلك أنهم كانوا يستخدمون البقر والطيور العوامنة في مصالحهم منذ مدة مديدة وكان المقتنون منهم لتلك الحيوانات قد توصلوا الآن بمصاها من كل نوع من هذه الأنواع على أصناف عديدة وكانت اللغة المصرية قد تكونت تكونا تاما ووصلت بمصلا منتظما بما هي عليه من الصفات الخاصة بها وتميزت عما سواها من سائر اللغات المجاورة لها

مطلب عمرا الاهرام الكبيرة ويبان تاريخ انشاء هذه العمارات الشهيرة - قال المؤرخ

فرانسيس لونورمان فيما سطره بمختصر تاريخه القديم وانشاء ما معناه فلما جاءت العائلة الملوكية الرابعة وهى من مدينة منفيس أو منف كالثالثة استشار تاريخ الديار المصرية وتكاثر بها العمارات الاثرية وفي ذلك العصر كان انشاء الهرمين العنيمين المدين انشاءهما في أرض مصر بجوار مدينة منفيس الملوك الثلاثة المصريون وهم الملك كيوسيس (بالمالة الكاف على ياء مثناة تحتية فواو قباء فارسية بعدها سين مهملة في آخره) والملك كفسرين (بالمالة الكاف على فاء موحدة) والملك ميسيرينوس فأما كيوسيس فقد كان ملكا كرييا كادل على ذلك ما عثر عليه بصخور جبل الطور من النقش البارز الذى فيه مسطور ما يشهر اندرات الملك المذكور على قبائل البدوان العربية حيث كانوا يسيرون نرائل العمال المصريين الذين كانوا متوطنين بذلك القطر من أرض مصر لقصد استخراج معادن النحاس التي كانوا يعملون عليها في ذلك العصر والذي خلده ذكر هذا الملك على عمدة قرون من الدهر انما هو الهرم الذى أنشاه وشيد بنياه حيث تحقق بذلك ان يتخلد اسمه مادام يوجد على ظهر الدنيا نوع بشر وذلك ان مائة الف عامل كانوا يعملون كما يقال بطريق التبادل في كل شهر على اعمال هذه العمارة الهائلة مدة ثلاثين سنة كاملة من العمر لقصد أن تكون له بمنزلة القبر ولقد صارت اعجب المصنوعات التي صنعتها يد الناس من العمل من حيث جسامتها لأقل وان ما يدل عليه بناء الاهرام من تقدم قدماء المصريين في فن العمارات لعظيم جدا ولم يكن قد فاقهم فيه احد أبدا حتى في عصرنا هذا

حيث انه مع ما وصلت اليه العلوم من درجات التقديم لم ينزل يصعب حل مسألة كون المهندسين المعمارية من قدماء سكان الديار المصرية كيف توصلوا لان يبنوا في مجسم عظيم كالاهرام بيوتا ودهاليز في باطنها لم تزل على ما كانت عليه من كمال الحال الا الى وحسن الانتظام الاولى ولم يعثر ورها أدنى ذلل في أى مكان منها كان بعد نحو ستين قرنا من الزمان مع ما عليه مجسم تلك الاهرام من التحمل بثقل ملايين من الكيلوجرام (والكيلوجرام ألف جرام والجرام عبارة عن نحو ثلث درهم بالوزن المصرى)

وبالجملة فان عصر العائلة الملوكية الرابعة هذه هو نقطة أوج تاريخ مصر في سالف الدهر والظاهر ان ما كانت قد بلغت اليه الديار المصرية في عهد ملوك هذه العائلة الملوكية من العظمة والثروة الداخلية كان أمرا عظيما جدا كما يدل عليه عماراتهم العجيبة وتأسيساتهم الغربية وكانت حدود مملكتهم تمتد لغاية جنادل النيل غير ان قاعدة دولتهم كانت بمدينة منف أو منفيس وصر كز حياة سلطنتهم باقيا حوالها الا غير

مطلب بيان كيفية تمدن ديار مصر في ذلك العصر - وقد كانت عمارات العائلة الملوكية الرابعة هذه التي مكثت حكمة على الديار المصرية مدة ٢٤٨ سنة وعمارات العائلة الخامسة التي كانت كذلك منقسية وقد أقامت مسئولية على كرسى المملكة المصرية مدة ٢٥٨ سنة مع ما كانت عليه تلك العائلة الملوكية الرابعة من درجة التمدن المرتفعة عديدة جدا وذلك انه قد استكشف بناس العمال حول مدينة منفيس عدة قبور تحت الارض للجملة أناس من اعيان ذلك العصر كانوا من أرباب المناصب العالية في دولة ملوك هاتين العائلتين من فراعنة مصر وبها استدل على ان الجمعية البشرية المصرية في تلك الاعصار الغابرة جدا من الحقب الدهرية كانت متبعة بكيفية بهيئة سيادية تامة وذلك ان القوة النفوذية أعنى ان ولاية امر العامة بتلك البلاد كانت منحصرة بيد طبقة عسكرية قليلة الافراد يذعن لها بتمام الطاعة والانتقياد سائر الطبقات الاهلية من الامة المصرية وكانت تلك الطبقة الجندية على درجات قرابية بعيدة او قرابية كلها تنسب لاصل العائلة الملوكية الاصلية وكانت افراد هذه الهيئة السيادية بصفة كونهم ارباب اوسية عظيمة اعنى اصحاب املاك جسمية يقطعهم السلطان اياها بشرط أن يكونوا تحت الامانة والطاعة له يتوارثون جميع المناصب العلية والوظائف السفية العسكرية والسياسية ويتعاقبون من الآباء الى الابناء على ولاية الاقاليم المصرية بل تغلبوا أيضا على الوظائف القيسية واحتكروها لانفسهم كسائر الطوائف السيادية السالفة في مدة الاعصار الوثنية وذلك ان ما عثر عليه بالاستكشاف من قبور الملوك المنفيسيين والاعيان المصريين السالفين في مدة العائلة الملوكية الرابعة والخامسة انما يشاهد على جوانبها صور مناظر من أطوار الحياة البشرية المتزلية والزراعية وبواسطة هذه التصويرات تبسرننا أن نقف على أسرار كيفية وجود الهيئة

السيادية التي كان عليها أعيان أهل مصر منذ سبعمائة سنة من الدهر وتفرج على ما كانوا يتخذونه في جبالهم وأملأهم الأرضية من متسع الضياع والمواطن الزراعية ونعرف زراعتهم حيث يعد فيها رؤس المواشي بالآلاف وتوجد فيها الحيات وذوات القرون الغارغة والطير المسمى بالسكركي والأوز من سائر الأصناف يقتنونه في منازلهم بالحالة الأنسية ويعتدونه على اختلاف الجنسية ونشاهد منهم ذاتهم في داخل مساكنهم الجميلة محاطين بغاية الاحترام والطاعة من أتباعهم بل يصح أن يقال من عبيدهم ونعرف أنواع الأزهار التي كانوا يزرعونها في بساتينهم واطعمة المغنيات والراقصات وأنواع الملاهي التي كانوا يوزنونها في منازلهم وترويح أنفسهم ونراهم من أشد غواية الصيد والقنص وغير ذلك

مطلب ذكرنا آخر الدولة المصرية القديمة - قال المؤرخ فرانسيس لونوزمان - وبانتهاء مدة العائلة المالوكية السادسة انتهت المدة التاريخية الحقيقية التي يطلق عليها اسم الدولة القديمة المصرية وذلك أن الديار المصرية بمدة عهد العوائل المالوكية الخمس الأولى كان الظاهر أن حالة السلم الداخلية كانت فيها قد بلغت إلى درجة التمام وأن حالة البلاد كانت في غاية الانتظام وأن أرباب الوسايا والبكار كانوا منضبطين تحت الطاعة والوفاء والرعايا متحملين لثقل الظلم والصغار وكذا العمل الذي كان يجبرهم عليه كبرولالة الأمور المنشئين للذهرام حتى جاءت العائلة المالوكية السادسة فظهرت في عهدها وائل الفتن الأهلية والمحن الداخلية والظواهر أن مدة حكم الملوك الأولين من أعصاء هذه العائلة المالوكية قد كانت ساكنة وأن البلاد كانت في عهدهم آمنة مطمئنة ومنهم الملك المسفى باسم فيوبس (بفتح الفاء الموحدة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فواو قباء فارسية فسین مهملة في آخره) حكم ديار مصر مدة قرن كامل من الدهر وهذه حادثة تاريخية فريدة لم يعهد لها تطيرة معهودة في تاريخ العالم بتعامه وقد كانت مدة حكمه هذه على ديار مصر لا تخجل عن فخر اذ وقف له على آثار بعض عمارات نص فيها على أنه غزا بعض غزوات واتصر عدة نصرات على أقوام الزنوج المتوطنين بصعيد وادي النيل الأعلى وغيرهم من القبائل الرحالة التزالة الوارد بن من نواحي بلاد آسية حيث كانوا يسعون بالفساد على ثغور البلاد من تلك الجهات غير أنه قد كان في مدة عهد هذا الملك المديد أن قام رجل من ذوى البغي والطغيان يقال له اكتويس (بفتح الهمزة في أوله) ورفع لواء العصيان بمدينة هيرقل وپوپس أو هيرقلية الصغرى (مدينة مصرية قديمة كانت موضوعة على مسافة ٣٥ كيلومترا من شرقى مدينة تانيس وهى المسماة الآن باسم أهنا من المدينة) بنواحي الدلتة النيلية وعزل من بلاد السلطنة الفرعونية عدة أقاليم مصرية واتخذها لنفسه مملكة خصوصية وجاءت بعد الملك فيوبس هذا الملكة المصرية المسماة باسم نيتوكريس (بكسر النون الموحدة في أوله) المعروفة في التواريخ بنعت (الحسنة ذات الحدود الوردية) وقد اطرى القسپس ما ينتون المصري والمؤرخ

هيرودوت اليوناني ما كانت عليه هذه المملكة من درجة الحكمة والكمال وشدة الحسن والجمال فأرادت ان تجتهد في اطفاء نار العتنة والاختلال وكانت قد اشتعلت حتى وصلت الى كرمى المملكة الفرعونية الاصلية فلم تبلغ تلك الامنية بل أدركتها المنية في اثناء المباشرة لهذا العمل فهلكت وقد خاب منها الامل ومكثت الديار المصرية مدة تقرب من ثلاثة قرون دهرية وهي منقسمة الى ممالكتين ومتوزعة بيد دولتين متفرقتين احدهما مستولية على نواحي الدلتا المصرية والثانية على بلاد مجرى النيل الصعيدية وكانت العائلة الملوكية التاسعة والعباشرة من ترتيب المؤرخ مايتون المصري حكمة على الجهات البحرية والثامنة والحادية عشرة على الجهات القبلية

مطلب بيان انحطاط درجة التمدن المصري في ذلك العهد العصري قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان مامعناه ومن وقت ان اقتضت حادثة تعدى الرجل الباغي المسمى باسم اكتويس المذكور آتفاع هذا الفتن الاهلية بالديار المصرية كان قد اعترى شمس التمدن المصري في ذلك العهد العصري على حين بغتة منه حادثة انكساف كلي من حوادث الزمان لا يعلم لها سبب بعد لغاية الآن وذلك انه انقضت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون دهرية ونحن لا نرى للديار المصرية آثار عمارة أثرية مطلقا وكان ديار مصر في خلال ذلك العصر قد انحطت بالسكينة من مراتب الامم والملل ولما انقضى من رقدته تمدنها هذا الاجل كانه قام يستأنف السير في طريقه بالثاني بدون ان يقفوا اثره الماضي

قال المؤرخ فرنسيس لونورمان المذكور وفي عبارة المؤلف مارييت المشهور (وهو مارييت بك ناظر الاثنيقانة المصرية الكائنة الآن على ميمسة نهر النيل ببولاقي مصر المحمية اي ناظر مخزن الآثار القديمة الفرعونية وهو من لدن الحضرة الخديوية بالحفر والبحث عن المواد التي يحصل عليها العثور في الاطلال القديمة المعروفة بالكفرية لقصد الاستدلال بها على الحقائق التاريخية العلمية مأمور) مانصه كما هو بعد مسطور

«ولعمري ان المنظر الذي يظهر من حال ديار مصر في عهد الدولة المصرية القديمة هو جدير جدا بان يقف عليه الناظر البصير وذلك انه بينما كان سائر جهات الارض المعمورة في الحقبة المذكورة نغمسين في ظلمات التوحش والبداءة وكان أشهر الملل والامم الذين صار لهم فيما بعد في المصالح الدنيوية من العناية والمدخلية المنصب الاعظم لم يزلوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر لعين الراي في منظر حسن جميل ومرأى زاهر جليل تغذى قوما من الناس في سالف تلك الحقبة أولى حكمة وتمدن وأدب ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حسن ترتيب هائل من أرباب المناصب والعمال الدولية تحكم في نوازل الملة بالاسباب والادلة ومن أول وقت لحظنا فيه هيئة التمدن المصرية في سالف تلك الاعصار الدهرية ولو بلغت ما بلغت

من التوغل في الاعصار الماضية لم نزل نراها بحالة كمال على وجه بحيث تعكاد ان لا تحتاج لاكتساب فائدة جديدة من الاعصار التالية وان كانت آيما كانت عديدة بل ربما صبح ان يقال ان تمتد ديار مصر من بعض الحثيات اعتراه التناقص والانحطام حيث صار لا يبق في عصر من الاعصار من العمارات مثل الاهرام، (انتهى معربا)

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة المصرية المتوسطة

مطلب يقظة تمتد مصر في سالف ذلك العصر - قال المؤرخ قرائس لو نورمان المذكور اعلاه في مختصر تاريخه الصغير ما معناه وفي وقت ان كانت الدولة المصرية القديمة قد ظهرت الى تلك الدرجة العظيمة من ذلك العهد لم تكن مدينة طيبة الصعيد توجد بعد والظاهر ان تلك المدينة التي كان المصريون يعتقدونها حراما لعبودهم المسمى آمون كان أول تأسيسها في مدة الاختلال والنحول التي اعترت الديار المصرية بعد العائلة الملوكية السادسة - سبها هو آنفا منقول وكانت هي أول مهد تلك النشأة الثانية التي نتج عنها اشراق الملوك والتمتد المصريون بالثاني وقد جرت عادة المؤرخين بالتعبير عن تلك المدة في اصلا - هم مدة الدولة المصرية المتوسطة وكانها هي مدة القرون الوسطى بالنسبة لدار مصر العتيقة وان كانت سابقة على كل تاريخ يعهد في الحقيقة وقد كان من مدينة طيبة هذه منشأ الملوك الستة الذين قاتلوا عصية البهجة الخارجين على الدولة المصرية الاصلية مع غاية الهمة والثبات بالاقليم البحرية وغيرهم بحسب التخمين من الغزاة المتعدين على الديار المصرية من ملوك البلاد الاجنبية وكانت عاقبة أمرهم ان استرجعوا دولة مصرهم لا يديهم بالثاني قال المؤرخ ماريت بك (في مختصر التاريخ القديم الذي ألفه للديار المصرية بأمر الحضرة الخديو يما تعريب عبارته هكذا

وفي العهد الذي تشاهد فيه الديار المصرية بعد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد استيقظت من طول رقدتها كانت الروايات المأثورة فيها من قديم الزمان قد انزوت في زوايا النسيان وحدثت أمور أخرى جديدة فتبدلت أسماء الاعلام التي كانت معتادة للمصريين في تسمية العائلات الاهلية وتغيرت الالقاب والنعوت بالوظائف التي كانت تعطى لارباب المراتب المصرية وأصحاب المناصب الميرية وتغير كل شيء في مصر بذلك العصر حتى كيفية الكتابة الاهلية وحقيقة الديانة المالية وزالت وظيفة قاعدة المملكة السلطانية عن كل من مدينتي تينيس وايليفتين (جزيرة أسوان) ومنفيس وصارت مدينة طيبة من غير سابقة ذكر لها في المأثورات المصرية السابقة هي قاعدة السلطنة الفرعونية وكرسي الشوكة المصرية السلطانية غير ان دولة مصر في ذلك

العصر كانت قد زالت يدها عن كثير من أملاكها الأرضية وصارت مملكة ملوكها الحقيقيين لا تمتد على غير مقدار يسير لا يتجاوز حدود القطر المعبر عنه بلفظ الطيبايد (أى البلاد الطيبة بمعنى الصعيد) ولقد أكد النظر في العمارات المصرية التى حصل الوقوف عليها فى ذلك العهد للديار المصرية تلك المحفوظات العمومية كل التأكيد وقضية ذلك ان تلك العمارات لم يزل يتظاهر عليها اشارات الغشامة والقساوة ويتبادر منها علامات الغلظ والبداوة و بالاطلاع عليهم ايظن الناظر اليها ان الديار المصرية فى عهد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلبدت به من حالة الطفولية فى عهد العائلة الثالثة الملوكية « (اتمنى معربا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ مارييت بك)

مطلب ذكر العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه

ثم جاءت بعد ذلك عائلة ملوكية أخرى هى بحسب الحدس والتخمين هؤلاء الملوك الطيبين الاولين فى النسب من الاقربين وأصل منشأهم كلهم من مدينة طيبة الصعيد المذكورة وهى التى يعبر عنها فى اصطلاح المؤرخين بالعائلة الملوكية الثانية عشرة وسائر ملوك هذه الدولة المصرية كلهم يدعون أما باسـم **اوزورتوزان اوباسـم آمونيه** وكانت قد أقامت على كرسى السلطنة مدة ٢١٣ سنة ولقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية من السعادة والرفاهية وحسن الانتظام والسلم فى الامور الداخلية والهيبة الفرعونية لدى الممالك الاجنبية على وجه عام وذلك ان ملوك العائلة الحادية عشرة المصرية هذه كانوا قد استردوا ما كان بأيدي الدولة المصرية السالفة من بلاد الجزيرة العربية الشمالية الغربية وكانت قد انسلت من ايديهم فى مدة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التى كانت قد اعترت الديار المصرية فى سالف الحقبة المصرية وادخلوا تحت الطاعة الفرعونية بالطريقة القطعية بلاد انوبة مع جزء من بلاد الايتيوبية وانشأوا بعض عمارات اثرية عجيبة وابنية غربية تضاهى من حيثية الغرابة عمارات العائلة الملوكية الرابعة وان كان بعضها أعلى منها درجة من حيث كونها نافعة فن ذلك المغارة المشهورة والبركة المذكورة كل منهما باسـم مغارة موريـش وبركة موريـس (بنواحي الفيوم) حيث كان انشأها تين انعمارتين العجيبتين و بناء هذين الاثرين الغربيين فى عهد ملوك هذه العائلة الملوكية على وجه يحيث يتخلد بهما منهم الذكر ويبقى لهم بهما الفخر فيما بعد على مر الدهر

مطلب الكلام على بركة موريـس وأصل الباعث على أنشأ هذا الاثر النفيس — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى هذا الشأن ما تعرييه هكذا

فأما بركة موريس فقد كانت معدودة عند الأمم الاقدمين من عجائب ديار المصريين وكانت مع ذلك من انفع المصنوعات الاثرية الماثورة عن الملكية الفرعونية المصرية وبيان ذلك كما أوضحه المؤرخ ماريت بك في مختصر تاريخه القديم المذكور ونص عبارته (معربة) كما هو بعد مسطوره انه في ذلك العصر قد كان نهر النيل يديار مصر اذا كانت زيادته الدورية غير كافية لرى الاراضى الزراعيةبقى بعض الاراضى بدون رى وصار بالضرورة غير متزرع واذا خرج النيل عن مجراه الطبيعى بشدة طغيان قلع القناطر والجسور وافسد الترع والخجان وأغرق القرى والبلدان وأجذب الاراضى الزراعية بدلا عن ان يحصبها وكانت ديار مصر على مر الدهر لا تزال مترددة بين آفتين هائلتين متحيرة بين ظامتين غائلتين فلما ولي ديار مصر الملك اسمعى باسم امونته الثالث من ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة استيقظ لهذا المصيبة فانشأ لتداركها عمارة جسيمة جدا وذلك انه يوجد في غربى الديار المصرية بسلسلة الجبال الثلجية واحة متسعة من الارض الصالحة للزراعة وهى ما يدعى الآن بالفيوم تتصل بأرض الوادى الذى يرويه ماء النيل بما هو أشبه ببرزخ من الارض كما هو من المعلوم وكانت تلك الواحة ضائعة لا انتفاع بها فى وسط تلك الصحرا وفى وسط الواحة المذكورة هضبة متسعة تساوى درجة استواء سطحها درجة استواء سطح أرض وادى مصر المتروعة على وجه العموم وعلى جهة الغرب منها منخفض عظيم من الارض يتكون منه واد توجد فيه بركة طبيعية تبلغ عشرة فراعش طولها وهى التى تسمى **بركة قارون** فى وسط الهضبة المذكورة شرع الملك امونته الثالث فى ان يحفر حفرة أو بركة أخرى صناعية على نحو عشرة ملايين من الفراعش المربعة فتم هذا العمل وصار النيل اذا جاءت زيادته غير كافية لرى الاراضى المصرية المتزرعة توجهت تلك البركة المصطنعة فسالت المياه المخزونة فيها وقت أرض الفيوم وغيرها من أراضى الشاطئ الايسر من النيل لغاية ساحل بحر سفيدي وان جاءت الزيادة فوق الحد المحدود وخشى على القناطر والجسور من هذا المحذور تركت مخازنها المتسعة مفتوحة حتى اذا طفا الماء على شواطئها انصرف ما يفيض من تلك البركة الصناعية بواسطة قنطرة الى بركة قارون الطبيعية « (اه متفولا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريت بك)

مطلب ذكر ما اثر عليه من العمارات الاثرية المنسوبة الى هذه الحقبة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان - لامناقضة الآن فى ان عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة قد كان فى تاريخ الديار المصرية من أعظم الاعصار بل يصح ان يقال قولاً لا يخشى عليه من رد ولا اسكار بأن تمدن الدولة الفرعونية فى تلك الحقبة الزمنية كان قد بلغ الى اعلى أوج الافتخار وأتم درجة الانتشار والازهار غير ان غارة الملوك

المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة الذين جاؤا من جهة بلاد آسية وتغلبوا على بلاد وادي النيل بعد ذلك بقليل كانوا كما يظهر قد وجهوا جل همهم وأعمالوا شدة قضاظتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما يبقى به لملوك العائلة الثمانية عشرة هذه أدنى ذكر وأثر فاقتهوا آثارهم وأخربوا ديارهم وأزالوا ما كان هؤلاء الملوك المصريون قد أنشأوه من الابنية العظيمة والعمارات الجسيمة حتى أنهم لم يبقوا لهم أثر أعظيما مطلقا من معبد ولا غيره ومع ذلك فقد حصل العثور لحالة الصنائع والفنون المصرية في العهد المذكور على مقدار كثير من النمودجات والعينات المفيدة في جملة أعمدة أثرية عديدة وجدت في قبور بعض الموتى من آحاد الساس ولم يزل يوجد منها العدد الكبير في ذات القبور الكائنة بالساحية المشهورة ببني حسن من بلاد الصعيد المصرية وقد نقل منها شئ كثير إلى مخازن الانتيمقخانات الأوروبية

وهذه المقابر الجميلة والملاحد الغريبة هي مقابر بعض اناس من اعيان قدماء المصريين كانوا متقلدين بأعلى المناصب الميرية وأكبر المراتب العمومية في الدولة المصرية وكانوا يعيشون عين كيفية المعاش السيادية التي كان عليها الامراء العظام والاعيان الكرام في عهد الدولة المصرية القديمة أعنى على الوجه الذى هو من «الفن» ذلك العصر معهود من أنهم كانوا يعيشون بمنزلة الاسياد وباقى الرعية لهم بمنزلة العبيد بل كانت حالة وجودهم الاجتماعية قد آلت بحسب الظن في هذا العهد من الزمن من أنواع الحكومات الدولية الى صورة الحكومة الاعيانية الوراثية التامة فن ذلك قبر رجل من ارباب الوظائف العامة يقال له آمينى أو آمونى (بمذاهمزة في أوله يايهايم عمالة على ياء مثناة تحتية سا كنة او مضمومة يليها واو ومدودة ثم نون موحدة بعد هاء ياء مثناة تحتية في آخره) وجد فيه عمود من هذا القبيل مسطرا عليه بالقلم المصرى القديم نص اثر طويل يحكى فيه مناقب حياته بنفسه قائلا «انه بوظيفة قائد عسكر غزا غزوة بلاد السودان ونيط اليه أمر خفر القوافل الحاملة لمعادن الذهب المجاورة من بلاد النوبة الى مدينة قبط (المسماة باسم قبطوس عند اليونان) واختصر قصة مدة حياته بوظيفة عامل اقليم من الاقاليم المصرية (المعبر عنها الآن بالنظ المديرية) بقوله «وقد كانت جميع الاراضى الكائنة تحت ولايتى من الشمال الى الجنوب محروثة مغروسة ولم يسرق شئ من معاملنا ولم ازعج ما عشت طفلا صغيرا ولا أذيت أرملة قط بل أعطيت عطائى للارملة والمتزوجة بالسوية ولا قدمت كبيرا على صغيرا فى جميع الاحكام التى صدرت عني» (انتهى نص كلامه معربا بمعناه حسبا نقله المؤرخ ماريت بك في تاريخ مصر القديم ورواه)

مطلب - ما حصل فى نظام الدولة المصرية المتوسطة من الاختلالات الاهلية والفتن الداخلية

ثم باتقراض العائلة الملوكية الثانية عشرة عادت الفتن الاهلية والمحن الداخلية في الدولة المصرية بالثاني وذلك ان العائلة الملوكية الثالثة عشرة وعدة ملوكها استولوا على مملكة طيبة وسائرهم الا قليلا منهم يسمى أما باسم سييخو طيب أو باسم نيفرو طيب (بامالة الطاء المهملة على ياء مشددة تحتية يليها ياء موحدة في آخره) هي وان كانت قد ابتدأت مدة ولايتها على كرسى الدولة الفرعونية بالاستيلاء على جميع اراضي الديار المصرية من غير منازع ولا شريك بالسكية بل كانت قد امتدت حدود المملكة المصرية في تلك الماقبة العصرية من الجهة الجنوبية والشمالية بدليل ما عثر عليه مما هو من قبيل الصدرا المائلة (المروقة بابي الهول) المصنوعة فيها ملوك هذه العائلة الملوكية في المسكن الكائن فيه اطلال مدينة تانيس (سان) باتسى جهة الشمال الشرقي من ديار مصر وفي جزيرة ارجو (بفتح الهمزة وسكون الراء الموحدة) على القرب من دقوله غير انها بعد مدة يسيرة من ولايتها كانت قد قامت عليها في الجهات البحرية من الديار المصرية عائلة ملوكية باغية أصلها من مدينة اكسويس (بكسر الهمزة في أوله وهي الآن سخا) وهذه العائلة الملوكية الحادية هي المعدودة في ترتيب المؤرخ مانيتون المصري بالارابعة عشرة

مطلب ذكر غارة الملوك الرعاة على الديار المصرية من القرن الحادي والعشرين فنازل الى القرن السابع عشر ق م — وفي هذه المدة الدهرية كان قد اعتري الديار المصرية مصرية هائلة وبليغة غائلة هي أعظم المصائب وأدوم التوائب المسجلة في سجلات تواريخها السنوية حيث جاءت فقطعت ثانی مرة ما كان حاصله على شواطئ النيل من سيرات المدن الجميل ومحتد ديار مصر من مراتب الملل والاعم مدة حقبة من الدهر وييان ذلك ان عدة من قبائل العرب والشام الرحالة التزلة وكان من أعظمهم شوكة وأقواهم عصية الاقوام المسمون بالهيتيين من بني كنعان انتزوا الفرصة مما كان واقعا بين العائلة الملوكية الطيبة والاكسوسية من العداوة والاختصاص وما ترتب على ذلك في تلك البلاد بالضرورة من اختلال النظام فجاءوا الى الديار المصرية وأناروا عليها وأدخلوها تحت طاعتهم وهذا هو ما عبر عنه في اهل التارخ الاوروباويين بغارة الملوك الرعاة على الديار المصرية (ويقال له عند المائرخين الاسلاميين ملك العمالة على ديار مصر) وهو آخر مدة الدولة المصرية المتوسطة وقد كان من اخبار الملوك الرعاة المذكورين انهم بعد أن تمكنوا من ديار مصر أخذوا في أول الامر كما فعل التتاريلا والصين في انهم وجهوا جل همهم واعمالوا كل قضايتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما قابلهم من عمارات القوم السابقين ثم انتهى أمرهم بعد مدة يسيرة من السنين بان أذعنوا العالي تمدن القوم المغلوبين وتخلوا وبالاخلاق المصرية وتعودوا بالاعوائد البلدية الاهلية فاتخذوا لهم مثل العائلات الملوكية المتقدمة بيوت ملك منتظمة وكانت جهة الصعيد لم يزل بها من اقوم المصريين الاصليين من لم يطرأ عليه شائبة اختلاط الدم

الاجنبي فبقيت فيه العصبية الاهلية والشهامة الاصلية فقام منهم قوم على هؤلاء الاغراب يقر ملكتهم وخرجوا عن طاعتهم وانقسمت البلاد الى مملكتين وانتظم فيها امر دولتين مقيرتين احدهما في الجهة الجنوبية وهى مصرية مخضعة قام بها ملوك العائلتين الملوكيتين الطبييتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وكانت قاعدة ملكها بمدينة طيبة والثانية بالجهة الشمالية بيد الملوك الرعاة وقاعدة ملكها مدينة تانيس (سان) المسماة ايضا مدينة أواريس وقد كان في مدة دوله احدا وآخر هؤلاء الملوك الرعاة المسمى باسم أبوفيس ان حضر يوسف بن يعقوب الى الديار المصرية فصار له وزيراً وتوطنت عائلته يعقوب على الشواطئ النيلية ودليل ما ذكر اعلاه انه لم يثر لغاية الآن للملوك الرعاة على آثار عمارات ولا بنيان اللهم بمدينة تانيس هذه التى كانوا قد اتخذوها قاعدة مملكتهم وجعلوها كرسى سلطنتهم ولقد انضح بالاطلاع على الآثار المذكورة ان صناعتها كانت أجمل وان العمل فيها كان ادق وأكمل من العمارات الماثورة عن العائلات الملوكية المعاصرة لها بالجهات القبلية وما ذلك الادعى ان المملكة التى كانت يسكنها هؤلاء القوم البغاة كانت بالضرورة أغنى وأهناً واثرى راساً مما كان قد بقي بيد دولة الملوك المصرية الاصلية من بعض الافاليم الجنوبية التى كانت لم تزل تقاتل مع غاية المشقة والجهد لقصد خروجها عن طاعة الملوك الرعاة

ولقد يشاهد في تلك الآثار من صحيح الاخبار ان الملوك الرعاة المذكورين كانوا قد انتهى أمرهم بأن صاروا فراعنة حقيقيين وتلقبوا بعين الالقاب التى كان يتلقب بها أعضاء العائلات الملوكية السابقين بل تدينوا أيضاً بديانة أهل مصر وادرجوا بطريق القهر في ضمن معبوداتهم المصرية الملية وأصنامهم الاهلية ما كانوا يعبدونه في بلادهم الاصلية من الاله المسمى باسم (سبت) وانتهى امره بأن بقى مندرجاً في جملة معبوداتهم الاهلية بالطريقة القطعية لاعلى وجه كونه في أول مرتبة الالهية كما أرادوا أن يجعلوه في أول الامر ولكن بدرجة ثانوية ولقد كانت اخلاقهم وعوائدهم هم ورعاياهم هى عين عوائد المصريين الاصليين مع بعض عوائد خصوصية قليلة كانوا قد حضروا بها من أقطار آسية التى هى اوطانهم الاصلية

مطلب انقاذ الديار المصرية من يد الملوك الرعاة — كانت ديار مصر قد مكثت مدة اربعمائة سنة من الدهر منقسمة بين القوم الاغراب البغاة المعروفين بالملوك الرعاة والملوك المصريين الاصليين من القوم الصعيديين بل كان هؤلاء القوم المذكورون في أكثر تلك المدة ليسوا بانفسهم مستبدين بل كانوا اتباعاً لدولة القوم المتغلبين حتى جاء وقت أحس فيه القوم البلديون بأنهم صاروا من البأس والقوة على درجة بحيث يمكنهم أن يتخلصوا من ربة القوم الباغين الذين هم عليهم من بلاد آسية من الاغراب الطارين وكان قد قام على كرسى مملكة طيبة الصعيد بيت ملك جديد كان أربابه أولى شجاعة تامه وبأس شديد وأصحابه ذوى

حرب عنيد فكان أول من تقلد منهم بتاج المملكة الصعيدية الملك المسمى بامم أموزيس (بعد الهزيمة في أوله بعسدهاميم قوا وفزائى حجة فياء مشاة تحتية فسين مهلة في آخره) وكانت حادثة تقليده على المملكة قد اشتهرت بحراية لقصد انقاذ الوطن يظهر انها وان كانت غير مستطيلة لكنها كانت حربية شديدة وذلك ان الملك أموزيس هذا غلب المملوك الرعاة وظفر بهم واستولى بطريق العنوة على قاعدة ملكهم وادخل تحت طاعته سائر البلاد المصرية لغاية حدود أرض كنعان وانتقلت عليه القوم الرعاة الى ما وراء برزخ السويس وفروا الى بلاد آسية ورخص الملك أموزيس لمن يقى منهم في حيازة قطعة من الارض كان اسلافهم قد تغلوا عليها ليزرعوها ويتعيشوا منها قال المؤرخ ماريت بك المذكور أعلاه في هذا المقام ما معناه ولقد تكون منهم في شرق الاقاليم البحرية من الديار المصرية نزلة اجنبية بالشروط التي كان قد افام عليها بديار مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر غير انهم لم يكن لهم حادثة هجرة وطنية اى قصة خروج من ديار مصر حكيت في سفر مخصوص من التواراة مثلهم وبالتقدير الازلية العجيبة نرى انهم هم الاقوام الغريبة اولو البنية القوية والوجوه الكثرة المستطيلة الذين هم لغاية الآن على شواطئ بحيرة المتزة سكان (اه)

الفصل الثالث في الدولة المصرية الحادثة

مطلب — ذكر العائلة المالوكية الثامنة عشرة المصرية (اعنى تاريخ ديار مصر في القرن السابع عشر ق م من سالف العصر)

اعلم ان حادثة طرده هؤلاء القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالمملوك الرعاة هي أول البشري العظيمة بقدم مدة حكم العائلة المالوكية المصرية الفخيمة المعدودة بالثامنة عشرة وذلك ان الملك أموزيس بعد ان أعاد حدود السلطنة الفرعونية الى درجة كمالها الاصلية التفت لاصلاح الاحوال الداخلية وجبر ما افتته يد الغارة الاجنبية فأعاد عمارة مدينة منفيس بالثاني وكانت قد أخرج بها المملوك الرعاة المذكورون واشاد المملوك بالهدايا كل في سائر المحال وكانت قد صارت من قبيل الاطلال واستمر على أعمال العمارة والانشاء بالثاني سائر خلفائه الذين اقتفوا آثارهم من المملوك الاولين المدعويين باسم الفراعنة الطوطوسين والامينوفيسين حيث كانت الديار المصرية في مدة عهد هؤلاء المملوك المصريين ايضا قد دخلت في طريق الفتوحات وشنت جيوشها على بلاد آسية أشد الغارات وكان ذلك لقصد ان تنتقم لنفسها مما فعله بها تعدى هؤلاء البغاة فاستولت على جميع ارض كنعان

وتعدت الى ما وراء صحارى الشام من البلدان واغارت على الاسوريين (العراقيين) بلاد الجزيرة وقد كانوا لم يبلغ لدرجة الكمال دولتهم ولم تتم مادة تكوين مدنتهم وان كانوا في ذلك العصر قد استولوا على مدينتي نينوى وبابل ومن مغازيهم هذه كان المصريون قد جاءوا الى الديار المصرية بنوع الفرس حيث لم يشاهد له رسم في تصويراتهم ولا عهد له ذكر في تذكيراتهم بعد بل يظهر انه قد كان امرا مجهولا لهم لغاية ذلك العهد

مطلبت — ذكر فرعون طوطميس الثالث (اعنى تاريخ الديار المصرية في نحو سنة ١٦٠٠ ق م وكان قد حكم الملك المذكور على ديار مصر مدة نصف قرن من الدهر)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه ان اعظم ملوك ذلك العصر وربما صح ان يقال ان اعظم من تسجل له ذكر في سجلات التواريخ السنوية بديار مصر هو الملك المسمى باسم **طوطميس او توتميس الثالث** (بالطاء المهملة او بالثاء المثناة التحتية) وكان الملك المذكور قد صعد على كرسي مملكة مصر بعلمة طويلة من الدهر قد اقامها وهو بحالة القصور فاستولت على المملكة المصرية بالطريقة التوكيلية اخته المسماة باسم **هاتاسو** وكانت عاقبة امرها ان تغلبت على سائر الامم من ولاية مصر حتى نال اخوها هذا أشده وبلغ رشده فوضع يده على مقاليد المملكة الفرعونية وادار بنفسه فيها الحركة السياسية وان عمارات عهد هذا الملك لمسي كثيرة جدا لا تحصر عدا وانما الجيلة الصنعة جلية البدعة وان ديار مصر لتظهر لعين المتأمل لها في ذلك العصر في صورة الحكم المرضي الحكومة والقاضى النافذ الكلمة بين سائر الامم والملل المتمدنة في تلك الحقبة من الدهر اذ كان سائر بلاد وادى النيل الاعلى مع ما يكاد ان يكون لغاية درجة خط الاستواء الاقصى داخل تحت قبضة ملك الفراعنة في ذلك العصر وكانت الاساطيل المصرية بمعنى السفن البحرية قد استولت مع ذلك على جزيرة قبرص و بعد عدة غزوات لم تزل تجدد على الدوام مدة ثمانى عشرة سنة من الاعوام كان فرعون طوطميس هذا قد اطاع لسيفه سائر بلاد آسية الغربية وكانت مملكة مصر في مدة ولاية هذا الملك المتخيلة بالعز والفخر كما هي عين عبارة بعض ارباب الادب والشعر من أهل ذلك العصر تضع حدودها أين شاءت وتنقل بثغورها حيث اشتهت وأرادت، وكانت تخوم سلطنتها تمتد على ما يعبر عنه الآن ببلاد الحبشة والسودان وبلاد النوبة والشام وبلاد الجزيرة (بمعنى بلاد الموصل) وبلاد العراق العربى واليمن مع أرمينية وكرديستان ولم يعترضوكة الفراعنة الخارجية ولا كيفية سعادتهم الداخلية وهيثة رفاهيتهم الاهلية في مدة العهدين التاليين عهد الملك طوطميس الرابع والملك آمينوفيس الثالث أدنى الخطا ولا شين حيث كانت آثار هذين الملكين كذلك تضاهى في الكثرة واتقان الفن والصنعة آثار سلفهما هذا من غير شك ولا مبن

مطلبان — ذكر ما عثر في الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية من الفتن الدينية والمحن الوطنية (في القرن السادس عشر ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان وبعد وفاة الملك آمينوفيس الثالث حدثت في أحوال الديار المصرية حادثة من أعرب الحوادث وأعجب الوقائع المقيمة في دفاتر التواريخ الفرعونية وذلك أن آمينوفيس الثالث المذكور كان قد توفي عن عدة أولاد ذكر كان أرشدهم وأكبرهم سنا وأشدهم ولده البكرى المسمى أيضا باسم آمينوفيس فخلف أباه على تخت المملكة المصرية غير أنه في مدة ولايته على السلطنة الفرعونية ترك نفسه بالكلية في طاعة والدته المسماة بالملكة طيبة أوتية (بالسما الممهلة أو بالهاء المثناة الفوقية) وقد كانت غريبة المولد والنسب وليست بمصرية المحتد والنسب فشرع هذا الملك طاعة لسوء تدبيرها واذعاناً لجأهاعنده وتأثيرها في أن ينسخ الديانة المصرية الماثورة من قديم الزمان ويبدلها بالاعتقاد والايان بالله واحد يسمى اتان (بالهاء المثناة الفوقية) يعبد في صورة اشراق جرم الشمس قال بعضهم: ليس قوله هذا آمينوفيس على غير ما سبب قويه انه هو الاله المعبود باسم آدوناي (بمد الهمزة في أوله وتشديد الياء المثناة التحتية في آخره) بلاد آسية عند الام السامية فتوجهت بامر هذا الملك عملية ظلم وتعذيب منتظمة على سائر افراد الرعية بسائر جهات السلطنة الفرعونية وأغارت فيها معابد الاصنام القديمة ومخيت صورهم واسماؤهم التي كانت مثبتة في أساطير تلك العمارات العظيمة خصوصاً اسم وصورة الصنم الشهير المعبود باسم آمون بصفة الاله الكبير في مدينة طيبة الصعيد وتغيرت الاسماء والنعوت المعتمدة بين الناس في تلك الاعصار الى شكل غير معهود حتى ان الملك ذاته بدل اسمه وبعد أن كان يسمى باسم آمينوفيس سمي نفسه باسم شواناتان ومعناه اشراق جرم الشمس وأراد أن يقطع بالكلية والجزئية كل مواصلة تربطه بمأثورات اسلافه السابقين واجداده للعتيقين فترك كرسى مدينة طيبة المعهود واختط لنفسه كرسى مملكة في مكان آخر جديد هو ما يعرف الآن باسم تل العمارنة بجهة الصعيد وبعد وفاة الملك آمينوفيس الرابع المذكور بقيت الديار المصرية بحالة اختلالية لداعي ما كان قد شرع فيه هذا الملك من تبديل عقائدها الدينية فقام ثلاثة من أهليان أرباب دولته وأصحاب المناصب العالية في مملكته كان كل منهم متشرفاً بمهرته أعنى متزوجاً كل واحد منهم بواحدة من بناته وتعاقبوا على كرسى السلطنة بعد وفاته وتنازعوا منصب السلطان مدة حقبة من الزمان حتى قام ولده الثاني المسمى باسم هارانهيبي فأعاد انتظام الامر واخذ بزمام الولاية الصحيحة على بلاد مصر

مطلب — ما يظن من قبيل الآراء التخمينية من تداخل الامة العبرانية في هذه الفتن الدينية

قال المؤرخ المسطور اعلاه في هذا المقام مامعناه ولم بما يقال هل كان للامة العبرانية بعض مدخلية فيما كان قدهم به وان كان لم يتم الملك آمينوفيس الثالث من اغرب الحوادث اعنى ما حصل منه من الاهتمام والالزام بالاعتقاد في الوجدانية الالهية والحال انهم كانوا قد تسكاثروا عدهم وتوفر مددهم بمصر حيث كانوا قد توطنوها منذ عشرة اجيال من الدهر لغاية ذلك العصر والجواب عن ذلك انه لا مانع من الحدس والتخمين بما هنالك بدليل ان مبدأ اضطهاد العبرانيين بديار مصر وتحميلهم باثقال الامر والاصر حسماروى في ضمن قصة خروجهم من تلك الديار بالتوراة قد كان بما يكاد ان يكون من قبيل الضبط واليقين معاصرا من الزمان لوقت قطع دابر من كان قد تعدت يده للاستيلاء على كرسى السلطنة الفرعونية من هؤلاء الثلاثة الاعيان البغاة واسترداد الاخذ بالناني بزمام الولاية الملوكية ليد مستحقها من أهل بيت المملكة المصرية وان لنا من التخمين العديدة والنظنون الاكيدة ما يدل على أن ما ذكره من التوراة من القول بأن الفرعون الذي لم يكن يعرف يوسف هو عين سبتوس الاول وأما ما ورد بالكتاب المقدس المذکور من أن مدينتي يثوم ورمسيس بالشمال الشرقي من بلاد مصر انما كان بناؤهما بجمل بني اسرائيل في ذلك العصر حيث كان فرعون قد حكم عليهم بالاعمال الشاقة فقد دل على ذلك ما صرح به في عدة مواضع من أساطير العمارات المصرية القديمة من الشهادة بان الملك رمسيس الثاني ملك مصر هو الذي شيد المدينتين المذكورتين في ذلك العصر

مطلب — ذكر فرعون سبتى أوسيتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني (أعنى تاريخ مصر في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق م من ذلك العصر)

قد كان فرعون سبتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني من أر باب العائلة الملوكية التاسعة عشرة التي خلفت بطريق المصاهرة العائلة الثامنة عشرة وقد كانت مدة ولاية كل من هذين الملكين ولا سيما المدعومين باسم رمسيس الثاني وهو المعروف عند اليونان باسم سينوس سبتريس متحلية بالبهجة والفخار ممتلئة بوقائع حرية كبار ولم يعهد ملك من ملوك مصر على مر الدهر ان أبقي أكثر ولا أبجسم ولا أنخر مما وجد لهذا العصر على بحر الاعصار بوادى النيل من العمارات والآثار وكلها كان انشاؤها وتشيد عمارتها وبنائها بفعل اسرى الحرب الكثيرين الذين كان يأخذهم كل من هذين الفرعونين الشهيرين في غزواتهما المستمرة على القبائل الرحالة التزالة ببلاد العرب والكنعانيين والفينيقيين (أى السوريين) والهيثيين وهم قوم كانوا متوطنين على شواطئ نهر الارنت أو الاورنتس (وهو النهر النابع من جبال لبنان الى حيث يصب في بحر سفيد ويسمى باسم نهر الآزى الآن) وعلى الاسوريين (أى العراقيين) والارمن وغيرهم من سكان بلاد آسية الصغرى والزوج والليبيين ولقد دل على واقعية تلك الحروب بما حصل العثور عليه من القصائد الشعرية المصرية المسطرة على قشر النيات المصرية القديمة

المعنى بالبردى (بضم الياء الموحدة في أوله) والاساطير الاثرية المحرقة بغاية التطويل والبيان كقصائد الشعرية والتصاوير المنقوشة على الجدران من الهياكل والمعابد الاهلية ولقد صار الحصول الآن على مقدار وافر جدا من السندات الرسمية والنصوص الاصلية التي يستدل بها على صحة واقعية هذه الوقائع الحربية ولا يتأخران بتيسر للتورخين المصريين أن يقصوا تلك الحوادث التاريخية على ما هي عليه من حقيقةها الواقعية لغاية أدق أحوالها التفصيلية

ولقد يظهر الآن من فحوى تلك السندات الاصلية والنصوص الاهلية منزية مدة حكم فرعون سيزوستريس هذا بالنسبة لغيره من الفراعنة المصرية على خلاف ما كانت قد تظاهرت به لآعين مؤرخي اليونان في سالف الزمان بالكلية حيث كانوا قد اغترروا بما شاهدوه في تلك الازمان لهذا السلطان من عجيب البنيان وغريب العمارات الاثرية والذي تقتضيه العدالة التاريخية هو ان الملك رمسيس الثاني المعبر عنه على لسان مؤرخي اليونان باسم سيزوستريس هذا لم يكن قد وسع السلطنة المصرية اذ كانت من قبله قد ابلغت طموحها من الثالث لغاية العظمة الدواية ونهاية ما تيسر لسيزوستريس من ذلك التوسع النفيس هو انه اجتهد في حفظ ما كانت اسلافه قد احاطت بهما عليه من سعة الفتوحات والقبض على ما كانوا قد استولوا عليه من الممالك والولايات ولقد دل جميع مدة حكمه على أن الشوكة الفرعونية الفخيمة والصولة المصرية العظيمة التي كانت ملوك العائلة الدامنة عشرة قد أبدعوها وشيدوا بناءها وصنعوها كانت قد كادت تريد ان تنقض وقارب بناؤها ان ينتقض حيث ترى جميع الامم الذين كانت دولة ملوك مصر السالفين المدعوين بالطوطميسين والاميين وفيديين في جميع الجهات من الجنوب الى الشمال ومن المغرب الى المشرق قد ارغموا أنوفهم وقبضهم واستولوا عليهم وأطاعوهم كانوا قد أخذوا في القيام عليهم واتخرج عن طاعتهم وترى السودان قد أخذوا في اشتغال نيران الفتن والثوران وترى حيطان الهياكل الدينية والمعابد الوطنية مملوءة بتصورات سائر الانتصارات التي كانت ولاية بلاد الايتيوبية المنصويون من لدن الدولة المصرية يظفرون بها على هؤلاء الاقوام الخارجين عليها وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من الصحارى الاسكائية على غربي الدلتة المصرية يخرج منها اقوام رحالة التزالة ولوغيون زرقاء وشعور شقراء (وهم الاقوام المعروفون بالليبيين) ينزلون في ذلك العهد من حرائر البحر المتوسط الابيض (أو بحر سفيد) على قارة افريقية فيهددون الاقاليم الشمالية أو البحرية ولا تضبطهم الجيوش المصرية الابغاية المشقة والجهد وترى كذلك بلاد آسية مثل هذا الامر مما هو من قبيل رد الفعل وعود الكرة على ديار مصر حيث يشاهد من هذه الجهة أيضا القوم المنجوني بالهيتيين وهم قوم أولو شجاعة ويطش شديد يقاتلون على عربابات حربية فدعوا

للتعصب من عهد جديد مع عشرين قوما آخرين وعقدوا فيما بينهم عقد مخالفة على المصريين من
أشتما يعقد من هذا القبيل ويعهد وبعد ان حاربهم الملك رمسيس هذا مدة ثمانى عشرة سنة
متوالية لم يصل من نتيجة محاربتهم الغير المنقطعة الى غير عقد شروط مصالحة معهم على
أن يترك لهم سائر ما يدهم من الاملاك الارضية ولقد حفظت نسخة هذا العقد ووصلت اليها
في هذا العهد واتضح منها ان الشروط التى اشتملت عليها هى أكثر عود الفخر على الهيتيين
منها على فرعون مصر

مطلب ذكر ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثانى ملك مصر
قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور أعلاه ما معناه كلما تأمل الناظر البصير فى حقيقة
تاريخ رمسيس الثانى ملك مصر عرف ان هذا الملك كان غير جدير بنعت الملك الكبير انذى كان
قد وصفه به أولا بى ادنى رأى اسلاف المترجمين لاساطير العمارات المصرية القديمة من العلماء
الاورباويين ولقد استقر الحال الآن بما فيه مقنع كاف لذوى العرفان من الدليل والبرهان
على انه يصح أن يقال عنه انه انما كان رجلا دنى النفس شديد الطمع والكبر محبا للابهة والفخر
الى ما ليس له نهاية وانه كان ملكا جائرا للغاية قد بلغ من حب التظاهر والفخر الى ان محا من
سائر العمارات والآثار التى تيسر له فيها ذلك العمل أسماء الملوك السالفين الذين كانوا قد
أنشأوها ووضع اسمه عليها بدلا عنهم كانه هو مؤسسها وبانيها وقضى سائر مدة ولايته مفتخرا
بغزوة غزاها فى عصر شببته مستندا فيها لما حصل منه من الجراءة وهو ابن عشرين سنة
فى مبدأ وفائعه الحربية مع الهيتيين وقد دارت عليهم دائرة الحرب وعادت عليهم كرة التزال
والضرب فوقع فى مكيدة كين لهم وتوصل لأن تخلص منهم وليس معه من الخفر غير نفر يسير
ولم يتكرره واقعة حربية على سائر العمارات التى هى عن مدة ولايته مأثورة غير هذه الحادثة
المذكورة وهى التى اشتهرها الشاعر المصرى العتيق المدعو باسم **بنتاؤور** فى
قصيدته المشهورة التى اتقن ترجمتها لناعى اللغة القبطية الى الفرنسية العالم الفرنساوى
الشهير باسم لوتونت دوروجه (بالجيم الفارسية) ولم يصل اليها غيرهما من الاشعار الفخرية
والمؤلفات الادبية المصرية

وقد وصف الملك رمسيس الثانى هذا فى سفر قصة خروج بنى اسرائيل من مصر فى التوراة بالملك الجائر
لداغى ما اثقل به على العبرانيين من اثقال الظلم والاسر وتحميهم باجمال المشقة والاصر
ولعمري ان هذا النعت هو ما بصفه به التاريخ متى تم عمل الكشف عن سائر اعماله وتحققت
بحقيقة افعاله وان ذات الاهالى المصريين قد كانوا هم أيضا فى مدة ولايته على هذه الديار

يقلسون أقصى رقة من المذلة والصغار ولقد حصل العثور الآن على سندات أصلية أثرية وقيودات أهلية مصرية مشر وحافيا باقوى ما يأخذ بمجامع القلب حقيقة أحوال ما كانت تقاسيه أهالي الأرياف في عهد من الضنك والكرب

مطلب — ذكر فرعون ميراثته (في القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه مامعناه وقد كانت مدة حكم فرعون ميراثته وهو ابن رمسيس الثاني السالف الذ كر وخلفه على كرسي مملكة مصر كله عصر نحس وشؤم حيث توالى فيه مصائب الدهر على رأس ديار مصر بسوء عاقبة ما كان قد حصل من إيه في مدة حكمه من الجور والظلم وذلك أن الليبيين بانضمامهم إلى الأقوام البيلاجيين (بالباء الفارسية في أوله والجسيم الفارسية أيضا قبل ياء النسبة في آخره بمعنى اليونانيين) المتوطنين في جزائر بحر سفيدي وعلى سواحله والأقوام المسمين بالآشيين والتيرانيين والسيكوليين والسوردونيين (من سكان البلاد المسماة ببلاد أوروبة الآن) كانوا قد تعصبوا على المصريين وأعادوا على ثغور الديار المصرية من الجهة الشمالية الغربية وأضر وأبجى جميع بلاد الدلتة والأقاليم البحرية وبلغوا من وراثة مدينة منفيس إلى حيث لم تحصل عليهم الغلبة والنصر من أهل مصر إلا بغاية المشقة والصبر ولم يكن قد حصل دفع هذه الغارة الشديدة حتى بدأ أمر الفتن العديدة وظهر سر المحن المتنوعة التي كان قد تسبب فيها على مصر بنو إسرائيل في ذلك العصر وانتهت بحادثة هجرتهم بمعنى خروجهم من ديار مصر حيث كانت هذه الحادثة التاريخية في مدة ولاية هذا الفرعون على الديار المصرية وانتهت مدة ولايته بغارة أخرى جديدة حصلت على ديار مصر في ذلك العصر أيضا من الأقوام المتوحشين والام الرحالين النزالين من الآسيين وأعقب تلك النازلة الكبرى عصر فتن أهلية ومنازعات داخلية استغرقت سائر آخر مدة ولاية العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية ولم تنته مدة تلك الحركة الفتنية إلا بوقت أن قام على سرير مملكة الديار الفرعونية الملك رمسيس الثالث على رأس عائلة جديدة ملوكية

مطلب — ذكر رمسيس الثالث ملك مصر (وهو آخر مدة القرن الرابع عشر ق م)
قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد كان هذا الملك المسمى بهذا الاسم وهو الذى بنى القصر المتسع المشيد الكائن بالناحية الممعة بدينة أبومن طيبة الصعيد هو آخر الفراعنة الحريين العظام وخاتمة الملوك المصريين الفخام غير أن سائر وقائعه الحربية إنما كانت مجرد دفعية (بمعنى أنها لم تكن من قبيل الغارات البدائية) وكانت جميع همته متوجهة على الإدام والاستمرار نحو مقاومة ما كان يتوارد على ثغور مملكة مصر في آخر ذلك العصر من أمواج الأمم المتوحشين وافواج القبائل البدويين الذين كانوا يتوافدون إليها ومن كل جانب يغيرون عليها وينذرون على تلك الديار بتقارب الخراب والاندثار فمن ثلك أن الهيثيين الذين هم أشد أعداء فراعنة الدولة

المصرية الحادثة كانوا قد بلغوا ما قصدهم من عقد محالفة شديدة على المصريين وتعصبا وعصبية جديدة مع اقوام كثيرين دخل قيم لغاية القوم الاقدمين المسمين بالدردانيين الذين هم سكان اقليم تروادة الشهيرين واتحدوا ايضا مع عصبية الامم البيلاجيين وقد كان رأس عصبتهم في ذلك الحين القوم المعروفون بالفلسطينيين الخارجين من جزيرة كريد وكان هؤلاء القوم المذكورون قد عقدوا سالف عهدهم على المصريين من جديد مع الاقوام الليبيين وشنوا الغارة كلهم دفعة واحدة على سائر الاقاليم والولايات الداخلة تحت طاعة الدولة الفرعونية من جهة الشرق والغرب والشمال قتل الليبيون على غربي الاقاليم البحرية والهيثيون على الديار الشامية ونزلت الاساطيل البيلاجية على سواحل أرض فلسطين ودارت رحى الحرب والقتال على البر والبحر مغا في عدة محال وقد عثر في آثار أهل مصر القديمة على صورة جميع وقائع هذا الحرب العظيمة منقوشة على واجهة ابواب القصر الملوكي الكائن بجهة مدينة أبو حيث ترى الملك رمسيس الثالث هذا هو رافيه على هيئة الخارج منصورا من المعركة وفي صورة الحامي لجميع محالكة المتسعة من غائلة المهلكة وانه يدفع صائلة الليبيين ويقمع شوكة الاقوام الآسيين ببلاد الشام مع كون اساطيله البحرية رافعة الاعلام تلتف الاساطيل البيلاجية والسفن الفلسطينية غير ان ظفره بجميع هؤلاء الاقوام لم يكن على وجه تام بحيث أنه لم يضطرا أن يفعل كما فعل امبراطرة الرومانيين بوقت انحطاط دولتهم حين كرت عليهم داهية الاقوام المتوحشين ولم يكن لهم الظفر بهم بالكافية وذلك انهم بعد ان انتصروا عليهم وغلبوهم اضطروا لأن اقطعوهم اقطاعات أرضية من بلاد الدولة الرومانية وهكذا فعل فرعون رمسيس الثالث في آخر تلك الحوادث حيث نرى عدة قبائل عديدة من الليبيين مكثوا متوطنين بالاقاليم البحرية من انديار المصرية ونرى الفلسطينيين وان كانوا قد اضطروا للاعتراف بسيادة فرعون مصر عليهم لكنهم بلغوا غرضهم الاصل من شن الغارة على بلاده حيث نراهم قد استقروا في احوالي غزة وعسقلان ونشاهدهم وقد صاروا قوما اولى قوة عظيمة وصولة جسيمة بعد قرن من الزمن لا أكثر كما هو في سفر القضاة من التوراة قد ذكر وتقرر

مطلب — ذكر مبدأ ضبط الكرونولوجية المصرية (أى ذكر الحوادث التاريخية بتواريخها الزمنية على وجه الضبط والصحة اليقينية)

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه مامعناه ان الكرونولوجية المصرية بمعنى علم الازمان التاريخية أى اقتصاص الحوادث بأوقاتها الزمنية كان قد أخذ من بعد مدة ولاية فرعون رمسيس الثالث هذا فى أن يكون على وجه الضبط والصحة اليقينية وذلك انه قد عثر على تاريخ فلكى متدبر مزيج منقوش على جدران قصر مدينة أبو المذكور آنفا فحسبه العالم الفرنساوى المشهور باسم **بيوت** ومنه استنبط ان تقليد هذا الملك بولاية الديار المصرية قد كان في سنة ١٣١٢

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وتددت أصوهر القبيودات الهيور بجايقية التي استكشفها المؤرخ ماريت بل في اطلال مدينة منقيس أو منف فياية اتي بمدة ولاية الملوك الخلف في داخل قبور الاثوار المقدسة التي كان يعبدوها المصريون السلف ويسمونها باسم آبيس (بمذاهزة في أوله يلهم اباة فارسية قباة مثناة تحمية فسين مهملة في آخره) على تاريخ ولاية كل ملك تقلد قباة على كرسى الديار المصرية من هؤلاء القوم بالسنة والشهر واليوم ونسخة اصل هذه القبيودات موجودة بمخزن الاثنية قحانات المحفوظة بمراية ملوك الفرنسيس المماسة بمصر لورده (في مدينة باريس)

مطالب — ذكر انحطاط المملكة المصرية (من القرن الثالث عشر فمارلا الى القرن العاشر ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد تعاقب على ملكة مصر عشرة ملوك كاهم يدعون باسم رمسيس من العاقل المتمة لعشرين مدة قرن ونصف من الدهر وفي مدة تعاقبهم على ميرير المملكة الفرعونية كانت قد انتمت من ايديهم شيأ فشيأ سائر الاقالم الآسية التي كانت تابعة للدولة المصرية وكان هؤلاء سراعنة المدكورون من قبيل الملوك الكسالى الدين هم في جملة ملوك ديار قرانسة بهذه الصفة مشهورون وذلك انه في مدة سلطنتهم على ديار مصر كانت كبار قسس عبادة الصنم المعبود للمصريين السالفين باسم (آمون) في مدينة طيبة الصعيد ذلك العصر قد تغلبوا شيأ فشيأ على جميع ولاية الامر المصرية وانعسى أمرهم بأن نجاروا على التتوج رياح المملكة الفرعونية غير ان قديمهم هذا لم يقرهم عليه كافة أهل البلاد بل كانت قد قامت عليهم بالاقام البحرية عائلة ملوكيه أخرى وانصبت خصم الطائفة كبار القسس الصعيدية وحيث كانت هذه العائلة الملوكية الجديدة قد ظفرت بهم وانتصرت عليهم في وقائع حرية عديدة كانت بالضرورة هي التي تسجلت في جملة بيوت الملك التالية بصفة كونها هي العائلات الملوكية المصرية والدول الصحيحة اشريع

مطلب — ذكر العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحرية (من القرن العاشر ق م الى القرن الثامن ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ومن وقت ان انهمزت كبار القسس الذين كانوا قد تقلدوا بمنصب السلطنة المصرية في الاقاليم القبلية من الديار المصرية ثم زالت دولتهم وتولت دولتهم كانت مدينة طيبة قد زال عنها ما كانت عليه من درجة الاعلوية بالكلية وصارت العائلات الملوكية الخالفة تخرج كاهم من الاقاليم البحرية وفيها جعلوا مقر ملكتهم واتخذوا فيها قاعدة سلطنتهم وصاروا من الآن قنازلا عبارة عن عائلات ملوكية حقيقية من قبيل الدول المصرية المعروفة بدول الممالك البحرية التي استولت على بلاد مصر الاسلامية بمدة القرون

الوسطى من الاقسام التاريخية وذلك ان ملوك تلك الدول المصرية الحادثة كانوا كلهم يخرجون من الطوائف العسكرية الاغراب عن الديار المصرية الذين كان الملوك الحاكمون على شواطئ نهر النيل يتخذون منهم خاصة طوائف حرسهم الملوكية ومن أشهر العائلات المذكورة العائلة الملوكية الثانية والعشرون التي كانت قاعدة مملكة نوباديت بوباستيس (وهي المعروفة بتل بسطة الآن) وقد مكثت على سرير الملك من سنة ٩٨٠ الى سنة ٨١٠ ق م اذ كانت هي خصوصاً مشهورة بأول ملوكها المسمى باسم فرعون سيد ونخديس (سبى مهملة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فرأى معجزة فوافقون موعدة فخاء معجزة فباء مثناة تحتية فسبى مهملة في آخره) وهو الذي غلب الملك روبروام ملك يهود من أرض فلسطين واستولى على مملكة بيت المقدس واستلب خزائن الهيكل المقدس ومن تأمل في جداول انساب سائر الملوك الخارجين من سلسلة هذه العائلة الملوكية استغرب كل الاستغراب وقضى غاية العجب العجائب حيث يظهر له بالطريقة الجلية أن أكثر أسمائهم هي محض أسورية (أى سوربانية بمعنى عراقية) كتمرو ودوجلات ومرجون وما أشبه ذلك ولا شك ان هذا دليل قطعى وبرهان اقناعى يدل على منشأ ملوك هذه العائلة الاصلية

مطلب — ذكر الملوك الايتوبيين والاسوريين الذين استولوا على دولة الملوك المصريين (من سنة ٧٢٥ ق م الى سنة ٦٦٦ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وكان قد تعاقب على سرير المملكة المصرية من بعد العائلة الملوكية البوبسطية خمسة ملوك أصلهم من مدينة تانيس (سان) ومدينة اكسويس (سحنا) تركبت منهم للعائلة الملوكية الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وكان آخرهم الملك المشهور باسم فرعون بونخوريس الملقب بالمشرع أو القانونى وهو الذى كان قد عزله عن كرسي الديار الفرعونية وقتله في سنة ٧٢٥ ق م اقوام اتيسوية كانوا قد اغاروا تحت قيادة ملكهم المدعوب باسم ساباكون على ثغور الديار المصرية الجنوبية واستولوا على سائر بلاد مصر مدة حقبة من الدهر تباع تسع وعشرين سنة وتكونت منهم عائلة ملوكية مركبة من ثلاثة ملوك لا غير ثم طرأ عليهم الاسوريون وتنازعوا معهم مملكة مصر حيث كانت قد صارت في ذلك العصر لحالة العجز وعدم القيام بالذات وأصبحت مفتحة الابواب بالكلية لكل من أراد أن يطرقها من الامم الاجنبية حتى ان الملك سيناغريب (ملك العراق) كان قد استعد لفتحها ووصلت مقدمة جيوشه الى مدينة بيلوز (وهي المسماة تبنة الآن أو عين شمس المعماة أيضاً باسم اواريس في سالف الزمان) من تلك الديار ثم رمى الله سبحانه وتعالى عساكره في حصار القدس على وجه غريب بداهية الموتان العجيب فاضطر للرجوع الى بلاده بالشئ وفي سنة ٦٧٠ ق م اقتزع الملك آسارادون ملك نينوى الديار المصرية من يد الملك طهرقة ملك الايتيوبية وبعد عدة يسيرة من الزمن قام الملك طهرقة بانثانى فطرد الاسوريين منها واستولى

فأيا عليها ولما نولى ملكة العراق الملك آشور بانينال بعسا الملك آسارادون المذكور آنفعا عا به بالكر في سنة ٦٦٧ ق م على طهرا قتيلا دمصر ومكث الايتيو يون والاسوريون يتنازعون فيها الامر واشتد بينهم القتال وامتد الحرب والثرال مدة ثلاث سنوات مرت على بلاد مصر وهي في غاية الدل والاضمحلال حيث كان يطأها العسكران ويدوسها الطرفان حتى تخربت البلاد وهما فيها يتنازعان وأباحت حرمة مدينة طيبة لانتهاك العسكر فسلبت ونهبت وكثر فيها الفساد وكادت أن تخترب بالكافة وتصير من قبيل الاطلال وفي آخر الامر تمت الذكرة على الاسوريين وبقيت البلاد الايتيو بين

مطلب — ذكر الدولة المصرية الاثني عشرية وولاية العائلة المالوكية الصابخرية (في سنة ٦٦٣ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما خرج الاسور يوث من الديار المصرية لم يبق للايتيو سين ولاية ثابتة من غير منازع لهم فيها الا بالاقالم الصعيدية من تلك البلاد وأما الاقاليم الشمالية والبحرية فكانت قد تحصلت لنفسهم اعني من زية الامستقلال والاستبداد وقام فيها بولاية الامراء ثناء عشر ملكا صغار تشار كواقيم او اقنمهموها وكان بعض الكهنة قد أخبر بان مصر كله ينتهي امره لان يكون لمن يصب شرايا في اناه من نحاس على ذكر الصنم المعبود لهم باسم ملك افتناء على انه الاله الاكبر بمدينة منفيس واتفق ذات يوم ان اجتمع الاثنا عشر ملكا المذكورون في محفل ديني ليقر بواقر بانا للصنم المذكور فقدم لهم كبير القسس اقدا حان ذهب كانت قد جرت عادتهم باستعمالها في محافلهم ونسي او تنامى فأتى بأحد عشر قدح لاثني عشر ملكا الحاضر بن المجلس فبادر أحدهم المعنى باسم ابسماتيك او ابسماتيكوس ملك قسم مدينة سيس (صالحجر) حيث بقي دونهم بغير قدح فتزع خودته عن رأسه وكانت من نحاس وصب فيها ما كان قد أعد للقربان من الخمر ولربما كان قد بر لنفسه هذا الامر من قبل في السر ليكون هو الملك المشار اليه في خسر الكاهن كما قد يظهر ولما حسده على ذلك رفقاؤه من الملوك الاثني عشر اضطر لان فر واختفى في بعض البحيرات بالاقاليم البحرية حتى تيسر له ان استعان بقوة امدادية اجتمعت له من جوع الاغراب اليونانيين والكاريين وتوصل لأن غلب بهم عصبة اخوانه الملوك المصريين الذين كانوا قد اقمهم وامنهم ملكة الاقاليم البحرية وذلك في واقعة حربية قطعية وقعت بينهم في الناحية المماقبا بمومافيس وأخرج كذلك الايتيو بين من الصعيد وأعاد للديار المصرية حدودها الارضية الاولى أعني من الشمال الاول لغاية بحر سفيد

مطلبت — ذكر مدة ولاية الملك ابسماتيكوس على جميع الديار المصرية قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ولما كان الملك ابسماتيكوس انما قال الرفعة على كرسى

يسائر ملكة مصر في ذلك العصر باعانة الاغراب استمر على ان يدعو اليه منهم الجمل الغفير ويستصحب منهم الجمل الكثير من الاصحاب فترتب على ذلك ان قام عليه قوم من الجنود المصرية وهاجروا الى بعض البلاد الاجنبية وكان قد ساعد مادة التجارة الخارجية وأحدث طرق مختلطات اهلية مستمرة مع بلاد اليونان والفينيقين وأخرج بذلك الديار المصرية عن حالة العزلة السرية التي كانت قد انحصرت فيها منذ عدة قرون من الزمن بسياسة ملوكها السالفين وبحسن تدبيره واتقان سياسته كانت الديار الفرعونية في مدة عهده وعهد من خلفه من الملوك الذين تكوّن منهم العائلة الملوكية السادسة والعشرون المصرية قد عادت لعظمتها الاولى واسترجعت على مرتبتها الاصلية

مطلب - في كحروب الدولة المصرية ببلاد سورية

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وحيث كان الملك اسمعدي كور اراد ان يثبت اقدام عائلته الملوكية على كرسى المملكة المصرية بواسطة المفاخر العسكرية تثبت بان يسلك سبيل الطريقة السياسية التي كان قد استتبها اسلافه من ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في بلاد آسية وتعلقت برغبته بأن يفتح بلاد سورية فم يديره أن يستولى منها الاعلى بلاد فلسطين ثم جاء من بعده ابنه نينجاو واونينجاووس (بالسين المهملة وعدمها في آخره) فاستمر على ما كان قد بدأ به والده من شن الغارة المصرية على بلاد سورية وظفر في أول الامر في مغازيه بكثير من النصر وهزم الملك يوزياس ملك يهودا من أرض فلسطين في مدينة ماجيدو (بتشديد الال المهملة بعدها واو ولعلها ما تعنى الآن باسم مجدله) حيث قتل الملك المذكور (في سنة ٥٠٩ ق م) في حومة المقتلة واستولى فرعون مصر استيلاء وقتياعا على جميع بلاد سورية وذلك انه كانت قد ظهرت في ذلك العصر ببلاد العراق فيما بين دجلة والفرات الدولة الملوكية الكلدانية البابلية (بمعنى العراقية) وكانت قد دنت من أن تبلغ الى أعلى درجة من الشوكة لدولية بمدة الملك المدعو باسم نابوكودونوزور الا كبير وهو المعروف عند العرب باسم بختنصر ولزم ان يتصادم الدولتان المصرية والعراقية بالبلاد الشامية حيث كان كل منهما يدعى ان لهيلا دآسية درجة الاعلوية فالتقى هناك الجيشان وتلاطم العسكران تحت أسوار مدينة جرجيسية فقطفر بختنصر المشهور ولم يكن بعد غير ولى عهد للمملكة العراقية بفرعون نينجاووس المذكور ولم ينجح بختنصر في استلاب جميع فتوحاته بالديار الشامية وطرده الى الديار المصرية لغير هذه الواقعة الحربية

مطلب - توسيع الدائر التجارية بالديار المصرية في تلك الحقبة العصرية

قال المؤرخ المورى عنه اعلاه مامعناه غير ان هزيمة الدولة المصرية هذه ببلاد سورية كانت قد انجبر ضررها وانسد عورها بما كان قد حصل في الديار المصرية بتلك الحقبة العصرية من

يغير أسباب المعادة الداخلية وتوسيع دائرة التجارة الأهلية وكانت القنون والمصنوع بشواطئ النيل قد تلبست في ذلك الجليل بأخولياس زاه وأهرجيل وذلك أن الملك نبحاوس كان قد شرع في أن يفتح الخليج من نهر النيل إلى البحر الأحمر وأجرأه القلزم وكان قد حفر من قبله الملك سيتوس ثم ترك العمل فيه ولم يفته بانذار بعض الكهنة له وبعد الملك نبحاوس أيضا أسطولاً من السفن الفينيقية (أي السورية) للسفر في البحر حول دوائر سواحل بلاد إفريقية بالابتداء من البحر الأحمر إلى بحر سفيد لقصد أن يحدث من ذلك المادة التجارة طريق جديد

مطلب — ذكر فرعون ابريس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ثم ظهر بعد الملك نبحاوس حفيده المسمى باسم ابريس وكان قد عقد العهد مع الملك سيدياس ملك يهودا من أرض فلسطين على مدافعة مملكة الاسوريين لكنه لم يتهمس له أن يحضر في الوقت اللازم لمساعدة مدينة القدس إذ كان قد حضر إلى ما يختصر وحصرها وانتهك حرمتها ودمرها وأما كانت الأساطيل المصرية قد توجهت إلى جهة سورية من الطريقة البحرية فظفرت بكثير من الظفر والنصر على سواحل بلاد الفينيقية ثم بعد ذلك بمدة يسيرة حصل للملك ابريس هزيمة كبيرة في حرب وقعت بينه وبين القوم اليونانيين المتوطنين (من بلاد برقة) بمدينة قورس وحيث ثارت على فرعون ابريس هذا الثورة من جنوده فعزلوه ونكسوا به وقتلوه وولوا بدلاً عنه على عسكري السلطنة المصرية رجلاً من سفلة الناس كان قد ترقى إلى أعلى المراتب العسكرية يقال له أمازيس وذلك في سنة ٥٧١ ق م

مطلب — ذكر فرعون امازيس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد كان امازيس هذا ملكاً ماهراً سعيداً وسلطاناً قاهراً شديداً استرجع جزيرة قبرص من أيدي المصريين وكانت قد خرجت عنهم واستولى عليها الاسوريون ثم البابليون وكابأكثر ملوك عائلة الملوكية اعانة لاجتلاب الاغراب من اليونان إلى الديار المصرية وفي مدة ولايته السلطانية يشاهدانه قد نشأ على يد والدته المصرية بالاقليم البحرية المدينة الهلينية (بمعنى اليونانية) المسماة باسم نوكراتيس (وهي المعروفة باسم قوة الآن) حيث كان الملك امازيس هذا قد أذن في سالف ذلك الزمان بلجاجة من الهلانيين (بمعنى اليونان) أن يبنوها ويخذوها لهم وطناً ويعمروها فبلغت من درجة النجاس والفلاح إلى ما يشر بما تكون عليه فيما بعد من ذلك مدينة الاسكندرية

مطلب — زوال الدولة الفرعونية وسقوط اسقلال الديار المصرية (في سنة ٥٢٨ ق م) قال المؤرخ فرنسيس لونور ملن المذكر الذكور والبيان فيما تقدم أعلاه مامعناه ان ديار مصر كانت تظهر لعين الرائي في عصر الملك امازيس على وجه من الروق والفخر بضاهي ما كانت عليه في أي عصر كان من سالف الأعصار غير ان هذا المنظر كان لا يجب الا على وجه غير تام ما كان قد ظهر في كافة أهل مصر في ذلك العصر من فتور العقل العام وتغير القلوب من الخواص

والعوام وتفرق الكلمة الأهلية وتمزق عروة العصبة الأصلية وضعف الترتيب المالية فإن تراتبيهم المالية وإن كانت في الأصل مبنية على قواعد قوية لقصد أن تكون مغلدة أرنية تقاوم صدمات الدهر كان تمدن أهل مصر في سالف العصر لا يمكن أن يستمر الأبقائه على حالة واحدة وكيفية ثابتة فلما اعتراذ في ذلك الزمان الاختلاط بحركة التقدم والسيان الطارئة عليه من طبيعة تمدن اليونان لزم بالضرورة أن يترتب الفساد والموثان وبيان ذلك أن الطائفة العسكرية في تلك الحقبة الأهلية كانت قد هاجرت بتمامها هربا من الاوطان المصرية فبقيت الملة بدون جنود أهلية وحل في مكانهم للمحافظة عليها جنود من الاغراب كان المصريون ينفرون منهم ويهضونهم وكان قد اشتد فيهم الغضب العام حتى آل لحالة الثورة والقيام وكان قد قام فيهم رجل من أهل الجراة والعصبة وتغلب على كرسى المملكة الفرعونية حيث رأى الديار المصرية متوجهة في تلك المدة الزمنية الى طريق جديدة قديمة فساعد على اجتلاب الاغراب فيها أكثر من كل من كان قد سبقه من الملوك السالفين عليها وكان هذا هو السبب في اكتساب الديار المصرية لدرجة الغنى والثروة الأهلية غير أنه كان هو السبب أيضا في فتح أعين ذوى الاطماع من الملوك الفاتحين اليها ولما قدموا عليها وجدوا فيها قوما كانوا قد فقدوا عادات استعمال الأسلحة الحربية ولذلك كان الملك اسم ماتي كوس الثالث ابن امازيس لم يصعد على كرسى مملكة مصر النخس بعد أبيه الا يرى نفسه مضطرا للتنازل عنه والسقوط منه بعد مدة يسيرة من توليه اذ كان قد شن الغارة على القطار المصري الملك خبير الفارسي واستولى على ديار مصر بطريق العنوة والقهر ومن تاريخ ذلك العصر كانت قد زالت عنها الحلة الاستقلالية وصارت بالتبعية للدولة الفارسية (في سنة ٦٢٨ ق م)

الفصل الرابع

في بيان كيفية تمدن ديار مصر في سالف العصر

مطلب ١ - ذكر ما كان عليه أهل الديار المصرية في سالف الحقبة العصرية من تركيب الهيئة الاجتماعية الأهلية وترتيب الجمعية الانسانية المالية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذکور أعلاه ما مناه ان ترتيب الامة بديار مصر في سالف العصر على مراتب أو طوائف أهلية قد كان باتفاق المؤرخين المتقدمين هو القاعدة الأصلية التي ينبنى عليها تركيب الهيئة الاجتماعية بتلك الديار في تلك الاعصار وكان منصب الملك بها هو الرأس لها وانما وقع بينهم الخلاف في عدد تلك المراتب فقط فعدّها هيرودوت اليوناني سبعة وهي طائفة القسوس وطائفة الجنود وطائفة رعاية البقر وطائفة رعاية الخنازير وطائفة أرباب الحرف والصنائع وطائفة التراجمة وطائفة النواتية وقال ديودور الصقلي انها كانت

شخصا لا غير وهي مرتبة القسس والمحاربون والفلاحون والرعاة وأرباب الصنائع والفنون ولقد يدل هذا الاختلاف الحاصل في هذا المقام بين المؤرخين المذكورين مع كون كل منهم شاهدا بنفسه واختراق بذاته بجميع الديار المصرية في تلك المدة الدهرية على ان ما نقلوه لزاما من الفوائد التاريخية في هذا الشأن كان غير تام التحقيق ولا مستنبط ابوجه التدقيق وطالما كان العلماء الاورباويون بذهبون بناء على تأويل مثل هذه الشهادات التاريخية على غير وجوهها الحقيقية الى ان الملة المصرية قد كانت في تلك المدة الدهرية منقسمة على وجه الضبط والدقة الى فرق متميزة وفرق متفرقة وليس هذا القول بصحيح ولا لهذا المذهب ما يشهد له بالترجيح وقضية ذلك ان ما يعبر عنه بالحرقة الملكية او الفرقة الاعلى انما يتحقق في صورة الوجود الخارجية بثلاثة شروط أصلية وهي أن يكون أربابها ممنوعين ألبتة من الاحتراى ببعض حرف أو صنائع خصوصية وان يكونوا ملزومين بعدم المصاهرة إلا مع أبناء فرقهم وبالاتمرار على الارتباط باتخاذ ما توارثوه من أبائهم من صنعتهم في حين فرقهم والحال اننا نجد شيئا من ذلك واقعيا بالديار المصرية في سائر تلك الحقب الدهرية والقول الصحيح في هذه المسألة التاريخية هو انه نعم قد كان بديار مصر في سالف العصر مراتب تدريجية بمعنى طوائف أهلية على درجات بعضها فوق بعض يسوغ لكل أحد ان يرتقى فيها من مرتبة الى أعلى منها أما به من له أوقية فضل الساطان عليه بذلك لانها كانت حرقا ملتزمة وفرقا متميزة بالمعنى المذكور أعني ان كل فرقة كانت مغلقة الابواب عن كل أحد من في سواها من الأرباب والاصحاب وأما كون الحرف والصنائع بديار مصر في تلك الازمان كانت تسوارث من الالباء الى الابناء في أغلب الاحيان فلم يكن ذلك بوجه من الوجوه قاعدة جبرية ولا شريعة قهرية بحيث يصح للقائليين بهذا القول ان يأخذوا القولهم هذا منه أدنى توجيه

مطلب — ذكر ما كان عليه منصب الملك بديار مصر في سالف العصر قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قد كان ترتيب أمر الولاية المصرية من الخيرية السياسية في جميع مدة السلطنة الفرعونية المديدة وتلك الاعصار الزمنية العديدة على حال واحد لم يتحول وطريق ثابت لم يتبدل أعني على صورة الحكومة الملكية المطلقة بل ربما كان أطلق ما وجد من أنواع الدول الملكية وأنفذ تصرفا من سائر ما عهد في العالم بمقامه من أنواع الولايات السلطانية المحقة اذ لم يطرأ عليه أدنى تغيير ولا تبدل ولا اعتراش شائبة تحويل لا يتداول الدول والعائلات الملكية عليه ولا يتنازع الملوك المتنازعين فيه بوجه من الوجوه مطلقا قال المؤرخ ديودور الصقلي في تاريخه ما نصه وان المصريين يحترمون ملوكهم ويعبدونهم كالآلهة ويرون ان ما تلبس به الملوك بالأكمة الالهية من ولاية الأمر السلطانية والقدرة على اشرال اعمال الخيرية انما هو من صفات الالهية (انتهى كلامه) وهذه العبارة التي ذكرها المؤرخ

المؤرخ اليوناني المذکور موافقة بالكلية لما ينبع من الوقائع التاريخية بدليل النظر في العبارات
الاثريّة وذلك انه منذ اقصى اعصار العائلات الملوكة المصرية الاولى لم يزل يشاهد وجود
هذه الحرمة النهائية المتوجهة من سائر افراد الرعية بالديار المصرية للرتبة الملوكة الفرعونية
البالغة لدرجة الربوبية والعبادة الحقيقية بحيث كان يتصور لهم ان فرعون هو الآله المحسوس
لسائر الرعية ولم يكن الملوك المصريون متقلدين بمنصب السلطنة العليا مع رئاسة الديانة القصوى
فقط بل كانوا معدودين عند رعائهم المصريين في جملة آلهتهم الحقيقيين ومعبوداتهم الصحيحين
وكانت طائفة امناء الديانة المصرية في مطلق التبعية للتقليد بمنصب الملكة الفرعونية
يتصرف فيها كيف شاء بجميع أنواع التصرفات الملكية وكان من جملة الالقاب السلطانية التي
تنضم بطريق القرينة الضرورية لاسم كل فرعون من فرعونهم في سائر تلك الاحقاب الزمنية
العنوان (يا بن الآله الشمس) مع كونهم يتلقبون أيضا بلقب (الآله الكبير) و(الآله الرحيم)
وكانوا يتجسمون ويتحدون في ذات معبود المصريين الكبير المسمى باسم (هوروس) حيث كانوا في
تلك الاعصار يرون كما همونص ما وجد مكتوبا في بعض الآثار ان الملك بين الاحياء انما هو صورة
معبودهم المسمى باسم را (براهمة تليها ألف ممدودة وهو الشمس) وكان الملك متى صعد على كرسي
الملكية كانه انسلخ عن الصورة البشرية وتصور في أعين الرعية بالصورة الآلهية وصار وهو
في قيد الحياة الانسانية يتوجه اليه هيئة عبادة حقيقية

ولا يخفى على كل ذي فهمية ما كان يترتب من التأثيرات الوهية في تلك الفهود على مثل
هذه المبالة المجازة للحدود في المرتبة الفرعونية لتفخيم الصولة السلطانية وتجسيم الشوكة
الملكية فكان المصريون بالنسبة لملوكهم اياهو لهم بمنزلة العبيد المسترقين يجب عليهم بمقتضى ذات
الاحكام الدينية ان يمثلوا قضية مسلمة لاوامرهم السلطانية ويتقادوا من غير نظر في الاسباب
الموجبة لارادتهم العلية وكان أرباب أعلى المناصب العالية وأقوى أصحاب المراتب العمومية
بالدولة الفرعونية يرون أنفسهم انما هم عبارة عن خدم للدائرة الشخصية الفرعونية وعبيد
للذات العلية السلطانية ومن ثم يعلم ان المصريين في تلك الاحقاب الزمنية المصرية لداعي
صكونهم استطاعوا لمثل هذه الطريقة من الهيئة الاجتماعية وارتضوا باعدام صورة
وجودهم الذاتية وازالة مرتبتهم النفسية بالكلية أعني كونهم لم يأنفوا من اعتبار نفوسهم
بمنزلة مجرد عمال لمفاخر اسيادهم الفراعنة السالفين والاشغال تمتلئ لاهواء هؤلاء
السلطانين كانوا خالين بالكلية والجرئية عما به تمام قوة الامم المتأخرين وقوام شرف الملل
الاورباويين المعاصرين وما كان قد أخذ يذب في طباع اليونانيين والرومانيين من الاحساس
بما يقتضى ان يكون قائما بكل نفس بشرية من صفة الحرية الشخصية ومعرفة قيمتها الانسانية
الخصوصية



مطلب — الكلام على شرائع المصريين وقوانين الفرائض للسالفين

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ان القوانين المصرية القديمة هي من الشهرة العظيمة في درجة كبيرة معلومة بحيث يجب على كل مؤرخ الالتفات اليها فلا يسوغ لنا ان لا نذكرها فيها فنقول قال المؤرخ الشهير باسم الاسقف بوسورود الفرنساوي ما نصه وقد كانت ديار مصر في سالف العصر منبع كل سياسة جيدة وأصل كل ضابطية سديدة (هـ) وذلك ان ما نقل اليها عن الاخبار في هذا المقام وان كان غير تام غير انه يسجل على كل من تأمل في كتب التواريخ الماثورة عن السلف ان يعرف ان شرائع المصريين كانت مبنية على احترام سائر الحركات العظيمة التي تحس بها الروح البشرية مع الوفاء بجميع الامور التي تمس اليها حاجته نظام الهيئة الاجتماعية الانسانية ولنذكر بعض احكامهم هنا نقلا عن نص عبارة المؤرخ المشهور باسم ديودور الصقلي اد كان كلامه اتم ما قيل وأصدق ما ذكر في هذا القبيل حيث قال مامعناه كما لم يطرأ داه ان من جملة احكام المصريين في الاعصار السالفة انهم كانوا يعاقبون على اليمين الكاذب بالقتل لداعي ان خيانة العهد جامعة لدينيين هما أعظم الذنوب التي يتصور في العقل ارتكابها وهما الاساءة لدات الآلهة المقيم بهم والاضرار بالناس المكذوب عليهم ومن احكامهم ايضا ان من رأى في طريقه وجلا يصول عليه مقاتل أو صائل مطلقا ولم يغتنه وهو يقدر على ذلك عوتب كذلك بالقتل فان لم يمت كن في الحقيقة من اغاثته وجب عليه ان يسبي بالاذنب عند الحاكم ويرفع أمره الى الحاكم وان لم يفعل ذلك كان جزاؤه الحد بالضرب بالقنشب الى عدد محدود ومع الحرمان من الطعام مدة ثلاثة أيام ومن اتهم أحدا بالباطل وثبت عليه ذلك كان جزاؤه عقاب المغتاب وكان من الواجب على كل مصري ان يسلم الى القاضي وثيقة مكتوبة تشمل على بيان أسباب معاشه فان كان ماقرر فيها كاذبا أو انضح ان أسباب معاشه غير مأذونة شرعا حكم عليه بالقتل وكل من قتل نفسا عمدا سواء كان المقتول حرا أو عبدا كان قصاصه القتل وذلك ان مطمح نظر الشارع هو نية القاتل لا اختلاف أحوال المقتول وكان من احكامهم مع مراعاة جانب الرقيق حسابا ذكر ان العبد مأمور بأن لا يتعرض أبدا لاساءة الخربوجه من الوجوه مطلقا هذا فيما يتعلق بالجنايات

وأما فيما يتعلق بالاحكام المدنية بمعنى المعاملات الحاصلة بين الناس في الجمعية البشرية فقد وصل النيا ايضا من احكامهم ما ليس أدنى مما ذكر أعلاه شهرة ولا أقل منه بالتنبيه عليه بجدارة فنلاحظ ما يعزى الى فرعون بوخوريوس من تشريع عدة قوانين تتعلق بالمعاوضات التجارية منها ان جاحد الدين يصدق بيمينه في سقوطه عنه اذا لم يكن عند الماتعي سند يشهد له به ومنها انه في أي حساب كان لا يجوز أن يكون الربح المستحق زائدا عن رأس المال وان الدين يتعلق بمال المدين لا بنفسه لان الشارع نظر لكون ذات الشخص مملوكة للدولة بحيث يسوغ لها ان تطلبه لخدمتها في كل وقت شاءت اما في الحرب أو في السلم ومن ثم كان حبس النفس ممنوعا عندهم في أي حال كان

وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الايكارناسي أيضا المصريين السالفين قانونا غريبا وحكما شرعيا عجيبا يعزى الى الملك أوزورتازان الثالث وهو انه كان يباح لهم ان يقتضوا بالرهن على جثث آباؤهم المصبرة وان يضع المقرض مع ذلك يده على قبر المقرض بحيث اذا لم يدفع اليه دينه كان له ان يمنع من الدفن عند موته في مقبرة عائلته وان يمنع من الدفن فيها أيضا كل من مات من ذريته مدة بقاء الدين في ذمته الى غير ذلك من الاحكام والقوانين التي تروى عن قدماء المصريين

مطلب — الكلام على ما كان يتخذ المصربون من الحرف والصنائع والفنون قال المؤرخ المحكي عنه أعلاه مامعناه انه يلزم كتابة جملة مجلدات للاحاطة بكل ما استقيم من آثار العمارات المصرية القديمة فيما يتعلق بأخلاقيهم وهوائدهم الاهلية وكيفية معيشتهم المتزلية ومخلص ذلك ان قدماء المصريين كانوا اناسا فلاحين وأرباب صنائع وفنون ورجالا محاربين معا اما من حيث الزراعة فان أرض وادي النيل الخصبة كان يزرعها أهلها الكثيرون ويتفجع بها سكانها العديدون في كل جيل وأما من حيث الصنائع والفنون فان أهل مصر وان كانوا لم يتيسر لهم في كل عصر ان يتوصلوا على الآلات الصناعية والدواليب الحقيقية المعينة على الاعمال البشرية وكان اصطناع أمتعة المعاش الضرورية والمواد التي تمس اليها الحاجات اليومية انما يحصل عندهم بواسطة طرق ساذجة بسيطة تشبه ما كانوا يستعملونه من الآلات والادوات الزراعية غير ان ما كانوا ينتحلونه من أمتعة الترف والرفاهية قد كان لعسرى أمر اظريفا وصنع الطيفا مع كونه أكثر كلفة ومهروفا ولقد كانت جميع هذه المواد الترفهية تصطنع بيد أرباب الصنائع والفنون الاهلية بالديار المصرية من أوائل الحقب الدهرية فان جميع الاتقنانات (بمعنى مخازن التحف العتيقة والطرف القديمة) بالبلاد الاوربية يوجد بها من الادلة القطعية العديدة والبراهين القوية السديدة على اثبات هذه الحقيقة التاريخية المفيدة ما لا يمكن معه توهم أدنى شك ولا شبهة في هذه القضية ولقد كان بديار مصر في ذلك العصر جم غفير وجمع كثير من العمال يعملون في صناعة نسج الاقشة الجيدة الغنية وآخرون يشتغلون بصناعة صباغتها بالالوان المستحسنة البهية وكانت صناعة المعادن واتخاذ الالوان القيشانية (المعروفة بالصينية) وصناعة الزجاج وتحضير مواد الطلا واستعمال اللصق بالمصطكي في عمل لصق النقوش الزواقية كل ذلك كان قد بلغ بشواطئ وادي النيل من ميادى ذلك الجيل الى أعلى درجة من التمام والتكامل وبالجمله والاختصار فقد كانت حواصل الصناعة المصرية تجلب في تلك الاعصار على البرور وعلى البحار الى أقصى الاقطار غير ان المصريين كانوا لا يعرفون في مدة تلك العهود استعمال المسكوكات وصناعة النقود بل كانوا يتعاملون في تلك الازمان بطريق المبادلة في الاعيان أو باستعمال المعادن لابهية النقدية بل على صورة القضبان أعني بحسب مبلغ قيمتها بالاوزان

مطلب — ذكر طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية
قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه قد كانت طباع المصريين على وجه العموم سبعة هيئة
واخلاقهم حرة لينة قال المؤرخ هيرودوت المكررا المذكور أعلاه في هذا المقام مامعناه لم يوجد في
الامم اليونانيين من يوافق طباع المصريين من حيث خصلة احترام الشبان للشيخوخة غير
المقدونيين وذلك انهم كانوا اذا لاقى منهم الفتي شيخا على له الطريق وانحرف الى أحد الأجانب
واذا أقبل الشيخ على مجلس فيه شاب قام له الشاب وكانت تحية المصريين اذا تلاقوا بالالفاظ بل
بالانحناء الشديد والر كوع الاكيد لغاية ان تبلغ اليد منهم الى العنق (هـ)
مطلب — ذكر ما كان للامة المصرية من عوائد يعيشونهم المنزلية وكيفية حياتهم
في ديارهم الداخلية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكررا المذكور والبيان قال المؤرخ هيرودوت المذكور أعلاه
في هذا المقام ابصار تحقيق جميع ما ابتداء من الاختيار بدليل ما اتضح من النظر فيما أثر عن
سلف اهل مصر من العمارات والآثار ونص عبارته في هذا الشأن ايضا مامعناه
ولم يكن في جملة الامم السالنين والممل الاقدمين بعد الليبيين اما من اتم صفة واكمل من حيث
اعتدال المزاج نعمة ومنحة من المصريين وذلك انهم كانوا متيقنين من ان اصل
منشأ جميع الامراض البشرية انما هو من المواد الغذائية (هـ) وقد كانوا
يتخذون خبزهم من صنف الخنطة ذات المنايل الشعرية ويشربون في بعض الاقاليم من الديار
المصرية نوع الشراب المعروف بالبوزة وياكلون الاسماك النيئة من بعد تخفيفها بحرارة
الشمس او تلججها بوضعها مدة من الزمن في ماء او مائع آخر مع الملح وكانوا يتناولون ايضا من لحوم
الطيور النيئة كلحم السماني والبط وغيره من صغار الطير مع العناية بتماجيها قبل اكلها
وبالجملة فقد كان المصريون يتغذون من سائر انواع الحيوانات والطيور التي كانت توجد في بلادهم
وتعاطونها اما مشوية او مسلوقة ما عدا النواع الطيور والاسماك التي كانت محترمة عندهم بحسب
عقائدهم الدينية وعوائدهم التنسكية

وقال المؤرخ هيرودوت المحكي عنه أعلاه ايضا مامعناه وقد كانت ملايسهم متخذة من غزل
الكستان عبارة عن خرقه من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الانحاء
ويتدثرون عليها بعباءة او دفثية متخذة من قماش الصوف الأبيض غير انهم كانوا يخلعونها اذا كانوا
في معابدهم وهياكلهم ولا يدفنون بها اذ كان ذلك ممنوعا عندهم بمقتضى احكامهم الدينية وقوانينهم
التعبدية، (هـ)

مطلب — الكلام على ما كان يتخذونه قسما من المصريين من كيفية دفن الموتى في القبور
وصناعة التصبير

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه مامعناه قد كانت العناية بشأن الجثة بعد الموت والحرص على وقايتها من سائر ما يمكن ان يعثر بها من اسباب الفساد من اهم الامور فوات البال عند اسلاف المصريين بتلك البلاد ومن ثم حدثت عندهم عوائد تصبير الموتى واتخاذ التوايت لدقنهم في القبور والتواويس المعبر عنه في اصطلاح ارباب النظر في المواد المصرية القديمة بلفظ الموميا واصل مبنى ذلك على ما كان من كوزا في اذهانهم من الافكار الدينية المتعلقة بما يعثرى الروح البشرية من الاحوال الانحروية ولذلك كان يترافى لهم لزوم جعل البدن بعد الموت في وقاية من الانهتك والفساد حتى تعود اليه الروح بالثاني في يوم النشور والمعاد فتجده حيث شد محفوظا على حاله الاولى وما قبا في صورته الاصلية ولهذا السبب نشأ عندهم ما نشأ من أنواع العنايةات الشديدة وأصناف الاحتراسات العديدة لحفظ جيف موتاهم وعثر لهم على ما لا يحصى كثرة ولا يستقصى حصر او عبرة مما يعرف باسم الموميا المصرية وهي عبارة عن جثث الاموات المصبرة (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) وذلك مما قد امتلأت به الانتقنات الانثاقنات الاوروية ولا زال يوجد منه العدد الكثير والقدر الغزير في كل ناحية من الديار المصرية القبلية والبحرية ومن أراد ان يطلع على كيفية التصبير فليقرأ ما أورده المؤرخ هيرودوت المذكور في تاريخه من الوصف العجيب والبيان الغريب لأعمال التصبير التي كان قدماء المصريين يعملونها على جثث موتاهم حيث كانت تختلف باختلاف مراتبهم في الجمعية البشرية من أمير وحفير وعلى حسب درجاتهم الدينية من غنى وفقير

مطلب — الكلام على القلم المصري القديم المسمى بالهيوريجليف

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان أعلاه مامعناه كان اليونان يطلقون على كيفية الكتابة الاهلية المصرية اسم الهيوريجليف وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناها في الاصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة أو المحترمة أي الدينية حيث كان قدماء اليونان يتوهون انها كلها مركبة من صور اشياء مادية وليس الحال كذلك كما ستقف عليه بالتفصيل والبيان وهذا الاسم وان كان غير صحيح الوضع في الاصل غير انه سارت به الركان ولا زال يستعمل عند العلماء المتأخرين من الاور وباوين على وجه من الشهرة والاعلان بحيث لا يمكن الآن استبداله باسم آخر اضبط منه ولم يحصل للتفات مطلقا لا من اليونان ولا من الرومانيين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعرف كيفية قراءة هذا القلم المصري القديم ولا اشتغل احد منهم بشئ مما يقتضي له من التعلم والتعليم حيث كانوا يتوهون انه سر مكنون وعمل مصون مع كون الاهالي المصريين البلديين كانوا يراوا يستعملونه في سائر مدة ولايتهم عليهم واقامتهم فيما بين ظهرانيهم وبقيت الكتابة الهيوريجليف المذكورة مدة اعصار عديدة واجيال عديدة محاطة بسياج مظلم ومستورة بحجب كثيفة غير نافذة ولم ينقل عن سلف المؤرخين

المعتمدين في مدارس الاور وباوين من اليونان والرومانيين شئ مطلقا يدل على انهم تعرضوا لما يساعده على فهمها وكان قد حصل اليأس بالكلية من الوقوف على علمها حتى بزرالى حيز الوجود قتي فرانسواى ذو قريحة ثاقبة وفطنة صائبة فتوصل منذ لا اكثر من خمسين سنة لأن كشف عنها القناع وتوصل على فتح ما كان عليه حصتها من شدة الامتناع وحقق بتحقيق اجتهاده من طريق الاستنباط والقوة التفرسية اعظم استكشاف حصل في مدة القرن التاسع عشر هذا من الميلاد المسيحى فيما يتعلق بدائرة العلوم التاريخية الا وهو الشاب الذى اشتهر باسم يوحنا فرانسيس شامپوليون المولود بقريه فيچالك من انايم اللوت (بيلا دفرانسة) في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٠ وتوفي بمدينة باريس في رابع شهر مارس سنة ١٨٣٢ (ميلادية) وذلك انه توصل لأن وضع اصول قراءة الحروف الهيوري بجيلية على قواعد قوية وجاء بعده جم غفير وجهور كثير من العلماء الاور وباوين فاحتذوا حذوه واتفقوا خطوه في تلك الطريق التى افتتحها وكان من اشتهرهم واعظمهم وأكبرهم واعلام من طائفة الفرانسييس كل من العالم الشهير باسم امپير والفاضل الكبير المشهور باسم دوروج و حاضرة ماريت بك ومن طائفة الالمان المحقق ليسبيوس وجناب الموسيوبروكش وبيلا د انجلترا العالم الانجلى المشهور باسم بيرش واجتهد كل منهم في هذه المادقا غاية الاجتهاد واندفعوا وسعه كل الاستنفاد حتى بلغ استكشاف الشاب شامپوليون هذا بواسطة بذل مجهودات هؤلاء العلماء الاعلام وما حصل منهم من المواظبة على الاشتغال بهذا المقام الى درجة السكمال والتمام واتسعت دائرة ثرة هذا الشأن في سائر الاماكن والبلدان وصار لا يشك فيها أحد الآن ولقد أصبح فلم كتابة قدماء أهل مدر يترجم الى جميع اللغات الاجنبية في هذا العصر بما يضاهى من حيث الصحة والضبط ترجمة كتب الآداب المأثورة عن اسلاف ادباء اليونان والرومانيين المعتمدين في مدارس الامم الاور وباوين المتأخرين وملل الافرنج المعاصرين فالعالم الفرانسواى المعروف باسم روبيوما نصح ولقته صار من المستحيل الآن ان يقول أحد بما كان يقال به منذ مدة مديدة واعصار عديدة من الزمان بان القلم الهيوري بجيلي هو من قبيل الامور السرية المكنونة والالغار المصرية المصونة التى اختص بعرفتها الكهنة المصريون واحتسروا بواسطتها الاختصاص بها جميع العلوم القديمة التى كان يعرفها هؤلاء التمسس المتقدمون والقول الصحيح الذى يقتهى ان يقول عليه في هذا المقام هو ان القلم المصرى القديم انما هو امر عام كان يكتب به الخواص والعوام بدليل ان الكتابة الهيوري بجيلية تشاهد منقوشة في كل مكان من الديار المصرية وغيرها سواء كان على العمارات العمومية كالحياكل والمعابد وما اشبهها او على الامتعة المستعملة في مواد المعاش المنزلية وفي القصص التاريخية وفي ضمن المدائح الشعرية والنثرية المألفة لقصد تخليد ذكر بعض الملوك معدة لغاية النشر والاعلان وبقاء الذكرا الى انخر الخلف على ممر الزمان كما توجب

مسطورة في الاصول الاثرية المعدة لبيان اعلی العقائد الدينية المصرية ومن الخطأ البعيد جداً عن طريق الحق والوهم الخالي عن شائبة الصدق ايضاً مذهب من يرى ان الكتابة الهيوري جليفيه قد كانت كلها اوعلى وجه العموم في تلك الاوقات عبارة عن مجرد رموز و اشارات نعم لا شك في انه كان من جعلها بعض اشكال رمزية لكنها قد كانت غالباً سهلة الاتقها م وكثير منها هو اشكال تمثيلية او تصويرية بمعنى انها عبارة عن صورة ذات الشيء الذي يراد الدلالة عليه بالطريقة الخطية واكثر ما يوجد في جميع العبارات والنصوص الاصلية التي حصل العثور عليها مكتوبة بالقلم الهيوري جليفي المصري القديم انما هو اشارة الى صوتية اعني دالة على صوت بدل على مقاطع لفظية او على حروف هجائية وهذه الحروف هي ايضاً عبارة عن رسم صور بعض معاني يكون اسمها مبدوءاً بذلك الحرف كما ان الاشكال المقطعية التي هي عبارة عما يعرف في اصطلاح اهل الادب من انواع الانغاز والاحاجي بالمعميات تدل ايضاً على معنى يشار اليه بالمقطع اللفظي الموضوع له والطريقة التي توصل بها تفتش الشاب اللبيب والاديب الاربب المشهور باسم شامبوليون المذكور اعلاه لا عادة ما كان قد اندثر من معرفة سائر مجموع طريقة الكتابة الهيوري جليفيه وأصول اللغة القبطية القديمة هو مضاهاد الحروف المكتوب بها بعض اسماء الاعلام الدالة على ذوات بعض الملوك حيث راها مسطورة مع ترجمتها باللغة اليونانية في بعض النسخ الاصلية المحررة باللغة القبطية القديمة (كالاثر المشهور بأثر رشيد) فاستدل بها اولا على تعرف اوائل قراءة بعض حروف الهجاء المصرية ثم استعان على معرفة سائر هاجم معرفة اللغة القبطية الحادثة المتفرعة عن اللغة المصرية العتيقة وهي لغة قريبة منها لم تزل تستعمل في الادعية والصلوات الدينية لغاية عصرنا هذا عند طائفة الاقباط اى نصارى الديار المصرية (٥٨)

مطلب الكلام على ديانة المصريين وعقائدهم سكان وادي النيل السالفين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه تعجب المؤرخ هيرودوت اليوناني بوقت سياحته في الديار المصرية من شدة مبالغة سكان ديار مصر في الاعمال التعبدية وكثرة تعاليمهم في التنسكات الدينية فقال ان المصريين هم ادين جميع سكان الارض اجمعين واكثر عبادة لآلهتهم من سائر الملل والامم الاخرين ويان ذلك ان كل شيء في ديار مصر بذلك العصر كان يظهر عليه طابع الدين وكانت جميع كتاباتهم ملوثة بالاشارات الدينية والرموز الى الخرافات الالهية وكان استعمالها في اعداد المواد الدينية التي هي من هذا القبيل يكاد ان يكون من قبيل المستحيل وكانت علومهم وآدابهم عبارة عن فروع من العلوم الالهية وصنائعهم وفنونهم ليس الغرض منها غير اشهار الاعمال التعبدية واطهار معاصر آلهتهم او فراعنتهم البالغين عندهم لمرتبة الالهية وقد كانت احكامهم الدينية واوامرهم التعبدية كثيرة جداً لغاية انه كان من المستحيل لاحد من اهل الديار المصرية ان ينتحل حرفة لمعاشه او يستغل حتى

بتحصيل مادة اقواته الضرورية وحاجاته الاصلية الاولى بدون أن يصحكون على الدوام والاستمرار مستحضرا في ذهنه وفهمه ومتصورا في خزانة تخطيطه وعلمه جميع القواعد المقررة والاصول المحررة من لدن الطائفة القيسية وقد كان للمصريين بكل اقليم من الاقاليم المصرية طائفة آلهة واصنام مخصوصين ومحافل دينية واتواع حيوانات معبودة لهم بطريقة خصوصية

وقال المؤرخ المروى عنه اغلاء أيضا ما معناه أن دين النصرانية لم يخش من أن يتكشف لجميع الناس من غير تستر ولا التباس ومع ما عليه عقائدهم من الدقة والتعمق بلغ لأن صار مقبولا عند الكبار والصغار والعلماء والجهال لكونه هو الدين الحق الازلي المخاطب به جميع النوع البشري بخلاف سائر الاديان الباطلة التي كانت تتعلق بها الامم السالفة حيث كان كل ما احتون عليه من الاسرار الدقيقة والافكار الفلسفية العالية الرقيقة يبق منصرافي دائرة المحراب ويحتكر من وراء الحجاب في قبضة يد طائفة امناء الاديان المذكورة وجماعة من الخواص واصحاب الاسرار محصوره لقصد رفع مرتبتهم وجر منفعاتهم وفي الحقيقة ونفس الامر قد كان يوجد بديار مصر في سالف العصر كما كان الحال كذلك في جميع الاقطار والبلدان المتدينة بهادة الاوثان في تلك الازمان دينان متباينان احدهما دين طبقات العوام وهو عبارة عن مجموع بشيع وتلقيق شنيع من افخس الاوهام واوحش ما يتعلق به الافهام والثاني يختص به المتوغلون في العلوم الدينية وهو يشمل على بعض عقائد اعلى مرتبة واشرف منقبة يتكون منها نوع من علم الآلهيات الدقيقة (وضرب من المعارف التوحيدية المسمى عند اهل الاسلام بعلم الحقيقة) وهو دين الخواص حيث يتضمن في باطنه عقيدة وحيدة الله سبحانه وتعالى التي هي العقيدة العظيمة والفكرة النورانية الفخيمة وذلك ان المؤرخ هيرودوت اليوناني صرح لنا في الواقع بان المصريين بمدينة طيبة الصعيد كانوا يؤمنون بآله واحد فريدا لا أول له يعرف ولا ينبغي ان يكون له آخر عليه يوقف غير ان هذه العقيدة العالية الشأن اعني معنى الوجدانية الآلهية السامية المكان التي يقتضى ان يكون أصل مواردها لهم وحى سابق كانت قد اهترأها من أول الامر فيما بعد من سالف العصر الالتباس والاهام بسحاب الجهل والظلام ففسدت بتصورات قسهم و جهل العامة وبما ابدعوه في شأن الحقيقة الآلهية من عند انفسهم من التخیلات الخرافية واختلطت عندهم شيئا فشيئا حقيقة الذات العلية بمظهر صفة القدرة الآلهية وتشخصت في اعينها الصفات الآلهية الاصلية ونعوت الذات الاولية في صورة عدد كثير و مقدار غير محصور من ذوات ثانوية مساعدة للذات الآلهية الكبرى اعني من آلهة أخرى كانوا يعتقدون انهم يقرنونهم (كما هو نص القرآن الشريف) الى الله رافق ووزعوه على مراتب تدريجية وزعموا انهم كلهم يساعدون على حسن نظام المخلوقات وحفظ سائر الموجودات ومن ثم نشأ عندهم تعدد الآلهة

المعبودين وكثرة الاوثان العديدين وآل هذا الامر على ما يظهر من حقيقة ما اتضح لنا مما كان لهم من الاشارات الهييئة والرموز الغريبة المتعلقة بمادة المعبودات لأن شمل جميع الكائنات من الكواكب والمعادن والنباتات وأنواع الحيوانات

مطلب — بيان ما كان يعبد في الديار المصرية من الآلهة الملية والاثوان الاصلية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ولا سبيل لنا هنا الى استقصاء جميع الذوات المؤله التي كان يعتقد قدماء المصريين نصيبها في درجة ثانية حول عرش الحضرة الآلهية العليا حيث يطول شرح ذلك ويضل السارى في بحر ظلمات تلك المسالك والآلهة الاصلية منها هي الآلهة الكبير المسمى باسم (آمون أو آمون را) وهو عبارة عن الشمس والآلهة المسمى باسم (اوزريس) والآلهة المسمى باسم (هوروس) وهذه الآلهة الملية قد كانت في الاصل صفات ونعوت للذات الوحيد والفرد القديم الازلي الواجب الوجود ثم آل امرها في اعتقادهم لأن نسب اليها صورة وحوذية وهيئة ظاهرية خاصة بها وصارت يمكن تعددها الى ما لا نهاية وجاءت أوهام العوام فلم تقصر في ذلك للغاية ومن تأمل في ماهية هذه الآلهة الاصلية والمعبودات الكبيرة الملية من قرب ظهر له انها ليست بمتباينة الحقيقة في الوجود الخارجي وانها عبارة عن شيء واحد في التصور الظاهري ويتضح له بالطريقة الجلية انها قد يلتبس بعضها ببعض ولا يتأخر ان يستتبع من دقة النظر في حقيقة هذا الامر ان تلك الخرافات المصرية وسائر افراد المعبودات الملية في تلك الاعصار الهرعونية ترجع في الباطن الى عدد يسير ومقدار محصور من الاصول الآلهية ثم تنوع افرادها الى ما لا نهاية وصوزع آحادها للغاية في صور الوجود الظاهرية

اما في دائرة الديانة العامة المرتبة اعنى في الاحتفالات الخارجية التي كانوا يشهرون في الهياكل التعبدية أمام أعين العوام فقد كانت تلك الآلهة مصورة باصنام متميزة الهيئة والقوام متباينة المرتبة والمقام وكانت العامة تؤمن بها على هذا الوجه بخلاف طائفة القسس وكل من كانوا قد اطلعوه على اسرار الحقيقة الدينية فانهم كانوا يعرفون حقائق العقائد الاصلية ويقفون على دقائق الديانة الملية ومن ثم يعلم يقين ان دين المصريين وان كان مبنا على الاصل ومنشأه الاولي على الاعتراف الصريح بالوحدانية الآلهية قد كان يظهر لآعين الناس في صورة تعدد الآلهة المعبودين وعبادة الاوثان العديدين الى ما لا نهاية له ولا حصر ويترأى لمن لم يتأمله بدقة النظر انه يشتمل على جملة معبودات عجيبه الهيئة والشكل غريبة الصورة والجل بل في الاكثر شبيعة المنظر بشيعة الخبر وهكذا كان يظهر لآعين عوام الملة وسائر الجاهلة والسفلة من الامة لا غير

مطلب — الكلام على ما كان قدماء المصريين يعبدونه من انواع الحيوانات المحترمة والدواب التي كانت عندهم معظمه

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه مامعناه وقد كان استعمال الاشارات والرموز من أصل طبيعة قريجة

الامة المصرية واساس ديانتها الاهلية وقد كانوا اسرقوا الاسراف الكلى فيما كانوا قد جبلوا عليه من هذا الميل الجبلى وتجاوزوا الحد في هذا الطبع الاصلى لغاية انهم صاروا من حيث صورة عبادتهم المليئة الظاهرية وهيئة مناسكهم الاهلية الخارجية الى افش طرقات الضلال وأوحش ما يعبد اليم بالو بال وذلك ان قسس ديانة المصريين السالفين لقصد ان يتخذوا من الرموز والاشارات ما يلزم لتصوير ذرات آلهتهم المتنوعة وتثقيص ما أوجبه لهم من النعوت والصفات في صورة ذوات آخرين كانوا قد ابتغروا لاتخاذ كل شئ من الكائنات حتى استعملوا لهذا الغرض أنواع الحيوانات فالتخذوا النشور والبقرة والذئب والهرم والقرود والتمساح وفرس الماء والبارز والطير المسمى بالقلق حتى اتخذوا لذلك الجمل والخنفساء وغيرهما من أنواع الدواب والحوام وجعلوا كل واحد من هذه الحيوانات رمزا وإشارة الى ذات مختصة كانوا يعتقدونها من الذوات المعبودات وكانوا يصورون كل آلهة يعبدونهم بصورة ما جعلوه له علامة وإشارة على سبيل الرمز والإشارة من أنواع هذه الحيوانات بل كانوا في أكثر الاوقات يعبدونهن كل ذات آلهية معبودة لهم بصورة تلفيق غريب وتوفيق عجيب خاص بالديانة المصرية يتركبونه من مثال جسم انسان عليه صورة رأس ذلك الحيوان ومن ثم حدثت عندهم عبادة الحيوانات المحترمة وتأليه أنواع الدواب المنظمة التي كان اليونان والرومان يولونها طهارة وتغريون ومنها البهائم وكان المصريون يعتنون كل العناية وبمصرتهن انهم الحرس والرعاية على عاف كن واحد من هذه الحيوانات المقدسة والدواب المكرمة على حسب رتبتها في دنسها وكل المعدلة لخدمة المعبود الذي اتخذوه علامة عليه وجعلوا رمزا وإشارة اليه وبنى مات تلك الحيوان مبهرة ودفنوه في قبور مختصة كما نرى في مآبوريحة لاسن وكنائس كل مدينة أو إقليم من الاقاليم المصرية تختص بربيع او ببعض افراد انواع من هذه الحيوانات بدرجة خاصة خصوصية اذ لا ينبغي ان يتوهم انهم كانوا يعبدون النوع على وجه العموم بل كانوا يعبدون بالعبادة والتكريم بعض افراد محصورة من الحيوانات المذكورة وكان بعض افراد معينة منها ينفق عليه من طرف الدولة ويخدمه بعض أعيان من أكابر ارباب المناصب والصولف وكانت المنظمة لا اذا ماتت تنقل من بعد تصيرها الى مدينة بوباستيس (تل بسطة) والبازات الى مدينة بونو (اسنا والرعاة) والافاق الى مدينة هورمويوليس (مدينة مصرية قديمة) وكانوا كذلك اذا خصوا بعض أنواع الحيوانات بالعبادة لا يعبدونها في جميع الاقاليم فكانت فرس الماء مثلا معظمة في الاقاليم المسمى باسم بريس من ديار مصر القديمة وكان نوع التمساح ليس بمعبد الا باقليم طيبة الصعيد مع انه كان يصاد ويحارب بأشد الطعان فيما عداه ذلك الاقاليم من كل مكان ومن ثم يعلم ان دين الالهة المصرية في سائر الاحقاب الدهرية كان عبارة عن اختلاط غريب معجم وتلفيق عجيب لا تكاد يفهم من بعض عقائد عالية تخافت عن رويها سابقا كان قد لا شئ أمره

وبقى أثره مع بعض تصورات مبتدعة وتخیلات مخترعة أكثرها غير مستقيم وكلها في درجة المبالغة والتفخيم فيما يتعلق بالماهية الآلهية وأصل الخليفة الدنيوية يتخللها طريقة مكارم اخلاق مهذبة نقية مع سورة عبادة حقيرة دنية تنصم لجملة أوهام عامية وتصورات فاسدة أهلية من الخش ما يكون وأردل ما يتعلق به الظنون قال المبرر المصري المعروف باسم كليمان الاسكندراني مامعناه : انك اذا دخلت هيكلًا من المعابد المصرية في تلك الاعصار لافاك قسيس بهيئة الوقار وهويته ممدحة تمجيدية في حق الذات العلية ورفعك طرف الستارة ليريك الحضرة الآلهية وادافى المحراب من وراء الحجاب اماهرة أو تمساح أو ثعبان أو غير ذلك من أنواع الحيوان المؤذية لنوع الانسان ولا ترى حينئذ غير بهيمة مفترسة تترغ على بساط من حرير الأرجوان فهذا هو أهل مصر في ذلك العصر (انتهى كلام المؤرخ الآنف الذكر)

مطلب — الكلام على أعظم عمارات أهل مصر في سالف الأيام وهي الاهرام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه مامعناه لم ينكر أحد ان أعظم العمارات المصرية من حيث الحجم واغرب الابنية الفرعونية من حيث التوغل في القدم هو اهرام البحيرة وقد أسلفنا الكلام في غير هذا المقام على كثرة ما لزم ابنائنا من العمال وغزارة ما اقتضى لاتشائم الأعمال ومن لم يكن نظرها يتيسر له ان يتصورها على وجه انضبط تقريره اذا عرف ان أكبر هذه الاهرام وهو هرم الملك كيوس او خيوس (بالكاف او بالحاء المعجمة في اوله والباء الفارسية بعده سين مهملة في آخره) هونيان مخروطى عظيم وعمران هرمى جسيم مركب من أكثر من مائتي مدمال اوصف من البناء بالاحج والنحت للكبيرة الحجم والكتل البليغة الجرم جدا وقد كان ارتفاعه في الاصل قبل ان يعتريه الفساد يبلغ ١٢٠ مترا اعنى نحو مرتين يتدرار ارتفاع برج الكنيسة الكبرى المسماة باسم (بوتردام) بمعنى كنيسة سيدتنا اى مريم عذبة باريس وان مساحة قاعدته تبلغ ٢٣٣ مترا طولها وان مجموع الاجزاء التي يتركب منها بناؤه يتكون من مجسم يبلغ القدر هائل المنظر يبلغ خمسة وعشرين مليون متر مكعب بحيث يمكن ان يبنى منه جدار يبلغ من الطول الف فرسخ على ارتفاع ستة امتار ولا جسل اعانة قاعة التابوت الملوكى على ما فوقها من الثقل العظيم دبر المهندس المعماري المصري القديم في اعلى عمارة هذا الهرم الجسيم عدة فراغات في ذات العمارة لمد كورة جعلها عدة قيعان اخرى واطية صغيرة وفيها قاعة تابوت ثانية كائنة على وجه الضبط تقريرها تحت القاعة الكبيرة غير انها ليست من اصل البناء بل هي في ذات صخر الجبل مفحورة ووضع هذه المماراة الهائلة بالنسبة لوضع الشمس هو على طريقة مضبوطة كاملة بحيث ترى جهاتها الاربع مقابلة بغاية الضبط والدقة للجهات الاربع الاصلية

الدرس الثام • ٥ في التاريخ العام

واما الهرمان الآخران فهما كذلك على هذا الوجه من الضبط موضوعان غير ان بناء هلميس فيه فراغ كبناء الهرم الاول وهما في ذات الصخر من الجبل مصطنعان والهرم الثاني هو دون الاول في الارتفاع لكون الاول موضوعا على مكان من الجبل هو اعلى من الثاني وبناء هذا الهرم الثاني هو كذلك دون بناء الهرم الاول من حيث كمال الصنعة والاتقان وكان القصد بانشاءه ان يدفن فيه جثة الملك شفرين كما اسلفنا ذكره في غير هذا المكان ولم يبق من جميع الاهرام ما بقي عليه طبقة نظيفة بالجراحت من الخارج غير هذا الهرم الثاني لا غير

واما الهرم الثالث فلا يطلع من الارتفاع الى ثلث الهرم الاول غير انه اكثر منه تشاؤزا وقد عثر فيه من الخشب على تابوت الملك ميسيرينوس وهو الذي كان قد انشاء وشيد عمارته وبناء والقاعة التي وجد فيها تابوته وجدت كلها مطبقة الجدران من الظاهر بالجرا الصوان وحيث كان الجبل الذي يؤخذ منه نوع الجرا الذي هو من هذا القبيل لا يوجد الا باعلى صعيد وادي النيل على القرب من جهة اسوان لزم انهم كانوا يجلبونه على السفن من ذلك المكان وقد كان على هذا الهرم في سالف الزمان كذلك طبقة من الظاهر بالجرا الصوان المجلوب من جهة اسوان غير انه يظهر عليه انه اقرب عهدا من بناء ذات الهرم المذكور وانه اضيف اليه فيما بعد من انشاء الملكة نيتوكريس التي هي من ملوك العائلة السادسة كما هو فيما تقدم مسطور

مطلب • شرح القول على التمثال العظيم المعروف باسم أبي الهول

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه واما التمثال العظيم (المعروف على اسان العامة باسم أبي الهول) الذي يشاهد في اسفل الاهرام الكبيرة المذكورة وكأنه كان ذبلا وتتم له هذه العمارات الشهيرة فهو في الاصل من انشاء الملك شفرين المذكور وان كان لم يتم سائر عمارته في مدد ولايته وقد رمساحته نحو ٩٠ قدما طولا على نحو ٧٤ قدما ارتفاعا ومساحة رأسه من عند اسفل الذن الى اعلى الجبهة ٣٦ قدما وهو منحوت في ذات صخر الجبل الذي هو قائم عليه ومنقسم الى ست مناطق افقية بقدر الطبقات الطبيعية الكائنة في ذلك الجبل الذي هو مصطنع فيه وقد اتخذ له قم في أحد الشقوق الفاصلة بين تلك الطبقات الجبلية واثو الهول العظيم هذا هو صورة معبود قديما المصريين المسمى باسم (هارماسو) وهو عبارة عن الشمس في وقت الغروب وقد كان من عقائدهم الدينية انه بالاصالة آله الجنائز وفيما بين مقدم يديه محراب صغير هو لعبادة الآله المذكور كان قد اعيد انشاءه بالثاني الملك طوطميس الثالث قال العالم السياح الفرنسي المشهور باسم امبير في كتاب رحلته مامعناه ان هذا التمثال العظيم مع ما وقع عليه من التشويه الجسم ليأخذ بجماع قلب الناظر اليه ويؤثر عليه تأثيرا لا امر العجيب وكأنه لعمرى طيف خيال غريب ظهر ظهورا بالاعين الناظرين من أرواح الاقوام السالفين وكأن ذلك الخيال المتصور من الجرد وروح يكاد يسمع وييصر وكأن اذنه الكبيرة

الدرس الثام ١٤١ في التاريخ العام

لنصفي لما يلقى اليه من اخبار الماضين وفي كيفية مواجهة نظره لبصر الناظر اليه دقة ظاهرة وحقيقة باهرة تسحر قلب كل من التى نظره عليه وانه ليس شاهد لعمرى على وجه هذه الصورة العجيبة التى نصفها صنم ونصفها جبل مهابة غريبة ونوع من البشاشة بل ربما كان يرى عليها أيضا نوع من اللطافة والهشاشة ، (هـ)

مطلب ذكر عوائد المصريين فيما يتعلق بدفن موتاهم وما كانوا يتخذونه لذلك من المغائر والقبور وما كانوا يعتنون به من كثرة الزواق والتصور

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قال ديودور الصقلى مانصه وقد كان المصريون يسمون مساكنهم فى الحياة الدنيا بما معناه المجرأ أو المثنوى أو المأوى لداعى انهم يأوون اليها مدة قصيرة من الزمن و يسمون قبورهم بالدور الابدية لداعى انها هى دار الخلود ولذلك كانوا لا يعتنون بزواق منازلهم الدنيوية بخلاف مقابرهم حيث كانوا يذنون كل مجهودهم وميسرتهم فى ان تكون فى اعلى درجة من الابهة والفخار ولا يهتمون شيئا مما يبلغها الى ابعج الزينة وابهى الآثار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرالذ كروالبيان اعلاه مامعناه وحيث كان لا يمكن اننا هنا ان نحصى عددا ما بقى لاسلاف اهل مصر ولا ان نستقصى وصف كل ما اثر عنهم من اثار ذلك العصر من المغائر الكثيرة والمقابر الغير المحصورة التى توجد فى كل محطة من طول شواطئ وادى النيل مشحونة بما لا يحصى من أنواع النقش والزينة الغزيرة التى اشهرها واعظمها واجدرها بالذكروا همها المغائر الموجودة بضواحي مدينة منف أو منفيس (اعنى بجهة الجزيرة وصقاره) ومغائر ناحية بنى حسن بالاقاليم الوسطى فلا اقل من ان تقف من جملة ذلك على القبور الملوكية الشهيرة الكاثنة بجهة مدينة طيبة العظيمة حيث وقف عليها ووصفها كل من ساحب ديار مصر فى هذا العصر من اهل العلم والخبرة بالآثار القديمة وهذه القبور هى عبارة عن عمارات عظيمة وابنية جسيمة مشيدة فى امراب تحت الارض يهتر لها الناظر اليها طربا ويقضى منها عجبا كما يستغرب مما يوجد على القرب منها على وجه الارض من العمارات والآثار المجاورة لها قال العالم السياح الفرنساوى المشهور باسم رويون فى كتاب رحلته مانصه « واشهر هذه القبور واكبرها وأحراها بالذكروا جدرها هو قبر الملك رمسيس الخامس وذلك انه يشتمل على عدة قيعان يوجد فيما بينها مجازات يسير فيها السائر فى بطن الجبل حتى يصل الى قاعة التابوت الملوكى الكبرى وكلها يوجد عليها سلسلة طويلة من النقوش المفحورة والزواقات الجميلة وهى صورة مناظر خرافية وتمثيل فلكية تصور فيها سير الشمس وكيفية الثواب والعقاب التى تلقاها الروح البشرية فى دار الحياة الاخرية وعلى الخصوص قاعة التابوت الكبرى التى وصفها شامبوليون مع غاية التفصيل والتبيين فى رسائله التى حررها من ديار مصر فيما يتعلق بالآثار المصرية القديمة حيث تمكر فيها تصوير كيفية سير الشمس وعلى جوانب

الدرس الثامن ١٤٢ في التاريخ العام

جدرانها مالا يحصى من الكتابات بالقلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليف وليست جميع القبور الستة عشر الموجودة بالوادي المسمى باسمه ان الملوك كلها تامة الزواقي والرينة على سائر جهاتها مع معترا بل بعضها كان قد تم فيه هذا العمل وهو قبور الملوك الذين كانت اقامتهم على كرسى المملكة أطول وبعضها كان لم يتم فيه ذلك العمل وذلك انه كان من عوائدهم انه متى جلس الملك على كرسى السلطنة حصل الشروع على الفور في ابراء العمل لانشاء القبر اللازم له ومتى توفي دفن فيه على الحال الذي يكون عليه بوقت وفاته سواء كانت هذه الحماية قد تمت أو نقصت على حسب اختلاف قدر مدة ولايته طالبت أو قصرت ومتى دفن في قبره الجسد أغلق بابه الى الابد ومن جملة أتم القبور الملوكية المار كورة وأنجيها وأعذها بأغربيها قبر الملك سيتوس الاول ونهر الملك رمسيس الثالث وذلك ان قبر الملك سيتوس الاول قد تصورت فيه أنواع الانسال البشرية على حسب ما كان يعرفها اهل مصر في سالف العصر وعلى قبر الملك رمسيس الثالث كما يوجد مثل ذلك على جميع قبور الاغصان الاولى صورة اتمعة منزلية وأدوات تتعلق بكيفية المعاش المخصوصة مع صورة اشارية للسنة الزراعية المصرية مصورة على ستة هيئات مختلفة للتيل وأرض مصر ممثلا كل منها في صورة ذات مصورة بالشيء المجمعول لها عندهم من بيل ارض والاشارة وعلى سبيل العلامة والامارة وقد تصور في كل هيئة من الهيئات الست المذكورة صورة سائر الخواص الزراعية التي تختص بكل موسم من المواسم السنوية المصورة في تلك النقوش السبعة وذلك ان من المعلوم كون مياه النيل هي التي يتحدد بها في الديار المصرية أوقات المواسم الزراعية (١٤)

مطلب - ذكر ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور قال المؤرخ المكررا الدكتور اعلاه ما عناه انه بوقت غزو عسكر انفرانسيس لدير مصر كانت فرقة العسكر الفرانساوي الكاسه تحت رياسة التاند المسمى باسم ديزيه قد أرسلت لتباعة مراد بلث ومن معهم جماعة المماليك الى أقصى جهة الصعيد ومع كون جماعة الاساكر الفرانساوية المذكورة كانوا قد اعدوا والحالة عدم ونفاذ الميرة وكادوا أن يهلكوا من شدة الحرارة فمجران بدت لاعينهم على حين غفلة طالع اطلال طيبة نسوا من أول وهلة ما كان قد اذ تراهم من المشقة والتعب وكل ما كان تدأصا بهم من ألم الجوع والنصب مع قرب العدو منهم فامتلأت قلوبهم حيرة ومجاسا و. ارجعوا جميعا يصقرون يكو ففهم استغرابا دفعة واحدة ويصبحون استجبابا عن حركة واحدة وذلك ان مدينة طيبة هذه التي كانت في سالف الاغصار عند المصريين لا آلهم المسمى باسم (آمون) هي المدينة المقدسة (بمعنى الحرم المأمون) هي وان كنت قد انكب عليها من نجات ادهر وانصب اليها من صدمات كل عصر مصائب شديدة منذ عدة قرون من الزمن عديدة وانضم فيها العمل الخراب الحاصل عليها من تعاقب الاحقاب نواصب الفساد الحاصل في تلك الاغصار

الدرس التام ١٤٣ . في التاريخ العام

من غارات الاقوام المتوحشين على تلك البلاد فلم تزل تظهر لنظار الناظر اليها في أعظم منظر واجم
 مخبر . وتبدول بصر المتفرج عاير في أعجب مجموع من الابنية والعمارات التي باشرت بها يد الصنائع
 والفنون على مر القرون مما يكاد أن يكون بمباشرة جميع العائلات الملوكية الكبيرة التي
 تملكته على ديار مصر من عصر الملك أوزور تازان الاول الى عصر آخر ملوك دولة البطالسة الكبيرة
 الذي هو والد الملكة فليوبطرة الشهيرة ولو أردنا ان نستقصى على وجه شامل وصف ما بقي من
 من آثار عمارات مدينة منية المد كورة للزم لنا وضع محلد كامل ولذلك اقتصرنا بالقصدايراد
 ما فيه الكتابة الامام كما كانت عليه هذه المدينة الشهيرة من بلاغة السعة والزينة الكبيرة
 على ان نقول ان مساحة سور اطلال الجهة المعروفة الآن بالكرنك من مكان هذه المدينة القديمة
 يبلغ ١١٠٩ أقدام بقطع النظر عن مكان صفوف التماثيل المعروفة باسم أبي الهول الكائنة
 امام الباب البراني وعن الهيكل الآخر الذي أنشأه الملك رمسيس الثاني على ذات سمت الهيكل
 الاقول فيما وراء حائطه الحداث بحيث يبلغ مجموع مساحة حاصل الجميع لما يقرب من مبلغ ٢٠٠٠
 قدما تقريبا ويدخل في جولة العمارات المشمولة في دائرة هذه المسافة الرحبية القاعة ذات
 الاعمدة الهيكلية التي هي من انشاء الملك سيتوس الاول ولا تفي العبارة بوصفها على الوجه الاكمل
 قال المؤرخ فرانسيس لونورمان وهذا نص عبارة العالم السياح الفرانساوي المسمى باسم امبير
 في كتاب رحلته بديار مصر السالف الذكر والبيان حيث قال فيه مانصه في هذا الشأن
 واذا أردت ان تتصور هذه القاعة الغريبة فتخيل غابة من الابراج وتصور امامك مائة وأربعين
 عمودا في مثل غلاظ العمود الكبير المنصوب في الميدان المسمى باسم (لابلاس وتندوم) بمدينة
 باريس يبلغ أكثرها ارتفاعا الى ٧٠ قدما (ولك هو مبلغ ارتفاع مسئتنا الفرانساوية هذه
 تقريبا) ومساحة فطر هذه الاعمدة القرعونية ١١ قدما وكلها مغمورة بانواع النقش
 البارز النظريف والكتابة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيوريجاف ومحيط رؤس هذه
 الاعمدة ٦٥ قدما ومجموع مساحة هذه القاعة الملوكية ٣١٠٠ اقدام طولا على اكثر من
 ١٥٠ قدما عرضا وكانت في الاصل كلها مسقوفة ولم يزل يشاهد بها كوة من الكوات التي
 كانت متخذة فيها الادخال النور اليها (هـ) وقال العالم السياح الالماني المشهور باسم
 ليدبيوس في كتاب رحلته بديار مصر ما هو هنا ايضا جدير بالذكر وتنص عبارته كما هو بعد مسطر
 وان مما لا يدخل في حيز الامكان أن يعبر الانسان بالقلم أو اللسان عما يجده في قلبه من التأثير
 العجيب والاندعاش الغريب اذا دخل أول مرة في هذه الغابة من العمدان وخطر أول خطرة
 بين تلك الصفوف المتعددة من تماثيل الالهة المصرية العظيمة وصور الذوات الفرعونية
 الفخيمة التي هي مغمورة فيها تارة عليها كلها وطورا على جزء منها وعلى جميع جدرانها نقوش
 مغمورة مزودة بانواع الصباغات الملونة بعضها بارز وبعضها مفرغ ولم يتم عملها الا في مدة عهد

المدرسة التمام ٤ ٤ ١ في التاريخ العام

خلفاء الملك سيتوس وعلى الخصوص في مدة ولاية ولده رمسيس (٥١)

وفيما بين عمارات الكرنك والجهة الممتدة بالاقصر بحيث تصل إحدى العمارتين بالآخرى سلسلة من العمدان والكبوش المصطنعة من حجر الصوان موضوعة بغاية الضبط والاتقان على وجه من التدبير بحيث يتجسسون فيما بينهما طرق وجسور وهي عبارة عن هياكل وقصور من انشاء الفراعنة المتعاقبين على ملكة مصر في عدة اجيال مضت على تعاقب الدهور وأقدمها عهدا وأعظمها الهيكل الكبير الذي هو من انشاء الملك آمينوفيس الثالث وفي جهة الشمال منه مجاز من الاعمدة يوصل الى هيكل آخر من بناء الملك رمسيس الثاني ومساحة مسطح مكانه ٢٥٠٠ متر وقد كان الملك المذكور شادا في مقدم الساحة الكائنة امام هذا الهيكل مستلتي عظيمتين احدهما نقلت الى بلاد الفرائسيس وهي الموجودة الآن بالميدان المسمى (باسم لابلان دولا كوناكرد) أي ميدان الاتفاق بمدينة باريس

وبالجملة فان آثار مدينة طيبة الصعيدية هذه هي أعظم الاطلال وأجسم الآثار التي بقيت من عمارات الديار المصرية على مر الاعصار وقد كان يجب علينا أن نطيل الكلام عليها ولكن استصوبنا الإشارة اليها على وجه الاختصار ولا ينبغي أن يتوهم انه لا يوجد غيرها على شواطئ وادي النيل مما هو من هذا القبيل بل يوجد في عدة أماكن من الديار المصرية بجزيرة اسوان وامبووادفو واسناوارمنت وندره عدة هياكل قديمة ومعابد عتيقة عظيمة بعضها باقية بتمامه على حالها الاصلية لغاية الآن وبعضها اعتراه الفساد بمرور الزمان غير ان أكثرها كان قد تجدد بناؤه في مدة دولة البطالسة الخالفين على الاسلوب الذي كان قد حصل عليه انشاؤه في اعصار الفراعنة السالفين وقد استكشف المكرم مارييت بك ناظرا بمجال البحث عن الآثار القديمة الفرعونية بالديار المصرية في المدينة المسماة باسم آيدوس (المدفونة) بنواحي الصعيد هيكل كاملا لم يلحقه اتلاف كانه بناء جديد من عهد الملك سيتوس الاول وهو أعظم وأجمل ما يوجد بالديار المصرية من المعابد الفرعونية من حيث اتقان الصناعة الفنية ومساحة مساح مكانه ٨٦ قدما طولا

وأما مدينة مصر القديمة المسماة باسم منف (مائة رهينه) فلم يبق من عماراتها الجسيمة شئ قائم على حالها الاصلية وهيئته الاولى والذي أمكن بقاؤه من آثارها انما هو مدفون تحت الارض وغاية ما تبصر اظهاره من هياكل هذه المدينة العظيمة هيكل واحد استكشفه المكرم مارييت بك المذكور آنفا وهو الهيكل المسمى باسم (لوسيرا) يوم أي معبد آله قدماء المصريين المسمى باسم سيرايس) وقد عثر في داخل سور على مدافن سلسلة جميع الاثوار التي كانوا يعبدونها ويسمون بها باسم (آيس) من عهد العائلة المالوكية المصرية التاسعة عشرة الى عهد ادخال الديار المصرية تحت ولاية السلطنة الرومانية وقبل أن ننهي الكلام على هذا الباب لا بأس لنا بأن ننبه

الدرس الثام ٤٥ في التاريخ العام

هنا بطريق الاختصار على ما يوجد من عديد العمارات والآثار الباقية من عهد الأعصار الفرعونية متسلسلة على شواطئ النيل ببلاد النوبة من عند شلال اسوان لغاية الشلال الثاني ببلاد السودان ولا سيما الهيكل العجيب السكائن هناك تحت الأرض بالاحية المسماة باسم **إيسنبول** (بكسر الهمزة في أوله) حيث يوجد كثير من النقوش التاريخية والتصاوير الدينية على جوانات جدراته وعلى واجهة بابه الغريب المركب على أربعة أعمدة من الصور الهائلة (اعني من نوع الصور الجسمية المعروفة باسم أبي الهول) منحوتة في ذات الصخر من الجبيل مصورا في هادات فرعون رمسيس الثاني على هيئة الجالس مع كون ارتفاع كل صورة منها يبلغ خمسا وستين قدما (اتمى الى هنا معربا من مختصر تاريخ الأمم المشرقيين والمهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

تتمة

تشتمل على بعض ايضاحات جديدة وزيادات مفيدة فيما يتعلق بتاريخ مصر

في سالف العصر

وذلك في عدة مسائل (معربة باختصار من التاريخ القديم الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان الشهير)

المسألة الاولى

مطلب - بسط الكلام على أصل مأخذ تاريخ المصريين القدماء قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه في تاريخه القديم الكبير ما معناه طالما كان أهل العلم بالبلاد الأوروبية اذا ارادوا ان يكتبوا تاريخ الديار المصرية يضطرون للاقتصار على اعتماد ما كان قسما اليونان قدا ودعوه في سالف الزمان بمصنفاتهم التاريخية من القصص والروايات الحكوية وذلك لانهم كانوا لم يطلع احد منهم بعد في سالف العهد على أسرار القلم المصري القديم ولا كان أحد التفت لما كان يقتضى له من التعلم والتعليم ولما كان ما اقتضاه سلف المؤرخين من الشهادات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ الديار الفرعونية متناقضا كل التناقض بعضه لبعض كانوا يظنون لزوم ترجيح ما ابداه من المعلومات التاريخية كل من المؤرخ هيرودوت الالكارناسي وديودور الصقلي وابشاره على سائر ما عداه فهذا هو ما كان جاريا عليه العمل بين أهل العلم في سالف الزمان واما الآن فقد تغيرت احوال العلم في هذا الشأن بالكلية لداعي ما اقترحه في هذا العصر من الاستكشاف المخلد للذكر العالم الفرانساوي النبيه والفاضل الاوروباي الوجيه حنا فرانسيس شامبوليون المذكور فيما

الدرس الثامن ١٤٦ في التاريخ العام

سلف اعلاه حيث تيسر لنا بما ابداه من الوقوف على حقيقة حروف الهجاء المصرية وتعريف اصول اللغة القبطية امكان قراءة ما يوجد مسطرا على الآثار الفرعونية من الاساطير المعروفة بالكتابة الهيروغليفية وقد كانت قراءتها معدودة عند اهل العلم والعرفان في جملة المسائل التي لا يمكن حلها الى آخر الزمان وهما هو قد تيسر لنا الآن ان نأخذ تاريخ هذه الديار العتيقة عن ذات ما حرره اهلها بأنفسهم من الكتابات وسطروه بقلمهم القديم على ذات ورقهم البردي وما اثر عنهم من الآثار والعمارات ومن حين استتوات يد التاريخ على تلك السندات الاصلية والتحريرات الرسمية بمعنى الدولة الدالة على حقيقة احوال شواطئ وادي النيل في سالف الجيل كادت ان تضيع بالكلية اعتمادية هذين المؤرخين اليونانيين الذين كان يعتمد عليهم ادون غيرهما في المدايز الاوربية وتلاشت تقريبا سندتهم في المواد التاريخية اما هيروودوت الاكبر اناسي فقد كان رجلا سياسيا عجيب الضبط غريب التقييد والربط يقص ما شاهد به بعيني رأسه من الحوادث الواقعية بطريقة هي للفلوب ساحرة وفطنة نادرة اما فيما يتعلق بوصف اخلاق المصريين وعوائدهم فترى كتابه كثرة انه يسهل الى ما لا نهاية له حيث اودعه ما كان قد عاينه بنفسه فغير عنه باضبط معبرة وسطره باصح مسطرة وفي كل يوم تأتي العمارات المصرية القديمة بفوائدها الجديدة تؤكدها استفيد منه من الشهادات العديدة واما فيما يتعلق بذات الوقائع التاريخية فحيث كان لا يعرف لغة المصريين وكان لا يمكنه ان يأخذ الحوادث الحقيقية من منابعها الاصلية كان بالضرورة يعتمد على ما يروي له قسيس الهياكل التي كان يزورها ويستند لما يحكيه له ارباب المجالس التي كان يتيسر له حضورها ولذلك لم يتيسر له كما اعترف بذلك بنفسه ان يحرر لاديار المصرية مختصر تاريخ تام ولا أن يأتي بزيادة خبر منتظم للدول الفرعونية على وجه عام بل كان كتابه كما هو نص عبارته عبارة عن مجموع نوادر تاريخية ومحاضر علمية تتعلق ببعض احوال الملوك المصرية فقط على ان تلك النوادر التاريخية لم تكن متوالية الترتيبات الزمنية ولا متوالية المواقف الحقيقية ومن اطالع على كتابه اتضح له بالطريقة الجلية ان هذا السياح اليوناني الكيس انما سودب طون اوراقه بتقييدات كان قد أخذها بمدينة منفيس عن كان فيهم من طائفة القسوس وانه خلط خلط عشواء وخبط خبط عمياء في مادة المدد الزمنية ونسب بعض الوقائع لغير اعصارها الحقيقية وأما ديودور الصقلي فقد كان كذلك سندا قويا ومعتمدا مستقيما سويا فيما يتعلق بمادة الاخلاق والعوائد المصرية حيث كان بنفسه قد عاينها فغير عنها وبينها واما فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقي فقد كان مجرد جامع لا قول غيره روى في كتابه عدة روايات مختلطة وضمنه جملة حكايات مختبطة من العلم وبعض مواد صادرة عن ابادشتي في نهاية من سوء الهضم وكتابه في الواقع ونفس الامر لا قيمة له مطلقا فيما يتعلق بتواريخ فراعنة مصر ولا يكاد يؤخذ منه فيما يتعلق ببيان احوال ذلك العصر غير تدريس مجردا من بعض نوادر تاريخية هي في الحقيقة من الاصل محض مصرية بوجود منها في كتاب هيروودوت السالف الذكر القدر الكبير

الدرس الثامن ١٤٧ في التاريخ العام

ولا يوجد في كتب على الفراعنة المصريين السالفين من بقي له من بعد التمكن من قراءة حروف القلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليف المقام الشريف والقدر الثمين المضيف جدا غير مؤرخ واحد فقط وهو ما ينتون القسيس المصري المعروف بل لم يزل في كل يوم تغلق قيمته وتعلو درجته كلما حصلت مقابله بما استفيد من السندات الاصلية والقيودات الاهلية التي لم تزل تستكشف على العمارات المصرية وطالما كان اهل العلم يحتقرونه وينازعون في صدقه وينسكرونه وكانوا يرون ان ما ذكره في كتاب تاريخه من مرديد سلسلة العائلات المالوكية المصرية وعديديوت الملك والدول الفرعونية انما هو من قبيل الخرافات لا من قبيل الحقائق التاريخية وأما الآن فقد تحقق باقوى البرهان ان ما بقي لنا على عمر الدهر لغاية هذا العصر من كتاب هذا المؤرخ المصري العظيم هو اول ما أخذ يعهد وافضل منبع يوجد لانشاء تاريخ ديار مصر القديم

وقصة ما ينتون هذا هي انه كان رجلا قسيسا مصريا وشيخا دينيا من اهل مدينة سبنييت اوسبنييتيس (وهي مهنود) بالاقليم البحرية كان قد كتب تاريخ وطنه من عين معدته باصر الملك بطليموس فيلادلف بناء على ما كان محفوظا في الهياكل المصرية من السجلات الرسمية والدفاتر السلطانية والدينية ولكن انعدم تأليفه هذا النفيس ككثير من الكتب التي كان قد كتبها السلف ولم يصل اليه غيره غير بعض قطع بسيرة وعبارات متفرقة غير كبيرة مع جدول يشتمل على ذكر جميع الملوك المصريين والفراعنة المتقدمين كان القسيس ما ينتون المذكور قد وضعه في ذيل كتابه المشهور فنقله عنه لنا من سعدنا في ضمن تأليفاته التاريخية بعض احبار عهد دين النصرانية وقد توزعت في الجدول المسطور جميع الملوك والسلاطين والفراعنة السالفين الذين تعاقبوا على ولاية الامر بديار مصر في سالف العصر لغاية عهد الاسكندر الاكبر الى عدة بيوت ملك او دول سلطانية جرت عادة المؤرخين بالتعبير عنها بالعائلات المالوكية او الدول المصرية وقد نص القسيس ما ينتون في أكثر هذه العائلات السلطانية على اسم كل ملك ومدة ولايته وسائر مدد اقامه ملوك عائلته على كرسى السلطنة الفرعونية واقصر في قليل منها على ذكر بعض فوائد مختصرة وايراد بعض اخبار مقتصرة تتعلق ببيان أصل بيت الملك وعدد من تقلد منه بقلادة الولاية المصرية مع رقم قدر المدة التي اقامتها كل عائلة سلطانية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان ولا سبيل لنا هنا لان نورد هذا الجدول بتمامه وكما له حيث كان أكثر ما ورده من اسماء الملوك والسلاطين قد اعتراه التغيير والتبديل وداخله الفساد والتحويل من يد النساخ اليونانيين لداعي جهلهم بلغة المصريين ولا يمكن لنا اصلاح ما اعتراه من الاختلال والمغايرة اللهم الا بدقة النظر فيما يستنبط من العمارات المصرية القديمة بطريق المباشرة ولست أرى انما لا بأس به ان نورد منه هنا لأقل من الفوائد الاصلية في ضمن هذا الجدول المختصر الذي هو بعد مسطر

الدرش الثام ١٤٨٠ في التارخ العام

جدول

تضمن زبدة ماروى عن ما يتنون المصري من قائمة العائلات الملوكة المصرية

ترتيب العائلات بحروف ابجد	مبدأ أو قاعدة كل عائلة	اسماء حادثه	مدة اقامة كل عائلة	تاريخ قم
ا	تينيس	خرابة المدفونه	٢٥٢ سنة	٥٠٠٤
ب	منف او منفيس	مائه رهينه	٣٠٢	٤٧٥١
ج	منف او منفيس	مائه رهينه	٢١٤	٤٤٤٩
د	منف او منفيس	مائه رهينه	٢٨٤	٤٢٣٥
هـ	منف او منفيس	مائه رهينه	٢٤٨	٣٩٥١
و	منف او منفيس	مائه رهينه	٢٠٣	٣٧٠٣
ز	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٧٠	٣٥٠٠
ح	منف او منفيس	مائه رهينه	١١٢	٣٥٠٠
ط	منف او منفيس	مائه رهينه	١٠٩	٣٣٥٨
ي	منف او منفيس	مائه رهينه	١٨٥	٣٢٤٩
ك	منف او منفيس	مائه رهينه	٢١٣	٣٠٦٤
ل	منف او منفيس	مائه رهينه	٤٥٣	٢٨٥١
م	منف او منفيس	مائه رهينه	١٨٤	٢٣٩٨
ن	منف او منفيس	مائه رهينه	٥١١	٢٢١٤
هـ	منف او منفيس	مائه رهينه	٢٤١	١٧٠٣
و	منف او منفيس	مائه رهينه	١٧٤	١٤٦٢
ز	منف او منفيس	مائه رهينه	١٧٨	١٢٨٨
ح	منف او منفيس	مائه رهينه	١٣٠	١١١٠
ط	منف او منفيس	مائه رهينه	١٧٠	٠٩٨٠
ي	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٨٩	٠٨١٠
ك	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٠٦	٠٧٢١
ل	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٠٠	٠٧١٥
م	منف او منفيس	مائه رهينه	١٣٨	٠٦٦٥
ن	منف او منفيس	مائه رهينه	١٢١	٠٥٢٧
هـ	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٠٧	٠٤٠٦
و	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٢١	٠٣٩٩
ز	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٣٨	٠٣٧٨
ح	منف او منفيس	مائه رهينه	٠٠٨	٠٠٣٤٠

الدرس التام ١٤٩ في التاريخ العام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المنقول عنه أعلاه مامعناه هذا حاصل جمع مانصر عليه المؤرخ المصري في قائمة ملوك وطنه من الأرقام والمخلص ماسطره فيامن المدد والاحكام وكل من اطلع عليه فلا بد وان يتعجب ولا يسعه الا ان يستغرب من جسامه مدة الزمن الناتجة من حاصل جمع مدد اقامة العائلات الملوكية المصرية على كرسى السلطنة الفرعونية وذلك انه بمقابلة مبلغ حاصل هذا الجمع المسطر أعلاه مع مبلغ عمر الدنيا حسبما أوضحنا تحقيقه فيما أسلفناه يرى ان ما ذكره في قائمته قيس سبنييت يوصلنا الى أقصى الازمان التي هي عند سائر الامم الاقدمين معدودة من الاعصار الخرافية وهي عند المصريين معدودة من الازمان التاريخية الحقيقية ولما تحيرت افهام بعض العلماء المتأخرين في توجيه هذه المشكلة العلمية مع كونهم لم يسعهم ان يتشككوا فيما يقتضى ان يكون عند المؤرخ مانيتون المصري من الصدق والاعتمادية اضطررنا في توجيه ذلك بالقول بأن ديار مصر في عدة عهود من تاريخها في سالف العصر قد كانت منقسمة الى عدة دول متفرقة وجملة بمالك متمزقة وان مانيتون المصري انما ذكر منهم عدة عائلات ملوكية على وجه كونها متعاقبة مع انما كانت متعاصرة وذهب آخرون منهم العالم الفرانساوي المسمى باسم بوسان الى خلاف هذا المذهب السالف البيان فقالوا ببدلا عما ذكره مانيتون من ان حادثه تأسيس الدولة الملوكية بالديار المصرية قد كانت في سنة ٥٠٠٤ قبل تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام حسبما سطر أعلاه انه يقتضى أن تكون الحادثة المذكورة قد حصلت فقط في سنة ٣٦٢٣ ق م (قلت وهذا قريب بما ذكرناه في ضمن الباب الاول وأوضحناه)

قال المؤرخ ماريت بك المذكور فيما أسلفناه مالمخلص معناه فان قيل ياليت شعري ما صدق القولين المذكورين ويا هل ترى ما أصبح المذهبين المسطورين قلنا انه كلما تدقق النظر في هذه المشكلة التاريخية تحقق انه لا زال يصعب حل هذه المعضلة العلمية وان أعظم الموانع للوقوف على حقيقة ترتيب الازمان في تاريخ الديار المصرية هو ان ذات المصريين لم يكن لهم تاريخ زمني منتظم ولا توقيت تاريخي مستقيم بل كانوا يجهاون بوقيت الحوادث التاريخية بحادثة ثابتة متحدة ولغاية الا أن لم يتيسر لاحد ان يثبت انهم كانوا يؤرخون حوادثهم الوقتية بشئ آخر غير سنوات ولاية ملكهم المتولى عليهم وقد كانت تلك السنوات ليس لها مبدأ ثابت اذ كانوا تارة يعدونها من ابتداء السنة التي مات فيها الملك السلف وتارة يحسبونها من أول اليوم الذي عمل فيه الاحتفال لتقليد الملك الخلف فلو بلغت ما بلغت درجة الضبط والتدقيق في الحساب الجاري لعدة تلك السنين بمعرفة أهل العلم والتحقيق من المتأخرين فلا بد لهم من الوقوع في الغلط اذا أرادوا الحصول على تعيين

الدرس الثام ١٥٠ في التاريخ العام

أوقاف معينة وتواريخ ثابتة للحوادث المصرية اذ كان ذلك معدوما عند ذات المصريين ومع ذلك فالذى يقتضيه الوجه في هذه المسئلة العلمية هو ان يقال ان الديار المصرية قد كان فيها من غير شك ولا منكرة عدة دول أو عائلات ملوكية متعاصرة غير ان المؤرخ مانيتون المصرى لا بدوانه في عمل التنقيح الذى أجراه في تاريخ وطنه كان قد صرف النظر منها عما كان يظهر له انه الدولة الباغية ولم يدرج في جدول غير ما كان يظهر له انه هو الدولة الشرعية والعائلة الملوكية الحقيقية والا لزم أن يكون عدد العائلات الملوكية المصرية بالغاية السنين لا احدى والثلاثين كما جرت عليه بناء على ما ذكره مانيتون المذكور عادة المؤرخين

ولم يتيسر لاحد من العلماء الذين تكلفوا باختصار الارقام المسطورة في جدول مانيتون المذكور أعلاه ان يأتي بيرهان مطلقا من العمارات المصرية القديمة على ما ادعاه من أن دولتين ذكرتا في جدول المؤرخ المصرى على انهما متعاقبتان قد كانتا متعاصرتين بخلاف أرباب المذهب الثانى القائلين بأن جميع بيوت الملوك الذين عُددهم في جدول القسيس السبتي كانوا قد جلسوا على كرسى المملكة الفرعونية بعضهم إثر بعض فان ما التقطه كثير من العلماء بأحوال المصريين واستنبطه جمهور كثير من العلماء المتأخرين من الادلة المأخوذة من الآثار المصرية القديمة شاهدة لما ذهبوا اليه ومعضدة لما عولوا عليه هو قدر كثير وعدد كبير جدا (اه ماريت بك)

وفي الحقيقة ونفس الامر لا يوجد في جملة الامم المتقدمة في سالف العصرامة يتيسر تحرير تاريخها على سندات هي في الحقيقة أصلية ومعتمدات أهلية اى مأخوذة عن ذات أربابها الاصليين وأصحابها الاهليين أكثر من ديار مصر حيث يوجد عمارات مصرية عديدة وآثار فرعونية مفيدة لا تفتقر في الديار المصرية بل في بلاد الدوبة والسودان لغاية الديار الشامية فضلا عن القدر الكثير الذى حصل عليه لغاية الآن العثور من الامتعة المنزلية العتيقة التى لم تزل تلتقط منذ خمسين سنة من تلك العمارات المصرية والآثار الكفرية حتى امتلأت منها جميع الانتيفخانات الموجودة في جميع المدن الكبيرة والقواعد الشهيرة من جميع بلاد الدنيا ولا سيما الانتيفخانة الخديوية الكائنة على شاطئ النيل الايمن ببولاق مصر القاهرة حيث صارت الآن في جملة تلك الانتيفخانات مما يعتنى أعلى الدرجات لداعى ما شحنها به بلدينا القاهرة من ماريت بك من تاشج جميل التحريات وجليل اتفحصات ثم ان الآثار التاريخية المصرية على ضربين أحدهما ما يتعلق منها بعدوم تاريخ ديار مصر والثانى ما يتعلق بخصوص تاريخ عائلته الملوكية معينة بحيث يدل اما على أصل وجودها وعلى تحقيق مدة كينوتها الزمنية من سالف العصر

الدرس الثامن ١٥١ في التاريخ العام

ولنتكلم هنا أولاً بوجه الاختصار على الآثار الأصلية التي تدل على بعض فوائد عمومية فيما يتعلق بمجموع التواريخ المصرية القديمة فنقول

الأول قرطاس من الورق البردي يوجد محفوظاً بآثنية خزانة مدينة توران (بيلادياطالية) وكان قد باعه اليها قنصل عموم دولة فرانسة بمصر المدعو باسم (درويتي) ولو كان هذا القرطاس باقياً على حاله تماماً لولاية لكان أنفاس أثر يوجد لعلم الآثار القديمة المصرية وذلك أنه يشتمل على قائمة أسماء جميع الذوات الاعتبارية بوجه كونهم حكام ديار مصر في سالف العصر سواء كان ذلك في الأزمان الخرافية أو التاريخية الحقيقية من منذ أقصى الأعصار الأولى لغاية مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعي أن ذيل القرطاس المذكور مفقود وهو محرق في عهد الملك رمسيس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) أعني في أحد أبجج الأعصار وأبجج مدد الابهة والفتار من تاريخ الديار المصرية فهو منتصف بجميع الشروط اللازمة لكونه بعد من جملة السندات الرسمية والمعتمديات الدولية وفيه لعلم التاريخ اعانة قوية وفائدة كبيرة حيث ترى فيس في أثر كل اسم من أسماء الملوك المكتوبة عليه رقم مدة ولايته وبعد كل عائلة من العائلات الملوكية مجموع السنوات التي أقامتها على ولاية مصالح الديار المصرية غير أنه من سوء الحظ وعدم السعد لم يوجد هذا الكثر من العلم الذي لا يقوم الا قطعاً متفرقة واجزاء متمزقة تبلغ ١٦٤ قطعة أكثرها لم يمكن تعقبه ولم يتيسر توفيقه وترتيبه

الثاني آثار آخر تنقش وجددهم بكل الكرنك ونقل الى الاتنية خزانة السلطانية الكائنة بمدينة باريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجددهم مصوراً على جوانب جدرانها تماثيل الملك طوطميس الثالث (من العائلة الثامنة عشرة) على هيئة المنسك امام صور واحد وستين ملكاً من اسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف غير ان الملوك المندرجين في هذا الاثر العظيم ليسوا مرتبين على وجه متسلسل منتظم ولا توألاً مستقيم بل بجماعة منتخبين من خيار اجداده السالفين اختارهم الملك طوطميس الثالث المذكور اقصد ان يتعبد لهم ويعبد لهم ويتنسك امامهم ويعبد لهم ومن اطلع على تماثيل هؤلاء الملوك المصريين والفرعنة السالفين ظهر له من اول وهلة انهم انما هم نخبة غير متعاقبة من دفاتر ملوك مصر الاولين ونقاية غير مرتبة من سجلات الفرعنة الشهيرين حيث ترى المصور الذي صورهم وادرجهم في هذا الاثر وحررهم لاسباب لم تقف عليها قد انتخب بعض ملوك مخصوصين قتارة يجمع بين ملوك عائلة ملوكية ويأتي بجميعهم وتارة يترك اجيالاً من الدهر مستطيلاً ولا يأتي بملوكهم ومما ينبغي عليه التنبيه هو ان المصور الذي نيط لنظره زوايا قاعة الاسلاف المذكورة بتلك الآثار الماثورة انما توجه نظره في تصويره للحصول على هذا الغرض الى مجرد التزيين والزينة فقط فلم يحرض على ترتيب من أتى به فيها من الملوك على حسب ترتيب ازمانهم بالضبط والدقه ومما يؤسف عليه أيضاً

المدرس الثام ٢٥٢ في التاريخ العام

في هذا الاثر الوجيه هو ان بعض تماثيل الملوك المصورة فيه قد اعتراه التشويه فلم يوجد فيه اسم اثني عشر ملكا وبذلك فقد منه ما كان يقتضى ان يكون له من درجة الالهية من حيث الفوائد التاريخية ومع ذلك فقد استفيدت منه اكثر من سائر ما عداه من قوائم اسماء الملوك ضبط اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية

الثالث الاثر المعروف باسم جدول آيدوس المستخرج من اطلال المدينة الشهيرة المسماة بهذا الاسم وهو المحفوظ الآن بالاتيقيخانه الانجليزية الكائنة بمدينة لوندريه وهو عبارة عن تصوير هيئة تعبدية وحالة مجيدة مركبة من تماثيل عدة ملوك منتخبين وجملة قراغنة غير مرتبين لبواعث هي لبا غير معلومة واسباب غير مفهومة تظهر ما سبق ذكره فيما تصور بقاعة الاسلاف السابقة الذكر غير ان الملك المتنسك امام اسلافه في هذه الهيئة التعبدية هو الملك رمسيس الثاني المذكور آنفا وقد كانت في الاصل اسماء الملوك المصورين فيها خمسين ثم انحى بعضها فلم يبق غير ثلاثين من التماثيل المذكورة بعضها تام التصوير وبعضها مشوه الصورة وقد كان جدول الملوك الذي عثر عليه بآثار مدينة آيسدوس بهذه المثابة يكاد ان يكون خاليا عن القيمة التاريخية بالكلية حتى ظفر منه ما ربيت بك من عهد قريب في هيكل آخر من المدينة المذكورة بنسخة أخرى هي اتم واكمل واهم واشمل لاكثر الصور والاسماء المفقودة من الاولى مؤرخة من عهد الملك سيتوس الاول الذي هو والدرميس الثاني وسلفه على كرسي الملكة المصرية وقد استفيد من جدول آيدوس هذا الجديد ببيان اسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية الست الاولى على وجه من الضبط والكمال يكاد يضاهي تقريرا ما ذكر من ذلك بجدول المؤرخ مانيتون السالف الذكر وبذلك تحقق ما ذكره في هذا الخصوص مؤرخ مصر اتم التحقيق وتطبق عليه كل التطبيق

الرابع الاثر المعروف باسم اثر سقاره الذي عثر عليه ايضا ما ربيت بك وهو المحفوظ الآن بالاتيقيخانه الخديوية الكائنة ببولاق مصر القاهرة المعزية وبه تأكيد ايضا ما وجد بجدول ملوك آيدوس الجديد فيما يتعلق باسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية السابقة العهود وليس مصدر تحرير جدول سقارة هذا كغيره من الآثار السالفة الذكر هن ملك من ملوك تلك العصر بل وجد في داخل قبر رجل قسيس كان موجودا في عصر الملك رمسيس الثاني يقال له (تونارى) من احاد اهل مصر وقد كان من عقائد المصريين في سالف الدهر ان من الفضائل التي تختص بها في الدار الآخرة روح الرجل الصالح اى الذى استحق بصالح اعماله في الدار الدنيوية التمتع بالحياة الابدية ان يقبل في ضمن مجلس الملوك المتوفين فلذلك ترى في الاثر المذكور القسيس تونارى هذا مصورا على هيئة الداخل في الحضرة العلية المركبة من تماثيل ثمانية وخمسين ملكا لا شك في انهم كانوا بمدينة منفيس بحسن

الدرس الثام ١٥٣ في التاريخ العام

الذي ذكرهم الملوك الاكثر اعتبارا والفراعنة الذين كانوا عندهم بالعدل والتقوى هم
الاكثر اشتهارا وانتخابهم أشبه نبي بما جرى في انتخاب الملوك المصورين بجدول آيدوس مع
بعض فرق مفيد يقتضي التنبيه عليه وهو ان بعض الملوك المصورين موجود في احد الجدولين
المذكورين مع انه في الجدول الآخر مفقود وان ملكين لا شك عند أهل التاريخ في
انهما كانا متعاصرين تجدا احدهما وارد في جدول سقارة والثاني في جدول آيدوس ولذلك
لم تتفق كلمة المؤرخين بوجسه الاطلاق على من يقتضي أن يكون هو الملك الحقيقي والسلطان
الشرعي من الملوك المتنازعين في عهد العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية لكون قائمة
بيان اسمائهم الموجودة في تلك الآثار الكفرية كانت تختلف باختلاف المدن وعلى
حسب الاماكن التي كانت تعترف لهم بالولاية الشرعية أو لا تعترف من سائر نواحي الوطن
هذا ما يتعلق بالآثار العمومية وأما الآثار الخصوصية اعني التي تختص بتاريخ عائلة ملوكية
أو مدق ولاية سلطانية بالخصوص فهي كثيرة جدا فلا يتيسر لنا هنا ان نصفها ولا ان نخصيها
عددا بل اقتصرنا على ان اشرنا اليها في سياق كتابنا هذا في كل موضع لزم فيه الاستدلال بها
وهي كذلك على ضربين احدهما كتابات على قرطاسات من الورق البردي وذلك
عبارة عن قصائد شعرية تتعلق باشهار بعض وقائع حربية لبعض الملوك المتقدمين
والفراعنة السالفين ومؤلفات أدبية أو مراسلات كناية أو دفاتر وسجلات حسابية
تضمن حساب بعض الدواوين العمومية والمصالح الميرية والثاني الكتابات المسطورة
على العمارات الاثرية وهذه أيضا على ضربين أصليين احدهما ما تسطر على
الآثار العمومية والثاني ما يوجد على العمارات الاحادية الخصوصية والآثار الشخصية
فاما ما تسطر على الآثار العمومية اعني الكتابات الرسمية المحفورة على اعمدة منفردة أو على
جدران الهياكل والمعابد المتنوعة حيث توجد عليها مكتوبة بنقوشات كبيرة بارزة
ملونة بأنواع الصباغات الكثيرة فهي تشتمل خصوصا على اقتصاص بعض الحوادث الكبيرة
والغزوات الشهيرة التي وقعت لبعض الفراعنة المصريين والملوك السالفين ومن قصص
هذه الوقائع العسكرية ما هو مطول جدا كأنه قصائد شعرية يروي فيه حكاية سفر أو عدة
اسفار من تلك الوقائع الحربية مع توضيح ادق احوالها الواقعية بغاية التفصيل والبيان
وفلك بقلم من التأليف والبيان هو أشبه بأسلوب التأليف التوراتية وأما ما يوجد على
العمارات الاحادية الخصوصية والآثار الشخصية فهو يشتمل على بيان احوال معيشتهم
الداخلية واشغال كينوتهم الاهلية وهيئة جمعيتهم البشرية المصرية يعرفنا كيفية
ترتيب انهم الباطنية وحقيقة تأسيساتهم المدنية ويوقفنا خصوصا على اقوى الاساسات
القوية وانفس الاصول التنفيذية السوية التي يمكن ان يتبين عليها مادة ترتيب ازماتهم

التاريخية اذ كثير ما عثر على شواهد قبور من مقابرهم وآثار مكتوبة من آثارهم
تحدد مسطرا عليها تاريخ اليوم والشهر والسنة التي توفي فيها صاحب الاثر فلان من
مدة ولاية فلان سلطان ذلك الزمان وانه عاش مدة كذا وكذا عاما وشهرا و يوما وهـ كذا من
قبيل هذا التفصيل والبيان

المسألة الثانية

مطلب - ذكر بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه القديم المطول المذكور ما يخصه بعدمسطور قد
ذكرنا فيما تقدم ان اول من اسس الحكومة الملوكية بالديار المصرية كان اصل مولده بمدينة
ثينيس وهي المسماة في اللغة المصرية القديمة باسم تينى (بامالة الناء المشناة الفوقية على ياء مشناة
تحتية يليها نون موحدة فوقية بعدها ياء مشناة تحتية) وهي التي سميت فيما بعد باسم آبيدوس
بالاقليم الوسطى قال المؤرخ هيرودوت اليوناني ما نصه : وقد كان المدعو باسم مينيس هو اول
ملك قبض زمام الامر ببلاد مصر وكان حسمار واه القسوس هو الذي بنى مدينة مصر المسماة باسم
منف او منفيس وقد كان النيل لغاية عهد الملك المذكور يجري في سفح الجبال الرملية التي
هي من جهة الصحارى البدية ولما عتني هذا الملك بسد مجرى النهر من الجهة الجنوبية وانشا
هناك جسرا على نحو مائة شوط (والشوط عبارة عن مقياس قدره ٨٠ مترا) فوق مدينة منفيس
جف مجرى النهر القديم وحدث له مجرى آخر جديد في خليج مصطنع فيما بين الجبلين ليتوسط
مجرى النهر فيما بين جانبيين متساويين واختط تلك المدينة في عين الموضع الذي انحرف فيه
مجرى النهر حيث صار ارضا جافة بوقاية ذلك الجسر وشيد في المدينة المذكورة ايضا هيكل
كبير ومعبدا فآخر عظيميا للاله المسمى عند اليونان باسم بركان وعند المصريين باسم اختا (اه)
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان قلنا وقد اتفقت كلمة جميع المؤرخين السلف المعتمد
عليهم في المدارس الاوروبية وسائر المؤلفين الذين تكلموا على تاريخ الديار المصرية على ان
الملك مينيس هذا هو اول مؤسس للحكومة الملوكية بالديار المصرية واكدها شهادتهم بذلك
ما ثبت على الآثار المصرية القديمة والعمارات الفرعونية العتيقة من ذكر مدائح على انه هو
اول مؤسس لدولة الفراعنة بمصر في سالف العصر ولا زال يوجد لغاية الآن الجسر الذي كان
قد انشأه هذا الملك في سالف الزمان وهو المعروف في عصرنا هذا باسم جسر قشيشة في الاقليم
الوسطانية وعليه عمدة توزيع مياه الري وقد تكون من خلفاء الملك مينيس مؤسس مدينة
منفيس المذكور الذين جاؤا من بعده على الاثر ملوك العائلة الملوكية الاولى ونص ما يتون
المصري على انها اقامت على كرسي ملك الفراعنة بدار مصر مدة ٢٥٣ سنة من الدهر
ولم يصل اليها اثر مطلقا ولا عمارة هي لعهد هؤلاء الملوك معاصرة غير ان منهم الملك المسمى

الدرس الثام ١٥٥ في التاريخ العام

باسم تيتا (بتأين مشناتين فوقيتين عمالة اولاهما على ياء مشناة فتحية بينهما بعدها ألف مقصورة) وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم آطوطيس أو آتوتيس (بالطاء المهملة أو بالياء المشناة الفوقية) وهو الذي خلف الملك مينيس بطريق المباشرة وبما يذكر عنه انه بنى قصر في مدينة منفيس وألف بعض كتب في علم الجراحة وخامس ملوك العائلة الملوكية الاولى هذه يسمى باسم هيزي يتي وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم اوزافيدوس وقد ذكر في عدة مواضع من صورة دعاء الجنائز المأثور عن سلف المصريين على انه مؤلف بعض كتب دينية وذكر في باقي من اجزاء تاريخ مانيتون المصري المذكور انه بمدة ولاية سابع ملوك هذه العائلة الملوكية المصرية المسمى باسم سيماميديتيس وقع بديار مصر طاعون شديد وموتان عديد والذي يؤخذ من مقابلة جدول الملوك المأثور عن القسيس مانيتون المصري المذكور مع ما حصل عليه العثور في الآثار المصرية القديمة من جدول آيدوس وجدول مقارة ان وحدانية الحكومة المصرية لم تستقر من أول وهلة بدون منازعة ولا خضمانية بل حصل مدة حقبة طويلة من أول عصر ولاية العائلة الملوكية الاولى عدة منازعات بين جملة ملوك متخاصمين كان مستقر دولة بعضهم من غير شك ولا تلبس بمدينة منفيس وبعضهم بمدينة آيدوس

ومن ملوك العائلة الثانية الملك كيكيو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم كيكوس وبحسب الظن القوي يكون هذا الملك هو الذي انشأ هرم مقارة ليخذه قبره وبناء على هذا القول يكون هذا الهرم هو أقدم العمارات المصرية بل أقدم عمارة في الدنيا ابتماها بعد آثار برج بابل ويقال ان هذا الملك هو أول من أحدث عبادة الحيوانات بديار مصر في سالف العصر ولا سيما عبادة الجمل المسمى آيدوس الذي كان يعبد على انه مجسم الاله المسمى باسم افتا في مدينة منفيس وثالث ملوك العائلة المذكورة أيضا الملك المسمى باسم بانيتير (وهو المدعو في جدول مانيتون المصري باسم فينوتريس) وبما يغزى اليه انه شرع قانونا يجوز للنساء ان يتمكن على كرسي مملكة مصر وفي الحقيقة قد عهد عدة مرات في سياق تاريخ الديار المصرية هذا الامر ويحكى عن سابع ملوك هذه العائلة المسمى باسم نيفير كيره (وهو المدعو في جدول مانيتون باسم نيفير كريس) حكايات عامية عجيبية واحاديث وهمية غريبة وبما يقال أيضا ان فرعون سيزو خريس ثامن ملوك هذه العائلة الثانية قد كان هونا حقيقيا بمعنى طويل القامة جدا

ولقد تيسر الحصول على بعض آثار نقشية يصح التجارى على القول بأنها من أعمال اواخر ملوك هذه العائلة الملوكية الثانية منها قبر رجل من ذوي المناصب العالية والمراتب السنية

يسمى باسم **توتنوتيب** استكشفه بعناية الحفر الجارية بعناية الحكومة المصرية
بهذه الحقبة المصرية حضرة مارييت بك ناظر الاتية قنطرة المصرية في مقابر سقارة التي
كان يدفن فيها موتى مدينة منفيس العظيمة في تلك الاحقاب القديمة ومن ثلثة تماثيل
قائمة من نوع الاحجار الجيرية تصور فيها رجل آخر من ارباب الوظائف بذلك العصر يدعى
باسم **سليده** مع اثنين من ابنائه وتلك التماثيل الثلاثة محفوظة بآتية قنطرة قصر لور
(بمدينة باريس) تفخر بها هذه الخزنة على ما سواها غاية الفخر

ومن ملوك العائلة المالوكية الثالثة وهوتايم الملك المسمى باسم **تريسمورتره**
(وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم **توزور تروس**) ومما يذكر عنه انه كان له
اشتغال بالخصوص بعلم الطب وفن قطع الاحجار والكتابة عليهم ومن هذه العائلة المالوكية
كان قد خرج من الدار الفرعونية اول الملوك الفاتحين للملك البرانية قلى المؤرخ مانيتون
المصرى ان اول ملوك هذه العائلة المالوكية المدعو باسم **سيكبير نيقيركه** (وفى جدول
المؤرخ المذكور باسم **نخوروفيس**) كان قد ادخل تحت طاعة الدولة المصرية جزءا من
بلاد الصحارى الليبية (بلاد برقة) حيث غزاهم فظفريهم وانصر عليهم لداعى قزع
شديد من كسوف الشمس كان قد حصل لهم وقد عثر ايضا على منحور جبل الطور ببعض
نقوش بارزة وجدت فيها صورة الملك **اسنيفرو** (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم
سيفوريس) سلف آخر ملوك هذه العائلة المالوكية المصرية على هيئة الظافر بالقبائل
العربية الرحالة انزلة المدعوين بالآنيين بجهة بلاد العرب الجنوبية (كما أسلفنا
ذكره آنفا)

ومما يوجب جد في الاتية قنطرة السلطانية بمدينة باريس نسخة كتاب باليد على قرطاس من ورق
البردى مؤرخة من مدة ولاية الملك **آسات تكيرا** (المسمى في جدول مانيتون المصري
باسم **نخبريس**) وهو سلف آخر ملوك العائلة المالوكية الخامسة من تأليف شيخ من اهل
بيت الملك يقال له **افتاشوتيب** يشتمل على حكم ومواعظ للارشاد الى حسن السلوك في الدنيا
نظير كتب قونفسيموس ببلاد الصين وأصل مبنى مكارم الاخلاق المقررة في هذا الكتاب على
طاعة الوالدين مع تعميم مدلول هذا اللفظ لما يشمل طاعة ولى الامر الحاكم حيث كان
المصريون يعتقدونه مقلدا لولاية ابوية حقيقية ومما ذكر في الكتاب المذكور مائنه وان
الولد الذى يصغى لقول آبيه يطول عمره لهذا السبب وطاعة الولد لوالده هي اللذة
حيث يحبه ابوه ويثنى عليه كل حى يدب على الارض والخارج على ولى الامر معتبرى
العلم فى الجهل ويرى القضايل فى الرذائل ويتجارى فى كل يوم على ارتكاب كل نوع من
النش وبذلك يعيش عيش الاموات وما يرى الحكيم انه الموت هو بالنسبة اليه الحياة فانه

الدرس الثامن ٢٥٧ في التاريخ العام

انما يسير في طريقه مغموراً في كثير من اللعنات وثواب من يعمل بهذه القواعد في دار الدنيا هو طول الحياة والقبول عند الملك والولد البار والديه سعيد بطاعته حيث يعمر العمر الطويل ويبلغ القبول (هـ) ثم ذكر مؤلف هذا الكتاب نفسه على سبيل التمثيل فقال وبذلك صرت أنا من أطول أهل الأرض عمراً وعمرت من السنوات مائة وعشراً وأنا في القبول عند السلطان والرضى عني من مشايخ الزمان لداعي أني أدبت ما يجب على الملك في موضع قبوله هـ ويوجد في الانتسخة المذكورة أيضاً نسخة كتاب آخر باليد من هذا القبيل لم يبق منها من المخطوطات غير شيء قليل تشمل على ما هو أشبه شيء بأمثال سليمان بن داود عليه السلام منها قوله ومع السعد كل مكان طيب والذنب الصغير يحقر الرجل الكبير والقول الطيب أضوأ من الزمرد الذي تلتقطه يد الرقيق من بين الحصى والعالم شعبان بما يعلم مكان قلبه طيب وشفاهه مقبولة الى غير ذلك من الحكم والأمثال

وأول ملوك العائلة السادسة يقال له آتي (وفي جدول مانيتون المصري آتوئس) قال المؤرخ المذكور ان هذا الملك بعد ان أقام على كرسى المملكة ثلاثين سنة قتله جماعة من عسكر حرسه والذي يظهر من طريق النظر في الآثار المصرية القديمة هو ان مدة من ولايته كانت قد استغرقت بالفتن اذ كان قد قام عليه خصمان يمكن أن يكونا من ابناء ملوك العائلة الملكية السالفة يقال لاحدهما تيتا والثاني اوزور كيرة ولكن جاء من بعده ولده المسمى باسم يلبسي ميريره (وفي جدول مانيتون المصري باسم فيوس) خلفه على كرسى المملكة الفرعونية وكان من أقوى ملوك مصر شوكة وأعظمهم نفاراً وصولة جمع تحت طاعته جميع القطر اذ وجد له آثار عمارات في سائر نواحي مصر من عند اسوان لغاية مدينة تانيس وكان يبي الأول هذا كالمملك خوفو ملكاً حربياً وفرعوناً جهادياً حارب قبيلة تسمى باسم الواوة من القبائل السودانية وحى الثغور المصرية من الجهة الجنوبية عن قبيلة أخرى بدوية مجهولة الحال من قبائل ذلك الزمان قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان ولعلها ما تعرف الآن باسم العرب البشارية وقع كذلك من الجهة الشمالية صولة قبيلة عربية كانت قد صالت على العمال المصريين المشتغلين باستخراج معادن النحاس بناحية جبل الطور وكان للملك المذكور أيضاً اشتغال بنافع الأعمال اذ يظهر من دليل النظر في بعض آثار عماراته انه هو الذي فتح الدرب الذي تسافر فيه القوافل في الصحارى الكائنة من عند قنا بجهة الصعيد الى ميناء القصير على البحر الأحمر ورتب فيه المنازل وحفر فيه الآبار لتشرب منها القوافل وهو غير ملك آخر يدعى أيضاً باسم يلبسي نيفير كيره اويبي الثاني (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم فيوبس بيا فارسية قبل السين المهمة في آخره) وهذا هو الذي أقام على سرير المملكة الفرعونية مدة حقبة من الزمن قرنية ولا نيكاد نعرف شيئاً

الدرس الثامن ١٥٨ في تاريخ العام

من اخباره ولم يقف على كثير من آثاره غير ان مدة ولايته هذه الطويلة كان قد ظهر فيها فتن اهلية واختلالات داخلية مهولة لم يعهد لها نظير بعد في الديار المصرية وجاء بعده خلفه المدعو باسم منتاساف (في جدول مانيتون المصري باسم منتوسوفيس) فلم يقم على كرسى المملكة الفرعونية غير سنة واحدة ثم قتل وخلفته اخته المسماة باسم نينما كيره وعند اليونان باسم نيتو كريس وهي التي اجرت عمارة الترميم في ثالث اهرام الجيزة لتتخذ قبراً لها على ما يقال بدون ان تستولى على قاعدة مقبرة فرعون من كيره ومن اخبار المملكة المذكورة أيضاً انها كما يحكى عنها كانت قد اسرت في نفسها الاتقام لقتل اخيها ولم تزل مصرية على الاخذ يثارة من قاتليه حتى جمعهم لولاية ذات يوم في سرها بقت الارض ثم اسالت عليهم في السراء النيل فأتوا كلهم غرقاً بكيدتها ولم تتأخر ان قتلت نفسها ايدها لتخلص من تباعة أوليائهم وقد كانت آخر ملوك عائلتها

المسألة الثالثة

مطامير ذكر بعض توضيحات تتعلق بملوك الهيكسوس أى ملوك القوم البغاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بدولة العمالقة أو الملوك الرعاة مسألة تاريخية ماذا كان الملوك الرعاة المذكرون في تاريخ الديار المصرية - يوجد لهؤلاء القوم بعض ذكر في كتب التواريخ الاسلامية بعنوان دولة العمالقة أو العمالقي في جملة من ملك ديار مصر في سالف العصر وذكر لهم فيها عدة ملوك خمسة أو اربعة باسماء اعلام يظهر على أكثرها انها عربية لاسماء اعجم وبمضاهاها بما ذكر في كتب التواريخ الاور وبية يظهر ان ما كان قد تحصل عليه مؤرخو الاسلام في هذا المقام وفي سائر ما يتعلق باخبار دول الفراعنة السالفين وجميع الامم المتقدمين انما هوشى وادجدا خال عن الضبط والتحقيق وانه لا يمكن بين القولين في الاكثر جمع ولا توفيق فن ذلك ما ذكر في تاريخ ابى الفدا مثلاً في المقام المذكور مع كونه هو المحقق المشهور ونص عبارته

واما الفراعنة فهم ملوك القبط بالديار المصرية قال أبو سعيد المغربي ونقله من كتاب صاعد في طابقات الامم اسأهل مصر كانوا اخلاطاً من الامم ما بين قبطي ويوناني وعليق الا ان جمهورتهم قبط قالوا اكثر ما تملك مصر الغرباء قالوا كانوا صابئة يعبدون الاصنام وصار في مصر بعد الطوفان علماء يضربون العلوم خاصة بالاطمسمات والنيرنجات والكيسيا وكانت مدينة منف هي كرسى المملكة وهي على اثني عشر ميلاً من القسطنطين قال ابن سعيد واسنده الى الشريف الادريسي ان اول من ملك مصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح ونزل مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهله ثم ملكها بعده ابنه مصر بن بيصر وسميت البلاد به لامتداد عمره وطول مسدة ملكه ثم ملك بعده ابنه قبط بن مصر ثم ملك بعده

الدرس الثام ١٥٩ في التاريخ العام

اخوه اتريب بن مصر و اتريب المذكور هو الذي بنى مدينة عسین شمش وبها الآثار
العظيمة الى الان ثم ملك بعده اخوه صا وبه سميت مدينة صا وهي مدينة خراب
على النيل من اسفله ثم ملك بعده نذراس ثم ملك بعده ماليق بن نذراس ثم ملك
بعده ابنه حرايا بن ماليق ثم ملك بعده كلکلی بن حرايا وكان ذا حكمة وهو اول من
جد الزئبق وسبك الزجاج ثم ملك بعده حرييا بن ماليق وكان شديدا لكفر ثم ملك بعده
طوليس وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وهو الذي وهب سارة هاجر وكان مسلان طوليس
بالفرما ثم ملك بعده اخته جود ياق ثم ملك بعدها زلقا بنت مامون وكانت عاجزة
عن ضبط الملك وسمعت عمالقه الشام بضعفها فغزوها وملكها مصر وصارت الدولة للعمالقة
وكان الذي اخذ الملك منها الوليد بن دومغ العملاقي وكان يعبد البقر فقتله اسد في بعض
متصيداته وقيل هو اول من تسمى بفرعون وصار ذلك لقب الكل من ملك مصر بعده ثم ملك بعده
ابنه الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين قمس ثم ملك بعده ابنه دارم
ابن الريان وفي زمانه توفي يوسف الصديق عليه السلام وتجهز دارم المذكور واشتد كفره وركب
في النيل فبعث الله تعالى عليه رجلا عاصفة اغرقته بالقرب من حلوان ثم ملك بعده كاشم
أو كاشم (بالسين المهملة أو بالشين المعجمة) ابن معدان العمليقي أيضا وقصد ان يهدم
الهرمين فقال له حكما مصر ان خراج مصر لا يفي بهدمهما وأيضا فانهم ما قبران لنبيين عظيمين
وهما شيث بن آدم وهرمس فامسك عن هدمهما ثم ملك بعده الوليد بن مصعب وهو
فرعون موسى عليه السلام وقد اختلف فيه فقيل انه من العمالقة وهو الاظهر وقيل أنه هو
فرعون يوسف واطال الله تعالى عمره الى أيام موسى عليه السلام قال ابن سعيد وذكر القرطبي في
تاريخ مصر ان الوليد المذكور كان من القبط وكان في أول أمره صاحب شرطة لكاشم العملاقي
وكانت الاقباط قد كثرت فلكوا الوليد المذكور بعد كاشم وانقرضت من حيثئذ دولة
العمالقة من مصر قال والوليد المذكور هو الذي ادعى الربوبية قال وصنف الناس في سيرته
وخلدوا ذكره وكانت أرض مصر على أيامه في نهاية من العمارة فعظمت دولته وكثرت عساكره
وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب لم اطلت عمر عدوك فرعون يعني الوليد المذكور مع ادعائه
ما تفردت به من الربوبية وجحد نعمتك فقال الله تعالى امهلة لان فيه خصلتين من خلال
الايمان الجود والحياء كان هاما نوزير فرعون المذكور وهو الذي حفر لفرعون خراج
السردوسي ولما اخذ هاما ن في حفره سأله أهل كل قرية ان يجريه اليهم ويعطوه على ذلك
مالا فكان يأتي به الى القرية نحو المشرق ثم يردّه الى القرية من نحو المغرب وكذلك في الجنوب
والشمال واجتمع لها ما من ذلك نحو مائة ألف دينار فأتى بها الى فرعون واخبره بالقضية فقال
فرعون ويحك أنه ينبغي للسيد ان يعطف على عبده ولا يطمع فيما بأيديهم وردد على كل قرية

الدرس الثامن ١٠٠ في التاريخ العام

ما أخذ منهم وأخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام وزوال ملكه على يده
 فأخذ في قتل الأطفال حتى قتل تسعين ألف الف طفل وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام
 منه بان التقطته زوج فرعون أسيرة وجهته منه وترغم اليهودان التي التقطت موسى هي
 بنت فرعون والأصح أنها زوجته حسب ما نطق به القرآن العظيم ولما كان منه ومن موسى
 ما تقدم ذكره من أظهار الآيات لفرعون وهي العصا ودم البیضا والجراد والقمل والضفادع
 وصيرورة الماء دما وغير ذلك سلم فرعون بني إسرائيل إلى موسى عليه السلام ولما أخذهم
 موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكره وتبعهم فلم يلقهم عند بحر القلزم
 وأوحى الله تعالى إلى موسى ف ضرب البحر بعصاه فصارت فيه اثنا عشر طر يقال لكل سبط طريق
 فقتله فرعون فغرق هو وجنوده وكان هلاك فرعون المذكور لمضي ثمانين سنة من عمر
 موسى عليه السلام وكان هو قد تمكك من قبل ولادة موسى ولذلك أمر بقتل الأطفال في أيام
 ولادة موسى عليه السلام فدمه ملك فرعون المذكور يزيد على ثمانين سنة قطعا ولما هلك
 فرعون المذكور ملك القبط بعده **دلوكة** المشهورة بالعجوز وهي من بنات ملوك
 القبط وكان المحرق قد انتهى إليهم وأطال أمرها حتى عرفت بالعجوز وصنعت على أرض مصر
 من أول أرضها في حد أسوان إلى آخرها سور امتصلا قال أبو الفدا وألها هنا انتهى كلام ابن
 سعيد المغربي ولم يذكر من تولى بعد دلوكة ثم أتت وجدت في أوراق قد نقلت من تاريخ ابن
 حنون الطبري وهو تاريخ كرفيه تاريخ ملوك مصر في قديم الزمان قال فيه ثم ملك مصر
 بعد دلوكة صبي من أبناء كبار القبط كان يقال له (دركون) بن بكتوس ثم ملك بعده (توذس) ثم
 ملك بعده أخوه (لقاش) ثم ملك بعده أخوه (مرينا) ثم ملك بعده (استماذس) ثم ملك بعده
 (بلطوس) بن ميكائيل ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (بوله) وهو
 الذي غزا رجيم بن سليمان بن داود عليهما السلام وقد كتب في كتب اليهودان الذي غزا بني
 إسرائيل على أيام رجيم كان اسمه (شيساق) وهو الأصح ثم لم يشهر بعد شيساق المذكور غير
 فرعون الأعرج وهو الذي غزا بختنصر وصابه وكان بين رجيم بن سليمان عليه السلام وبين
 بختنصر فوق أربع مائة سنة وكان شيساق على أيام رجيم فشيساق قبل فرعون الأعرج بأكثر
 من أربع مائة سنة قال أبو الفدا ولم يقع لي أسماء الفراعنة الذين كانوا في هذه المدة أعني فيما بين
 شيساق وفرعون الأعرج ولما قتل بختنصر فرعون المذكور وغزا مصر وأباد أهلها بقيت مصر
 أربعين سنة خرابا ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال وصارت مصر والشام من حين غزاها بختنصر
 تحت ولايته حتى مات بختنصر وتوالت الولاة من جهة بني بختنصر على مصر والشام حتى
 انقرضت دولة بني بختنصر فتوالت ولاية الفرس على مصر فكان منهم (كشروس) الفارسي باني
 قصر الشمع ثم تولى بعده (طخارست) الطويل قال وفي أيامه كان بقراط الحكيم وتوالت بعده

الدرس التام ١٢٦ في التاريخ العام

قواب الفرس الى ظهور الاسكندر وغلبته على الفرس، (انتهت عبارة ابي الفدا) وانما سطرناها هنا بنظامها مع ما سبق نقله عن المؤرخ فرانسيس لونورمان لا لقصد تعليم تاريخ مصر في سالف الزمان على مقتضاها بل على سبيل النموذج والمثال لغاية ما تحصل عليه اشهر مؤرخي الاسلام ورحمهم الله تعالى وحرروه من التساريخ القديمة بناء على ما علم لهم على وجه عام أمامنا الكتب المقدسة أو نقلها عن مؤرخي الرومانيين واليونان في سالف الايام وليظهر ما في ذلك من القصور بالنسبة لما هو عن المحققين من العلماء الاوروبيين المتأخرين من مسطور

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلا في تاريخه الكبير ما معناه ان تاريخ القوم البغاة المعروفين في تاريخ مصر القديمة بالملوك الرعاة وان كان قد مكث مدة فديدة غامض الحال غير مستند لسندات اصلية من عصر هؤلاء الملوك هاهو الآن قد أخذ في الاتضاح والبيان بما استكشفه بلدينا ماريت بك من الاستكشافات الجديدة فحقق كاذب كراه آتاهانهم كانوا اخلاطاً من قبائل رحالة نزلة من أهل بلاد العرب والشام ولن جهرتهم كائن عليه المؤرخ مانيتون المصري فيما بقي لنا من بقايا تاريخه ايضاً كانوا من الكنعانيين وان القبيلة الرئيسة التي كانت تقود حركة الجميع ونديرها هي المسماة في اساطير العمارات الفرعونية القديمة باسم الخيتاسيين وفي التوراة باسم الهييتيين الذين وجدهم ابراهيم عليه السلام بارض كنعان متوطنين وذكر المؤرخ مانيتون المذكور في تاريخه المسطور ايضاً ان هؤلاء الجموع من الاقوام الشتي كان يطلق عليهم اسم الهيكسوس بمعنى الملوك الرعاة تحقيقاً لهم وهي كلمة مركبة من جزئين احدهما اللفظ (هيك) ومعناه باللسان المصري المقدس القديم الملك والثاني (سوس) ومعناه باللسان المصري العاى الراعى وقد وجد كل من اللفظين المذكورين مثبتاً على حدته في الكتابات الهيروغليفية اولها على صورة (هاك) للدلالة على رؤسا القبائل السامية والثاني على صورة (ساسو) معبراً به عن القبائل البدوية من العرب ولكن لم يعثر في جميع الآثار المصرية المعروفة لغاية الآن التعبير عن القوم البغاة المسمين في تاريخ مانيتون المصري باسم اليكسوس الابل كلمة (ميناً) ومعناها ايضاً الرعاة

وقد دلت جميع الآثار المصرية القديمة على صدق ما ذكره من بلاد مصر من التحريب الشنيع في اول الامر قال المؤرخ مانيتون المذكور وقد كان أول من قلده بالملك منهم على مصر يسمى باسم سيلتوس وفي رواية أخرى باسم (سلايس) وكان مقر دولته بمدينة منف أو منفيس وكان قد ضرب الجزية على الاقاليم القبلية والبحرية من الديار المصرية ووضع من عساكره مسا في ألبق الاماكن للمحافظة على البلاد وتحصن خصوصاً من جهة الشرق خوفاً من الميريانيين حيث كانوا أقوى شوكة منه (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان

وفي الواقع ونفس الامر قد كان هذا العصر كما سندكره بعده والذي كانت قد استعملت فيه الدولة الاولى (بلاد كلدان والعراق) ثم تراءى الى فرعون سلايس المذكور باقليم تانيس مدينة اليق منها بتحصيل اغراضه يقال لها اواريس فانتقل اليها وكما ذكر في رواية قديمة عن القسس المصريين كان قد اعد عمارتها واحاطها بكثير من القلاع والحصون ووضع فيها عسكرا يبلغ مائتين واربعين الف رجل كلهم شاكي السلاح لاجل تمام المحافظة على الديار المصرية من تلك الجهة الشرقية وكان مصيغه في تلك المدينة يوزع على عساكره القمح والجاكى ويعتنى بتدريبهم على استعمال الاسلحة الحربية خوفا من الاعداء الاجنبية (انتهت عبارة المؤرخ مانيتون المصري) ثم ذكر بعض تفاصيل تتعلق بمن تملك مصر بعد فرعون سلايس المذكور من الملوك الرعاة وقد بقي ذكر اسمائهم محفوظة على وجه اضبط منه فيما نقله عنه المؤرخ اليوناني المعروف باسم يولوس الاقريناني حيث ذكر ان مدة ولايتهم على مملكة مصر قد كانت ٢٨١ سنة وقال ان الذي خلف فرعون سلايس المذكور هو المسمى باسم آنون وفي رواية اخرى بانون ثم ملك بعده باخناس وفي رواية اخرى اباخناس ثم استتاعن ثم ارخليس ثم ابوفيس وذلك في عمود اثرى مأثور عن فرعون رمسيس الثانى (من العائلة المالكية التاسعة عشرة) وجد بمدينة تانيس التى هى عين مدينة اواريس مذكورا به أنه كان قد اعد عمارة المدينة المذكورة واشاد فيها معبد للشم المسمى باسم سيت او سوتيج الذى هو معبود قبيلة الخيتاس وذلك قبل ولاية الملك رمسيس الثانى المذكور مدة ٤٠٠ سنة وكذلك اسم الملك المدعو فى جدول مانيتون باسم آتون وجد مذكورا فى قطعة من ورق البردى المحفوظ فى انيقانة مدينة تورين (بلاد ايطالية) باسم انوب (بالياء الموحدة التحتية بدل النون الفوقية) يليه اسم ملك آخر على صورة اب يقتضى أن يكون يتماه اياخناس وجد ايضا اخر ملوكهم مذكورا على عدة عمارات مصرية قديمة باسم ابىي وهو المحرف فى اللغة اليونانية باسم ابويس قال المؤرخ قرانيس لوتورمان وفرعون آبيي هذا هو الذى حكم ديار مصر مدة احدى وستين سنة من

الدهر وفي مدة عهده كان قد حضر الى مصر يوسف بن يعقوب وتقلد له بوظيفة أول وزير وقد فهم من اقتصاص هذه الحادثة في سفر الخليفة من التوراة ان دولة فرعون هذا كانت كلها مصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بتحقيق هذا الشأن بالدليل والبرهان) فانظره مع ما اسلفناه في عبارة أبي الفدا المنقولة اعلاه حيث سرد عدة اسماء على أنها اسماء من ملك مصر واحد بعد واحد في سالف الزمان حتى انتهى الى ذكر العمالة وهم المذكورون هنا بعنوان الملوك الرعاة فذكرهم باسم الوليد بن دؤمغ ثم الريان بن الوليد ثم دارم بن الريان ثم كاسم بن معدان ثم الوليد بن مصعب الى آخر ما ذكر فيها على كل اسم من التوضيح والبيان نقلا عن ابن سعيد المغربي والقرطبي وغيرهما من كتب في هذا المقام من مؤرخي الاسلام الناقلين هم أيضا كما يظهر عن مؤرخي اليونان والروم في سالف الايام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور وأيضا في تاريخه القديم الكبير وأما ملوك مصر البلاديون الذين كانوا بنو احي الصعيد لدولة الملوك الرعاة معاصرين فلا نعرف منهم غير اسم الملكين الاخيرين وهما الملك المدعو باسم تيان خان والملك المدعو باسم كاميس وهو أبو الملك المدعو باسم اهميس وفي جدول ما يتون المصري باسم آموزيس الذي تمت له الغلبة على الملوك الرعاة فقمع شوكتهم وازال دولتهم وخرجهم من الديار المصرية واعاد الى مدينة منف درجتها الفخرية واشاد فيها الهياكل والمعابد الاهلية كما دلت على ذلك كله العمارات الاثرية المصرية وهو ابن الملكة اسماء باسم آهو تيب زوجه فرعون كاميس السالف الذكر التي عثر لها مارييت بك على طاقم المصاغان العجيبة المحفوظة بالاتيعة خانة المصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان الكبير)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في الباب الثاني من الفوائد والافكار

افكار تقديمية وفوائد عمومية

١ كيف جرت عادة المؤرخين الاوروبيين في ترتيب التاريخ القديم وما هي الطريقة التي ينبغي لنا ان نغشى عليها معاشر المصريين في التعليم

مقدمة

٢ ما المراد بما يعبر عنه بلفظ مصر في كل عصر وما اسماءؤها وحدودها حسبما ورد لها

في عبارات المؤرخين الاوروبيين من الذكر

٣ ما النيل وما صفة هذا الوادي الجميل

٤ ما احوال نهر النيل من الزيادة الدورية وما اسبابها الحقيقية

٥ ما مصاب النيل القديمة الاصلية

٦ ما مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول السنوية

تنبيه

٧ ما منظر الديار المصرية الآن حسبما استجد فيها بهذا العصر من التمدن والعمران

٨ ماذا قيل في التواريخ القديمة بشأن دولة ميرويه وعمل اصل منشأ عمارة الديار المصرية من الجهة الجنوبية أو الشمالية

٩ كيف يتقسم تاريخ ديار مصر القديم حسبما ذكره المؤرخون الاوربيون من التقسيم

الفصل الاول

١٠ ما اصل الامة المصرية وما منشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة العصرية

١١ كيف كانت هيئة ولاية ديار مصر في سالف العصر

١٢ من كان اول من احدث الولاية الملوكية بالديار المصرية في سالف الحقبة العصرية وما منشأ العائلة الملوكية الاولى

١٣ ما منشأ العائلة الملوكية الثانية وما حاله ديار مصر العمارية في تلك الحقبة العصرية حسبما يظهر من العمارات ال اثرية

١٤ ما منشأ العائلة الملوكية الثالثة ومن كان اول ملوك مصر الفاتحين للبلاد الاجنبية وما دليل هذه الحادثة التاريخية وكيف كانت حالة مصر التمدنية في تلك الحقبة الزمنية

١٥ من منشأ العائلة الرابعة ومن الذي انشأ أهرام الجيزة وماذا كان القصد بإنشائها وماذا
قبل في مدة وكيفية بنائها وما درجة العظمة والثروة الداخلية التي كانت قد بلغت في دولة
ملوك مصر في ذلك العصر

١٦ كيف كانت هيئة الجمعية البشرية المصرية في تلك الحقبة العصرية وما دليل
تلك الفوائد التاريخية

١٧ كيف كانت حالة الديار المصرية في أواخر عهد الدولة القديمة الملوكية وما قصة
الفتن الأهلية والمحن الداخلية التي اعترت ديار مصر في ذلك العصر

١٨ ما بيان انحطاط درجة التمدن المصري في ذلك العهد العصري

الفصل الثاني

١٩ ما قصة نقطة تمدن الديار المصرية بظهور ملوك الدولة المتوسطة وما مدة تأميم
مدينة طيبة الصعيد في تلك الأعصار القديمة وماذا كان قد آل إليه حال تمدن مصر
في ذلك العصر

٢٠ ما منشأ العائلة الثانية عشرة الملوكية وماذا كانت أسماء ملوكها وما مدة إقامتهم
على كرسي السلطنة المصرية وما حالة تمدن ديار مصر في ذلك العصر

٢١ ما بركة موريس وماذا كان الباعث على إنشاء هذا الأثر النفيس

٢٢ ما حالة العمارات الأثرية التي عثر عليها هذه الحقبة العصرية

٢٣ ما قصة الفتن الداخلية التي اعترت حالة نظام الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية
وما أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة الملوكية بالطريقة العمومية وما دليل تلك الدعوى
التاريخية

٢٤ ما كيفية غارة الملوك الرعاة وما تاريخها من المدة الميلادية القبلية وماذا كان مقر
ملكهم من الديار المصرية وما اسم فرعون يوسف الصديق حممما ثبت عند
المؤرخين الأور وباو بين من البحث والتحقيق

٢٥ ما كيفية اقتحام الديار المصرية من يدهؤلاء الملوك الأغراب وعلى يد من كان انتقادها
من ملوك الدولة القبطية الأصلية

الفصل الثالث

٢٦ ما تاريخ العائلة الثامنة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما أسماء ملوكها
على وجه العموم وما حالة عظمة دولة الفراعنة في تلك الحقبة العصرية

٢٧ ما هي الحوادث التاريخية الخصوصية التي تتعلق بمدة ولاية فرعون طوطميس
الثالث وخلفائه على الديار المصرية

- ٢٨ ماقصة ما عثر في الديار المصرية من الفتن الدينية والمحن الاهلية في تلك الحقبة
العصرية
- ٢٩ هل كان لامة العبرانية بعض مدخلة في حادثة تلك الفتن الدينية وما دليل هذا
الدعوى التاريخية
- ٣٠ مآثر نوح العائلة التاسعة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اظهر
ملوكهم وما حدود السلطنة المصرية وما حقيقة شهرة فرعون شيزوستريس
في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الدعوى التاريخية
- ٣١ ماقصة ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر
- ٣٢ ما حالة الديار المصرية بمدة ولاية فرعون ميرافته وماذا كان السبب في تلك الحالة
الاختلالية
- ٣٣ مآثر نوح مدة رمسيس الثالث ملك مصر وما عثر في الديار المصرية من الانحطاط في
ذلك العصر
- ٣٤ ما مبدأ ضبط السكر ونولوجية المصريين وما اصل ما أخذ هذه الحقيقة التاريخية
- ٣٥ مآثر نوح انحطاط المملكة المصرية
- ٣٦ مآثر نوح العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقليم البحريه خصم للدولة
القيسية المصرية
- ٣٧ ماقصة منازعة الملوك الايتوبيين والاسوريين على بلاد المصريين
- ٣٨ ماقصة الدولة المصرية الاثني عشرية والعائلة الملوكية الصاخريه
- ٣٩ ماقصة ولاية الملك اسماتيوس على جميع الديار المصرية
- ٤٠ ماقصة حروب الدولة المصرية التي حصلت ببلاد سورية في تلك الحقبة العصرية
- ٤١ ما كيفية توسيع دائرة التجارة بمصر في ذلك العصر
- ٤٢ مآثر نوح فرعون ابريس
- ٤٣ مآثر نوح فرعون اماريس
- ٤٤ كيف كان زوال الدولة الفرعونية وسقوط استقلال الديار المصرية

الفصل الرابع

- ٤٥ كيف كان تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية البشرية في سالف
الحقبة العصرية بالديار المصرية
- ٤٦ كيف كان منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

- ٤٧ كيف كانت حالة الصنایع والفنون التي كان يتخذها المصريون السالفون
- ٤٩ كيف كانت طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية
- ٥٠ ما عوائد الامة المصرية في معيشتهم المتزلية وكيفية حياتهم الداخلية
- ٥١ ما كيفية دفن موتاهم في القبور وما اسباب صناعة التصبير
- ٥٢ ما حقيقة القلم المصري القديم وما معنى لفظ الهيور بجلف وما قصة ما حصل على قرآته من الوقوف والتعريف
- ٥٣ كيف كانت ديانة المصريين وعقائد سكان وادي النيل السالفين
- ٥٤ ما الالهة الملية والاوثان الاهلية الاصلية التي كانت تعبد في سالف الاعصار بالديار المصرية
- ٥٥ ما اسباب عبادة الحيوانات المحترمة والدواب التي كانت عند اسلاف أهل مصر معظمة
- ٥٦ ما صفة الاهرام وماذا تحقق بشأنها من صحيح الكلام
- ٥٧ ما شرح القول على ما يعرف عند العامة بأبي الهول
- ٥٨ ما عوائد المصريين في سالف العصور فيما يتعلق بدفن موتاهم من المغائر والقبور وكثرة الزواق والنصور
- ٥٩ ما تاريخ ما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور

تتممة

المسألة الاولى

- ٦٠ ما توضيح الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين وما هي الاثار الاصلية التي انبى عليها تاريخهم عند المؤرخين العصريين

المسألة الثانية

- ٦١ ماذا ذكر عن بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين

المسألة الثالثة

- ٦٢ ما توضيح الكلام على ما يعرف عند اهل التاريخ بالملوك الرعاة الذين ملكوا مصر في سالف الايام وما نموذج غاية ما ذكر في ضمن التواريخ القديمة بشأن فراعنة مصر عند مؤرخي الاسلام وما حقيقة ذلك بالنسبة لما يتحقق من تاريخ الفراعنة في هذه الايام



الباب الثالث

في تاريخ اليهود والعبرانيين وذ كر الشام وأرض كنعان وفلسطين

اعى تاريخ بنى اسرائيل وبيان كيفية تكوّنهم وذ كر أوليائهم وأنبيائهم وقدمائهم
وحكامهم وملوكهم ودولتهم في سالف الالام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام غاية سلطنة
دولة الفرس على ملكتهم

واصل ما آخذ هذا الباب الاصلية

اولا من أسفار التوراة الاول المسمى بمجموعها باسم البنتا كوك

ثانيا من تاريخ القائد يوسف اريوس فس مؤرخ اليهود المسمى بالانار اليهودية القديمة

ثالثا من مؤلفات المؤرخين الاورباوين المتأخرين وسياحات علماء الافرنج المعاصرين

افكار تقديميه وفوائد عموميه

قال المؤرخ الفرانساوى المدعو باسم جيلمان في كتابه المسمى باسم تاريخ المشرق القديم
السالف الذكر والبيان فيما سلفناه في ضمن مقدمتنا اعلاه ما تعريبيه ادناه
اعلم انه كان يوجد في سالف الالعصار أمة صغيرة اذا نظرنا لمجرد ما حصل منها من الحوادث
السياسية يظهر لنا نظرها تاريخها انما كانت دون من جاورها من الامم بمسافة كبيرة غير
انها قد كان لها على أحوال انوع البشرى تأثير شديد وهى أمة اليهود وذلك ان لها الافتخار
بكونها قد كانت هى مستودع اقدم الانار الماثورة في العالم من قديم الالعصار وانها الحارسة
لاقدم المواعيد التى وعد بها الله سبحانه وتعالى لنوع الانسان في سالف الزمان ولقد
حفظتها وثبتت عليها في جميع الاطوار سواء كان في ابعج اعصارها وفى اصعب صروف الدهر
التي مرت عليها من أخبارها (انتهى معربا من كتاب تاريخ المشرق القديم للمؤرخ
جيلمان)

وتاريخ اليهود هو المسمى في اصطلاح اهل التاريخ الاورباوين بالتاريخ المقدس ويعبر
عنه في اصطلاح المؤرخين المسلمين بالتاريخ الاثرى نسبة الى الاثر بمعنى المأثور عن الكتب
المتزلة في مقابلة التاريخ البشرى بمعنى المأخوذ عن اهل التاريخ من البشر وتاريخ اليهود
عبارة عن اخبار الاولياء المتقدمين وقصص الانبياء السالفين من الامة العبرانية وذكر

ما عتراه من التقلبات الزمنية . من عهد الخليفة الانسانية الى عهد ظهور المسيح عليه السلام وينقسم عند الامم النصرانيين الى قسمين عظيمين احدهما العهد القديم وهو عبارة عن التوراة والثاني العهد الجديد وهو عبارة عن نسخ الاناجيل والرسائل التي كتبها الخواريون اى تلاميذ عيسى عليه السلام

وحيث اسلفنا الكلام في الباب الاول على تاريخ الاعصار الاولى من عهد خلق الانسان الى ما بعد الطوفان وابتدأنا في الباب الثاني من تواريخ الامم الاقدمين بتاريخ المصريين لغاية زوال دولة الفراعنة باستيلاء دولة الفرس عليهم في سالف الازمنة وبسطنا القول في ذلك بقدر الامكان على الوجه الاتم لكونه هو التاريخ الاهم بالنسبة اليها معاشر القوم البلديين ساغ لنا الان بحسب الترتيب الطبيعي ان نتقل من تاريخ وادي النيل الكريم الى تاريخ بعض اهل الجيرة من الامم الشهيرين في الزمن القديم وهم العبرانيون لكونهم كانوا هم اقرب الامم المجاورين لنا وأكرمهم علينا ولاهية معرفة تاريخهم بالنسبة لسائر الامم المتوغلين في القدم لداعي انهم كانوا هم اهل الشرائع الدينية واصل سائر الفنون والحرف والصنائع المدنية وعليهم نزلت الكتب القدسية والرسالات الالهية ومنهم كان الاولياء الكرام السالفون والانبياء العظام المتقدمون ولداعي ارتباط تاريخهم بتاريخ الفراعنة في سالف الازمنة فلذلك لزمنا ان تقدم بعد تاريخ المصريين تاريخ القوم العبرانيين على سائر الامم الاقدمين ونصعد بالتالي في ميدان الازمان السالفة من بعد الطوفان لتتبع احوال القوم اليهود وكيفية تكون ملتهم ودولتهم وما استولوا عليه في اقطار الدنيا القديمة من الاوطان في سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام لغاية عهد تطرق الفساد اليهم وسلطنة دولة الفرس عليهم أعنى من بعد الطوفان لغاية سنة ٥٠٠ وكسور من الاعوام قبل المسيح عليه السلام

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر اعلاه مامعناه وقد افرد غيرنا تاريخ العبرانيين بالتأليف واطال فيه من البيان والتعريف واتى فيه بسائر التفصيلات حسبما ورد في التوراة غير اننا نحن حيث كان الغرض لنا هنا انما هو التاريخ العام اعنى الكلام على مجموع الحوادث الكبيرة والاحوال الشهيرة التي حصلت من سائر الامم الكبار في سائر الاعصار بسائر الاقطار على وجه عام وهو القصد الذي يجب علينا فيه الانحصار لزمنا هنا الاقتصار على أن نورد بغاية الاجاز والاختصار زبدة ما ورد من القصص والاخبار فيما يتعلق بتاريخ القوم العبرانيين قبل أن يصيروا لهيئة أمة مستقلة ويتكاثروا في صورة ملة ولا تعرض من تواريخهم الاهلية وقصصهم المالية الا ليراد مختصر وجيز جدا من تواريخهم السياسية يعنى احوالهم الدنيوية وكيفية سيرهم من حيث سياسة الامم والدول لا لقصصهم

الدينية واخبارهم النبوية اللهم الالمست اليه الحاجة من ذلك وكان له اشد الارتباط بتلك المسالك وقوله غيرنا يشير به الى ما نشره المؤرخ ويكتور دوروي في ضمن جملة كتب التواريخ التي ألفها هو واصحابه في هذا العصر الحاضر من كتابه المسمى باسم التاريخ المقدس حسمها ورد في التوراة واجود الكتب المؤلفة في هذا الموضوع عند الاور وباوين المتأخرين واهل التاريخ المعاصرين هو ما كتبه المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان غير مرة في كتابنا هذا وهو الجزء المختصر من تاريخه القديم الكبير المسمى باسم تاريخ القوم اليهود غير ان هذا المختصر وان كان يقتضي أن يكون لنا عليه المعول هو كتاب كذلك مطول بالنسبة لما يلزم لنا هنا من الاختصار والانحصار في دائرة التاريخ العام بسائر الاعصار ولذلك استصوبنا أن تأتي لكم هنا أيها الاخوان في هذا الباب الثالث من تاريخ العبرانيين بتعريب ما كتبه في ضمن كتابه المسمى بتاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان بدلا عما التزمناه في الباب السالف من النقل عن المؤرخ فرانسيس لونورمان وقبل الشروع في ذلك التزمنا أن نقدم لكم بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بقسم آسية على العموم وبلاد آسية الغربية بالخصوص مع بعض كلام على ما كان يدعى في سالف الزمان بأرض كنعان وفلسطين والشام وبيان ما المراد بهذه الالفاظ الآن وفي سالف الزمان لقصد تعريف المكار قبل السكان وذلك في مقدمة وعدة فصول وهكذا نصنع في اقتصاص تاريخ العبرانيين كما صنعنا في تاريخ المصريين فنقول

مقدمة

في بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بآسية العمومية وبلاد آسية الغربية

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ آسية وبيان اقسامها الاصلية

اعلموا أيها الاخوان ان لفظة آسية أو آسية هكذا (بمذاهمة في أوله وبالالف المقصورة أو بالهاء في آخره) هي لفظة انجيمية وافقت في صورة ما اذا كان آخرها منتهيا بالهاء صيغة اسم الفاعل المؤنث في اللغة العربية ومعناها كما انها علم يطلق في جملة مدلولاتها اللغوية في كتب العرب المتقدمين على آسية بنت مزاحم التي هي كما يقال عند علماء المسلمين زوجة فرعون كما في القاموس هي ايضا في اصطلاح الجغرافيين الاور وباوين اسم لاحد اقسام الدنيا الخمس الكبيرة وهي أعظمها واقدمها عندنا وعمرانا وجميعها اذ كانت آسية بهذا المعنى الاخير كما اسلفنا ذكره هي أول مهد للنوع البشري وأول مهبط للوحى

الالهى وأول ميدان للتاريخ المقدس أو الاثرى وموقعها على شرقى قسمى أوروبا وأفريقية
ولذلك يعبر عنها ببلاد الشرق أو البلاد الشرقية وهذا القسم ينقسم بحسب أوضاعه
الطبيعية الى تسعة أقطار أصلية وهى ما يأتى بيانه بعد بطريقة اجمالية

ففى جهة الشمال منه روسية آسيا أو بلاد سيبيريا
وفى غربيه تركيا آسيا أو بلاد الدولة العثمانية بآسية وهى بلاد الشام والعراق
والموصل وما والاها من بلاد الارمن والروم المملوكية لدولة بلى عثمان فى هذا الزمان
ثم بلاد العرب وبلاد تركيا آسية المذكورة مع بلاد العرب ائنى الحجاز واليمن وحضرموت
وباقى الجزيرة العربية هو ما يعبر عنه ببلاد آسية الغربية
وفى جهة الجنوب منه بلاد فارس المعبر عنها عند العرب ببلاد الجهم (وهى إيران وقابل وهره
وبلجستان) ثم بلاد الهند فيما وراء نهر الكنج وامامه
وفى جهة الشرق منه السلطنة الصيفية وبلاد يابونية

وفى وسطه بلاد تركستان وترستان وقد يعبر عنها ببلاد آسية الوسطى أو الوسطانية
فهذه هى اقسام بلاد آسية العمومية ولا ياتنها الاصلية حسبما ذكره علماء الجغرافية
ثم ان المراد من لفظة آسية عند الاطلاق هو جميع هذه البلاد فى مقابلة بلاد أوروبا وأفريقية
وهى ما يعبر عنه بالقارة القديمة فى مقابلة قسم امريقة وهى القارة الجديدة وخامس الاقسام
هو بلاد الاوقيانوسية اى جزائر البحر المحيط الاعظم وهذه هى اقسام الخمس الاصلية
التي اليها جميع بلاد العالم انقسم كما هو فى موضعه من كتب العلماء الجغرافيين المتأخرين
يفهم ويعلم فان تقيدت آسية بالصغرى كان المراد منها هو والبحيث جزيرة الكائنة فى اقصى
جهة الغرب من قارة آسية المذكورة فيما بين ارمينية والشام من جهة الشرق والبحر الاسود
من جهة الشمال وبحر جزائر الروم المسمى ببحر الارخبيل من جهة الغرب والبحر المتوسط
الابيض من جهة الجنوب وهى البلاد المعبر عنها الآن بايالة الاناضول وما جاورها من بلاد
الترك العثمانية ببلاد آسية الغربية تميزها عن باقى الارض القارة المذكورة حيث
يعبر عنها بآسية الكبرى وحينئذ فلفظ آسية الصغرى هو عبارة عن مجموع ما يعرف
الآن فى لسان دولة بنى عثمان بايالة الاناضول وسيوة او الروم وترايزان وبلاد القرم
وسفحة وادنة ومرعش وهى ست باشويات كما هو فى موضعه معلوم

وبلاد آسية الغربية هى اقرب بلاد قسم آسية الى الديار المصرية وهى مصابقة لها
اعنى متصلة بديار مصر من جهة الشرق الحد فى الحد بواسطة برزخ السويس الذى
حصل فيه فى هذا العصر عملية الحفر للتخليج المالح بقصد التوصيل بين البحر براءى ببحر الرو
أو بحر سفيد أو البحر المتوسط الابيض وبحر القلزم أو البحر الاحمر وآخر تخوم الديار المصرية

الدرس الثام ١٧٣ في التاريخ العام

من تلك الجهة الشرقية هو قلعة العريش ويليها من بلاد الشام بلاد القدس او فلسطين المسماة في سالف الزمان بأرض كنعان وأولها غزة وعسقلان الى آخر ما سنوضحه في المطلب الآتي بعد من التفصيل والبيان

مطلب — الكلام على جغرافية الشام وأرض كنعان وفلسطين وتعريف ما المراد بهذه الألفاظ عند الأمم المتقدمين والمتأخرين

أما لفظة الشام (بالهمز أو بالتخفيف) فهي كلمة حصل في أصل اشتقاقها وسبب التسمية بها اختلاف كبير قال في القاموس مانصه **والشام** بلاد عن مشاة القبلة وهي لذلك أولان قوما من بني كنعان تشاءوا إليها أي تيامروا أو سمي بسام بن نوح فانه بالشين بالسريانية أولان أرضها شامات بيض وجر و سود وعلى هذا لا تهمر وقد تذكره الى آخر ما ذكر فيه وتسطر وقوله سمي بسام بن نوح عليه السلام قد انكر ذلك كثير من محقق أئمة أهل التاريخ من علماء الاسلام كما في تاج العروس شرح القاموس وبناء عليه فلفظة شام (بالسين المعجمة) هي عين سام (بالمهمل) ونص عبارة أبي الفدا في هذا المقام حيث توضح عبارة القاموس المنقولة أعلاه **وأنما سمي** شام لان قوما من بني كنعان تشاءوا إليه أي تياسروا لانه عن يسار الكعبة وقيل سمي شام بسام بن نوح واسمه بالسريانية والعبرانية شام وقيل سمي شام ليقع فيه بيض وجر و سود تشبها لها بالشامات وهي تجمع ايضا على شام كما تجمع الهامة على هام (انتهى)

وعلى كل حال فان الشام ويسمى ايضا باسم سورية أو سورستان هو اسم عام يطلق عند المتأخرين على ما يعم بلاد الشام القديمة الأصلية المسماة أيضا في التوراة ببلاد حث أو بلاد آرام وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر الفرات من جهة الشرق والبحر المتوسط الأبيض من جهة الغرب وبلاد آسية الصغرى من جهة الشمال وبلاد العرب من جهة الجنوب بما فيها بلاد يهودا وفلسطين وبلاد الفنيقية أو بلاد الصوريين وقد يعبر عن هذين القطرين الأخيرين بسواحل الشام ومنظر هذه البلاد على وجه عام كما هو تعريب عبارة المعلم فورتنبير الجغرافي الفرانساوي في كتاب جغرافيته الكبرى يشتمل على مناظر متباينة تبين أظاهرا حيث ترى في جهة الشرق منه سهولا جديدة ووادى ليست بخصبة وفي جهة الغرب سلسلة الجبال المبهجة المعروفة بجبال لبنان وسلسلة الجبال الموازية لها المسماة باسم (انتيليباز) معني التي هي امام جبال لبنان وتعرف بالجبال الشرقية في مقابلة جبال لبنان الغربية الأصلية وكما انما تتقطة بأودية جميلة وفي وسط تلك البلاد الى جهة الجنوب منها ترى أراضى خصبة كأرض دمشق و حوران وفلسطين بجوار أراضى أخرى من أجذب ما يكون وفي جهة الجنوب من بلاد الشام توجد أرض يهودا وفلسطين وفي جهة

الدور من الشام ١٧٤ في التاريخ العام

الغرب منها بلاد فيتيقية أو بلاد الصوريين قال المعلم قورتنير الجغرافي المنقول عنه أصلا مامعناه وعلى سواحل الشام يرى المتوجه من الشمال إلى الجنوب مدينة اسكندرون على البوغاز المسمى باسمها قريبا من المكان الذي كان فيه المدينة القديمة المسماة باسم ايسوس ثم اللاذقية وهي مدينة لا وورسية القديمة ثم طرابلس وهي مدينة ظريفة وحاضرة لطيفة يقال لها طرابلس الشام أو طرابلس الشرق تميزها عن طرابلس الغرب الكائنة بقسم افريقية ثم بيروت وقد كانت تسمى في سالف الزمان باسم بيريت وهي من ثغور بلاد الشام الاكثر تردد اللا وروباوين عليها ثم صيدا وهي صيدون القديمة وقد كانت من أبهج مدن بلاد الفنيقيين في سالف الزمان ثم صور وهي الآن مدينة صغيرة وان كانت في الاعصار القديمة مدينة شهيرة ثم عكا المسماة قديما باسم البطليموسية وفيها قلعة شهيرة بما حصل عليها على عدة مرار من شديد الحصار ثم يافا (وهي المسماة عند السلف باسم يوپة) ثم غزة المسماة ايضا باسم رزة (بالراء المهملة بدل الغين المعجمة)

وفي داخل بلاد الشام مدينة حلب وقد كانت أعظم مدن الممالك العثمانية بأسية ثم صغرت بكثرة ما عتراه من الزلازل الأرضية ومدينة نصيبين أو نزيب التي انتصرت فيها الجيوش المصرية تحت قيادة المرحوم ابراهيم باشا على العساكر السلطانية في سنة ١٨٣٩ الميلادية في جولة وقائع حرب الشام العصرية

وعلى طول نهر الاورونط المعروف بنهر العاصي اربع مدن وهي انطاكية وقد كانت في الاعصار السالفة من أعظم حواضر بلاد آسية ثم اقامية ثم حماة المسماة قديما باسم حث ثم حص وفي وسط بلاد الشام تو جد مدينة دمشق المعتبرة كرمى ولاية سورية وهي مدينة كبيرة اهلها ارباب صنائع وحرف كثيرة كائنة في واد نزيه يقال له غوطة دمشق أو روضة دمشق الشام ويعتد المشاركة من الجنان الأرضية ببلاد آسية بسقيها نهر بردى قال في القاموس «ويردى بحمى نهر دمشق الأعظم» (اه) وضبطه (بثلاث فتحات على الباء الموحدة والراء والال المهملتين) وهو يتوزع الى جلة خلجان عديدة ثم ينصب في بحيرة عتيبة المعروفة ببحيرة المرج وعلى الجانب الشرقي من سلسلة جبال لبنان مدينة زحلة وقد كانت مدينة عظيمة ثم اخرجها الدروز في سنة ١٨٦٠ الميلادية وعلى الجانب الغربي من تلك الجبال ايضا مدينة دير القمر التي قتل الدروز سكانها من النصاري في السنة المذكورة ثم مدينة قانونيين وهي مقر اسقف الطائفة المعروفة بالمنارونية وعلى القرب منها توجد غابة من نوع الشجر المعروف بارز لبنان وفيها عدة اشجار من عهد سليمان عليه السلام

وعلى الجنوب الغربي من دمشق الشام آثار مدينة جيرا ش المسماة عند الامم المتقدمين باسم جيرة وفي جهة الشمال آثار مدينة بعلبك المسماة في سالف الزمان باسم هليوبوليس

أو بعل هأمون وهي في الوادي الجميل الكائن بين سلسلتى جبال لبنان المسمى باسم البقاع وفي الشمال الشرقي آثار مدينة تدمر المسماة قديماً باسم بلير وفي الجنوب الشرقي بلاد حوران وأكثر أهلها من الدروز وفيه أثار عمارات قديمة كثيرة

واعظم المدن الكائنة في جنوب بلاد الشام مدينة أورشليم أو بيت المقدس المسماة عند المشرقين بالقدس الشريف أو مدينة سليمان ويجرى من تحتها مسيل صغير يقال له قدرون ينصب على الشرق منها يسير في البحيرة الميتة أو المنتنة (أي بحيرة لوط) وهي مدينة غير جميلة المنظر محاطة من جميع جهاتها بجبال كثيرة الصخر عارية عن الشجر لكنها شهر مدينة في الدنيا بتمامها من حيث الخبز وما يتعلق بها من سالف الذكر والاثر يحج إليها كثير من الأمم النصرانية ليزوروا فيها كنيسة القبر المقدس (أي قبر المسيح عليه السلام) المعروفة بالقمامة الكائنة على جبل الصليب في المكان الذي يقال ان عيسى صلب عليه ودفن في مغارة فيه وللمسلمين في هذه المدينة أيضاً عمارات المحترمة عندهم وهي مسجد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث أسسه على المكان الذي كان فيه محراب سليمان عليه السلام في سالف الأزمان وعلى جنوب أورشليم قرية بيت لحم حيث ولد يسوع المسيح وأسست على مكان ولادته سنت هيلينة أم قيصر قسطنطين كنيسة عظيمة ثم مدينة الحليل وهي المسماة في سالف القرون باسم حبرون وعلى الشمال منها مدينة نابلس المسماة قديماً باسم مديشام ثم سميت بعد ذلك باسم نياپوليس ثم تعربت باسم نائلس وقرية الناصرة المسماة قديماً باسم نازاريت المشهورة بسكنى المسيح واما فيها وبها سميت النصارى (انتهت عبارة قورتنبير باختصار)

وقد فهم منها أن لفظ الشام عبارة عن جميع هذه البلاد المسروقة أعلاه وقد يعبر عن مجموع ذلك ببر الشام وحدوده هي كما أسلفناه وقد كان بر الشام عند الأمم المتقدمين ينقسم الى قسمين سورية وفلسطين ثم أطلق اسم سورية على الاثنين معاً منذ أضافتهم إلى سلطنة القياصرة الرومانيين قبل التاريخ المسيحي ببعض سنين وأطلق عليهما اسم الشام منذ افتتاحهما بالعرب المسلمين في اثناء سنة ٦٣٢ من تاريخ المسيح عليه السلام ومن ثم يفهم أن ارض كنعان أو بلاد الكنعانيين هي ما يسمى الآن ببلاد القدس الشريف وهو أقرب الأقسام لبر مصر من بر الشام وقد سميت على تعاقب الأيام بالارض المقدسة أو الارض الموعودة أي الموعود بأعطائها من الله سبحانه وتعالى إلى بني اسرائيل ليتوطنوا فيها ثم بأرض يهودا أو فلسطين وحدودها من جهة الشمال بلاد الشام بالمعنى الخاص ومن جهة الشرق والجنوب بلاد العرب والجزء المجاور لها من بلاد العرب هو ما يعرف بتيه بني اسرائيل (من تاه بمعنى ضل في الارض) يعني الجبال التي أقاموا فيها بعد خروجهم

من ديار مصر كما سيأتي لذلك بعد اتم ذكر ومن جهة الغرب بحر سفيد او بحر الروم وفي الجزء الشمالي منها جبال لبنان المذكورة في شعر احمد بن الحسين المتنبي بقوله
وجبال لبنان وكيف يقطعها * وهي الشتاء وصيفه من شتاء

وهي عبارة عن سلسلتين عظيمتين احدهما جبال لبنان الاصلية والثانية الجبال الموازية لها وهي المسماة عند الافرنج باسم انطيليبان بمعنى التي امام جبال لبنان وتعرف بالشرقية وأعلى رؤسها يعرف على لسان اهل البلاد بجبل الشيخ ومن جبال لبنان المذكورة تتفرع الى جهة الشرق جبال هرمون وجلعاد والى جهة الغرب جبال جلبوة وجبل غرزيم المشهور في تاريخ العبرانيين ببناء هيكل للسامريين في مقابلة هيكل اورشليم وهو جبل نابلس وفي الوادي المتكون من الجبال المذكورة يوجد كل من بحيرة طبرية وأوداسطين الى يخرقها من الشمال الى الجنوب نهر الاردن (بتشديد الذون في آخره) ثم بحيرة لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة المشهورة بقصة قوم لوط وينصب فيها من جهة الغرب مسيل قدرون السالف الذكر ومن جهة الشمال نهر الاردن ولا يوجد ببلاد فلسطين من الانهار غير نهر الاردن المذكور وهو الذي يقال له ايضا نهر الشريعة ومنبعه من جبل الشيخ السالف الذكر حسبما هو مشهور

وقد كانت ارض فلسطين في ايام يوشع عليه السلام تنقسم الى اثني عشر قسما من الاقسام يعرف كل قسم منها باسم واحد من ذرية يعقوب أو اسرائيل ويعبر عنه بالسبط بمعنى القبيلة أو القبيل منها على الشاطئ الايمن من الاردن سبط أشارون فتالي وزابولون ومدنها الاصلية بيتاياه وايزاشار ثم نصف سبط منشة العربي وسبط افرايم ومدينه الاصلية سيدشام وسبط دان وشمعون ويهودا ويهوذا (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة في آخره) ومدنتها الاصلية بيتيم وسبط بنيامين ومدنه الاصلية اورشليم وياربكو وعلى الشاطئ الايسر نصف سبط منشة الشرقي وسبط كاذاو كاد (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة كذلك) وسبط روبان أو روبيل

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ العبرانيين واليهود أو بني اسرائيل أو الاسرائيليين — أما اسرائيل فهو في الاصل اسم يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا وهم روبان أو روبيل ثم شمعون ثم لاواي ثم يهوذا ثم يساخر ثم زابولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالي ثم كاذ ثم اشارو أما منشة (بالشين المعجمة أو بالسين المهملة) وافرايم فهما ابنا يوسف عليه السلام وهؤلاء الاثنا عشر ابنا الذين هم ابناء يعقوب منهم كانت اسباط بني اسرائيل بمعنى قبائلهم وجميع بني اسرائيل هم اولادهم وذرايرهم وهذا هو السبب في تسميتهم ببني اسرائيل أو الاسرائيليين ويعبر

عنهم ايضا بالعبرانيين (نسبة الى عابر بن شالخ بن قينان بن ارخشد بن سام بن نوح عليه السلام) واما تسميتهم باليهود فقد قال أبو الفدا (في الفصل الخامس في ذكر الامم من تاريخه) عند الكلام على أمة اليهود مانصه : وامة اليهود اعم من بني اسرائيل لان كثيرا من اجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بني اسرائيل وانما بنوا اسرائيل هم الاصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها فلذلك يقال لكل اسرائيلي يهودي ولا يقال لكل يهودي اسرائيلي ، (هـ) ثم قال بعد ذلك مانصه : واما اسم اليهود فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل هاد الرجل أي رجع وتاب وانما لزمهم هذا القول لقول موسى عليه السلام انا هداة اليك أي رجعنا وتضرعنا قال البيروني في الآثار الباقية ليس ذلك بشيء وانما سمي هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا أحدا لامباط كان الملك استقر في ذريته وابدلت الدال المعجمة بالهمزة كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب وكتابهم التوراة الى آخر ما ذكر (هـ) ما أردنا نقله هنا من تاريخ أبي الفدا) ومنه يعلم السبب الصحيح في تسميتهم باليهود بناء على هذا القول الاخير وهو القول المعتمد الرجح واذا كان قد تقرر ما توضح اعلاه من هذه الفوائد التعريفية والمعلومات الجغرافية في أذهانكم أيها الاخوان ساغ لنا الآن ان نشرع في المقصود اعني نتبّع تاريخ العبرانيين أو اليهود فنقول على الوجه الذي اسلفناه

الفصل الاول

في اصل أذية الامة العبرانية وكيفية تكون الملة اليهودية والاسرائيلية
مطلب — ذكر اصل منشأ الاسرائيليين وقصص بعض اوليائهم وأندائهم السالفين
— قال للتورخ جيلمان المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعريبه ادناه قال الاسقف بوسوه في تاريخه العام ما معناه : وكان الناس في الاعصار الخالية والازمان الماضية بتعاقب الدهور والتباعد عن اصل الامور قد فسدت اخلاقهم واختلت افكارهم فانحرفوا عن الطريق المستقيم الذي كان قد استنه لهم اسلافهم من الزمن القديم وغلب على الافهام البشرية حجاب الطبيعة البهيمية فلم تقدر على الترقى لادراك الامور العقلية واجمع الناس في سائر الاقطار بتلك الاحقاب الزمنية على ان لا يعبدوا غير الاشياء التي هي لهم مرئية وانتشرت عبادة الاصنام والوثان في جميع اقطار الارض المعمورة بذلك الزمان فاراد الله العظيم سبحانه وتعالى ان يمنع هذا الضرر بالجسم ويقطع مادة هذا الحال السقيم ولذلك اصطفى عبده ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعده لانه يكون اصل عائلة كريمة تبقى فيها عبادته الصحيحة الاصلية وجعله منشأ ذرية صالحة مستقيمة تحفظ بها عقيدته الاولى سواء كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ اولية الخليقة الدنيوية او فيما

يتعلق بالحكمة الالهية التي تعلق ارادته الازلية بأن يدبر بها سائر الاشياء البشرية «
(٥١)

مطلب — ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام وما جرى على ايديهما من
الحوادث التاريخية في سالف الايام — قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه
وقد كان ابراهيم الذي هو صفوة المولى الاعلى جل جلاله هو ابراهيم بن تارح (وهو المدعو ايضا
باسم آزر) وكان اصل مولده وموطنه وأول منشاءه ومسكنه بمدينة أور (نضم الهمزة في اوله
يليه واو فراءه هـ ملة في آخره قال المعلم بولييت الفرانساوى في كتابه المشهور بما معناه
معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان هي مولد ابراهيم وأبيه تارح ولعلوا المعروفة باسم اورفة
الآن) (٥١) وهي بلاد كادة (أو العراق) وكان ابراهيم من نبي سام بن نوح عليه السلام
اعنى من تلك الذرية الصالحة الكريمة والعائلة البشرية العظيمة التي كان هذا الاب الثاني
للموع الانسانى قد دعا لها بالبركة من المولى الازلى الواحدانى وكان الله سبحانه وتعالى
قد أوحى اليه بقوله له ووقم يا ابراهيم واخرج من بلدك واشجر اقرارك ودار والدك واذهب
الى البلد الذى ادلك عليه واتوجه بك اليه وانى لمخرج منك أمة كبيرة وجاعل لاسمك
ذكرى شهيرة وسابعث واحدا من بنيك رحمة لجميع العالمين وبركة على سائر الامم الاكبرين
قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه فقام ابراهيم مسترشدا بقوة عقيدته
فى الله ومصدقا لما أمر به مولاه وهجر الارض التي ولد عليها وتوجه الى البلد التي هداها الله
سبحانه وتعالى اليها الى أن قال عقب ذلك المؤرخ المذكور ما هو بعد مسطور وبعد ان ساح
ابراهيم زمنا طويلا فى البوادي والقفار يقود ما كان له من الخدم ورعاة المواشى العديدة
وكانت اعظم اموال الاولياء السالفين فى تلك الاعصار دخل بارشاد الله سبحانه ارض كنعان
وكان معه لوط ابن اخيه وكان من أمره وما جرى له من حوادث دهره انه اضطر لحادثه
فقط حصلت فى تلك البلاد لان سافر مرة الى وادى مصر الخصب لقصد أن يجلب منه قححا
لاهل وذويه وسافر مرة أخرى الى بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة والموصل) قد دفع بخدمة
صولة جنود ملك تلك البلاد عن لوط ابن اخيه وكانوا قد امروه وكان ابراهيم عليه السلام
قد شهد واقعة تخريب قرى قوم لوط وهى سدوم وعمورة وصبغة وادما وصبويم وبالعين
المهمة) عقابا لهم على ما كانوا قد ارتكبوه من الذنوب والآثام وسدوم وقراها الخمس
المذكورة هى التي يرى فى مكانها الآن بحر لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة قال المؤرخ المذكور
اعلاه مامعناه وبعد ان عمر ابراهيم عمراطو يلاقضاه فى تثبيت قومه وبنيه وعاش
عشا جيلافناه فى تكبير جميع اهل وذويه على الاعتقاد فى الله الواحد الاحد توفاه
مولاه فترك ميراثه لامحق احد ولديه اللذين كان قد توفى عنهما فاقتفى اسحق اثر ابيه

في كل ما كان يتخذ ويأتيه من التعيش بصناعة رعاية المواشي والتنقل والارتحال بها الى حيث تجد مرعاها مع المواظبة على هداية الناس للايمان بالله الخالق لجميع الاكوان

مطلب — ذكر يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني اسرائيل بمصر في سالف العصر — قال المؤرخ المذكور اخلاصا مامعناه — وجله من بعد اسحاق يعقوب وهو المدعو ايضا باسرائيل (ومعناه بالسريانية مقاتل الله سبحانه وتعالى لقبه به ملك نزل عليه في صورة بشر فقاتله الى البحر كما في التوراة) وكان من أمره انه اقتدى بأبيه وجده وكان له اثنا عشر ابنا من ولده صاروا اصول القبائل الاثنتي عشرة المعبر عنهم بالاسباط التي بقي بنو اسرائيل اليها منقسمين بدون اختلاط من بعده وكان يوسف من اصغر بنيده فحسده اخوته وحقدوا عليه حيث لحقهم الغيرة منه لانه اعى كونه أبية كان يؤثره عليهم بالمحبة الابوية فاخذوه وباعوه على انه رقيق لتجار كانوا مسافرين الى الديار المصرية ولكن كانت عناية المولى جل جلاله قد لحقته فاحاطت به السعادة في سائر احواله فالتحق بخدمة أحد كبار باب الدولة الفرعونية بتلك الاعصار (وهو المدعو باسم بوتيفار) فظهر في جميع افعاله حكمة عجيبة وفضيلة غريبة جذبت اليه التفات فرعون مصر في ذلك العصر حتى رقاها الى مرتبة اول وزير له واثمنه على خزائنه واتفق انه قد اعترى اخوته به لاد الشام سنة قحط فجاؤا الى مصر ليشتروا لهم قحاف كشف حاله عليهم بعد عدة اختبارات القاهها اليهم واحضر أباه عنده بديار مصر وكان ابوه لم يزل يبكيه حيث كان يظن انهم قد قتلوه فمات منذ حين من الدهر ثم احضر جميع عائلته من أرض كنعان بالديار الشامية واقطعهم وادي غسان (وهو المعروف الآن بالوادي وهو الكائن على حدود مديرية الشرقية) قال مؤلف الاصل اعني في تلك القطعة التي كانت مدينة تانيس (وهي المعروفة الآن بسمنة أوسان) هي قصبتها وبندرولايتها من الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية فتوطنوا بها واقاموا فيها قال مؤلف الاصل المنقول عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وقد مكث العبرانيون أو بنو اسرائيل في ذلك الوادي الخصيب من وادي النيل مدة ٤٣٠ سنة من الدهر يعيشون بصفة القوم الاغراب بين اظهراهل مصر القبطيين محافظين على بساطة اخلاقهم وعوائدهم وملازمين انفاقة دياتهم وعقائدهم وفي أسرع مدة من الزمن ازداد عددهم واشتد عضدهم ومددهم الى درجة بليغة جدا حتى صاروا أمة ذات عصبية كبيرة وملة قوية كثيرة يبلغ عدد الرجال الذين يمكنهم حمل السلاح والقتال منهم الى ستمائة الف رجل (٦٠٠٠٠) ولذلك خشيت من صواتهم الفراغنة على دولتهم على انهم كانوا سائر مدة اقامتهم بين اظهراهم لم يزالوا يحقدون عليهم وينفرون منهم ويضمرون لهم العداوة والبغضاء لدا عي شدة تباین ما بين اخلاق القومين وعقائدهم وتباعد ما بين ديانات الطرفين وعقائدهم حيث كان المصريون قوما حضريين

الدرس الثام ١٨٠ في التاريخ العام

يعبدون أو ثمانية دين والامراتيليون اناسا بدوين ورعاة مواشر حالين نزالين وهم لاله واحد يعبدون فلم يلبث ان داخل قلوب المصريين للقوم الامراتيليين أقصى العداوة والشقاق واسروا لهم اقصى الغيرة والنفاق لداعي ما توضح من اختلاف العقائد والخلق

مطلب — ذكر موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من ديار مصر في سالف العصر — قال المؤرخ السالف الذكر وتذكر ان صعد على كرسى مملكة ديار مصر في ذلك العصر كما هو عين نص التوراة «ملك لم يكن يعرف يوسف» عليه السلام قال بعض العلماء الاعلام في تفسير هذه العبارة وليس قولهم هذا مبني على غير أساس ان هذا الملك قد كان أحدملوك المصريين والعراة الاصاين الذين انقذوا ديار مصر من ايدى القوم البغاة المعروفين بالملوك الرعاة او الهيكسوسيين وذلك ان هؤلاء الملوك البلديين بعد ان اخرجوا هؤلاء القوم الطغاة من ديارهم كان كل مطمع انظارهم وجل مطمع افكارهم متوجها لضرورة إعادة ما كان لدار مصر في سالف العصر من اتحاد مادة السياسة والدين في جميع دولتهم فلم يمكنهم الا أن ينظروا بعين العداوة والبغضاء للاسرائيليين وازداد شوكتهم حيث كانوا الداعي كيفية معيشتهم الخاوية ووحداية عقائدهم الديقية بمعزل عن سائر المصريين وعلى كل حال هؤلاء العلماء وغيرهم من اختلاف المذاهب والاقوال في هذا المجال فن الحوادث التاريخية المحققة والوقائع الزمنية المصدقة ان الفراعنة المصريين حملوا القوم العبرانيين بدار مصر في ذلك العصر مالا يطاق من الظلم والجور والاصر واستخدموهم في بناء مدينتي رمسيس وبيتون واقامة سائر هذه العمارات الكثيرة والاعمال الكبيرة التي كانت ديار مصر قد امتلأت بها في عهده هؤلاء الملوك البلديين كما سبق لذلك في مواضعه من هذا الكتاب أوضح الذكر ولم يكتف فرعون مصر الحاكم في ذلك العصر بان حمل القوم العبرانيين جميع هذه الاثقال القاسية والاشغال الشاقة القاسية حتى كان من بغيه وطمغيانه ان امر بقتل كل من ولد لبني اسرائيل من الاطفال الذكور فاخفت امرأة من سبط ليوى ولدها مدة ثلاثة شهور ثم القته راقد في مهد اتخذته من أعواد شجر الخنا او الخيزران فوق المسكان الذي كانت بنت فرعون قد جرت عاداتها أن تتردد عليه للاستحمام فيه من نهر النيل وجاءت بنت فرعون الى ذلك المسكان حسب عادتها للغسل فسمعت صوت الطفل فرأفته به وحنّت اليه والنقطة من الجحرو متم باسم موسى ومعناه المنجي من الماء سمي بهذا الاسم لهذا الداعي ثم تبنته وأخذته الى قصر أبيها فنشأ وترى في قصر الفراعنة وتعلم جميع العلوم التي كان يعرفها افسس المصريين في تلك الازمنة ومع ذلك فلم ينس اصله ولم يرل يذكر محنته وفصله فاتفق له ذات يوم ان رأى قبطيا يضرب اسرائيليا فوق القبطى فقتله واضطر لأن فر من ديار مصر لداعي قتله خوفا من دولة فرعون على نفسه

والاقتصاص منه بنظير فعله وسافر الى أرض مدين ببلاد العرب فكث أربعين سنة عند شيخ من كبار أهل البلاد المذكورة يدعى باسم يثروا وحترو (بالياء المثناة التحتية أو بالجم الفارسية في أوله يليها تاء مثناة فوقية فراء مهملة فواو في آخره ويعرف في كتب المسلمين باسم شعيب عليه السلام) وأقام يرعى مواشيه حيث انكحه إحدى ابنتيه المسماة باسم صفوره وفي تلك البلاد قد كان ظهر له ذات يوم على البعد في الصحراء شعلة تار من شجر العوسج وهو ضرب من الشوك ينبت بالبادية كما في كتب اللغة العربية فذهب اليها فسمع من قبل آياته صوتا يتضمن الامر له بالعودة الى ديار مصر لينقذ قومه مما هم فيه بتلك البلاد من الاسر قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه قال الاسقف يوسوم وهو أفصح ترجمان للكتاب المقدس يعني التوراة وهو هناك أيضا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلع هذا الرجل العظيم من معرفة ذاته الكريم على ما لم يكن قد أطلع عليه احدا حيا من البشر في ذلك العصر فقام موسى واخوه هارون وعاد الى ديار مصر ودعا فرعون ذلك العصر أن يترك سبيل بني اسرائيل ليقرؤا قربانهم في الصحراء فامتنع فرعون من ذلك الامر ولم يأذن لهم الا من بعد ان رأى قومه المصريين قد ابتلاهم المولى سبحانه وتعالى بالجوائح والجراثيم السبع قال أبو الفدا (وهي القمل والضفادع وصرورة الماء وما الى آخر ما ذكر) وفرع في آخر الحال خصوصه الماشاهده من موتان الاطفال المولودين جديداً لقومه المصريين فاذن للعبرانيين بالسفر ثم ندم على تخلصهم من ربة دولته وخروجهم عن طاعته فاقبض ائثرهم وتبعهم وهو يقود جيوشا عديدة من جنوده حتى وصل الى بحر القلزم وهو البحر الاسود فرأى مياهه قد افرقت وارضه قد جفت ونشفت تحت أقدام الاسرائيليين فروا عليهم من العرق ناجين ولما توسط فرعون وجنوده البحر كانت قد عادت المياه لجراها المعتاد وانطبقت عليهم أمواجه فاغرقتهم أجمعين وخرج موسى وقومه سالمين فذهب بهم وهو يدبر سيرهم ويدبر امرهم في صحارى بلاد العرب الى حيث يتباعدهم عن فساد مدن ديار مصر يسهل عليهم أن يعودوا الى عبادة آباءهم السالفين ومكثوا مدة أربعين سنة في تلك الصحارى يتيمون ويدافعون صولة قبائل العرب الذين كانوا لهم مجاورين ويقعون مع ذلك في بعض الاحيان فيما كان متحكما بديار مصر من عتيق الاوهام الدينية والعبادة الوثنية غير انهم كانوا يميزوا المحاطين بالعناية الالهية

مطلب — الكلام على شريعة موسى عليه السلام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه — وعلى هذا الوجه كان بنو اسرائيل قد انتقدوا من ظلم الفراعنة المصريين ونجوا من القوم الظالمين ولما كان من اللزوم أيضا تفريق ملة الله سبحانه وتعالى عن سائر الملل بالكلية وتوثيق ربطهم بعقائد أسلافهم الاصلية بطريقة قطعية كان كاهونص عبارة الاسقف يوسوف السالف الذكر والبيان وقد آن وان تكون العبادة الحقيقية

التي كانت قد انمخت من مذكرة الناس في تلك الحقبة العصرية بالكلية لا يمكن حفظها وبقاؤها الا بواسطة تقييدها بالكتابة (٥١) ولذلك حين وصل موسى ببني اسرائيل الى جبل الطور بلغ قومه شريعته والاوامر الالهية العشرة التي نزلت عليه وهي عبارة عن عشرة خطابات أو مواد أصلية تشتمل على الاركان الاساسية التي تبنى عليها أصول الدين ومكارم الاخلاق واساس الجمعية البشرية في الامة العبرية وهي هذه

أولا - انى انا الله ربكم فلا تتخذوا لكم الها غيرى ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقا لتعبدوها ولتخدموها من دونى

ثانيا - لا تحلفوا باسم الله ربكم باطلا

ثالثا - تعملون مدقة ستة أيام وتستريحون فى السابع

رابعا - اكرموا والديكم بطل عمركم

خامسا - لا تقتلوا أحدا

سادسا - لا تزنوا أبدا

سابعا - لا تسرقوا

ثامنا - لا تشهدوا بالباطل على جاركم

تاسعا - لا تشتهوا امرأة جاركم

عاثرا - ولا تشتهوا داره وخادمه أو خادمته ولا ثوره وحماره ولا شيا مما ملوكا له مطلقا

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه ولاجل طبع معنى التوحيد الالهى على الوجه الاقوى فى العقول والافهام اكثر موسى عليه السلام من الاوامر والنواهي والحدود والاحكام وعاقب كل من خالفها بغاية التشديد والاحكام ووضع لبني اسرائيل قوانين الجمعية المدنية بمعنى شروط الهيئة الاجتماعية البشرية اى المعاملات الدنيوية فى حالة اجتماع الامة بعضهم مع بعض على اساسات قوية هى اعلى من قوانين ساثر الامم الاخرين وحيث كان هذا الرجل العظيم قد اهتمذى هكذا للحقيقة فيما يتعلق بالاخلاق والاديان وقام لها بالاعلان مع غاية الوضوح والبيان لزم ان يكون اقرب من غيره للحقيقة الحقيقية ايضا فيما يتعلق باركان عقد الشراكة الانسانية والجمعية البشرية وفى الواقع ونفس الامر قد كانت جميع الترتيبات المدنية التى وضعها للامة العبرانية مبنية على اصول من العدل والانصاف والرافة بالناس مع الاحسان اليهم والتصدق عليهم لا توجد فى شرائع غيرهم من الامم السالفين فمن هذا القبيل ان بني اسرائيل بدلا عما كان متحكما عندها كثر الامم السابقين من قانون تميز الطبقات الالهية والمراتب البشرية كانوا كلهم متساوين على وجه الاطلاق عند الله وامام الشريعة اليهودية وكان موسى عليه السلام قد اوثق عروة هذه المساواة الانسانية

الدرس التام ١٨٣ في التاريخ العام

في الاحوال الشخصية والاموال الكسبية بما وضعه من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية أما الاولى فهي عبارة عن مدة كل سبع سنوات اذا اقامها العبد في خدمة مولاه عتق عليه وأما الثانية فهي عبارة عن مدة كل خمسين سنة يرجع فيها الملك المنتصرف فيه المالكة الاصلية ويرد اليه وقد نتج عن هذين القانونين بمدة ما كنا جاريين ان اليهود لم يحدث فيهم أبدا هذه الطبقة السيادية المتردية برداء الكبر والفساد في سائر البلادين العباد ولا تلك الطبقة السفلية التي كان يحملها الفقير والجوع على ايقاع الفتن الشديدة والمحن العنيدة في نظام الجمعيات الجمهورية القديمة وكانت رؤسائهم وملوكهم يخرجون من أبناء امتهم وينتخبون من عين ملتهم وكانت قسمة اوكهنتهم المعبر عنه بالليويين (نسبة الى ليوى احد الاصباط) متوزعين في جميع الامة الاسرائيلية لا يملكون شيئا من الاملاك الارضية غير ثمان واربعين قرية ليسكنوها فلم يكونوا مترشحين في هيئة طائفة قسيسية ولا كانوا متكيفين بكيفية خرقه دينية نعم كانت هذه الوظيفة فيما بينهم وراثية غير انه قد كان الولد لا يرث عن ابيه فيها يبقين غير الفقرو بذل النفس في خدمة الدين ومع كون الرق قد كان اساس كل جمعية بشرية عند سالف الامم قد كان لليهود اقل عبيدا من الخدم وقد كانت قوانين سائر الامم لا تنظر للفقير والمعدم وتحتقر او تفضح الغريب بخلاف شرع اليهود حيث كان يجنح للفقير والمسكين و يصلح حال البعيد والقريب ويمنع الربا ويأمر بالصدقة ويفرض الاحسان و يأذن بالدخول في المحراب وحضور الضحايا والقرايين حتى للاغراب وبالجملة والتفصيل فقد كانت شريعة بني اسرائيل ترفع شأن كل ما كانت شرائع سائر الامم السالفين في ذلك الجبل قد خذلتها واسفلتها واحتقرته ووضعته فكان الغريب بين اظهرهم لا يعتبر عدوا كما كان الحال كذلك عند غيرهم وكان العبد لديهم لم يرزل بمنظر الانسان اليه ينظر وتجلس المرأة مجلس الشرف في كل محضر بجوار رئيس العائلة على وجه بحيث تكرم كرامه وتحترم كعين احترامه الى غير ذلك من الاحكام الجليلة والشرائع الجميلة

ثم ان موسى عليه السلام مكث مدة الاربعين سنة التي اقامها بالصحراء وهو يجاهد في اكثر الاحيان ما كان يحصل من الثوران والعصيان عليه من العبرانيين حيث كانوا لم يزالوا يأسفون على ما كانوا يجدونه بدار مصر من النعم الكثيرة والخصوبة الغزيرة ولكنه كان بعون الله الواحد القهار يمنع كل مانع ويدفع كل دافع ويغلب كل خصم حتى وصل بالقوم الى تخوم الارض الموعودة وأراد أن يقدم عليها فلحقته الوفاة فأتى الى رحمة الله وهو ينظر اليها على الجبل المسمى في سالف الزمان باسم تيمو (بامالة النون الموحدة في اوله على ياء مشناة تحتية يليها باء موحدة قوا في آخره) وهو المعروف الآن في تلك الاقطار من جبال فلسطين

يجبل العطار) وقد حفظ عنه في التوراة صورة القصيدة العالی الذي انشأه حين حضرته الوفاة لقصد تمجيد المولى الاعلى جل جلاله وتعالى اسماءه وفعاله وترجمته هكذا بالعربية « يا اسماء اسمى و يا ارض عى فانى اريد ان اعبد اليها هو (وهو اسم الله سبحانه وتعالى بالعبرانية) ان افعال الله كاملة ونعمه شاملة ولكن الناس قد كفروا به فاخذ يعقوب من نصيبه وكما يأخذ النسر افراسه تحت جناحيه ويعلمها كيف تنفض قد أخذكم المولى سبحانه وتعالى ايها القوم الخائنون تحت أجنحته ومد عليكم ظلال عنايته وهذاكم والآن حين غمركم باحساناته وشملكم بهباته فهؤلاء القوم عنه غافلون ومنه يتباعدون ليعبدوا الهة لم يكن آباؤهم يعرفونها وانهم لسيعاقبون ولكن الله يرأف بعباده اذ رأى ان ابطاهم قد هلكوا في جهاده ويقول حينئذ اين آلهتكم واين أملتكم افهمتم الآن انه لا اله غيرى واتى انا الذى آميت واحيى وامرض واشفى وانى انا الحى الابدى » (هـ)

وكانت وفاة موسى عليه السلام (في سنة ١٥٨٥ ق م) وقبل وفاته كان وهو بالصحرى بعد قد نصب أخاه هارون بوظيفة الكاهن الا كبرا والخبر الاعظم ولفظ الكاهن بالعربية هو تعريب الكوهن بالعبرانية أى رئيس خدمة الدين ووضع الامر العشرة التى انزلت عليه بجبل الطور فى نابوت أو صندوق يعرف بصندوق الشهادة واغلقه عليها وكتب اسفار التوراة الخمسة الاولى المسماة باسم البنتا كوك السالف الذكر وهى سفر الخليفة وسفر خروج بنى اسرائيل من مصر وسفر الليوين وسفر العدد وسفر تجديد العهد (اتمنى معربا من تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان) قال المعلم بوليت صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان المروى عنه أنفاما معناه ولفظ البنتا كوك هذا عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (يعنى التوراة) وهى تشمل على التاريخ المقدس أو الاثرى من مبدأ خلق الدنيا لغاية دخول بنى اسرائيل فى الارض الموعودة وعلى قانون من الشرائع والاحكام الموسوية ومجموع اوامرونها هى دينية (هـ)

الفصل الثانى

في تاريخ بنى اسرائيل بارض كنعان وكيفية تكون دولتهم بتلك البلدان (من سنة ١٥٨٥ الى سنة ١٠٩٦ ق م)

مطلب — ذكر يوشع عليه السلام واقتتاحه لارض كنعان أو فلسطين من بر الشام (رجع للنقل من تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

قال

قال المؤرخ المذكور كوراعلاء مامعناه ولما اغار بنو اسرائيل على أرض كنعان في ذلك الزمان كان بها عدة قبائل من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام تحت طاعة عدة رئيسا اطلق عليهم في التوراة لقب الملوك وكانوا على حال فطبع من الفسق وفساد الاخلاق وملوكهم في نهاية من العداوة والشقاق (منهم الهيثيون واليبسيون) وهم اهل مدينة ييس التي بنيت في مكانها اورشليم وكانت تدعى قبل ذلك بمدينة سالم وهي مدينة القدس الشريف (والعموريون والبحرجيسيون والهيريون والفيريزيون والكنعانيون الاصليون) فلما دنا منهم الخطر العام بغارة هؤلاء الاقوام اجتمع بعضهم البعض وتعصب اقواهم شوكة على دفع صائلتهم ومنع غائلتهم وكان موسى عليه السلام قبل وفاته قد استخلف يوشع من بعده فقام بتدبير بني اسرائيل احسن قيام ووفاء عهد ولم يفرع يوشع من عصبية هؤلاء الملوك بل استمر على ما قصده موسى من فتح بلاد الشام وسلك في قيادة بني اسرائيل احسن سلوك وعبر بهم نهر الاردن واستولى بطريق العنوة والقهر على مدينة ياريكو (اورحما) وقتل ساثر اهلها ثم انتقل الى غيرها من مدن ذلك القطر ومن قاتله منهم فعل به كما فعل بها ماعدا مدينة (جيبون) حيث كانت قد دخلت تحت طاعته وسلمت نفسها اليه وتعاهدت معه فاجتمع عليها جماعة من الملوك المذكورين وحاصروها عقابا لها وجاء يوشع فحماها منهم (وقد ذكر بالكتب المقدسة انه في حصار المدينة المذكورة كانت حادثة توقيف الشمس ليوشع عليه السلام حتى تم له امر عليهم كما ذكر في هذه القصة المشهورة وهي المشار اليها بالتلميح في قول ابي تمام) شعر

فرقت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الحدرت طاع
فوالله ما ادري احلام ناغم * المت بنا أم كان في الركب يوشع

ثم انعقدت عليه عصابة اخرى من ملوك جهتي الشمال والغرب كان رأس عصبتهم وشيخدار ندوتهم الملك المدعو باسم (يايين) ملك المدينة المسماة باسم (حزور) من تلك البلدان ولكن يوشع عليه السلام كان قد ظفربهم وشتت بجوعهم وغلب جميع الملوك الذين كانوا يقتسمون بلاد الكنعانيين وكانوا خمسة وثلاثين ولم يبق منهم بحالة الاستقلال غير بعض قبائل قلائل تحصنوا في الجبال وعلى سواحل البحر ومكثوا يناوشون بني اسرائيل وهم لهم بشجاعتهم يجاهدون وعلى مقاومتهم يتجادون في تلك العهود لغاية عهد داود من ذلك العصر ولما تمكن بنو اسرائيل من الارض الموعودة اقسموها بين الاسباط واتخبطوا من كل سبط أو قبيلة ثلاثة رجال لقمة تهافروا بها واطلعوا عليها وقاسوها ووزعوها عليهم فتوطن منهم سبطان ونصف سبط فيما وراء نهر الاردن وبقى ساثرهم على الجانب الآخر ماعدا سبط ليوى حيث لم يقسم له حصه من الاملاك لارضية بل ترتب له عشرة ثمة الارض كلها وتخصص

لهم ثمان وأربعون قرية متفرقة فيما بين أراضي سائر القبائل ليأخذوها مساكن لهم ويتبؤوها ثم التفت يوشع لترتيب أمر الدولة الأهلية وحسن إدارة الأمور الداخلية فأنشأ المحاكم ونصب القضاة والحكام وأوضح لكل قاض منهم ما يختص بوظيفته من الخطط والأحكام ثم مات رحمه الله وله من العمر مائة وعشرة أعوام

مطلب — الكلام على حقيقة حكومة العبرانيين ببلاد الشام وبيان ما المراد من قدمائهم ومشايخهم وولاية أمورهم المعبر عنهم بالقضاة أو الحكام — قال المؤرخ المنقول عنه علاء مامعناه وبقيت قبائل بني إسرائيل في ذلك الزمان متفرقين على سائر أرض كنعان لا رابطة لهم عامة ولا جامعة لهم تامة غير جامعة الدين ولم يكن لدوائهم الجديدة ببلاد الشام أساس هي مبنية عليه غير عبادة الياهو وثريعة موسى عليه السلام وكان الخبر الأعظم في بني إسرائيل هو عبارة عن خليفة المولى الجليل وهو الرئيس الحقيقي للملة العبرانية وولي الأمر الأصلي للامة الاسرائيلية وكان لقدمائهم أو مشايخهم مجالس يعقدونها ومحاضر يحضرونها في كل سبط لقصد النظر والتشاور في مصالح كل قبيلة ولم يكن لهم عليها ولاية سياسية وكانت ولاية مشايخ بني إسرائيل في ذلك الزمان عبارة عن ولاية عرفية تتركب من كل من يحب موسى بن عمران (بمنزلة أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) ولم يكن لبني إسرائيل ولاية أمر عمومية تجمعهم ولا رياسة عليّة تدبرهم ولذلك لم يتيسر لهم تمام اقتتاح تلك البلاد بل صاروا من الضعف وعدم الاستعداد لداعي تفرق كلمتهم وعدم اتحاد عصبيتهم الى عدم المقدرة والاستعداد لدفع غارات الأمم المجاورة لهم ومن ثم حصل لهم ما يذكر في تواريخهم على عدة دفعات من حوادث الاسترقاق والاستعباد الذي كان ينقذهم منه رجال أولو شجاعة وأبطال ذوو قوة منهم كانوا يقودونهم للقتال وبعد تمام الظفر بالأعداء يطلقون عليهم لقب القضاة أو الحكام وهم عبارة عن ولاية أمورهم يدبرونهم وحكام ينهونهم ويأمرونهم من غير أن يكون لهم لقب الملوك غير أنه لم يكن لهم قوة نفوذ متعينة ولا ولاية أمر مستمرة بينة قال القائل يوسيفوس مؤرخ اليهود في تاريخه مانصه «وقد كان بنو إسرائيل يطلقون لفظ القاضي أو الحاكم من القوم العبرانيين على أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشتهر بفضيلة الجهاد والمنعة ثم متى انقضى الخطر والحرب وعادت لما كانت عليه السلم رجع القاضي لحالة الاتحاد الأهليين وربما بقي على وظيفة القاضي بلى القضاء والحكم بين الاسرائيليين» (هـ)

مطلب — ذكر قضاة بني إسرائيل وحكامهم — وكيفية تدبيرهم في تلك المدة وأدارة احكامهم — وقد كان عددهم هؤلاء القضاة أو الحكام الذين انقلدوا الاسرائيليين في أكثر الاحايين من يدهؤلاء القوم الظالمين أربعة عشر نفرًا كان أشهرهم وأبعدهم صيتًا

وأكبرهم هو واحد هم المسمى باسم (عثنيل) (بفتح العين المهملة وسكون التاء المثناة) ثم (اهوذ) (بفتح الهمزة في أوله وذال معجمة في آخره) ثم المرأة المشهورة باسم (ديبوره) (بامالة الدال المهملة على ياء مثناة تحتية في أوله) ثم (كذعون) (بفتح الكاف يليها ذال معجمة ساكنة فعين مهملة فواو فتون موحدة) ثم (يفتح) (وضبطه بضم الياء المثناة من تحتها في أوله وفاء موحدة ساكنة مع ضم التاء المثناة من فوقها يليها حاء مهملة في آخره) ثم (شمشون) (بالتشديد المعجمة في أوله ووسطه) ثم (عالي) (المشهور بالكاهن) ثم (شويل) (بفتح الشين المعجمة في أوله)

ويبان ذلك ان بني اسرائيل بعد وفاة يوشع عليه السلام كان قد أغار عليهم وظفر بهم في بلاد الشام كوشان ملك الجزيرة (وهي بلاد الموصل) واستعبدوهم مدة ثمانية أعوام فخاء عثنيل واتخذهم من هذا الرق وقام بتدبيرهم مدة أربعين سنة (من سنة ١٥٥٠ الى سنة ١٥١٠ ق م) ثم ضيق عليهم واستعبدوهم عغلون (بفتح العين المهملة وسكون الغين المعجمة وضم اللام يليها واو فتون موحدة في آخره) ملك المايين (من ولد لوط عليه السلام) فبعثوا اليه بالجزية اهوذ وكان رجلا شجاعا وبطلا جريئ القلب دفاعا فبعد ان سلم مامعه من المال خربته الملك عاد اليه وحده وضمه الى جانب قتلته وانقذ بني اسرائيل من يده وبعد ذلك بقليل غلب الفلسطينيين على كل من سبط دان ويهوذا وشمعون من أسباط بني اسرائيل واستعبدوهم ايضا مدة من الزمان حتى قام فيهم رجل اسمه (شمكار) (بفتح الشين المعجمة) فقتل ستمائة نفس ينصل محراثهم ودفعهم عنهم وحيث كان بنو اسرائيل قد مكثوا متفرقي الكامة من غير رئيس عام يقبض بزمام امورهم وينقض بتدبيرهم كان يسهل على الاقوام المجاورين لهم الغلبة عليهم والظفر بهم فاستعبدوهم مرة أخرى الملك (ياين) ملك (حازور) من بلاد الشام وكان قد قام فيهم في الحقبة المذكورة امرأة تسمى باسم (ديبوره) كانت تقضي بينهم تحت ظل نخلة فوق جبل افرائيم فنقضت مع القائد (باراق) احد فصاة بني اسرائيل وسارت على رأس جيش عظيم منهم لقتال القائد المسمى باسم (سيساره) الذي هو رئيس جنود يايين المذكور فحذل القائد سيساره وعلب وفرامام جيش العبرانيين وهرب وقتلته امرأة أخرى منهم يقال لها (ياهيل) في اثناء الفرار واشهرت ديبوره المذكورة تلك التصرة الشهيرة بقصيدة شعر لها من احسن الاشعار واحي الافكار حركت بها في بني اسرائيل راكد الغريزة الالهية وهيجت منهم راقدا السريرة المليئة غير ان تلك الهمة البطالية لم تستمر بل كانت كمحباب عفيف مر وجاء أهل مدين فاستعبدوهم واذاقوهم أشد الضنك والاسر مدة سبع سنين اخر حتى قام فيهم رجل منهم يسمى باسم (جذعون) وجمع منهم جيشا يبلغ ٣٦٠٠٠ مقاتل واستعد لان يدفع بهم ثلثة صولتهم

ويقاتلهم قال في التوراة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد ان قومه ينسبون خلاصتهم في هذه المرة الى محض حولهم وقوتهم فنقص عدد الجند حتى صار الى ثلاثمائة رجل فقط وقام فيهم جذعون هذا فوزع عليهم طبولاً وقد ورا من فخار فيها قناديل موقدة وتخلل بهم معسكر الاعداء من اهل مدين وهم يصيحون من نوع الشعار في الحرب بقولهم «سيف الله وجذعون» ففرع المديون لضرب الطبول ونور القناديل وذبح بعضهم بعضاً وفر سائرهم هارين ثم توفي جذعون المذكور بعد ان اقام اربعين سنة وهو درع بني اسرائيل قائم لهم ميا حسن التدبير وكان يسوغ له أن يتلقب بالملك ولكنه اكتفى بلقب للقاضي لا غير وترك من صلبه من عدة نساء له واحد اوسبعين من الابناء المذكور ثم قام فيهم من بعده احدهم المدعو باسم (ابياخ) (يهمزة في أوله وباء موحدة من تحتها ثم ياء مثناة من تحتها ايضا وميم والف وناء هجمة في آخره) فجعل نفسه ملك سيشام (وهي نابلس) وذبح جميع أخوته الا واحدا منهم فقام عليه بشرا اسرائيل لداعي ظلمه وقتلوه وانتهر العمونيون (وهم قوم من بني لوط عليه السلام) الفرصة من الشقاق الحاصل بين الاسرائيليين فاغاروا عليهم واستعبدوهم مرة أخرى حتى قام فيهم رجل يقال له (يفتح) من بلاد جلعاد فاجلاهم عنهم وخلصهم منهم واخرب عشرين مدينة من مدائنهم وكان من أمر هذا الرجل البطل انه نزل في سجانه وتعالى ان عاد من جهاده ظافراً أن يقرب له أول من يلاقيه حياً بعد اياه من سفره واتفق له ان كانت ابنته من صلبه هي أول من لاقى نظره فنجحها وفاقبها به هذه وامثلت تلك الفتاة لفقدها شبابها وعمرها طاعة لامره

ومع ذلك فكان العبرانيون قد وقعوا ايضا في حبالة اسر الفلسطينيين مرة ثانية وكان الخاص لهم في هذه المرة هو شمشون وكان رجلاً ذا قوة عجيبة وجراءة غريبة ظهر عليه منها الاثر من الصغر حيث قبض وهو ابن ثمانى عشر على أسد حديث السن فزقه قطعاً وذكر عنه في التوراة حديث طويل فيما يتعلق بما حصل منه مع الفلسطينيين من الوقايع والغزوات وأنهم لم يقيم لهم القبض عليه الابحيلة عما نها عليه امرأة منهم يقال لها دليلا ولما استولوا عليه أخذوه معهم الى كنيسة لهم يعبدون فيها اصنامهم فعرضوه لسخرية الناس به في يوم عيد لهم يشهرون فيه معبودهم فقام شمشون فحرك منها عمودين كانا يمسكانها فسقطت الكنيسة عليه فان هو وثلاثة آلاف رجل منهم ولم يزل امر بني اسرائيل في اختلال واستمر حالهم أسوأ حال وانتشرت فيهم عبادة الاوثان بدلا عن عبادة الله الواحد الديان قال في التوراة وصار كل واحد من بني اسرائيل يعمل بهواه وكان قد قام فيهم عالي الكاهن وقبض على زمام الولاية المدنية والدينية معا فلم يحصل من ذلك فائدة ولا عاد عليهم عائدة وكان لهذا الخبر الاعظم ولدان كان يميل ميلا مفرطا اليهما ويتغافل عن

قبائحهما فازدادت بهما المصائب الوطنية واشتدت من مآثر المنة العبرانية حيث دنس المكان المقدس وصرفاه والصدقات الخيرية المبدولة للحضرة الالهية في غير مصارفها الشرعية ولذلك تكلمت فيهما العامة ولغطت في حقهما جميع الامة وكانت امرأة من بني اسرائيل من أهل المدينة المسماة باسم (رماته) في ذلك الاوان (قال صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان السالف الذكر والبيان) «دعى وطن النبي شعويل ولعلها المعروفة بالرمل الآن» قدمكثت مدة طويلة وهي عاقرة فزرت ولدها وهو شعويل المذكور لخدمة الكاهن الاكبر في المحراب وكان هذا الطفل على الدوام والاستمرار لا يفتر عن الانذار اليه بأنه سينكب ويفقد ولديه لقباحة سلوكهما وتغميضه عليهما فلم ينفع انذاره ومع ذلك فلم يتأخر أن تحقق بالغيب اخباره حيث اغار الفلسطينيون على بني اسرائيل اغارة جسيمة وظفروا بهم وغلبوهم في واقعة حربية عظيمة على القرب من المدينة التي كانت تسمى باسم (شيلوح) (بالشين المعجمة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فلام فواو فحاء مهملة في آخره) (قال صاحب معجم البلدان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه) «وهي أول مدينة كانت قاعدة لمملكة بني اسرائيل بارض فلسطين بعد حضورهم من ديار مصر ودخولهم بالارض الموعودة أي أرض الكنعانيين في ذلك العصر» وقتلوا منهم ثلاثة آلاف رجل كان ابناء عالي الكاهن من جملتهم واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد واصندوق الشهادة السالف الذكر ولما بلغ عالي الكاهن ذلك الخبر سقط على ظهره فانكسرت راسه ومات كما ذكر بالتوراة

وبعد ذلك بزمن قليل تقلد شعويل بوظيفة قاضي بني اسرائيل فكان أول ما تشبث به همته وتعلقت به عنايته هو إعادة الديانة الالهية الى تمام حاله تفاوتها الاصلية فربسائر البلدان وانتقل الى مدن بني اسرائيل من مكان الى مكان وصار يعظهم ويوقظهم ويخطبهم وينذرهم بأن يهجروا من بينهم كل اله غير الله فصلح حال الامة واتراحت عنها تلك الغمة وعادت لما كان فيها من حب الوطن والشجاعة الملية واغاروا على الفلسطينيين فاربوهم وقهروهم وظفروا بهم وغلبوهم واجبروهم على أن يردوا صندوق الشهادة اليهم وكان وجوده عندهم سبب المصائب كثيرة حلت بهم وانتشر شعويل الفرصة من عود السلم فيما بينهم فأنتم اصلاح الدين وتوثيق بني اسرائيل من توحيد الله سبحانه وتعالى على قدم اليقين واحداث في كثير من مدائنهم مدارس نبوية ومجالس وعظيمة لقصد تمكين العقائد الدينية وتحسين الاخلاق والعوائد الوطنية بواسطة اغاني كانوا ينشدونها وكتب كانوا يكتبونها قال الاسقف بوسوه في تاريخه مانصه «وقد كان الله سبحانه وتعالى ينزل على أنبياء بني اسرائيل رسالاته ويوحى اليهم بمواضلاته على وجه مخصوص ويظهر لاهين

الامة صدق وحيه اليهم بعجيب معجزاته ويثبت قول انبيائه بغريب آياته ولم تكن كان أكثر بعثه للرسل والانبياء خصوصاً في ذلك العصر الذي كان قد كثرت فيه الفساد وكاد أن تغلب فيه عبادة الاوثان على شريعة الله سبحانه وتعالى فكانت الانبياء في ذلك العصر تكثروا في كل مكان من الزجر والتخويف من هيبة المولى جل جلاله وما كانوا قد عرفوه وشهدوا به من الحقيقة الدينية سواء كان ذلك بطريق الكذابة او الخطابه وبقيت كتبهم التي كانوا قد كتبوها بين ايدي سائر الناس محفوظة بغاية العناية تشهد لهم شهادة ودية عند أهل العصر الآتية (٥١)

وكان شمويل قد أراد أن يحدث حادثة كبيرة في ترتيب دولة بني اسرائيل لقصد زيادة تثبيت دولتهم وتوثيق عروة جماعتهم فشرع في جعل امامهم العظمى وولاية أمرهم العليا ورأية في عائلته وباقية مستمرة في نريته لكن بنيه لم يتصرفهم من حب العدل والانصاف ما كان قد توفر فيه فلما تقلدوا بالامر في ذلك العصر اغتروا من زهرة الدنيا بالحطام وصاروا يأخذون الرشاعلى الاحكام فقامت عليهم الامة العبرانية وحصلت فتنة داخلية وكان قد انضم لذلك أيضاً التهديد من طرف الاعداء الاجنبية فلحق جميع الناس من ذلك القلق وأراد بنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكاً ينظر في أمورهم ويقوم بتدبيرهم فقالوا لشمويل اعطنا ملكاً يقضى بيننا ويدير لنا كما سائر الامم امرنا فامتنع من ذلك أولاً مستنداً لاصل القديم المقتضى ان بنى اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة دعائهم والحوافى رجائهم اضطروا لاجابتهم وتوجه نظره الى شاب جميل الصورة ذى قوة متين من سبط بنيامين وهو (شاول) (بالشين المعجمة في أوله يليها الف فواو مضمومة فلام في آخره وهو المعروف أيضاً باسم طالوت) (كما في تاريخ أبي الفدا) فجاء به وقدمه ملكاً عليهم بان افرغ على جبهته زجاجة من الزيت وجمع الامة العبرانية بمدينة (مصفاط) وتلا عليهم خطبة لامهم فيها على ما ارتبكيوه من المعاصي والكفر بالله سبحانه وتعالى حيث عمدوا عن اتخاذ ولي أمر لهم دون غيره ثم قال لهم دونكم ملككم فانتخبوا شاول أو طالوت المذكور وأقاموه ملكاً عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم في (سنة ١٠٩٢ ق م)

الفصل الثالث

في تاريخ مملكة بنى اسرائيل الاولى لغاية تفرق دولتهم الى دولتين متعاصرتين ومملكتين متميزتين

مطلب - ذكر ملك شاول أو طالوت (من سنة ١٠٩٢ الى سنة ٩٥٢) قال المؤرخ جيلسان السلف الذكر والبيان أعلاه ما تعرض به أدناه ولم يكن ملك شاول

على الأمة العبرانية وولايته على الأمة الاسرائيلية غير ولاية جهادية ومملكة عسكرية لا غير حيث بقي رئيس هذه المملكة الجديدة مدة مديدة تحت طاعة صاحب الولاية الدينية وهو شمويل واستمر شمويل على التصرف في ولاية أمر بني اسرائيل السياسية وكتب شمويل بنفسه صورة ترتيب اساسي للمملكة سديد وشروط سير للدولة سياسي جديد ووضع في الهيكل بضمون انه طبق المفهوم قانون بني اسرائيل القديم لا يقتضي لهم الجهاد الا في سبيل الله سبحانه وتعالى وان يوضع صندوق شهادتهم في وسط معسكرهم بحيث ينظرونه ليقا تلوا دونه وأن لا يكون ملكهم الا عبارة عن قائد عسكري يحمل السلاح ليذب عن الأمة ويحمي حيي الأمة وأن لا يكون له ارباب دولة ولا مقر مملكة ثابت كساثر الملوك بل ينتقل من مكان الى مكان في اسباط بني اسرائيل حيث يأمره الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شمويل عليه السلام الى آخر ما ذكره من الشروط والاحكام فقام شاول وأوطالوت المذكور في قيادة بني اسرائيل الى القتال باحسن تدبير وحقق آمال الامنة فيه وصدق اعتمادهم عليه بما فاز به من عدة نصرات على أعدائهم وذلك ان ملك العمونيين المسمى باسم (نابال) كان قد غزاهم ووضع الحصار على مدينة (بيس) بجبال جلعاد فجمع شاول من بني اسرائيل ثلاثة آلاف رجل وسار امامهم للجهاد فقاتل العمونيين وظفروهم وانتصر عليهم نصرا تاما وغلبيهم فاجتمعت الأمة العبرانية مرة ثانية بمدينة (جلجالة) وسلموا عليه بملك بني اسرائيل من جديد وهنأوه بهذا النصر السديد لكنه لم يستمر على الامتثال لاوامر النبي شمويل وأراد ان يخرج عن ولايته فقلد نفسه بالولاية الدينية مع المرتبة الملوكية وتصدى لما لا يعنيه مما يختص بوظائف الطائفة القسيسية وكان الفلسطينيين قد عادوا بجنود عديدة للغارة على أرض بني اسرائيل بالثاني فتولى شاول موكب تقريب القر بان لله في الهيكل وكان من حق النبي شمويل أن يليه فانذره بان ملكه سيزول جزاء له على تعديه وان الله سبحانه وتعالى سيعطيه الى رجل آخر اصطفاه لذلك وارتضاه وكان ولد شاول المدعو باسم (يوناتاس) قد اشتهر بالشجاعة والاقدام وقرر اعلاوية القوم الاسرائيليين على سائر الامم الاخصام في واقعة جديدة وقعت لهم مع أعدائهم الفلسطينيين حيث تجاصر على ان اقتحم وسط معسكرهم مع سائس ركابه وحده ففرق شملهم ومزق جمعهم وجاء أبوه فقتلهم ليتم الظفر بهم والغلبة عليهم وحكم باللغة على كل من تناول طعاما قبل ان تتم هزيمتهم وكان يوناتاس لم يبلغه هذا الخبر فأكل ما تيسر من العسل البري وبلغ أباه ذلك فحكم عليه بالقتل فعارض في هذا الحكم بنو اسرائيل وصاحوا قائلين «ان من خلص اليوم بني اسرائيل من القوم لا ينبغي أن يقتل واناله قسم بالله العظيم أن لا تسقط شعرة من رأسه حيث جاهد في سبيل الله الكريم» وكان جميع هذا النصر والظفر بأعداء بني اسرائيل قد أوجب لشاول كثيرا من الفخر وحسن

الذكر وبقى عليهم الانتقام من العمالة حيث كانوا قد عطاوا في سالف الامر سير العبرانيين عند حضورهم من مصر للتوطن بارض كنعان فتوجه شاول اليهم وشن الغارة عليهم بجيوش عظيمة من الاسرائيليين وهزمهم شرهزيمة واسر ملكهم المسمى باسم (اجاج) (بفتح الهمزة في أوله) وقتل العمالة عن آخرهم غير انه خالف أمر النبي شمويل اذا كان قد أمره باستئصالهم وقطع دابرهم فعفا عن الملك اجاج المذكور ومن تمت المقاطعة بين شاول وشمويل وتحكمت العداوة والبغضاء بين الرئيسين المذكورين فأنذره النبي شمويل بأنه حيث رفض أمر الله فقد رفضه الله وغضب عليه وارال الملك من يده وهجره شمويل وذهب الى قرية بيت لحم وولد داود ملكا على بني اسرائيل وكان داود المذكور من قبل قد أظهر برهانه شجاعته واشهر عنوان جراته بالذب عن مواشيه من السباع والتمور حيث كان راعيا برعى غنم أبيه ولذلك كان قد اصاب شاول داعما ليخوليا شديدا كان اذا افاق منه عربد وكان لا يسكن الا اذا جاء داود فضر به على عوده المشهور حتى أحبه الملك وحنا عليه وتيقن من ضرورة احتياجه اليه فغمره بكثير من الذهب وورقا ومرتبة سائس ركابه وهو لا يدري انه قد تنوج في السر بالملك بدلا عنه ولم يثبت أمر شجاعة داود كل الثبوت الابحاث صرع احد ابطال الفلسطينيين المشهور باسم (جالوت) وقد كان هذا البطل لا يتجاسر رجل على منازاته او يقدم بطل على الدونه فضلا عن مقاتلته فجاء داود ونازله وواقفه في حومة الميدان وقاتله وليس معه سلاح غير مقلاع فقذف عليه بحجر فسط ملقى على الارض فبادر اليه وبرك عليه فقطع رأسه ولما شاهد الفلسطينيون صرع اشهر فرسانهم وابطالهم واكبر فتيانهم ورجالهم لم يستقر لهم قرار وبادروا بالفرار وتبعهم بنو اسرائيل الى حدمدينة (اكرون) (بفتح الهمزة والكاف في أوله) ليهاراهم هزيمة مضمومة فوافقون موحدة في آخره من بلاد الفلسطينيين وغنموا من مواشيهم ودوابهم شيئا كثيرا ولما بلغ شاول هذا الخبر شرف داود بمصاهرته وزوجه بابنته واحبه ولده يوناتان بحبة شديدة وصادقه مصادقة أكيدة وودعه ودالم ينقض بعد لشدة شجاعته ثم داخل قلب شاول الحسد لداود منذ سمع بني اسرائيل يشيرون فضله وما حصل على يده من النصر ويقولون اذا كان شاول قد قتل من الفلسطينيين الفا فقد قتل داود منهم عشرة آلاف ومن ذلك الوقت كان الملك قد أسرله أشد البغض والمقت بل هم بأن يطعنه برمح وهو في مجلسه يضرب له بعوده ولم ينبج داود من كيد هذا الا بالفرار وتكرار منه هذا الفعل عدة مرار ولم يزل داود مع ذلك يستعطفه ويتصبر على جفاهو يعمل لذلك من التعدي والتكرم كل جهده حتى نأى شاول عن فقدده ولم يتأخر الفلسطينيون ان عادوا بالهزيمة على الاسرائيليين وقد كان شاول كما هو من التوراة ولم يزل متلبسا بالشره فأتى امرأة كانت تخبر بالمغيبات بالمكن المسمى

الذي في تلك العصور باسم (مندور) وأمرها أن تربه خيال النبي شوبل وكان قد توفي منذ عامين وظهر له في المنام شوبل عليه السلام. زجره على معاصيه و نذره بأنه هو وبنيه يصيرون في غدا إلى القبر. وفي الواقع ونفس الأمر اتفق أن الفلسطينيين كانوا قد شنوا انذارة على بني إسرائيل من فوق جبل جلبوة من أنفجر فقتل يرناتاس وجرح شاول وطمعن نفسه بسيفه خشية أن يقتل بيد أعدائه فمات وبكاه داود أشد البكا ورثاه بأجل الرثا وعبر في قصيد عال له عما اعتراه من شدة الأسف لوفاة يرناتاس (في سنة ١٠٥٦ ق م)

مطلب - الكلام على ملك داود عليه السلام (من سنة ١٠٥٦ إلى سنة ١٠١٦ ق م)

قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه ما تعريبه أدناه ولما مات شاول وولده يرناتاس قام رجال سبط يهودا وداود ملكا وتعصب سائر اسباط بني إسرائيل الا يشبوش بن شاول (وضبطه بألف مكسورة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فشين معجمة سا كنة فباء موحدة فواو فشين معجمة أخرى سا كنة بعد دهاء مثناة فوقية في آخره) فقامت بينهما وبين داود حرب استمرت سبع سنين حتى انتهت بقتل يشبوش المذكور (في سنة ١٠٤٩ ق م) وبعد ذلك بستة شهور حضر مشايخ بني إسرائيل عند داود بمدينة حبرون وأطاعوه وأقروه ملكا على سائر اسباط بني إسرائيل وكان له حينئذ من العمر سبع وثلاثون سنة من الدهر وقد كانت أيام ملك داود عليه السلام هي في تاريخ اليهود أفرح الأيام إذ كانت مملكة بني إسرائيل في مدة عهدهم قد انتظمت في أمورها الداخلية وكانت اعلاوية سبط يهودا قد تقررت على سائر الاسباط الامرائيلية وكانت وجاهة دولة اليهود في تلك الاوقات قد امتدت على سائر الامم المجاورين لها في الجهات الخارجية من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى حد نهر الفرات ولم يبق عايمهم اتكوين هيئة الامة الاسرائيلية وترتيب وحدة الملة العبرانية الاهلية بالطريقة القطعية الا أن يقطعوا دابر بقايا الامم الكنعانيين الذين كانوا لهم الزوايا وجودون في أرض فلسطين ويستأصلوهم عن آخرهم بالكلية والجزئية وبذلك كان قد ابتدأ مدة حكمه داود عليه السلام فهازل القوم المسمين باسم (اليسيين) وهم اشجع الاقوام الكنعانيين الموجودين بتلك البلاد وقتلهم وأخذ منهم قلعهم المسماة باسم (يس) او (سالم) وهي التي نشأت في مكانها مدينة اورشليم او بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من تلك العهد

وكان الاقوام المعروفون في تلك الأيام بالفلسطينيين مجتمعين على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) متحالفين بعضهم مع بعض ومتبرئين في صورة حكومة جمهورية ذات شوكة قوية يصلون على ممر الاوقات واللحظات على القوم اليهوديأخذون منهم الجزية في

تلك العهود فلم يسع داود أن يستطيع لهذا العار وأراد أن يعتق قومه وإبناء ووطانه من هذا الاسر والصغار فقاتل هؤلاء الاقوام الشداد وجاهدهم اشد الجهاد واخذ منهم سائر البلاد المسماة في ذلك الوقت باسم (جيت) من تلك البلاد وقتل كذلك المايين عن آخرهم واتم قطع دابرهم ومن نجح من الموت منهم وضع عليه الجزية وكان من جملة هؤلاء الاقوام قومان متوطنان في جهة الجنوب من بلاد الشام فيما بين الارض المسكونة بالفلسطينيين والمايين وهما القوم المعروفون بالعمالقة والايدوميون فقاتلهم داود وغلبهم واتصر عليهم وقهرهم وكذلك فعل بالقوم المعروفين بالعمونيين المتوطنين في جهة الشرق ببلاد عمان ولداعى جميع هذا النصر المتواتر وحصول هذا النجاح المتكاثر كانت قد انعقدت عليه عصبه كبيرة دخل فيها جميع الامم الذين كانوا متوطنين بتلك الاوقات فيما بين نهري الاردن والفرات فلم يفرع داود من عصبته ولم يجزع من كثرة جماعتهم بل سار بنفسه اليهم وأقدم يقود جيوشه عليهم وناجزهم بالقتال وبارزهم بالنزال فغلب جميع أعدائه واستولى على ما كان يوجد لهم في ذلك العصر من الممالك الصغيرة بدمشق وسورية وحصص من بلاد الشام واستولى على القوم الايدوميين حيث فتك بهم فأتلف حالهم وشتت شملهم بوادي الملح وبواسطة ما حصل له من جميع هذا النصر والنجاح كان ملك داود عليه السلام قد امتد في ذلك العصر الى شواطئ نهر الفرات وكان قد أخذ من فرع القوم الايدوميين الثاني فرضتي آسيون جابر وابلة الكائنتين من بلاد العرب على نهاية بوغاز ايلام وأحدث طرق تواصلات تجارية فيما بين ممالكهم وبحر القلزم والبحر الاحمر وأقصى بلاد آسية وافريقية ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما لخص معناه ان داود عليه السلام لداعى ما كان قد وقع منه في اثناء هذه الاعمال الجيلة والفتوحات الجلية من قصة احد قواد عساكره المسمى باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بيتسبا) المشهورة جسمها هي في الكتب المقدسة مذكورة وان كان من ذلك قد تاب وحسن منه المآب كان قد ابتلاه الله في آخر عمره بفتن أهلية وجازاه في دنياه ببعض محن منزلية تكفير تلك الخطية وذلك أنه قد كان قجع بأول ولده رزق له من زوجته المذكورة اذ كان قد مات ولم يتمتع له بحياة وبعد ان ولد له منها ولد آخر وهو سليمان عليه السلام كانت جميع عائلته قد دخلها الفتن والفساد بارتكاب بعض بنيه للذنوب والآثام فتعدى ابنه البكرى المدعو باسم (امنون) على أخيه المسماة باسم (تمار) فقتله أخو بالآخر المدعو باسم (ابشوم) وخرج ابشوم عن طاعة أبيه ودخل تحت لواء عصيانه عشرة من اسباط بني اسرائيل حتى اضطر داود عليه الصلاة والسلام لان يخرج راجلا من مدينته أو رشليم وخرج عليه أحد أقارب شاول

المسمى باسم (سيمي) وضبطه (بسين مهمة مسألة على ياء مشناة تحتية يليها ميم فياء مشناة تحتية بعدها ياء كذلك أخرى في آخره) وأساء هذا الرجل في أثناء هذه الهجرة المستعجلة وقذفه بالأحجار وأوسقه بالشتم واللعن والشنار ثم لحق داود من بقي على طاعته واجتمعوا عليه فعاد على رأس جيش يبلغ عشرين ألف مقاتل منهم وبارز عسكر الخوارج بوادي افرائيم فغلبهم وقتل ابشالوم بن داود بيد (يواب) فائد عسكر أبيه وفي آخر سنة من ملكه خرج عليه أيضا ولده المسمى باسم (عادونيشاش) وكان داود عليه السلام قد عهد بالملك لسليمان ولده وقدسه بيده وأقره ملكا باعتراف الأمة له وتخلي عن عادونيشاش أصحابه المتعصبون له فدخل تحت طاعة أبيه وعفاه عنه ولم يعمر داود النبي الملك عليه السلام بهذه المسائب الموهلة مدة طويلة بل أدركته الوفاة ففات عليه الصلاة والسلام بعد أن أوصى ابنه سليمان بوصايا من أحكم الكلام وسلم ليديه صورة معبد عهد بينائه إليه وأمره بإنشاء هيكل مشيد لعبادة الاله الحقيقي بأن يعبد وكانت وفاته في (سنة ١٠١٦ ق م) ولم يكن داود عليه السلام قد وضع أساس الصولة السياسية لدولة اليهود فقط بل كان قد أوثق عروة ترتيب مملكتهم وأحكم قواعد دولتهم قال المؤرخ المدعو باسم (هيران) مانصه «ولم يكن شاول الا عبارة عن قائد عسكري نفذ أوامر الباهو الصادرة اليه بواسطة النبي شمويل وليس له ارباب دولة معينة ولا دار ملكة ثابتة ولم يكن بنو اسرائيل في عهده الا قوما فلاحين وانا ساعلى زراعة الارض ورعاية المواشي منهم كين لا ثروة لهم ولا مال ولا رفاهية عندهم ولا حسن حال ثم صاروا شيافشيا قوما اهل حرب وجهاد حتى جاء عهد داود عليه السلام فأصلح حال الملة بالكلية وغير هيئة ولاية الامر العمومية وجعل مدينة اورشليم دار مملكتهم وقاعدة ديارهم وأجرى أحكام عبادة الباهو بغاية الدقة والتشديد وجعله هودين الملة الاسرائيلية ومذهب الامة العبرانية دون غيره من الاديان ونزهه عن شوائب عبادة الاصنام والاونان وأوسع دائرة المملكة اليهودية سعة كبيرة بما اجراه الله على يده من الفتوحات الكثيرة غير انه في أثناء مدته كان قد دب بالتدريج في تركيب اعضاء دولته ديبب صورة الحكومة المطلقة التصرف ونوع ما يعبر عنه في العرف بحكومة أهل القصر التي ظهرت نتائجها السياسية بما حصل في أواخر أيام داود عليه السلام من الفتن الاهلية والحروب الداخلية الناشئة عن خروج اولاده عن طاعته السلطانية (هـ) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه وفي الحقيقة ونفس الامر قد كانت النتائج الاصلية الناشئة عن مدة ملك داود الشهير الذكر هي ان مدينة اورشليم صارت قاعدة المملكة السياسية ومركز الولاية الدينية ودار اقامة ملك بني اسرائيل وذلك ان داود كان قد شيد له قصرا فيها ووضع تابوت العهد على الجبل المعنى في ذلك العصر بجبل (موريا) منها وكان لغاية ذلك

الوقت بوضع في وسط معسكر بني اسرائيل متى اقاموا ورحلوا ويتنقل معهم حيث انتقلوا وكان ولده سليمان عليه السلام هو الذي توفق للبناء على ما قد كان اسسه له والده من الاعمال الفخام وشيد لاله بني اسرائيل معبد ايليق يستحقه من اعلى المقام ولم يكن داود عليه السلام يعد فقط في عداد الرجال العظام الذين نظموا احوال الامم السياسية بأقن النظام والابطال الكرام الذين فازوا من فتوح الممالك بالسعد وبلوغ المرام بل كان كذلك نبيا ملكا حيث كان قد نظر في المستقبل واخبر وانبا بالمغيبات واشهر في ضمن تأليفه بقلم عال شر يف ليس له مثال ما ستصير اليه فيما بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التي ستشيد بعد على مكان مدينة اورشليم هذه التي كان هو قد بنى لها وكان اول من اختطها وانشاها

مطلب - ذكر ملك سليمان عليه السلام (من سنة ١٠١٦ الى سنة ٩٧٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ماتعريبه ادناه ولما توفي داود عليه السلام لم يجلس سليمان بالسهولة على سرير المملكة الاسرائيلية بل كان قد قام عليه بالثاني اخوه عازونياش فقتله سليمان ليصفو له سرير الملك من الشواثب التكديرية ثم التفت لتثبيت اقدامه عليه بعقد محالفات ومعاهدات في الجهات الخارجية مع ملوك الممالك الاجنبية فتعاهد مع فرعون مصر وملك بلاد صور اللذين كانا وجودين في ذلك العصر واراد أن يبدأ مدة حكمه بما اثر دينية لاحرية فرحل الى مدينة جبون وذبح فيها الف ذبيحة قربانا لله سبحانه وتعالى من اجود القرايين وكان سليمان احكم الملوك وافخر السلاطين استولى بطريق السلم على جميع البلاد التي كان ابوه قد افتتحها فكانت طاعته تمتد في ذلك العصر من عند نهر الفرات لغاية سواحل بحر سفيد وتخوم وادي مصر وكان ملكا قايلا للجهاد فكان مسالما لساير الامم الذين كانوا لملكته مجاورين وقد عبرت التوراة عما كان حاصل في عهده لبني اسرائيل من الراحة التامة والدعة العامة بهذا التعبير الجميل قائله ان كل احد من عند دان لغاية بيرسبا (يعني من شمال المملكة الى جنوبها) كان يعيش تحت ظل كرمه وتينيه في الرخاء والسرور (هـ) واتهر سليمان الفرصة من حالة هذه السلم وعزم على أن ينفذ ما كان قد اوصاه ابوه به من الغرض المهم وهو انشاء هيكل فخيم لعبادة الله الواحد الاحد بمدينة اورشليم وكانت مخالطاته مع ملكة الفنيقيين او الصوريين اى ملوك صور من بلاد الشام بتلك الايام قد سرت له وسائل هذا العمل العظيم وكان (حرام) (بكمرا الحاء المهملة في اوله) ملك صور يبعث له من بلاده بالعمال والاشباب اللازمة لبناء المعبد المذكور واقام سليمان سبع سنين ونصف سنة يبني في هذا الهيكل المشهور حتى اتي فيه بسائر انواع الرفاهية والفخر التي كانت تنبسط ببلاد المشرق في ذلك العصر وفي السنة الثامنة كان قد اتمه وأكمل عمارته وختمه وعقد موكبها قافلا وموسما

شاملا حضره جم غفير وقوم كثير من بني اسرائيل لقصد ايقافه على عبادة المولى الجليل ووضع تابوت العهد ارضه صندوق الشهادة منه في المكان الاقدس وهو مكان لا يصل اليه احد اشارة الى استحالة الاطاعة بجلال الله سبحانه وتعالى وأول هذا الموسم في ذلك اليوم الى الامة بتمامها باثني وعشرين ألف ثور من البقر ومائة وعشرين ألفا من الغنم يقال المؤرخ يوسوه وحرمان سليمان التضحية لله سبحانه وتعالى في غير الهيكل المقدس اشارة الى اظهار وحدانيته بدليل وحدة معبده (هـ)

ثم قال المؤرخ جيلمان المذكور ما هو بعد مطور وبعد ان شيد سليمان لله معبدا واعد لتوحيده مسجدا جدد لنفسه قصرا وانشأ حول مدينة اورشليم سورا ووسع عدة مدائن قديمة واخنت مدائن اخرى جديدة عظيمة منها مدينة اشار ومجدلة وتدمر الشهيرة وقد كانت مجمع القوافل التجارية التي كانت في تلك الايام تتردد بين بابل العراق ودمشق الشام وكان سليمان عليه السلام قد بلغ من الشوكة الى أكثر مما بلغه أبوه فبمجرد ذكر اسمه وشهرته وسيرجاهه وهيئته كان قد ادخل تحت طاعته من كان قد بقي على بعض استقلال من الاقوام الكنعانيين كالهيويين والهيثيين والعموريين وهم الذين كان يستعملهم في بناء العمارات الكثيرة التي كان قد أنشأها في سائر بلاد مملكته بخلاف رعاياه العبرانيين حيث كان قد اختصهم بالجهاد والاستعمال على ولاية البلاد وكان قد رتب المملكة في أيامه ترتيبا جديدا ونظمها تنظيمًا مديدا فقسمها الى اثني عشرة عمالة جعل على كل عمالة منها عاملا من طرفه يجبي له خراجها قال في التوراة مانصه : وكان قد ألزمهم بيعت كل ما يلزم لسفرته وسائر اهل داره وحاشيته من روائب المؤنة كل عامل منهم شهرا من السنة (هـ) وكان قد نظم الجنود نظاما جديدا وبلغت طائفة العساكر الخيالة في أيامه وحدها الى أكثر من ستين ألفا وكانت مثل هذه الدرجة من القوة العسكرية تورث بالضرورة في قلوب الامم المجاورين المهابة والاحترام وتحدث عندهم الخوف والاعظام ولذلك كانت تفد عليه الملوك من سائر الاقطار ليلقوا اليه مقابل يد الطاعة والصغار وسعت له من أقصى بلاد العرب (بلقيس) ملكة سبأ مع جم غفير من قومها باحتفال كبير لتتظر هذا الملك الشهير في جميع بلاد المشرق بالحكمة والتدبير وكانت التجارة في تلك الايام قد بلغت الى مقدار جسيم بحيث تزداد بها ثروة الامة على الدوام وكانت اساطيل سليمان عليه السلام تنضم الى اساطيل الملك حرام ملك بلاد صور وتساقر الى فرضتي أوفير وطرسيين من سواحل بلاد العرب المجاورة لخليج فارس والى سواحل بلاد إسبانية أو الأندلس فتأتي بالذهب والفضة وسن الفيل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل وبالجملة والتفصيل فان هذا الملك الكبير كما هو بنص عبارة التوراة المذكورة كانت الفضة في زمانه بمدينة اورشليم من

حيث كثرة الوجود كالأحجار وكان نوع الشجر المعزوف الآن (بارز لبنان) كالجوز الذي ينبت في الفلوات ، (هـ) ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما يخصه ادناه ولكن سليمان عليه السلام كان في وسط هذه السعادة الباهرة والسلطنة الزاهرة قد علق عدة نساء اجنبيات من الاقوام الكنعانيين من ماب وعمون وايدومة وصيدا وبلاد الهيثيين وتزوج بهن زوجات وتسرى بعدة جوارى وسريات من غير قومه العبرانيين وأباح في ملكه عبادة الاصنام على خلاف نص التوراة وشريعة موسى عليه السلام اذ قيل فيها خطابا لبني اسرائيل في حق جميع هؤلاء الامم المذكورين : لا تنكحوا نساء هذه البلاد ولا تتخذوا البنات كنسكم أز واجامن رجالهم حيث يفسدون قلوبكم فتعبدوا الهتهم ، (هـ) فغضب لذلك بعض بني اسرائيل أشد الغضب وأوجب ذلك ان يغار صدورهم عليه فتحبوه وخوفوه فلم يصنع لهم نصيحتهم ولم يكثر باخافتهم حتى رأى سوء عاقبة هذا الامر قبل أن ينزل القبر حيث ذهب الرجل المعصي باسم عازر من القوم الايدوميين وآثار فرعون مصر على الاسرائيليين وخرج عن الطاعة آخر يدعى باسم (رصين) واستبد بالامر في دمشق الشام وقوم عليه الاسباط (يربعم) بن نوبات من سبط افرائيم فجهز بذلك تفر يقبني اسرائيل الى فرقتين وتقسم مملكتهن الى مملكتين وآذن لها بالخراب وذات البين وقد كان يرعى هذا رجلا نبيها وانسانا حذقا وجيها فانجذب اليه نظر سليمان والتفت اليه بعنايته حتى أناط اليه منصبه في جملة أهل دولته ثم انبأه النبي عبد ياس من أنبياء بني اسرائيل بان هذا الرجل سيتولى ملك عشرة أسباط من مملكته فاراد سليمان أن يقتله فهرب الى ديار مصر وأقام بها الى أن توفي سليمان بعد ذلك بقليل (في سنة ٩٧٦ ق م) وكان قد تملك مدة أربعين سنة على بني اسرائيل

قال بعض أهل التواريخ : وكانت حكمة سليمان عليه السلام قد فاقت حكمة جميع المشرقيين وسائر المصريين وكان أعقل جميع العالمين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في هذا المكان من مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان (أى قبل ان وقع منه ما وقع من الخطأ كالأجنفى) وكانت شهرته قد انتشرت عند سائر الامم المجاورين وكان قد صنف ثلاثة آلاف مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتعجيد الله سبحانه وتعالى وتكلم في علم التواريخ الطبيعية على سائر الاشجار من ارض لبنان لغاية النبات المعروفة في لغة العرب باسم الزوفا والشمسية الذي ينبت بجوار الحيطان وتكلم على سائر أنواع الحيوان التي توجد على ظهر الارض وسائر الطيور والهوام والاممك التي تعيش في البحر ، (انتهى كلام بعض المؤرخين) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما معناه وقد ضاعت كتبه هذه كلها ولم يبق منها غير التأليف المعروف بعنوان أمثال سليمان وهو عبارة عن مجموع حكم ومواعظ والتصنيف المعروف باسم (الاكلز ياست) أو كتاب حكمة سليمان وهو كتاب

نظرفيه بعين الحقيقة الى جميع الاحوال الدنيوية والذات البشرية وقدرها بقدر قيمتها الاصلية واستتبع فيه من ذلك هذه النتيجة الجلية وهي ان كل شيء باطل وكل نعيم زائل واليه ينسب أيضا ما يعرف في التوراة بما معناه نشيد النشيد أو قصيد القصيد وهو عبارة عن تسبيح وتمجيد وثناء على الله جل جلاله بما هو أهله من الشكر والتحميد مطلب — ذكر اعتزال الاسباط العشرة عن سائر ملة اليهود وخروجهم عن دولة آل داود قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعدم مسطور وقد كانت مدة ملك داود وسليمان هي أعلى درجة بلغت امة العبرانية من الفخار والشوكة السياسية غير أن ذات تلك السعادة العلية وما كان هذان الماسكان قد أحدثا في أحوال أهل دولتهما من العوائد السلطانية والطنطنة الملكية وسعة المخالطات التجارية مع الدول الأجنبية والممالك الخارجية المجاورة لهما لزم بالضرورة أن يرتد بأسواء المضرة على أحوال المملكة الداخلية ويعود بالمفسدة على الاخلاق والعوائد الاهلية والعقائد المالية ولذلك كانت قد ضعفت مادة الدين التي هي الجامعة الوحيدة والرابطة الفريدة بين الامم ايثيايين بما داخل عقائدهم في عهد سليمان من عبادة الاوثان وكانت مملكتهم ولو بلغت ما بلغت من الشوكة الدولية والهيبة السياسية في عهد هذين الملكين الاخيرين قد عجزت عن تأسيس وحدة الامة العبرانية وضعفت عن تقرير اعلاوية سبط يهودا على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت قد ظهرت علامات الفتن الاهلية وبدأت اشارات المحن الداخلية في أواخر ملك سليمان بذلك الزمان وكان قد قام فيهم النبي عبيد ياس فأندرس سليمان مع غاية التوضيح والبيان بتفرق ملكه واخبره مع نهاية التصريح والتبيان بتمزق سلكه وكان ما جرى اليه الحال من صرف المصاريف الجسيمة في العمارات العظيمة والاعمال الفخيمة بمدة هذا العهد الاخير قد تم تجهيز بني اسرائيل لتفرق أهل الشمال عن أهل الجنوب منهم وأوجب بالفعل تفرق جماعتهم الى جماعتين وتمزق شمل دولتهم الى دولتين وهذا هو ما يعبر عنه في عرف المؤرخين باعتزال الاسباط العشرة المعبر عنهم بمملكة بني اسرائيل في مقابلة مملكة يهودا وبنيامين (قال أبو الفدا في هذا الموضع من تاريخه) واقتربت حينئذ مملكة بني اسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط اعني سبطي يهودا وبنيامين وصار للاسباط العشرة مملوك تعرف بمملوك الاسباط واستمر الحال على ذلك نحو ٢٦ سنة وكانت ولد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء الاسلام لانهم أهل الولاية (يعني الحقيقية) وكانت مملوك الاسباط مثل مملوك الاطراف والخوارج وارتحلت الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود يبيت المقدس (اه) (رجع للنقل من التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

قال المؤرخ جيلمان المذكور أعلاه ما معناه وتفصيل ذلك انه بمجرد ان توفي سليمان عليه السلام

كان قد قام بعده على الفور ابنه (رحبعم) وذهب الى مدينة سيشام أو نابلس اذ كان قد اجتمع فيها ساكنو بني اسرائيل ليقلدوه ملكا عليهم وكان رئيسهم يرعى المذكور آنفا فبالإجماع وافقوا عليه أن يحيط بهم بعض ما كان أبوه سليمان قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك واغلق لهم الجواب فقال بنو اسرائيل بعضهم لبعض كما هو نص التوراة «مالنا ولا لداود يا بني اسرائيل قوموا الى خيامكم وتداركوا أنتم يا بني داود الآن نفقة بيتكم» وقام جميع بني اسرائيل وذهباوا خيامهم فأرسل رحبعم بن سليمان وزيره المدعو باشم (عادورام) لمنع هذا القيام فرجوه بالأحجار حتى مات وتجرع كأس السم وأخشى الملك على نفسه منهم ففر هاربا الى اورشليم وخرج من طاعته عشرة أسباط من الامم ائيليين وهم ما عدا سبطي يهوذا وبنيامين حيث بقيتا على طاعته وترك بهما وحدهما قوام مملكتيه وبايع الاسباط العشرة المذكورون بالملك عليهم يرعى الآنفا الذكر وهكذا انقسمت مملكة اليهود بالشام الى مملكتين وتفرقت دولتهم الى دولتين وقضى الامر (وصار المراد بالتعبير بلفظ مملكة بني اسرائيل هو فقط جماعة هؤلاء القبائل العشر) وقد كانت أوسع أرضا ومكانا وأكثر عمرا من سكانا من مملكة يهوذا وان كانت هذه المملكة الاخرى أكثر منها ثروة ويسارا وأكبر حرمة واعتبارا لداعي انه بقي فيها الاستيلاء على تابوت العهد أو صندوق الشهادة ووضع يدها على البيت المقدس وكان جميع العبرانيين يحجون اليه في كل عام ويتمسكون به ويحبل اعتقاد حرمة يتشبثون ويتمسكون ويقررون قرايينهم في معبد الياهوا الاقدس فخشي يرعى ملك بني اسرائيل أن يرغب الحجاج من رعيته في المقام بمملكة يهوذا لباعث الدين ولذلك أحدث حرمين آخرين بمدينة بيتل ودان من بلاد العبرانيين في ذلك الزمان ووضع لهم فيها الاوثان ورتب لهما كهنة مخصوصين واحبارا قسيسين من غير الليويين وأمر رعاياه أن يحجوا اليهما ويقرروا قرايينهم فيهما خلافا لشرعية موسى عليه السلام فساعد ذلك الخلاف على احداث عبادة الاصنام في بني اسرائيل وتقررت فيهم مداومة المخالطات بين ملوكهم ومملكة السوريين (أي أهل الشام) وأما مملكة يهوذا فقد كانت أصح تنسكا وأكثر اعتقادا متمسكا بشرعية موسى عليه السلام ومع ذلك فكانت قد دخلتهم أيضا شائبة عبادة الاصنام واحتاج الحال غير مرة لقصد تنزيههم عنها وابعادهم منها لان بعث فيهم رسل في ذلك العصر يخوفون الرعايا والملوك سوء عاقبة هذا الشوك ويعدونهم في الدار الآخرة اذا أطاعوا الامر أحسن حال في الاستقبال وأنه سيبعث فيهم مسيح يهدي العالم بتمامه الى الدين الصحيح الذي جاءت به شرعية موسى عليه السلام

ومما ترتب على تفرق مملكة العبرانيين الى مملكتين وجرايته تفرق شمل دولتهم الى دولتين ان اضحيات قوتهم وضعفت شوكتهم الى درجة بليغة جدا اذ كانت حدود مملكتهم في عهد

داود تمتد لغاية القرات ثم انحصرت منذ تفرق جماعتهم في مجرد بلاد فلسطين وصاروا بالاعداء الاجانب من كل جانب محاطين والتفتوا الى محاربة بعضهم بعضا وحصل فيما بينهم حروب داخلية شديدة زادت ضعف قوتهم وقامت فيهم قنز أهلية عنيدة أذهبت بقية شوكتهم وجهازهم لاستيلاء البابليين عليهم واسترقاقهم لهم وهو المعبر عنه بالاسر الاكبر عندهم وكذلك اضمحلت يدهم الطولى وزالت دولتهم الاولى غير أن هذا الزوال كان بطيئا حيث مكثت مملكة بني اسرائيل مدة ٣٥٥ سنة فقط وهي بحالة الاختلال الوييل وسقطت مملكة يهودا بعد مدة ٣٨٩ سنة وهي كذلك على اسوأ حال من هذا القبيل

الفصل الرابع

في تاريخ دولة العبرانيين بعد تفرقها الى دولتين وذكر ملوكهم بعد انقسامها الى مملكتين مغيزتين

مطلب — ذكر ملوك مملكة بني اسرائيل ويهودا من بعد تفرقهما وبيان أحوالهما بعد تمزقهما (من سنة ٩٧٦ الى سنة ٧٢١ ق م)

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان أعلاه مامعناه وقد قام يريبعم على مملكة بني اسرائيل عشرين سنة لافتخره ولا حسن ذكر غيراته قد كان أول من ادخل فيهم وبال مثال تداخل الاغراب في منازلهم الاهلية واول داع للملوك الاجانب لقصد توسطهم في أمورهم الداخلية حيث دعا فرعون مصر المشهور باسم (شيشاق) في ذلك العصر لامداده على ملك يهودا ثم ملك عليهما من بعده ولده المدعو باسم (نوذب) بالذال المعجمة في وسطه) (في سنة ٩٥٥ ق م)

ولم يكن رحبعم بن سليمان في مملكة يهودا بالنسبة لدين آبائه باحسن من يريبعم سلوكا حيث اقام كذلك الاصنام للعبادة ببلاده فوق سائر الجبال المرتفعة وتحت جميع الادواح بمعنى الاشجار الملتفة وفي السنة الخامسة من ملكه كان قد حضر فرعون مصر السالف الذكر الى البيت المقدس واستولى عليه واخر به واتهب كل ما يوجد في خزانته من المتاع الانفس واغتصب خزان الملك وأخذ الدروع التي كان سليمان عليه السلام قد اصطنعها من الذهب وعاد الى بلاد بالشقي بغنائم كثيرة جدا

وتملك على مملكة السبطين بعد رحبعم بن سليمان (في سنة ٩٥٩ ق م) ابنه المسعى باسم (افيا) (بفتح الهمزة وكسر الفاء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحتها يليها الف في آخره) فسار كسيرة ابيه في ملكته ومشى على قاعدته وحارب يريبعم ملك باقي الاسباط فهزمه ثم تولى بعده ابنه المدعو باسم (آما) (من سنة ٩٥٦ الى سنة ٨٩٥ ق م) فنظف

الدرس الثَّام ٢٠٢ في التاريخ العام

بيت المقدس مما كان آياؤه قد وضعوه في من الاصنام وحارب الملك المشعي باسم
(زارة) ملك الحبشة أو الايتيوية فانتصر عليه وغلبه ثم تعاهد مع الملك (ريناداد)
ملك سورية على الملك (يعشو) ملك الاسباط فاغار ريناداد المذكور على مملكة بني
اسرائيل ولم يتعد على مملكة يهودا وتوفي آسابعدان حاكم مملكة يهودا مدة احدى وأربعين
سنة

وكان قد تولى مملكة الاسباط في مدة هؤلاء الملوك الثلاثة ستة ملوك كلهم اشتهروا بالكفر
وقبح السلوك منهم (نوذب) المذكور آنفا وهو ابن يربعم فاقام في المملكة الاسرائيلية
أكثر من سنتين (اعني من سنة ٩٥٥ الى سنة ٩٥٣ ق م) ثم قتله (يعشو)
وجلس على تخت الملك بدلا عنه (من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣١ ق م) وكان الملك
يعشو هذا الاجل تثبيت اقدامه في الحكم قد قتل جميع ذرية يربعم فجا احدهم وادعسكوه
الحية المسمى باسم (زمرى) (بفتح الزاي المعجمة يليها ميم فراءه مهمة فياء مثناة تحتية
سا كنة في آخره) وقام على ولده الذي تقلد بالملك من بعده المدعو باسم (ايلا) فقتله هو
وسائر ذريته واستولى على كرسي مملكته ولم يجمع هذا الملك أيضا الاياما قلائل بثمرة عظيم
جنته حيث قامت الجنود فولت على المملكة بدلا عنه أحد قوادهم المدعو باسم (عمرى)
(بفتح العين المهملة يليها ميم فراءه مهمة فياء مثناة تحتية سا كنة في آخره) وجاء عمرى فحصر
زمرى في مدينة (طرشة) التي كانت قاعدة مملكة بني اسرائيل في عهد ذلك الجليل
ولما رأى زمرى انه هالك يبداء أعدائه بالضرورة اشعل النار في قصره فحرق نفسه وسائر اهل
داره وهكذا صار عمرى ملك بني اسرائيل في مكان زمرى فاقام على كرسي المملكة
المذكورة احدى عشرة سنة (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١٩ ق م) منها ست سنوات
بمدينة طرشة المذكورة ثم اشترى جبل سمريه بمبلغ مائة تالان (وهو مقدار وزن معين من
الذهب أو الفضة يختلف بحسب اختلاف البلدان في سالف الزمان) وحدث فيه المدينة
المشهوره باسم (سمريه) وخلفه فيها ابنه المسمى باسم (احوب) (بتسهيل الواو أو بالهمز
عليها في وسطه) (من سنة ٩١٩ الى سنة ٨٩٦ ق م) فكان شرار من أبيه واقبح من
سائر سالفه حيث تزوج بامنة الملك المسمى باسم (ايتبعل) ملك صور المسماة باسم (هازايل)
واحدث في قاعدة مملكته هذه عبادة صنم الصور بين المدعو باسم (بعل) وبني له فيها
معبد المناظر بيت المقدس الذي هو معبد الله عز وجل

وكان في اثناء تلك المدة قد تولى مملكة يهودا (يهوشافاط) بن آسا (وضبطه بفتح الياء المثناة
من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها الف ثم فاء فالف أخرى بعدها
طاء مهملة في آخره) فاقام عليها (من سنة ٩١٥ الى سنة ٨٩١ ق م)

وكان يهوشافاط من أدين ملوك العبرانيين واحسن ولادة أمور الاسرائيليين ابتدى مدة ولايته باصلاح امر الدين في سائر اهل مملكته وفي أيامه كان اللبويون أى احبار اليهود من بنى ليوى بن يعقوب عليه السلام يسافرون من مدينة الى اخرى ويعظون الناس لقصد أن يعيدوا فيهم العقيدة الدينية الاولى وانتصر يهوشافاط على العموريين والماليين ومنع مملكته من صائلة العرب والفلسطينيين وأعاد لمملكة يهودا ما كانت قد فقدته من البهجة القديمة والصولة العظيمة وعقد محالفة أكيدة ومحبة شديدة مع اخوئ بن عمري ملك بنى اسرائيل حيث زوج ابنة الملك المذكور المسماة باسم (عثلياهو) المروقة له من (هازايل) بنت ملك الصوريين بولده المدعو باسم (يهورام) واجتمع مع ملك بنى اسرائيل على تجهيز اسطول عظيم في فرضة آسيون جابر على بحر القلزم لقصد الاتفاف كالغنيقيين بالتجارة على البحر الاحمر وسواحل غرب افر يقية غير ان هذا المشروع لم ينجح ولعل الفنيقيين هم الذين عطلوه وابطلوه فلم ينجح خشية مزاحمتهم على مواد تجارتهم وفي أيامه كان قد وقع في مملكة بنى اسرائيل حادثة قحط شديدة أفنت كثيرا من الامة العبرانية مدة ثلاث سنوات متوالية ورأى الملك اخوئ ان السبب في وقوع هذه الداهية انما هو النبي ايليا فابعده الى الصحراء طرده فعاد اليه مرة أخرى لابطال حجة قسس الصنم المسمى باسم (بعل) السالف الذكر وثانية لانه هذا الملك وزوجته المذكورة اعلاه بما سيوقعه الله سبحانه وتعالى بهما من العقاب في نظير قتلهم الرجل فقير اممه (نابوت) واستيلائهما على بستان كرم كان له وفي الواقع ونفس الامر لم يتأخرا اخوئ السالف الذكر ان أصيب بسهم توجه اليه بالصدقة فقتله في حرب قامت بينه وبين ملك سورية وقام بمملكة بنى اسرائيل من بعده ولده المدعو باسم (اخزيو) (بالف مفتوحة في اوله يليها حاء مهملة ساكنة فزاي معجمة مكسورة فياء مثناة تحتية قواو ساكنة في آخره) (في سنة ٨٩٢ ق م) فلم يمكث على سرير المملكة غير نحو سنتين وكان شرا من أبيه وامه المذكورين حيث عبد الصنم المدعو باسم (بعل) المذكور واعتراه مرض فبعث يستشير الصنم المسمى باسم (بلزبوت) المعبود بمدينة (اكرون) قال في التوراة مانصه ود وكأنه لم يكن اله لبني اسرائيل ثم مات وخلفه على مملكة بنى اسرائيل ذوه المسمى باسم (يهورام) (بفتح الياء المثناة التحتية في اوله) (في سنة ٨٩٥ ق م) وكان قد تولى مملكة يهودا الملك المسمى ايضا باسم (يهورام) بن يهوشافاط (في سنة ٨٩١ ق م) وضبطه بفتح الياء المثناة التحتية وضم الهاء وسكون الواو يليها راء مهملة فالف فيم في آخره) فقتل سائر اخوته واصدقاء أبيه وأهل دولته وفسدت اخلاقه بدسيسة زوجته (عثلياهو) المذكورة أعلاه فاقتدى بملوك دولة بنى اسرائيل في عبادة الاصنام وهزم القوم الايدوميين وكانوا قد خرجوا عليه لانه لم يمكنه ان يدخلهم تحت طاعته بالثاني وهزمه الفلسطينيون

الدرس الثام ٢٠٤ في التاريخ العام

والعرب واخذوا من يده مدينة اورشليم واتهبوها وهتكوا حرمتها واستلبوها ثم مات بعد ان اقام على سرير المملكة سبع سنوات (في سنة ٨٨٤) وخلفه عليها ابنه المسمى باسم (اخزياهو) وضبطه بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاي المتجمعة ثم ياء مثناة من تحتها يليها الف فهاء فواو في آخره فلم يمكث غير سنة واحدة وقتل في ضمن مقتلة بني احثوب حسبما سيأتي ذكره بعد

وتقلد بمملكة بني اسرائيل من بعده اخو ميهورام بن احثوب فقام عليه وخرج عن طاعته من كان يدفع له الجزية من ملوك الامم المجاورين لمملكته وباتحاده مع يهوشافاط ملك يهودا واعانة ملك ايدوم تمت له الغلبة على ملك المابين واسمه (ميسا) ورجع يدفع له الجزية بالشاني وفي ايامه كانت حادثة القحط الذي آكلت فيه امرأة ولدها وجاء خزيسل ملك سوريه فحصره في مدينة سمريه التي هي قاعدة مملكته ثم حصل لجنوده فزع فتركوا الحصار واتحد يهورام المذكور مع اخزياهو ملك يهودا على حصار مدينة راموت جلعا دلاستردا دها من يده ملك الشام فاصاب يهورام جراح في اثناء هذا الحصار فعاد الى بلاده ليعالج جراحه وفي اثناء ذلك كان قد قام رجل اسمه (ياهو) وتقدس ملكا على بني اسرائيل في وسط المعسكر واقرب سائر المعسكر وخرج ياهو على يهورام فقتله بسهم أصابه في قفاه وهو مدبر (في سنة ٨٨٣ ق م) وكذلك قتل اخزياهو ملك يهودا وذهب الى قصر الملكة هازايل بمدينة اسرائيل فرأى امرأة متبرجة وهي باجل الزينة متبرجة تنظر من شبك فضربها بسهم اصاب مقتلها فقتلها واسقطها من شبك القصر وأمر بها فاندست تحت سنابك الخيل واذا هي هازايل حماة يهورام السالفة الذكر ولما أرادوا دفنهم لم يجدوا من جثتها غير بقية رجلها ويديها مع جمجمتها وأكلت سائرها الكلاب وبذلك تحقق نبي الانبي ايليا واستقصى بالقتل سائر اولاد احثوب وجميع أصحابه وأهل دولته مع قسس الصنم المعروف باسم (بعل) وكل من بقي من ذريته وهدم هيكل الصنم المذكور ومع ذلك فلم يهتد (ياهو) المذكور الى سبيل المولى جل جلاله بل استمر على عبادة الجول المتخذة من الذهب التي كانت بمدينة تقي يتيل ودان وكان غير مهاب عند الملوك الاغراب اذ كان قد حارب هزيسل ملك الشام فهزمه ومزق جيوشه واخرب سائر بلاد جلعا و بازان من بلاده ثم مات وخلفه على سرير مملكة بني اسرائيل ولده المدعو باسم (يهو ياحاز) في (سنة ٨٥٥ ق م)

وفي تلك المدة كانت مملكة يهودا قد استغرقت في سفك الدماء بطغيان المرأة المشهورة باسم (عثليا هو) التي هي أرملة الملك يهورام السالفة الذكر وذلك انه بوفاة ولدها المدعو باسم (اخزياهو) المذكور أنفا كانت هذه المرأة الطاغية والمملكة الباغية قد تبعت جميع بني داود فافتهم ولم يسلم منهم غير طفل واحد يدعى باسم (يواش) بن اخزيو (وضبطه بضم الياء المثناة

التحتية يليها واولها همزة مفتوحة فالف فشين معجمة في آخره) وكانت قد أخفته عنها مرضعته وهي عمتها المصماة باسم (يوشايت) زوجة الحبر الاعظم المسمى باسم (جويده) (بتشديد الياء المثناة التحتية في وسطه) وخبأته في داخل هيكل بيت المقدس مدة ست سنوات وكانت عثليا هو المذكورة قد استولت على مملكة يهودا تلك المدة واقامت في مدينة أو رشلیم عبادة الاصنام بدلا عن عبادة الله الحقيقي بالعبادة والتعظيم وفي السنة السابعة جمع الحبر الاعظم في داخل الهيكل المعظم طائفة الليويين وقواد الجنود العبرانيين وأخبرهم بأنه قديق طفل صغير من ولد داود الذين هم أهل الولاية الحقيقية وهو يواش بن اخزبو وأخذ عليهم العهد بمبايعته والذب عنه ولما بلغ عثليا هو هذا الخبر اسرعت بالتوجه اليه لتقتله وتقتضى عليه فارسل الحبر الاعظم من يادر بقتلها فماتت ولم تبلغ أمها وانداست جثتها تحت سنابك الخيل كما وقع لها زاييل التي هي أمها وهرعت الامة الاسرائيلية الى داخل معبد الصنم المدعو باسم (بعسل) فهدموا محرابه وعجلوا باتلاف تمثاله وصورته وقتلوا كاهنه المسمى باسم (ماتان) في ذات المحراب المعد لعبادته (في سنة ٨٧٧ ق م) وحكم يواش ملك يهودا من غير منازع ولا منغص بارشاد الحبر الاعظم المذكور آنفا مادام بقيد الحياة فلما طوته الوفاة طغى يواش وبني وتجاوز الحد في الغدر حتى قتل ولد الحبر الاعظم المسمى باسم زكر يافي ذات دهليز الهيكل المحترم فصاح المقتول وهو يجود بنفسه قائلا مامعناه «ان الله ينظر الي» وسيتمتقي « قال المؤرخ المروى عنه أعلاه وفي الواقع ونفس الامر كان خزيل ملك سورية قد أغار على بيت المقدس واستولى عليه وسفك كثيرا من الدماء فيه و بعد ذلك بقليل صار يواش محتقرا في أعين ساثر بني اسرائيل قتلته اثنان من أرباب دولته (في سنة ٧٣٧ ق م) وكان قد أقام على سرير المملكة الاسرائيلية مدة أربعين سنة وملك بعده ابنه المدعو باسم (امصيا هو) (بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) وانه نصرته عظيمة على القوم الايدوميين بوادي الملح ثم حاربه صاحب مملكة بني اسرائيل المدعو كذلك باسم يواش فهزمه وازاله عن ملكه وعزله واستولى على مدينة بيت المقدس وضمها الى مملكته ثم استرد امصيا هو سرير ملكه اليه بالثاني لكنه لم يلبث فيه الا قليلا حيث قامت عليه فتنة الجأته للهروب الى المدينة المصماة باسم (لاكي) وبها قتل (في سنة ٨٠٨ ق م)

وتقلد بمملكة يهودا ولده المسمى باسم (عز باهو) (بضم العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) فاسترد قلعة ابلة واحاطها بالحكم الحصين وهزم العمونيين والفلسطينيين ومن ثم داخله الكبر فتعدى على ما هو من حق صاحب الرياسة الدينية وأراد أن يباشر بنفسه ايقاد الطيب على محراب العطر في القدس

الشر يف فلحقه البرص وضعف أمره في آخر عمره وحبس عن سائر الناس على فخامة قدره بمقتضى شريعة موسى عليه السلام في مكان متعزل عن سائر الآنام قضى فيه باقى حياته وهو فى أنكد عيش من الايام وفى عصره كان النبى اشعيا وكان أكثر تبشيريه بقرب ميلاد المسيح عليه السلام وتغلب عليه ولده المدعو باسم (يوشم) بياع مشناة من تحتها مضمومة وراوسا كنة وثناء مثلثة مفتوحة يا يها ميم فى آخره) وتقلد بمملكة يهودا من بعده (فى سنة ٧٥٦ ق م) فكانت أيامه ببعض مكان من السعد ثم اعترى مادة السلم الاختلال فى آخر عهده بغارات الملك راصين ملك دمشق الشام وازداد على بلاد يهودا منه أشد الاهوال عدة خلفه المدعو باسم (آحاز) (بهمزة ممدودة فخاء مهيمة قالف قراى معجمة فى آخره) (من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٢٦ ق م) وكان آحاز هذا قد انهمك على جميع أنواع الاوهام التى توجد عند الامم الاجانب فيما يتعلق بعبادة الاصنام حتى صار يذبح لها القرابين البشرية ويوقدها أنواع العقاقير العطرية فى الاماكن العالية ويتزر ابنه لخدمتها يامراره فى وسط النار وترتب على اهمال دين الملة الاسرائيلية أشد المصائب حيث انضم راصين ملك دمشق المذكور أعلاه الى ملك بنى اسرائيل المسمى (فاقح) واجتمع على حصار القدس حتى اضطر آحاز على ان طلب الامداد من ملك العراق المسمى باسم (تجلات فلصر) فلم يتأخر ان قام بجيوشه وحضر الى دمشق واستولى عليها وقتل راصين وبذلك نجا آحاز ملك يهودا من هذه الداهية غير انه وقع فى أدهى منها حيث لم يمكنه أن يصرف غائلة حليفه هذا عن بلاده الا بـذل نقائس أموال الحرم المقدس اليه وجعل نفسه تابعاله وعولة عليه لمكن خلفه ولده المسمى باسم (حزقيا) وكان رجلا صالحا وبطلا مظفرا ناجحا فاعاد الى مملكة يهودا بهجتها القديمة مدة من الزمن غير عظيمة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٦٩٧ ق م)

وفى مدة تعاقب الملوك المذكورين على سرير المملكة بمدينة القدس كانت مملكة بنى اسرائيل بمدينة سمرية قد سقطت فى حالة تمام الانحطاط والنحس فكان (يهو يا حاز) قد خلف عليها أباه (ياهو) ومكث على سرير الملك مدة سبع عشرة سنة فيها (من سنة ٨٥٥ الى سنة ٨٣٧ ق م) وفى جميع تلك المدة كانت مملكة بنى اسرائيل مستغرقة فى بحر التخريب والفساد بغارة (حزبيل) ملك الشام وابنه (يناداد) ثم جاء بعد (يهو يا حاز) ابنه (يؤاش) (من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق م) فكان أسعد من أبيه حيث حارب (يناداد) ملك الشام المذكور وظفر به ثلاث مرات واسترد ما كان قد اغتصبه على أبيه من البلاد والجهات وحارب كذلك (امصيا هو) ملك يهودا فظفر به وانتصر عليه وحصره بمدينة القدس ودخلها من خرق اخترقه فى سورها واستولى على سائر الذهب والفضة وأواني

الحرم المقدس واخذها معه الى سمريه ثم توفي وترك كرسى مملكة بني اسرائيل الى ولده المدعو باسم (يربعم) الثاني (من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٧١ ق م) فاعاد الى المملكة المذكورة حدودها التي كانت لها في سالف الزمان من عند مدينة حص وسفح جبال لبنان الى بحر الصحراء وهو بحيرة لوط عليه السلام واسترد مدينتي حص ودمشق الى حوزة يده بالتباني غير ان هذه الفتوحات البهية كانت آخر نجاح تحصل عليه ملوك سمريه فان من خلف يربعم الثاني هذا من ملوك بني اسرائيل كانوا قد اوقعوا مملكتهم في أشد الوال والعدا ب وجهزوا دولتهم للوقوع في أجدال الدمار والخراب قال في التوراة ما ملخصه وقد كان رجال مملكة بني اسرائيل من مدة مديدة وأيام عديدة قد وقعوا في بحر ظلمات انتهاك حرمت الله الذي اتقدهم من ديار مصر وصاروا يتخذون عبادة الاصنام التي كانت متحكمة عند الامم الاجانب في ذلك العصر ويعملون بعوائد الامم الجحريين والاقوام الجبارين الذين اخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم وزرعوا الاشجار الحبيثة على جميع الاراضي المرتفعة ووضعوا الاوثان على سائر الاشجار ذات الاغصان وصاروا يوقدون انواع الطيب على محاريبها ويعبدون كواكب السماء ويعبدون الصنم المدعو باسم (بعل) ويقذفون أبناءهم وبناتهم في النيران ويعتقدون اخبار السحرة والكهان وانهم مكوا بالجملة والتفصيل على جميع انواع القبائح التي توجب غضب المولى جل جلاله وكان سائر الامم الجاهلية منهمكين عليها في ذلك العصر من هذا القبيل ولم ينفع فيهم ارسال الرسل المبعوثين اليهم حيث لم يصغ لتصحيحهم أحد من بني اسرائيل وظهرت علامات انحطاط دولتهم خصوصا من بعده وفاة (يربعم) الثاني حيث تقلد بولايتهم من بعده ولده المدعو باسم (زكريا) فلم يمكث على سرير مملكتهم غير ستة شهور (في سنة ٧٧١ ق م) ثم قتله المدعو باسم (شالوم) واقام على سرير ملكهم في مكانه مدة شهر واحد ثم اتاه من مدينة طرشة الى سمريه الرجل المدعو باسم (مناعم) فاغار عليه وقتله وصعد على سرير الملك بدله (في سنة ٧٧٠ ق م) وكان ملك العراق المدعو باسم (فول) قد جاءهم وبغارته عليهم فجأهم فلم يتخلص مناعم المذكور مما كاد أن يصيبه من الخراب التام الا بان بذل له مبلغ ألف تالان (من انواع السكة التي كانوا يتعاملون بها في ذلك الزمان) وجاء من بعده ولده المدعو باسم (بقحيو) وضبطه بيا موحدة في أوله فقام مئة فحاء مهمة في بيا مئة من تحتها فواو عليها هزة في آخره) فلم يمكث على سرير مملكة بني اسرائيل غير زمن قليل نحو سنتين ثم خرج عليه أحد قواد عسكره المدعو باسم (فاح) (بفاء موحدة في أوله بليها ألف فحاق مئة فحاء مهمة في آخره) واستولى عليه في سمريه فقتله وتغلب على سرير الملك بدلا عنه (في سنة ٧٥٢ ق م) وفي أيامه كان قد عاد الى بلاد الاسرائيليين قبيلات فلسطين ملك الاسوريين وتغلب على بلاد جلعاد وجليلة وجميع الجهات المملوكة لسيط نفقالي

من تلك البلاد واخر بها ونقل سكانها من العبرانيين الى بلاد العراق فتم بذلك سقوط فاقع من اعلى مريم ملكه وصال عليه المدعو باسم (هوشاع) وكان من أنبياء بني اسرائيل وهو آخر ملوك سمرية فقتله وأقام على مريم الملك ثمانى سنين وهو يدفع الجزية الى سمنصر ملك العراق وأراد أن يخرج عن هذا العار فاستعان بفرعون مصر المتولى في ذلك العصر على تلك الديار ولما بلغ سمنصر هذا الخبر عاد الى بلاد بني اسرائيل بالكر فوضع هوشاع في سلاسل من الحديد وأخذ بحالة الاسر واستولى على سمرية ونقل سكانها الى بلاد العراق بمدينة هالة والتابور من بلاد الميديين الكائنة على القرب من النهر المسمى في ذلك الزمان باسم (غوزان) (في سنة ٧٢١ ق م)

وهاجر أناس من أهل بابل و غوطة واواه وجص وسيفارواثيم وتوطنوا بمدينة سمرية بعد خلوها من العبرانيين وطلبوا بعد ذلك بقليل من سمنصر ان يبعث اليهم حبرا من احبار اليهود المأسورين ليعلمهم أمور دين هذه البلاد ثم تغلبت على عقولهم وأهملهم الاصلية ورواياتهم المليسة فلم يتمسكوا بعصا في دين اليهودية بل خالطوا بينهم بعض عقائد اجنبية من أديان الصابئين وكان ذلك هو أصل منشأ طائفة المعتزلة الذين الموسويين المعروفين بالصرة أو السامريين وهم نسل هؤلاء الاقوام التازلين ببلاد اسرائيليين باختلاطهم مع من بقى في تلك البلاد من القوم اليهود الاصيلين

الفصل الخامس

في تاريخ مملكة يهودا من بعد انقراض مملكة اسرائيلين لغاية خراب بيت المقدس على يد مجتصر ملك السوريين

مطلب — ذكر ملوك دولة يهودا بعد انقراضهم بالملك (أهني في المدة من سنة ٧٢١ لغاية سنة ٥٨٢ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما لخص معناه وفي مدة انحطاط دولة بني اسرائيل وانقراضها بالكلية في مدينة سمرية كانت دولة يهودا بالقدس قد علا أمرها وارتفع قدرها بمدة تملك (حزقيا) عليها (من سنة ٧٢٦ الى سنة ٦٩٧ ق م) وضبطه بعكس الحال المهمة وسكون الراي المجمة يلهم افاق مشاة قباء مشاة تحنية بعدها الف في آخره) وكان من الاتقياء الكبار والاولياء العظام فلذلك ابتدئ مدة حكمه بجهاد الاوثان فكسر الاصنام وقطع الاشجار الخبيثة ومزق الثعبان المتخذ من النحاس الذي كان يعبدونه بنو

اسرائيل

اسرائيل في تلك الاحصار وفي ايامه عادت الامة الاسرائيلية الى قوتها الاصلية بواسطة عودها الى عقائدها الاهلية وتمسكها بديانتها المالية ومن ثم نجح خزيها في جميع مشروعاته وظفر باعدائه من الاقوام الصغيرين الذين كانوا ملكته مجاورين في سائر غزواته فهزم الفلسطينيين واخرب جميع بلادهم الى حد غزة وكان مع ذلك يدفع الجزية الى ملك الاسوريين مثل ابيه فلما تمتع من ادائها اليه في السنة الرابعة عشرة من مدة حكمه اغار عليه الملك المسمى باسم (سنحاريب) ملك العراق واستولى على حصون مملكة يهودا واضطر خزيها للتخلص منه بان يذله جميع اموال الحرم المقدس ثم اراد ان يستعين بفرعون مصر عليه فعاد ملك العراق المذكور بالحرب اليه وكان النبي اشعيا قد انبأ بان بني اسرائيل يكفون شر سنحاريب من غير قتال ولا تخريب فصدق الله جل جلاله قوله نبيه وارسل جبريل على جيش الاسوريين وكانوا القدس محاصرين وذلك ان سنحاريب بعد ان غزا ديار مصر فلم ينجح في غزوته كان قد وجه سائر قوته لمحاربة العبرانيين وحصرهم في بيت المقدس وضيق عليهم غاية التضيق فارسل الله سبحانه وتعالى على جنوده رسوله فاهلك منهم ١٨٥٠٠٠ رجل وفرع سنحاريب من هذا الامر الهائل وجرع من ذلك الهول الهائل فرجع عنهم الحصار وبادر الى بلاده بالفرار (في سنة ٧١٣ ق م) وتولى بعد خزيها ولده المسمى باسم (منشا) (بفتح الميم والنون الموحدة وتشديد الشين المعجمة بعدها الف في آخره) فاقام على سرير مملكة يهودا مدة مديدة وسنوات عديدة اعنى خمسا وخمسين سنة (من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق م) وكان من افسق ملوك اليهود فلم يقتد بسيرة ابيه ولم يهتد لطريق التوحيد بل اظهر غاية الكفر والعصيان واشتهر بالفسق والطغيان واعاد بدعة الاماكن المرتفعة واقام المحارب للضم المعروف باسم (بعل) وغرس الغابات العظيمة من الاشجار الذمية وعبد كواكب السماء وكان ابوه قد احترم الانبياء فانتهك هو خزمتهم ومثل بهم وسفك دماهم وقتلهم واسال اموالهم من الدم في بيت المقدس المعظم ولذلك كان قد جاء ملك العراق المدعو باسم (اسارادون) فحسم مادة طغيانه وقطع شدة كفره وعصيانه واغار على مملكته واخذها اسيرا الى مقر دولته ثم عفا عنه واعاده الى كرمي ولايته حتى تقلد بمملكة بلاد الاسورية ملك آخر فارادان يقطع دابر صورة الاستبداد للظاهرية التي كانت قد آلت اليها مملكة يهودا في تلك الحقبة العصرية ويزيلها بالكلية فارسل صهره المدعو باسم (هولو فيرت) قائد الجنود كثيرة ووضع الحصار على مدينة (بتوليا) من بلاد العبرانيين وكانت قد كانت هذه المدينة ان تسلم مقابل يدنها اليه واذا بامرأة ارملة تدعى باسم (نوديت) تزينت باجمل الزينة وخرجت عليه واجتمعت به في خيمته وكان قد اتخذ وائمة عظيمة وشرب بالخير حتى سكر في ليلته وغلبه النعاس فنام نوما ثقيلا فقطعت

رأسه وجاءت به الى المدينة ليل قتيلا وأصبح جندا لاعداء فلم يجدوا قائدهم وقعدوا رئيسهم فتفرق شملهم وتمزق جمعهم كاهم وقروا هارين وبواسطة مكيدة هذه المرأة الشهيرة نجت المدينة المذكورة وبقيت مملكة يهودا بحالة السلم لغاية مدة انتهاء ملك منشا حتى خلفه ابنه المدعو باسم (امون) (بدا الهزيمة في أوله) من (سنة ٦٤٢ الى سنة ٦٤٠ ق م) فلم يتبع أباه الا في فسقه وعدم تقواه وقتل في السنة الثانية من مدة حكمه وخلفه ابنه المدعو باسم (يوشيا) (بضم الياء المثناة من تحتها يليها واو ساكنة ثم شين معجمة مكسورة فياء مثناة تحتية مشددة بعدها ألف في آخره) من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩ ق م) وكان يوشيا هذا من المهتدين لطريق المولى جل جلاله وذلك أن الخبر الأعظم كان في أيامه قد عثر في بعض أماكن الحرم على الواح شريعة موسى فأطلع عليه عليها فزق ثيابه جزعا وتطعمها قطعاً اسفا وقرعا لكون الأمة كانت في ذلك العصر لم تعمل بشيء مطلقا من احكامها وهرع الى الحرم الشريف مصحوبا بجميع احبار اليهود واوليائهم وسائر آحاد الأمة الاسرائيلية بكارهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم وعقد منهم محفلا كاملا وموكبا شاملا وقراء عليهم كتاب الشريعة الموسوية لصداعادتهم للعمل باصول الديانة الاصلية وجدد عهد بني اسرائيل القديم مع المولى الكريم وحلف واستخلف سائر بني اسرائيل على ان لا يجيدوا عن هذا الطريق المستقيم ثم حرق الاصنام وقتل العيافين عن آخرهم واستأصلهم عن دابرهم واتتهك الأماكن العلية ونظف دين الاسرائيليين من جميع الدنسات التي كانت قد خالطته من اديان الامم الاجنبيين قال في التوراة وذلك وعلى وجه بحيث لم يل بنى اسرائيل من قبله ملك توجه كمثلهم بجميع قلبه وروحه وسائر قوته في طريق المولى الجليل (هـ)

ومع ذلك كله فقد كان حال دولة بني اسرائيل الصغيرة بين كل من الدولتين الكبيرتين (وهما دولة مصر ودولة العراق الشهيرتين) ذواتي الفتوحات السكثيرة قد آل لان صار في كل يوم يزداد ضيقا ولذلك تحالف يوشيا هذا مع الملك نبخاووس فرعون مصر وتوجه كل منهما بجنوده لقتال ملك العراق فوقع بين ملك يهودا وبينه بمدينة مجدله (في سنة ٦٠٩ ق م) تلاقا انهزم فيه يوشيا رقتل ورجع خدمه بجثته الى مدينة اورشليم وتقلد بالملك من بعده بدلا عنه ولده المعسمى باسم (يهوياحاز) فجاء نبخاووس السالف الذكر واخذ هاسير الى مصر فكث بها حتى مات وكان ملك العراق قد اقام في مكانه على سرير مملكة يهودا (يهوياقيم) (بفتح الياء المثناة تحتية في أوله وضم الهاء بعدها واو ساكنة متبوعة بقاف مثناة يليها ياء مثناة تحتية فيم في آخره) وفي أيامه كان النبي ارميا (بفتح الهمزة في أوله بعدها اراء مهمل فيم فياء مثناة تحتية قالف في آخره) فتشرع ثيابه المشهورة لاقدس الشريف حيث اخبر فيها بقلم تأليف عال منيف بما سبب

بيت المقدس في المستقبل من المصائب الشديدة والنوائب العديدة وبكى تلك المصائب
 بغاية الأسف والتأفّف فلم يقابل يهوياقيم هذه الاخبار النبوية والانذار الا كهية الابان
 اجرى على النبي المذكور العذاب الاليم ومع ذلك فقد تحقق نبأؤه وتصدق خبره فكان
 فرعون مصر نيمخا ووس قد استولى على جميع البلاد الكائنة على غربي الفرات ووصل الى
 مدينة قرقيشة وهي مدينة من بلاد الجزيرة كانت موضوعة على شاطئ الفرات ولها تحكم
 على العبور عايه وهي مدخل بلاد الجزيرة المذكورة (وتسمى الان باسم قبر بيزيا) وكان
 يختنصر قداشركه ابوه معه في سرير مملكة بابل وعهد اليه بالملك من بعده فسار يقود جنوده
 عليه وحاربه وغلبه وبقيت مملكة يهودا لا تجد من يدفع عنها فسلت امرها اليه ودخلت تحت
 طاعته وجاء يختنصر الى القدس واستولى عليه واستلب سائر خزانة دار الملك وجميع الاواني
 المقدسة التي كانت بداخل الهيكل واخذ معه الى بابل ذات يهوياقيم اسيرامع عشرة الاف رجل
 اسرى من بني اسرائيل وكان ذلك هو اول الاسر عباد الكبير ومبدأ الرق الشهير الذي مكث
 فيه بنو اسرائيل سبعين سنة وكان يختنصر قد اطلقه من الاسر فعاد الى بلاده بالثاني واراد ان
 يستعين بالمصريين على البابليين فعاد الاسوريون الى مملكة يهودا بالثاني وحاربوه فقتلوه واتصب
 على سرير الملك بدلا عنه ولده المسمى باسم (بختنصر) (بياء مثناء تحتية مفتوحة وخاء مجمة مفتوحة
 ايضا يليها نون موحدة ساكنة ثم ياء مثناء تحتية مضمومة بعدها واو في آخره) فلم يقم غير ثلاثة
 شهور وخلفه عمه المسمى باسم (صدقيا) واستعان ايضا بفرعون مصر فخرج عن طاعة يختنصر
 فحضر بختنصر بنفسه اليه واستولى على القدس بالعنوة والقهر واستلبه واحرقه واخر به وهذه
 هي الغزوة الثالثة للاسوريين ببلاد فلسطين في (سنة ٥٨٧ ق م) وفر صدقيا هاربا الى البادية
 فلحقته فرقة من جنود البابليين رقبضوا عليه في سهول نابلس واحضروه لختنصر فامر بذبج
 ابنائه وسمل عينييه واخذوا اسيرامقيدا في سلاسل من الحديد الى بابل العراق وهو آخر ملوك
 مملكة بني اسرائيل الاولى بالاتفاق وساق اليها قائد عسكري العراقين المدعو باسم (نبوزراذون)
 سائر الاهالي العبرانيين وامريق ثيلاد بن اسرائيل غير ثقليل من فقراء الفلاحين لقصد
 زراعة الاراضي فقط فولى عليهم يختنصر من طرفه عاملا يسمى باسم (جودولياس) من
 اعيان بني اسرائيل فلم يمكث في دست ولايته غير سبعة شهور وثار عليه رجل يدعى باسم
 اسماعيل من نسل ملوك مملكة يهودا فقتله وابطل عمله ومن خاف جبر يختنصر من اليهود
 فرهاروا الى ديار مصر فصار يختنصر ايضا الى تلك الديار ووقع بها الخراب والدمار وشمل خبره
 من كان فيها من اليهود فاخذهم اسرى الى بلاده وبذلك زالت ايضا مملكة يهودا واندرجت
 في خبر كان بعد ان مكث مدة ٣٨٩ سنة عن الزمان من عهد تملك رحبعم من سليمان

الفصل السادس

في تاريخ ارض فلسطين من بعد تخريب بيت المقدس على يد بختنصر وهي مدة الاسر الاكبر

مطلب — ذكر النبي دانيال وما كان عليه بنو اسرائيل بمدة الاسر الاكبر من الاحوال (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٣٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيلاز اعلاه ماتعريبه ادناه ولما تغلب على بلاد فلسطين بختنصر (وذلك التغلب هو المعبر عنه في كتب اليهود بالاسر الاكبر) نشئت الملة اليهودية في سائر الاقاليم التابعة للسلطنة الاسورية في العراقية وصارت لا وطن لها ولا هيكل ولا معبد لها ولا محراب حيث آل بيت المقدس يجبر بختنصر الى غاية الخراب ومع ذلك فلم تزل تلك الامة المأسورة لها في الدنيا صورة وجود مذكورة وذلك ان بختنصر كان قد عاملها باصول المروءة الانسانية فتركها تهمل بعوائدها الاهلية ورخص للعبانيين ان يشتروا املاكا ارضية وان يكون لهم منهم قضاة خصوصية بل ترقى جماعة من اليهود في دولته الى بعض المناصب العلية منهم النبي دانيال وهو من نسل داود عليه السلام وكان قد فاق في العلوم والحكمة على سائر احبار المجوس والكهنة الموجودين في المملكة حتى صار عند ملك بابل في اعلى منزلة التكريم والاحترام واعتمد عليه الاعتماد التام وكان من دلائل حكمته العجيبة ومعجزاته الغريبة وهو حديث السن قصة براءة امرأة من بني اسرائيل تسمى باسم (سوسان) وهي امرأة يهوياقيم وكانت قد صحبت زوجها في الاسر بمدينة بابل ففجأها رجلان عبرانيان وهي في الحمام وارادا ان يفعلوا بها الفاحشة فابت ذلك فاتهم بماها بالزنا فاطهر الله برآئها على يد النبي دانيال عليه السلام وبعد ذلك بقليل كان بختنصر قد رأى في المنام رؤيا مفرعة وهي كأن صنم رأسه من ذهب وصدره ونزاعاه من فضة وبطنه وفخذه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه من طفل وقد طرقة حجر فانفصل من الجبل فالتقاه الى الارض وطلب بختنصر من يأول له هذه الرؤيا المزججة من كهنة مملكته فلم يجد من يفسر هاله غير النبي دانيال فاحضره عنده فاوآله وقال ان ذلك انما هو مثال سرعة زوال الدول العظيمة القائمة ببلاد آسية اذ هي وان كانت بهيجة الرأس لكنها واهية الاساس فاحبب الملك هذا التأويل وغمر بالانعام بني اسرائيل وجعله فوق جميع ارباب المناصب العلية من اهل دولته في سائر مملكته

ثم شرع النبي دانيال بعد ذلك في ان يأتي من الاخبار بالغيب بانحس الانذار من ذلك ما ذكر في توارخ اليهود من ان ملك بابل المعنى باسم (بلتازار) من بني بختنصر كان ذات يوم على حسب عادته قد عكف على تعاطي جميع انواع الفواحش وجلس يشرب الخمر في الاواني المقدسة التي كان قد انتهبها جده بختنصر من هيكل بيت المقدس واذا بيد من نار صطرت

على الحائط وفاقريية وكلمات مجهولة المعنى عجبية فزع لها الملك وخرج فنذكر النبي دانيال واحضره وطلب منه ان يعرفه معنى هذه الكلمات الثلاث وهي (مانى تيسيل فارس) فقال له ان معناها الحكم يزوال الدولة الكلدانية البابلية وفي الواقع ونفس الامر كان في ذات تلك الليلة قد حضر ملك فارس المشهور باسم (كيرش اوقروس) ودخل مدينة بابل من مجرى نهر الفرات واستولى عليها ومن ذلك الوقت صارت مملكة العراق اودولة الاسوريين ومن جملتها بلاد فلسطين التي هي بلاد العبرانيين تحت يد دولة القوم الفارسيين (في سنة ٥٣٦ ق م) انتهى الى هنا معربا مع بعض تصرف واختصار من كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان واكثر ضبط الاسماء الاعلام من تاريخ ابي الفدا عليه سبحانه الرحمة والرضوان

تسمية

تتضمن بعض ايضاحات مفيدة وزيادات سديدة فيما يتعلق بتاريخ العبرانيين (معربة من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرنسيس لونورمان) وهي تشمل على أربع مسائل

المسألة الاولى

مطلب — ذكر الطريق التي سلكها موسى عند خروجه بيني اسرائيل من مصر الى بلاد الشام وما قيل في مقدار عددهم وذكر المن والسلوى اللذين أنزلهما الله عليهم وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بتاريخهم — قال المؤرخ فرنسيس لونورمان في مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان وانما عدل موسى عليه السلام في سفر خروجه بيني اسرائيل من ديار مصر الى الشام بالسيرة نحو بحر القلزم ورأس جبل الطور لغرض صحيح تام كان قد فكره وتدير سديد كان من قبل قد دبره والافقد كان اقصر طريق واقربه للسفر من ديار مصر الى أرض كنعان ان يتوجه بهم الى جهة الشمال ويسير معهم على سواحل البحر الابيض المتوسط ويبلغ بهم الى غزة مارا بالقلعة المسماة في ذلك العصر من ديار مصر باسم (دينوكور وره) (وهي قلعة العريش) والباعث له على عدوله عن هذه الطريق الاخيرة هو انها كانت على سائر خط ممرورها وجميع محطات عبورها محصنة بقلاع مشيدة وحصون هائلة سديدة من اعمال الفراعنة السالفين وفيها رباطات مستعدة عديدة من الجنود المصريين قد كانت لربما تعطل سير العبرانيين وكانت جنود فرعون الذين كانوا لهم حمتبعين يسهل عليهم ان يلحقوهم في هذه الطريق حيث كان المصريون متعودين على السير فيها في غزواتهم لبلاد آسية الغربية ولوسلك بنو اسرائيل هذه الطريق لا كانوا من غير شك ملقوهم ومزقوا شملهم ومحقوهم على انه فضلا عن ذلك قد كان من أعظم سوء التدبير ان

يستجمل موسى بتعريض قومه من بعد خروجهم من ديار مصر على الفور لباشرة الحرب بهم مع
 الاقوام الحريين من الكنعانيين والحال ان القوم العبرانيين كانوا قد انحطت همهم
 وضعفت عزائمهم لطول مكثهم في ربة الاسر بديار مصر ولم يكن لهم عادة باستعمال
 الاسلحة ولا بالاجابة للنهوض بما فيه المصلحة ولو كان قد اتخمت معهم القتال لكان ما أسرع
 ما يهرع لاغاثة الاقوام الكنعانيين جنود فرعون المصريون اذ كان الاقوام الكنعانيون
 تحت طاعته وكانوا داخلين في ذلك العصر بدائرة سلطنته وقضلا عن ذلك أيضا كان القوم
 العبرانيون قبل ان يتسلطوا الارض الموعودة ويتكاثروا في صورة أمة مستقلة وديثة ملة
 بامر ولايتها مستبدة محتاجين حاجة مطلقة لان يروا بنوع تجربة لقصد امتحانهم ويعبروا
 بمدرية لا صلاح شأنهم ويكتثروا مدة في الصحرا بجمالة الاعتزال عن الاقوام الجاهلية والامم
 عبدة الاصنام الذين طالما مكثوا بين اظهريهم فالزم ابعادهم خصوصا عن فساد المدن مدة من
 الزمن حتى يستعدوا لما أعد لهم الله من الكرامة وعلاو الشأن ولم يكن ثم سبيل آخر لا صلاح
 حالهم وانجاح استقبالهم وارجاعهم للتمسك بعقيدة آباؤهم اذ كان قد اعترها الفساد
 بطول المكث في الاستبعاد ولقد كان هذا المشروع في الجملة عظيم الموانع جسم القواطع
 فلم يكن ثم وسيلة للحصول عليه غير العناية الالهية المستمرة فلذلك كان الله سبحانه وتعالى
 هو المعين لهم بذاته والمتولى لامرهم بقوته وقد كان عددهم حسبما ذكر في التوراة ستمائة
 الف من الرجال غير النساء والاطفال فساروا تحت قيادة موسى عليه السلام وكان سيرهم
 بالضرورة سيرا بطيئا فلم يصلوا الى سواحل البحر الاحمر الا بعد ثلاثة ايام في طريق يصعب الآن
 تعيينها وتعيين المنازل التي نزلوا عليها منها على وجه الضبط والاحكام ولم تكن قافلهم مركبة
 من مجرد العبرانيين دون غيرهم بل ذكر في التوراة انه كان قد صحبهم جوع كثيرة من
 الاقوام الاهليين الاصليين ومقادير كبيرة من المواشي والانعام وعلى هذه الهيئة الاجتماعية
 ساروا في صحراء لا يكاد يجتذ فيها نجوع العرب ماء ولا مراعى من الارض الاشياء قليلا قد يوجد
 على مسافات متباعدة بمضها عن بعض ولذلك كان الله سبحانه وتعالى من اول ايام سفرهم
 قد احلى لهم معجزة لموسى عليه السلام المياه المرة ثم لما وصلوا الى كورة رافيديم المجاورة لجبل
 حريب كان الله قد ارسل لهم مقادير كثيرة من السلوى وهو الطير المعروف بالسما في كل واديه
 حتى شبعوا وضرب موسى بعصاه الصخر بالوادي المعروف الآن بوادي المقطب فاتفجر ماء شربوا
 منه حتى ارتووا واجرى الله على يديه موسى ايضا هذه المعجزة ثاني مرة لانقاذ قومه من موت
 كاد يلحقهم وهلاك كاد يحرقهم وفي هذه المرة ايضا كان قد اخذ في ان انزل عليهم المن الذي مكثوا
 يتقوتون منه مدة الاربعين سنة التي اقاموها في البادية جزاء لهم على كفرهم قال في التوراة
 قدسوا كان المن ينزل عليهم في كل صباح في معسكرهم فيلتقط منه كل واحد منهم على وجه السرعة

الدرس التام ٢١٥ في التاريخ العام

ما يلزم له في يومه حسب اذا كان متى جيت عليه اشعة الشمس اذ ابته واذا بقي الى غدا فسد الا في صبيحة امس يوم السبت حيث كانوا يلتقطون منه قوت يومين بدون ان يعتريه الفساد حتى يتيسر لهم العمل بالراحة المعدة فيه لعبادة المولى جل جلاله (هـ)

ولما وصل بنو اسرائيل الى وادي رافيديم اغار عليهم العماليق وهم قوم من اقدم قبائل العرب الجاهليين ومن اقواهم شوكة فنصرهم الله عليهم حيث زحفوا عليهم وقتلواهم والتقوا معهم ونازلوهم تحت قيادة يوشع عليه السلام الذي سيفتح بهم الارض الموعودة لهم وهي بلاد الشام ومكث بنو اسرائيل في البيداء ثلاثة شهور منذ خرجهم من ديار مصر حتى وصلوا الى سفح جبل سيناء اوجبل الطور وهناك انزل الله على موسى شريعته وارسل اليه رسالته واخبره بذلك بواسطة صوت الرعد وضوء البرق وماخيم من السحب والدخان على الجبل المسدكور فاعلن اول الامة العبرانية بما يجب على المكلف من الواجبات الاصلية لله سبحانه وتعالى وما يجب عليه لجاره ولانفسه وذلك هو ما يعرف عند اليهود بالاوامر العشرة السالفة الذكر وضم لذلك احكاما اخرى تفصيلية تكونت من مجموعها الشريعة الموسوية ووعد بنو اسرائيل بالعمل بهذه الشريعة الالهية ثم عاد موسى عليه السلام الى جبل الطور واختفى عن الابصار حيث احاط به السحاب وبقي فيها اربعين يوما بليلاتها يتلقى الوحي لبيان ما يفرض اجراه من كيفية العبادة الظاهرية وامتحان الامة العبرانية بهذه المحنة الاولى وكان بنو اسرائيل لم يزلوا بعد اقواما جللا فامتو حشيش وانا ساجدة متلونين فلم يصبروا على هذه المحنة السعرة اعنى الايمان بالاوامر الالهية العلية التي سيكون عليها مدار كينوتهم المالية واساس ترتيباتهم الدولية وما كان منهم الا انهم بددوا غياب موسى عليه السلام عنهم في هذه المدة القصيرة افتتنوا فتنه كبيرة ونسوا عظمة الله سبحانه وتعالى الذي انقذهم من ربقة الاسر بديار مصر وخانوا ما عاهدوا الله عليه من العمل بشريعته وتماها لا تقياد اليه وقالوا لهارون اتخذنا آلهة تسبقنا الى حيث نذهب فعمل لهم عجلا من ذهب على مثال العجل المدعو باسم (ايس) المعبود في ديانة المصريين ولما شاهدوا العبرانيون صاحبوا قائلين يا بني اسرائيل هذه آلهتكم التي اخرجتكم من مصر ورفع هارون لهذا الصنم الحقيق حرايا وقرب له القرابين وعاد موسى اليهم فغضب عليهم ثم ابتهل الى الله سبحانه وتعالى أن يغفر لهم ويتوب عليهم وغلب عليه الغضب فضرب الارض بالواح الاحجار التي كتب الله فيها بيده شريعته فانكسرت وألقى الصنم في النار وبعث بنى ليوى في بنى اسرائيل ليزج من بقى على الاصرار على الكفر من هؤلاء القوم الكفار ثم تحت احجارا آخر وكتب فيها الاوامر العشرة بامر الله الواحد القهار (هـ)

المسألة الثانية

مطلب — شرح قصة العهد والمظلة وأول تأسيس هيكل أو معبد لله تعالى في بني إسرائيل على هيئة منتقلة (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور و بعد أن أعلن موسى عليه السلام لبني إسرائيل بشريعته في جبل الطور شرع في أن يضع لهم كيفية عبادة الله سبحانه الظاهرية وأصول مناسكهم المرئية إذ كان من الزم اللزوم المبادرة بهذا الأمر المهم لأجل تثبيتهم على عقيدة التوحيد حيث كانوا قومًا يحبون الاحتفالات الظاهرية ويميلون لشد الميل لداعي تعلقهم بالمواكب للرثية للرجوع إلى الوقوع في عبادة الأصنام فآخبر أولاد هارون ومشاخ قبائل بني إسرائيل بما أوحاه الله إليهم من هذا القبيل ثم نشره في سائر الأمة وأطلعهم على صورة هيكل منتقل يجب اتخاذه من الآن فصاعدًا لاشهر عبادة الله في جميع الملة ونصب هارون وبنيه الأربعة بوظيفة خدمة لهذه العبادة المرتفعة وخص جميع بني ليوى بأعبائهم على أداء مقتضى وظائفهم مكافأة لهم على ما حصل منهم من بذل المجهود في توثيق ما يجب لله سبحانه من حق التوحيد وطلب موسى عليه السلام من مكارم بني إسرائيل أن يذلوأ من أموالهم ما يلزم لعمل ما جرت العادة عندهم بأن يعبر عنه بما معناه قبة العهد والمظلة وهي عبارة عن خيمة اتخذوها هيكلًا منتقلًا إلى حيث اتفقوا ومعبدًا أمر تحلوا معهم إلى أين ارتحلوا ليعبدوا فيه المولى جل وعلا فيبادروا بإحضار مقدار كثير من المواد والمعادن النفيسة والجواهر الثمينة وأقاموه وزخرفوه بها ورفعوا فيه المحاريب وجعلوا فيه الأواني المقدسة واشتغل بالعمل فيه عمال كثيرون تحت إدارة رجلين من لرباب الفن والانتقان منهم يدعى أحدهما باسم (بيساليل) من سبط يهودا والثاني (أوالياب) من سبط دان وأسر عوا في أنشائه حتى تم عمل بنائه وأمكن تركيبه وإيقافه لله سبحانه في السنة الثانية من عهد خروجهم من ديار مصر وكانت تلك الخيمة شبيهة بالخيام ذات الرونق والرفاهية التي كان يتخذها ليمتاز بها مشايخ عرب البادية في ذلك العصر غير أنها كانت من داخلها مطبقة بتخشيب من كبة من ألواح من الخشب مكسوة بطنافس ملونة تزداد بها مئانة وهي على شكل مربع مستطيل أطول أضلاعه متجه من المشرق إلى المغرب يشتمل في باطنه على المكان المقدس أي بيت الله الأصلي وهو المعبر عنه بالحراب الحقيقي يحيط به من جميع جهاته ساحة متسعة غير مسقوفة يوجد على جانب منها ما يعرف بعامعناه (محراب الأضاحي أو القرابين) متخذًا من الخشب المطبق به فاشع من نحاس كانوا يذبحون عليه الذبائح فربا نال الله سبحانه وتعالى وحوض متسع متخذ من المعدن المذكور كان أحبار اليهود يغسلون أيديهم وأرجلهم فيه

قبل ان يقرئوا من محراب الاضاحى او القرايين وقبل ان يدخلوا المحراب الاصلى والمحراب الاصلى المذكور منقسم من داخله الى مكانين منفردين يستتر من القماش المخيش الفاخر احدهما (البيت المقدس) والثاني (البيت الاقدس) اما الاول فلم يكن فيه من قبيل الامتعة المقدسية غير ثلاثة اشياء وهى اولاً ما يدعى عندهم بمامعناه (لوحة فطيرة العرض) وهى من خشب مكسوب بالذهب كان يوضع عليها فى كل يوم سبت اثنتا عشرة فطيرة من غير خبيرة يقدمها الاثنا عشر سبطاً من بني اسرائيل لله سبحانه وتعالى على سبيل التقرب والتجليل ثانياً (شمعدان الذهب ذو السبعة افروع) الشهير ثالثاً (المحراب المنقل الصغير) وهو مصطنع من خشب مكسوب بصفائح من ذهب كانوا يوقدون فيه انواع الطيب وقد بقيت صورة كل من المحراب الصغير والشمعدان المذكور منقوشة فى جملة النقوش البارزة المصورة على باب النصر المعروف فى مدينة رومية الكبرى بباب نصر القيصر طيبة وس اشارة الى أن هذين المتاعين كان القيصر المذكور قد أخذهما فى جملة الاسلاب التى كان قد استلبها من مدينة القدس بعد استيلاء الرومانيين عليها ووجد أيضاً على بعض عمارات مصرية من اعمال الفراعنة السالفين صورة لوحة قربان من الخبز لاهتهم المعبودين والظاهر ان لوحة فطيرة الاسرائيليين كانت قد عملت على مثالها وصنعت على منوالها واما البيت الاقدس فلم يكن مشتملاً على شئ غير ما يسمى بمامعناه السفينة المقدسة وتابوت العهد أو صندوق الشهادة وهو الموضوع فيه صحف التوراة المكتوب فيها الاوامر العشرة المنزلة على موسى عليه السلام وذلك اشارة الى ما انعقد من العهد بين الله سبحانه وتعالى وقومه (يعنى بني اسرائيل) وهو عبارة عن صندوق متخذ من خشب لا يعتريه الفساد مكسوب بصفائح من الذهب وقد ورد له ذكر فى التوراة بوصف غير تام ولا متضح والظاهر ان بني اسرائيل كانوا قد اتخذوا تابوت عهدهم هذا على مثال ما حصل عليه العثور فى الهيكل المصرى القديمة ودلت عليه نقوشهم البارزة الفخمة مما أطلق عليه اعظم النواويس (جمع ناوروس) وهو عبارة عن مصلى صغير منتقل ومعبود مختصر من فحل متخذ من خشب يشتمل على بيت الصنم يوجد فى كل هيكل من هياكلهم العظيمة وكانت نواويس المصريين هذه مغلقة الابواب على الدوام والاستمرار وفيها صورة الصنم الذى اعتلعبادته الهيكل بحيث لا يراه أحد من البشر وكأنته كان فى اعتقادهم محل سكنه وموضع وطنه واما البيت الاقدس من تابوت عهد العبرانيين المذكور هنا فقد كان كذلك ليس لأحد من بني اسرائيل أن يدخله غير موسى عليه السلام والخبر الا عظم (المعبر عنه عند اليهود بالناخام) ولا يباح لهم الدخول فيه الا فى بعض ايام معينة من السنة ولم يكن فى داخله صورة ولا تمثال من هذا القبيل مطلقاً لكون شريعة موسى كانت تحرم تصوير الله سبحانه وتعالى بى صورة محسوسة ولا هيئة مادية ايا كنت اجتناباً لخطر الوقوع فى عبادة الاصنام وغاية ما هنالك ان موسى عاينه السلام كان قد وضع فيه صحف الاوامر العشرة التى كان قد

انزلها الله عليه على سبيل كونها هي الالة المرئية والعلامة الحسية للعهد الذي انعقد بين
بنى اسرائيل والحضرة الالهية العلية (هـ)

المسئلة الثالثة

مطلب — الكلام على الجرائح أو الجوامع العشر أو الآيات العشر التي ذكر في تاريخ
بنى اسرائيل ان الله سبحانه وتعالى اصاب بها فرعون وقومه من اهل مصر معجزة لموسى
عليه السلام (معرباً أيضاً من مختصر تاريخ القوم اليهود للتأريخ فرانسيس لونو رمان
قال المؤرخ المذكور أعلاه في هذا المقام ما تعري به أدناه ومع ان موسى وهارون انما
طلبنا من فرعون مصر ان يرسل معهما بنى اسرائيل الى اليبس ليقربوا الى الله سبحانه وتعالى
القرايين في الصحراء فقط كان فرعون المذكور قد امتنع من اجابتهما مع الاحتقار لهما
وبدلاً عن أن يسمح بادننى حرية لبنى اسرائيل كان قد زادهم من الاعمال الشاقة التحميل باثقل
حمل ثقيل ولذلك كان الله سبحانه وتعالى قد اصاب تلك البلاد على يد موسى عليه السلام بعدة
جوائح أو مصائب الهية اشتهرت بجماعته جوائح مصر العشر أو الآيات العشر وورد لها في
التوراد على هذا الترتيب المسطر بعد اوضح الذكر وهي

(الاول) ان ماء النيل قد تغير وتلون بلون الدم الاحمر وصار كره الرائحة حتى صار بالصفة
يضر واضطر اهل مصر لان حفروا آباراً ليأخذوا منها الماء للشرب
(الثاني) ان الضفدع قد كثرت نواحي مصر حتى ترتب على كثرة لاهاليها ما لا يطاق من الضر
(الثالث) ان الناموس قد كثرت حتى عم بالعذاب الناس والدواب
(الرابع) انه انتشر في جميع الديار والغيطان أنواع هوام أخرى منها نبات وردان المعروفة
بالصرصر غير ما ذكر فالتفت المزارع واضرت بمحصولات الفنون والصنائع
(الخامس) انه حصل موتان نفق بهما كثر المواشى والحيوان بتلك البلدان
(السادس) انه كان يعلوان الناس والدواب بشور ودمامل شديدة الالتهاب
(السابع) انه قد تواتر على الارياض نزول يرد كثيف مصحوباً بالبرق والرعد
(الثامن) انه قد انتشر بجميع نواحي مصر جراد كثير انلف جميع المزارع التي كانت قد
سلمت من البرد

(التاسع) انه قد كان خيم على سائر جهات الجوبديار مصر ظلام كثيف نشأ كما يظهر
عن رياح عاصفة جلت معها غبار من الرمل
(العاشر) انه قد حصل على حين فجأة من اهل مصر وباء قتل سائر الاطفال المولودين جديداً
في ذلك العصر

قال المؤرخ فرانسيس لونو رمان السالف الذكر والبيان ما معناه وهذه الجوائح المسرودة

اعلاه هي التي قد تعثرى اقليم وادى مصر في كل مدة من الدهر - وهي معهوده لهم من سالف العصر وحيث نفذها من الآيات الالهية والمعجزات النبوية انما هو من حيث كثافتها الخارقة للعادة المعهودة واجتماعها في مسافة من الزمن غير مدبدة وما رأى ذلك فرعون مصر ندب على ما فعل واشتد به الخوف فالتمس من موسى وهارون ان يطلبوا من الله توقيف تلك المصائب ففعلا وأجاب الله دعوتهم وما زال الخطر عاد الى ما كان عليه من القساوة والشر حتى هلك سائر الاطفال في جميع نواحي ملكته ولحق الموت ذات ولده فاثقلت عرى عزيمته واخلى سبيل بني اسرائيل (هـ)

المسئلة الرابعة

مطلب - ذكر نبذة مختصرة فيما يتعلق بحالة بني اسرائيل العلمية وما اثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية - من المعلوم ان هذه الامة قد كانت هي بيت النبوة ومعدن الرسالة من عهد آدم وجهور الانبياء والرسل منهم ولذلك لم يشتهروا الا بالعناية بعلوم الشرائع وسير الانبياء فكان احبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وعنهم أخذ ذلك علماء الصحابة من المسلمين كعبد الله بن عباس وكعب الاحبار وعبد الله بن منبه ولم يشتهر علماء اليهود بالعلوم العقلية ولكن ربما كان في أيام دولتهم من عنى ببعض علوم فلسفية وقليل ما هم ومع ذلك فقد علم ان لهم حسابا دقيقا في تاريخ شرعيتهم ومعاملاتهم لكن لم يعلم هل كان ذلك من نتائج عقول علمائهم أو كان قدرته لهم بعض العلماء من الامم الاجانب ثم لما تفرقوا في البلاد بعد ذهاب دولتهم وتفرق جماعتهم وداخلوا الامم الاغراب تحركت هم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فقال بعض افراد منهم بعض شئ من فنون الحكمة والقوانين العلوم التاريخية منهم يوسف ابوسيفوس مؤرخ اليهود وهو المنقول عنه غير مرة فيما اسفلهنا مما هو عنه في التاريخ ما ثور قال المعلم بوليت الفرنساوى صاحب كتاب معجم البلدان ومشاهير ابناؤه الزمان ما ملخصه ادناه وهو رجل من قوادعساكر اليهود مولود في سنة ٢٧٧ ميلاد المسيح عليه السلام بمدينة اورشليم من فرقة اليهود المعروفة باسم القاريزيين كان قد اشتهر خصوصا بما كتبه من تواريخ قومه الاسرائيليين وذلك انه كان قد تقلد من لدن قومه العبرانيين بولاية اقليم جليلة من بلاد فلسطين حين قاموا على الرومانيين (في سنة ٦٧ ب م) ويعسدان تجلد للحصار في مدينة (يوطابات) مدة مدبدة كان قد اذعن للرومانيين بالطاعة فأخذه القيصر طيطوس الى مدينة رومية الكبرى وهناك اشتغل بتأليف كتاب تاريخه المشهور باسم الآثار اليهودية وقد كان كتبه أولا باللغة السورية ثم باليونانية وهو عبارة عن تاريخ اليهود لغاية استيلاء الرومانيين على القدس وله مؤلفات أخرى في فن التاريخ نقلت كلها الى اللغة اللاطينية ثم الى الفرنسية وتوجد متداولة في ايدي الناس بالبلاد الفرنجية (انتهى باختصار)

٢٢٠ تذييل في التاريخ العام

يشتمل على جدول رمي يتضمن مقابلة ملوك كل من مملكة يهودا وبني اسرائيل المتعاهدين
وبيان تاريخ مبدأ ملك كل منهم لزيادة الايضاح والتبيين (معربا كذلك من مختصر
تاريخ القوم اليهود للتأريخ فرانسيس لونورمان)

مملكة يهودا		مملكة بني اسرائيل	
أسماء الملوك تاريخ مبدأ ملكهم ق م		أسماء الملوك تاريخ مبدأ ملكهم ق م	
٩٧٨	رجيم بن سليمان	٩٧٨	يربعم بن نوبات
٩٦١	اقيا بن رجيم	٩٥٧	نوذب بن يربعم
٩٥٨	اسابن اقيا	٩٥٥	يشو بن احيا
		٩٣٢	ايلان بن يشو
		٩٣٠	زمرى
		٩٣٠	عمرى
		٩١٩	احوب بن عمرى
٧١٦	يهوشافاط بن آسا	٨٩٩	احز يو بن احوب
٨٩١	يهورام بن يهوشافاط	٨٩٨	يهورام بن احوب
٨٨٧	احزيا هو بن يهورام	٨٨٦	ياهو بن نمشى
٨٨٩	عثلياهو بنت احوب		
٨٨٩	يوأش بن احزيا هو	٨٥٨	يهوياحاز بن ياهو
٨٣٩	اباصياهو - بن يوأش	٨٤٢	يوأش بن يهوياحاز
٨١٠	عز ياهو بن اباصياهو		
		٨٢٧	يربعم الثانى ابن يوأش
		٧٧٣	فترة بدران ملك من ٧٧٤ الى
		٧٧٣	ذكر يابن يربعم الثانى
		٧٧٢	شالوم بن يابن
		٧٧٢	مناعم الاول ابن جادى
		٧٦١	يقهيو بن مناعم
		٧٥٩	ياقيم بن ريماليا
٧٥٨	يوثم بن عز ياهو		
٧٤٢	احز بن يوثم		
٧٢٧	حزقيا بن آحز		
٦٨٥	منش بن حزقيا		
٦٤٢	آمون ابن منش		
٦٤٠	يوشيا بن آمون		
٦١٠	يهوياحاز بن يوشيا		
٦١٠	يهوياقيم بن يوشيا		
٥٩٩	يحنون بن يوشيا		
٥٩٩	صدقيان بن يوشيا		
٥٨٨	زرافا القديس وزوال مملكة يهودا	٧٢١	زوال مملكة بني اسرائيل

الدرس الثام ٢٢١ مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الثالث من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عمومية

- ١ - ما مرتبة الامة اليهودية بالنسبة لمن جاورها من الامم السالفين من حيث الحوادث السياسية وما مرتبتها من حيث الدين
- ٢ - ما الفرق بين التاريخ الاثري والبشري وما معنى كل منهما وما المراد بتاريخ العبرانيين وكيف ينقسم وما العهد القديم وما العهد الجديد
- ٣ - ما الذي يقتضيه الترتيب الطبيعي من تعقيب تاريخ وادي النيل بتاريخ العبرانيين وما اهمية معرفة تاريخهم بالنسبة الينا معاشر المصريين
- ٤ - ما الذي يقتضى ذكره من الكلام على تواريخ العبرانيين من حيث التاريخ العام مقدمه

- ٥ - ما المراد من لفظ آسية وما اقسامها الاصلية وما المراد بآسية الصغرى والكبرى وآسية الغربية
- ٦ - ما المراد بالشام وارض كنعان وفلسطين عند الامم المتقدمين والمتأخرين وما منظرها وما فيها من الجمال والانهار والبحيرات والامكن الكبار
- ٧ - ما المراد بالعبرانيين واليهود وبنى اسرائيل والاسرائيليين وما النسبة بين هذه الالفاظ وما أصل اسم اليهود

الفصل الاول

- ٨ - ما اصل منشأ الامة العبرانية في الزمن القديم وما قصة اينا ابراهيم ولوط عليه الصلاة والسلام
- ٩ - ما قصة يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني اسرائيل بمصر في سالف العصر
- ١٠ - ما قصة موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من مصر في ذلك العصر
- ١١ - ما حقيقة شريعة موسى بالنسبة لشرائع الامم المتقدمين في ذلك العصر وما هي الاوامر العشر
- ١٢ - ما المراد من قانون السفة السبعية والمدة الخمسينية وماذا ترتب على اجراءهذين القانونين من تحسين احوال الامة العبرانية وماذا كانت حالة اللبوين بين اظههم

الاسرائيليين في تلك الاحقاب الزمنية

- ١٣ - كيف كانت حالة موسى مع بني اسرائيل في وادي التيه وابن مات وماذا اثر عنه في التوراة من القصيد الذي انشاه حين حضرته الوفاة
- ١٤ - ماهي الترتيبات التي وضعها موسى عليه السلام لبني اسرائيل قبل الوفاة

الفصل الثاني

- ١٥ - بماذا ايد كريوشع عليه السلام وكيف فتح بيني اسرائيل الشام وكيف اقتسموها بعد ان توطنوها
- ١٦ - كيف كانت حقيقة حكومة العبرانيين بالشام في أول أمرهم وما المراد بقدماء بني اسرائيل أو مشايخهم وقضاةهم أو حكامهم
- ١٧ - كم كان عدد قضاة بني اسرائيل ومن كان اشهرهم وابعدهم صيتاوا كبرهم
- ١٨ - بماذا اشتهر عثنيال واهوذ والمرأة المشهورة باسم ديبوره وجذعون وايمالخ وبفتح وشمشون الجبار وعالي الكاهن وشمويل وما أصل تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل

الفصل الثالث

- ١٩ - ما كيفية تملك شاول او طالوت على بني اسرائيل وكيف كان سلوكه من جيل ورجل
- ٢٠ - كيف كان منشأ داود وما قصته مع شاول او طالوت ومع جالوت
- ٢١ - كيف تملك داود على بني اسرائيل من بعد وفاة شاول او طالوت وكيف كانت مدة ملكه عليهم وكيفية سلوكه فيهم
- ٢٢ - ما كيفية حكومة القوم المعروفين بالفلسطينيين وابن كانت منازلهم من ارض فلسطين وماذا فعل داود بهم وبغيرهم من اعداء بني اسرائيل الذين كانوا لهم مجاوزين
- ٢٣ - كيف كانت حدود ملك داود عليه السلام وماذا احدث لمادة تجارة بني اسرائيل من المساعدة والتسهيل
- ٢٤ - ماذا ترتب على قصة داود مع احد قواد عسكره المدعو باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بتسبا) المشهورة من الحوادث التي هي في التواريخ مذكورة
- ٢٥ - ما قصة خروج ابلشوم بن سليمان على ابيه وما قصة خروجه وولده الاخر المدعو باسم عادونياش أيضا عليه
- ٢٦ - ما تاريخ وفاة داود عليه السلام وماذا انشأ عن ملكه في احوال بني اسرائيل من النتائج والترتيبات بعد ان مات
- ٢٧ - هل كان داود ملكا فقط كما قد يقال أم كيف كان الحال

الدرس الثامن في التاريخ العام

- ٢٨ - كيف كان تملك سليمان على بني اسرائيل من بعد ابيه داود وكيف كان حاله مع الملوك المجاورين له وبماذا ابتدئ مدة حكمه وما حدود مملكته وكيف كانت حالة بني اسرائيل في ايام دولته
- ٢٩ - من الذي انشأ بيت المقدس وعلى أي رسم كان انشاؤه وبأي وسيلة وكيفيه كان تشييده وبنائه
- ٣٠ - ماهي المباني والعمارات التي بناها سليمان عليه السلام غير بيت المقدس السالف عليه الكلام
- ٣١ - كيف كانت درجة ملك سليمان عليه السلام من الهيبة والاعظام وماذا ترتب على امتداد صيته وهيبته من دخول الممالك المجاورة له تحت طاعته
- ٣٢ - ما قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام
- ٣٣ - كيف كانت حالة المعاملات التجارية بين بني اسرائيل والممالك الاجنبية في عهد سليمان عليه السلام
- ٣٤ - ماذا قيل في حق سليمان مما يخالف شريعة موسى عليه السلام كما هو في التواريخ مذكور وماذا ترتب على ذلك في بني اسرائيل من الفتن واينغار الصدور
- ٣٥ - ماذا كان يربعم بن نوبات وما قصته مع سليمان عليه السلام
- ٣٦ - ماذا قيل بشأن حكمة سليمان في سالف الاوقات وماذا يؤثر عنه من الكتب والمؤلفات
- ٣٧ - ما قصة اعتزال الاسباط العشرة عن سائر اليهود وكيف كان خروجهم عن دولة آل داود
- ٣٨ - ما تفصيل قصة تفرق دولة بني اسرائيل الى دولتين وتغزق مملكتهم الى مملكتين
- ٣٩ - ما المراد بقول المؤرخين من هنا فنار لاهلكة بني اسرائيل في مقابلة ملك يهوذا ونيامين

٤٠ - ماذا ترتب على تفرق مملكة العبرانيين بالشام من المصائب والالام

الفصل الرابع

- ٤١ - من الذي تولى مملكة بني اسرائيل ويهودا بعد تفرقهما من الملوك وماذا كانت حالة كل واحد منهما من طريقة السلوك - يربعم بن نوبات - رجبم بن سليمان آفيا - اسا - نودب - يعشو - زمرى - عموى
- ٤٢ - ما اصل مدينة صمرية في سالف الجبل وجعلها قاعدة مملكة بني اسرائيل
- ٤٣ - ماذا قيل في حق اخو ب ملك بني اسرائيل من الذكر الرذيل
- ٤٤ - ماذا قيل في حق يهوذا فاط ملك يهودا من الذكر الجميل
- ٤٥ - بماذا يذكر اخريون اخو ب ملك بني اسرائيل من الذكر الويل

- ٤٦ - بماذا يذكر يهورام بن يهوشافاط وكيف كان تأثير زوجته عثليا هو عليه
 ٤٧ - بماذا ذكر اخزيا هو ملك يهودا ويهورام ملك بني اسرائيل وماذا فعل ياهو وبما
 ذات كرام المرأة الطاغية المسماة باسم عثليا هو
 ٤٨ - كيف تقلد ملكة يهودا يواش وكيف نجح من مقتلة بني داود وعاش وكيف كان
 سلوكه الى ان مات
 ٤٩ - كيف كان سلوك امصيا هو بن يواش - وعزيا هو - ويوشم - وآحاز - وحزقيا
 ٥٠ - كيف كان حال ملكة بني اسرائيل في مدة سلوك ملكة يهودا المذكورين اعلاه
 يهوياحاز - يواش بن يهوياحاز - برعم الثاني - ذكر يابن برعم الثاني - شالوم
 مناهم - يقيو - فاقح - هوشاع
 ٥١ - ما اصل منشأ الفرقة المعتزلة من اليهود المسماة بالسمرية والسامريين

الفصل الخامس

- ٥٢ - ماذا كانت حالة ملكة يهودا من العظمة وعلاو الشأن اذ كانت ملكة بني اسرائيل
 قد اخذت في الانحطاط والهوان
 ٥٣ - بماذا يذكر حزقيا ملك يهودا من الذ كراجميل وماذا يذكر في ايامه من حادثه
 معجزة النبي اشعيا من انبياء بني اسرائيل
 ٥٤ - بماذا اشتهر منشأ الكفر والعصيان وعبادة الاوثان ومن الذي حسم
 مادة الاستقلال الظاهرية التي كانت قد آلت اليها حالة الدولة العبرانية في تلك
 الحقبة الزمنية وما قصة المرأة المشهورة باسم (نوديت) الاسرائيلية
 ٥٥ - بماذا يذكر امون ويوشيا والى مآلت حال لملك بني اسرائيل في عهد هذا الملك
 الاخير من الضيق والتأخير يهوياحاز - يهوياقيم - والنبي ارميا
 ٥٦ - ماذا فعل بخت نصر بالقدس - يحنو - صدقيا - جودلياس - اسماعيل

الفصل السادس

- ٥٧ - ما قصة النبي دانيال وماذا كان عليه بنو اسرائيل بعد الاسر الا كبر من الاحوال

تمة

المسألة الاولى

- ٥٨ - ما الطريق التي سلكها موسى بنى اسرائيل في سفره من مصر الى الشام وماذا
 قيل في عددهم وما المن والسلوى اللذين ابرهما الله عليهم وغير ذلك مما يتعلق بهم
 المسألة

المسألة الثانية

٥٩ - ما المراد بقبة العهد والمظلة وما أول هيكل تأسس في بني اسرائيل على هيئة منتقلة وما صفة ذلك الهيكل حسب ما جرى عليه من عهد موسى العمل

المسألة الثالثة

٦٠ - ما هي الجرائح والآيات السبع التي ابتلى الله بها ديار مصر في سالف الايام وما حيشية كونها معجزة لموسى عليه السلام

المسألة الرابعة

٦١ - كيف كانت حالة بني اسرائيل العقلية وماذا أثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية

تذييل

٦٢ - جدول تعاصر ملوك مملكة كتي يهودا وبني اسرائيل من القوم العبرانيين وبيان تاريخ جلوس كل واحد منهم على سرير الملك ببلاد فلسطين



الباب الرابع

في تاريخ الاسوريين والبابليين واهل بلاد العراق وكردستان السالفين

اعني تاريخ دولة النماردة ببلاد الرافق وهي بلاد كلدنة ونيين والسريانيين وهم النبط
او النبطيون وبلاد الجزيرة المسمية عند اليونان في سالف الرمان باسم الميز وبوتامية اي
بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وهي احد العراقين (العربي والعجمي) من تلك الجهات
واصل مأخذ هذا الباب من عدة موارد

(اولا) من كتب التواريخ القديمة المدرسية اي التي كان جاريا عليها التعليم بالمدرس
الاوروية وهي القطع الباقية من تاريخ المؤرخ الكلداني اليوناني المشهور باسم (ديرون)
في ضمن الجزء الثالث من مجموع القطع التاريخية اليونانية المطبوعة بمعرفة المطابع الفرنسية
الشهير باسم (ديدو) وتاريخ المؤرخ هيردوت اليوناني وديودور الصقلي وغيرهما
(ثانيا) من تحقيقات علماء الاقربح المتأخرين والسياحين الاورويين والعصرين
فيما يتعلق بالبحث عن الآثار السريانية القديمة وكيفية قراءة القلم السرياني المسمى ايضا
بالخط السناني الذي هو على شكل سنان الرمح او المسامير وهم الرجال المشاهير باسم (نوته)
و(دوسولسي) و(اوبير) و(مينوت) من الفرانسييس و(السيار) و(راولنسون)
و(نوريس) من الانجليز وغيرهم

افكار تقديمه وقوائدهمومية

قد ذكرنا في ضمن المسألة السابعة من تحت الباب الاول المتعلق بتاريخ الاغصار الاولى
والازمان الاصلية نقلا عن مختصر التاريخ القديم للوزير الفرنسي المعروف باسم ويكتور
دوروي الشهير ما يفيد ان اقدم الدول التي تأسست بعد الطوفان في سالف الازمان قد
كان بوادي النيل ووادي دجلة والفرات اعني دولة الفراعنة بالديار المصرية ودولة النماردة
ببلاد العراق وبابل وبلاد الاسورية وحيث اسلفنا الكلام في الباب الثاني والثالث على
تاريخ قدماء المصريين والعبرانيين الذين كانوا لهم من الامم المجاورين من اوائل امرهم بعد
الطوفان فنازلا لغاية استيلاء دولة الفرس عليهم في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه
السلام فقد لزمنا ان نضع دهره ثالثة في ميدان تلك الازمان لنتبع كذلك تاريخ البابليين
والاسوريين المعبر عنهم في كتب المؤرخين المسلمين بالسريانيين او دولة النماردة ببلاد العراق

والجزيرة والسككانيين ومن انحاز اليهم في تلك الاقطار من اوائل تلك الاعصار فداروا
لغاية تغلب دولة الفرس عليهم (في سنة ٥٣٣ ق م)

وقبل الشروع في تاريخ البابليين والاسوريين يلزمنا حسبما جرت به عادة المؤرخين كما
فعلنا فيما يتعلق بوصف وادي النيل وما يليه من بلاد الشام وفلسطين ان نذكر بعض معلومات
جغرافية وفوائد تعريفية فيما يتعلق بما يعبر عنه في اصطلاح العلماء الجغرافيين بحوض
دجلة والفرات او بلاد ما بين النهرين وذلك كما اسلفناه في الابواب السابقة لقصد تعريف المكان
قبل السكان راجعين بالنقل في هذا الباب عن مختصر تاريخ البلاد الشرقية والهند للثوريح
فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقدرة بناه ايضا على مقدمة وعدة
فصول فتقول

مقدمة

في بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية تتعلق بالاقطار الفراتية

مطلب - وصف حوض دجلة والفرات وما شتمل عليه من الممالك والولايات
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ البلاد الشرقية والهند ما نعرّيه بعد
ان سلسلة الصحاري العظيمة الحارقة من المغرب الى المشرق للنصف الشرقي من الكرة
الارضية تمتد من عند البحر المحيط الغربي المسمى بالاقيانوس الاطلنطي لغاية الجزء
المعروف باسم (هوانجهاي) او البحر الاصفر الذي هو جزء من البحر الصيني وتقطع اول مرة
عند الحدود الفاصلة بين افريقية وآسية بوادي النيل ثم تستمر الى جهة الشرق حتى تنقطع
مرة ثانية عند مركز اتساعها عرضا بواحة ثانية هي اوسع من الواحة النيلية اي الديار المصرية
غبرانها ليست باقل منها من حيث الخصوبة الارضية وذلك المكان هو في الحقيقة حيث
تبدل طبيعة ارض الصحاري وتحول من هيئة سهل منخفض الى صورة هضبة مستوية
مرتفعة جدا ونهر ارجلة والفرات هما اللذان تتكون منهما تلك الواحة حيث كانا يجياهما
حولها محيطان وهذه الواحة الكبيرة هي التي كانت تسمى عند بني سام السالفين باسم النهرين
وعند اليونان باسم (الميزوبوتامية) ومعناه ايضا ما بين النهرين بمعنى الجزيرة ويطلق عليها عند
العرب اسم الجزيرة على وجه الاطلاق وهي خلاف جزيرة العرب كما هو معلوم عند اهل
اللغة والادب وهي التي تسمى ايضا في قديم الاثر الواردة في التوراة باسم بلاد (سنعار
اوشنغار) (بالسين والعين المهملتين او بالشين والغين المعجمتين) ومتبع كل من هذين
النهرين في مكانين متقاربين احدهما من الاخر يجانب الجبال المسماة في سالف الزمان باسم

جبال (نيفانيس) وتسمى الآن باسم جبال (كشيش) ببلادارمنية وهما اولايجريان في اتجاهين هما بالكلية متخالفان ثم شيئا فشيئا يتقاربان حتى يصيرا متوازيين وبعد ذلك في مجرى واحد يجتمعان ومن ذلك المكان يسمى مجموعهما باسم (شط العرب) الا انهما في الخليج الفارسي معا يصبان

وتنقسم الجزيرة الفراتية المذكورة لداعي اختلاف تركيب طبيعتها الارضية العلوية واختلاف منظر رساتيقها الزراعية ودرجة خصوبتها التي هي كخصوبة ارض مصر مشهورة الى قسمين متباينين (احدهما) الجزيرة الشمالية وكانت تشمل اولا على الولاية المعروفة عند السلف بلاد (اوسروينة) وهي البلاد التي كانت قاعدتها المدينة المشهورة باسم (ايديس اوانطاكية) المسماة باسم (اورفة) الآن (وثانيسا) على الولاية التي كانت تسمى في سالف الاحقاب العصرية بلاد الاسورية (نسبة الى آسور بن سام بن نوح عليه السلام وقد يعرب بلفظ مريان وتنسب اليه اللغة السريانية) وفي مكانها ما يدعى الآن ببلاد كردستان وقد كانت قاعدة تلك البلاد الاصلية مدينة (نينوى) (وهي مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) ومن مدائنها الكبيرة واما كنها الشهيرة اربل ولاريس وارتميت وغيرها ومجموع بلاد اوسروينة والاسورية كله عبارة عن سهل كبير تتركب ارضه من مادة جيرية لا تصلح للزراعة الا في الاماكن التي يوجد بها منابع مائية او مجرى ماء غزير وباقى ارضه المتسعة هي من قبيل الصحارى الاصلية لم تزل من سالف الاعصار غير متزرعة بخلاف القسم الثاني وهو الجزيرة الجنوبية التي هي عبارة عما يشتمل على بلاد بابل او بلاد البابلية الاصلية وهي البلاد المنحصرة فيما بين دجلة والفرات من عند جنوب بلاد الميزوبوتامية او الجزيرة الحقيقية الى حد ملتقى النهرين المذكورين وعلى ما يدعى ببلاد كلدة وهي البلاد التي نلى ملتقى النهرين الى حد الخليج الفارسي وقد يعبر ببلاد البابلية عن سائر بلاد الجزيرة الجنوبية اعني عن بلاد بابل وكلدة معا وهما المعبر عنهما ايضا الآن ببلاد العراق العربي في مقابلة العراق العجمي او الفارسي الذي هو من ضمن بلاد فارس المسماة الآن ببلاد ايران ومجموع بلاد بابل وكلدة المذكورين هو ايضا عبارة عن سهل كبير غير انه اسفل من السهل الاول يسير وتتركب ارضه من الطينة الحادة المجاورة من الجهات العلوية مع مياه النهرين المذكورين حيث كانا من عند ابداء هذا القسم الثاني متقاربين ليس بينهما من البعد غير مسافة من حلة واحدة ويظهر لعين الراي منظر تلك البلدان من ذلك المكان في هيئة مرج متسع عظيم لا يحتاج لغبر الري حتى ينزرع و يأتي من المحصول بمقدار جسيم وتبلغ الحرارة في فصل الصيف الى درجة شديدة جدا حتى على ذات المشاركة بذلك الاقليم واما الشتاء فهو فيه معتدل الهواء في غاية اللذة والهناء ويقبض ماء دجلة والفرات في اوقات دورية من السنة فيروى الاراضي

المنخفضة غيراته لا يجلب اليها طيناً يرسب عليها كالنيل ومع ذلك فلو تدبرت طريقة الري الطبيعية هذه بطريقة هندسية صناعية كما كان ذلك حاصل في سالف الحقب العصرية لصارت بلاد كلدان الآن هي البستان الجميل في سائر الاقطار الآسية فقد كان الارز والشعير في سالف الازمان يأثبان من المحصول عن الواحد بالمائتين واما الآن فلداعى اهمال اعمال الترع والجسور لا يأتي المحصول الا بنحو العشر من محصول سالف الاعصار وليس في تلك البلاد اشجار غير الخيل وقد تكون منها غابات عظيمة قد تكون متسعة مسعة جسيمة جداً (انتهى معرباً من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للثوري فرانسيس لونورمان)

مطلب - تعريف الماراد من بلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية قد فهم مما توضح اعلاه أن ما يعبر عنه ببلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية هو البلاد المحدودة من جهة الشمال ببلاد ارمنية ومن جهة الشرق ببلاد فارس وبلاد المبدية ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الغرب ببلاد الشام وجزيرة العرب وان تلك البلدان يخترقها طولاً نهران عظيمان وهما (أولاً) الفرات وقد كان موضوعاً على هذا النهر في سالف الازمان من مشاهير المدن والبلدان كل من مدينة (يتساك) (وهي المعروفة الآن بالدير) وقرية (كونا كسه) ومدينة بابل الشهيرة في تلك الازمان (وثانياً) نهر الدجلة وقد كان عليه مدينة نينوى وكانت أيضاً من أشهر البلدان في سالف الازمان ومصب النهرين واحد كما سلف بذلك التوضيح والبيان وقد كانت تنقسم بلاد الآسورية هذه الى ثلاثة اقسام اصلية (احدها) بلاد الآسورية الحقيقية ويقال لها بلاد نينوى او البلاد النينوية ومدنه الاصلية نينوى واربل (الثاني) بلاد الميزو توتامية بمعنى الجزيرة او شام ما بين النهرين ومدنه الاصلية مدينة (ايديس) وهي انطاكية المسماة الآن اورفة وهي المسماة أيضاً بالرها ومدينة (كاز) وهي المشهورة في التوراة لداعى اقامة ابراهيم عليه السلام فيها باسم (هاران) ولم نزل نعرف بهذا الاسم لغاية الآن (الثالث) بلاد بابل او البلاد البابلية ومدنه الاصلية بابل وكونا كسه وقد يطلق على مجموع هذين القسمين الاخيرين اسم بلاد كلدان او الكلدانيين هذا ما كان يفهم من اطلاق لفظ بلاد الآسورية واقسامها الاصلية عند الامم المتقدمين

مطلب - ذكر الولايات المشمولة في حوض دجلة والفرات ووصف تلك البلدان على حسب ما هي عليه الآن (معرباً من جغرافية المعلم قورتنير الكبرى السالفة الذكر والبيان - اعلوا ايها الاخوان ان البلدان والاقطار التي كان يعبر عنها باسم الجزيرة والآسورية والبابلية وكلدان في سالف الاعصار هي عبارة الآن عن سائر الولايات والايات بمعنى الاعمال (جمع عمل بمعنى ولاية) أي البلاد المنصوب عليها

عامل اووال من طرف دولة كبرى وهى دولة بنى عثمان الآن بالنسبة لجميع تلك البلدان التى هى من جملة بلاد آسية الغربية المعدودة من جملة ما يعبر عنه فى هذا الزمان باسم تركية آسية او الولايات العثمانية ببلاد آسية الغربية كما سبق لذلك فى مقدمة الباب الثالث من بعض توضيح وبيان وذلك عبارة عن بلاد ارمنية العثمانية (فى مقابلة ارمنية الروسية اى البلاد الكائنة تحت سلطنة قبصر الروسية من ارمنستان) مع بلاد الاكراد وكرديستان ثم بلاد الجزيرة وبلاد العراق العربى المعبر عنه ايضا ببلاد السواد من تلك البلدان وصفتها مع ما فيها من مشاهير المدن والبلدان على حسب ما هى عليه الآن كما وصفها العالم الجغرافى الفرنساوى المشهور باسم فورتييه فى كتاب جغرافيته الكبرى هو كما يأتى بعد بالتفصيل والبيان اما ارمنستان العثمانية وكرديستان فهما على شرقى بلاد آسية الصغرى يمتدان وكلاهما متكون من اراض مرتفعة جدا هى اكثر من سائر الممالك العثمانية ببلاد آسية الغربية ردا وفى جهة الجنوب منها اعنى فى البلاد التى تعرف فى سالف الاحقاب العصرية باسم بلاد الاسورية قديما ووجد سهول حارة وارض مستوية مخصبة سارة ووجد بارمنستان الآن من مشاهير المدن والبلدان المدينة المعروفة على لسان الاتراك بمدينة (ارطروم) (محرقة عن أرض الروم بقلب الضاد طاء) وهى حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس ويصطنع بها اجود الاسلحة التركية البيضاء ومدينة (كارس) وهى قلعة حصينة معروفة بمقاومة عملية حصار شهيرة حصلت عليها من الجنود الروسية فى سنة ١٨٥٥ الميلادية ومدينة (وان) الكائنة على الشاطئ الشرقى من بحيرة وان وهى موضوعة على القرب من مكان المدينة التى كانت تسمى باسم (سيمارا موسرته) فى سالف الزمان ثم مدينة (ديار بكير) المسماة ايضا باسم (آمد) وهى مدينة كائنة على نهر الدجلة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها معامل شهيرة باقتان صناعة اقشة الحرير وجلود السخنيان ومن مدن بلاد الاكراد وكرديستان الشهيرة المدينة المعروفة بالموصل وهى مدينة كبيرة موضوعة ايضا على نهر الدجلة قرب يسان المسكان الذى كانت فيه مدينة نينوى فى قديم الزمان واول من استكشف انار هذه المدينة العتيقة بالقرية المعروفة هناك باسم قورازا ياد فى سنة ١٨٤٣ من الميلاد رجل فرنساوى يسمى باسم (بوتيه) كان منصوبا بوظيفة قنصل دولة فرانسة بتلك البلاد ثم استكشف جماعة آخرون سائر اطلال هذه المدينة الشهيرة على عدة اماكن كثيرة خصوصا بالقرية المعروفة باسم (كيوفنك) وعلى الجنوب الشرقى من المدينة المذكورة توجد مدينة اربل وهى من سالف الزمان بهذا الاسم مشهورة ولا سيما بما وقع فيها فى قديم الاغصار للاسكندر على دارا من الظفر والانتصار

واما بلاد الجزيرة وتسمى (ايضا باسم الميز وبوتامية بمعنى ما بين النهرين) لكونها مقتصرة في الواقع ونفس الامر فيما بين دجلة والفرات فليست عبارة عن سائر البلاد التي تتكون منها الجزيرة الكائنة بين النهرين والمذكورين ولا تمتد الى حد ملتقاهما بل يطلق لفظ العراق العربي على الجزء الاسفل من تلك البلاد المتحصرة بينهما ثم تمتد بعد ملتقاهما على طول مجموعهما المسمى باسم شط العرب لغاية الخليج الفارسي ومجموع هذين القطرين (اعني الجزيرة والعراق العربي) متكون على وجه العموم من اراض خصبة للغاية العليا وانما يوجد فيها بنواحي الفرات بعض سهول جديبة معرضة لدرجة من الحرارة شديدة للنهاية القصوى

ومن مشاهير المدن الموجودة ببلاد الجزيرة الآن المدينة المسماة بالرها واورفه وهي التي كانت تعرف باسم (ايديس) في سالف الزمان ويقال ان الذي اختطها هو النمرود ومدينة (هاران) المذكورة في التوراة بهذا الاسم على انها كانت محل اقامة ابراهيم عليه السلام ولم تزل تدعى بهذا الاسم لغاية الآن ومدينة نصيبين المسماة (نيزيبيس) في قديم الزمان

واما بلاد العراق العربي المسماة ايضا بالسواد فاشهر مدنها بغداد الكائنة على نهر الدجلة وقد كانت في الاغصار الوسطى هي ابعج قاعدة لدولة الخلفاء العباسيين ثم انحطت مرتبتها العظيمة وزالت بهجتها القديمة ومع ذلك فلم ينزل بها لغاية الآن نحو مائة الف نفس من السكان وبها اسواق جميلة المنظر جليلة الشأن وعلى القرب منها اثار مدينة (سليوقية) واقطر يفون) الشهيرتين في سالف الازمان وعلى جنوبي بغداد المذكورة مدينة الحلة الكائنة على شاطئ الفرات وهي على القرب من اطلال مدينة بابل المشهورة وعلى البعد منها بقليل الى جهة الشمال الغربي على شاطئ النهر المذكور مدينة (اناه) وهي موضوعة في واحة جميلة كأنها بستان من انعم الجنان وفي الجنوب الشرقي منها على مجموع النهرين المسمى بشط العرب مدينة البصرة المشهورة وهي حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ تعداد اهلها نحو ستين الف نفس من السكان (انتهى معربا عن جغرافية قورتنبير الكبرى)

مطلب — تحقيق ما ورد في كتب المؤرخين من ذكر التبط او النبطيين — ذكر المعلم يولييت صاحب كتاب معجم شاهير البلدان وانباء ابناء الزمان ما معناه في هذا الشأن ان التبط او النبطيين (بفتح النون والباء الموحدين يليهما طاء مهملة في آخره) هم اقوام من العرب الرحالين الترازين كانوا تارة يقيمون بالشمال الغربي من جزيرة العرب وتارة

وتارة ينتهبون القوافل السيارة في البوادي والصحراوات الكائنة فيما بين بلاد الشام ونهر
 الفرات الى اخر ما ذكر عنهم وقال الجوهرى في الصحاح والغيروز يادى في القاموس
 وعبارتهما متقاربة مانصه و النبط والنبيط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين والجمع
 انباط (كقباط) يقال رجل نبطى ونباطى ونباط مثل يمنى ويماني ويمان وحكى يعقوب
 نباطى أيضا بضم النون وقد استنبط الرجل وفي كلام ايوب بن الفريه اهل عمان عرب
 استنبطوا واهل البحر ينبط استعربوا ، (اهـ من الصحاح) وزاد في عبارة القاموس
 قوله ونباطى منلثة الى ان قال وتنبط تشبه بهم او تنسب اليهم (اهـ) والذي يفهم من كلام
 المسعودى في مصر وج الذهب ان النبط والنبيط او النبطيين ليسوا من العرب بل هم من
 الاسوريين او السريانيين يعنى من ذرارى قدماء اهل نينوى وبابل وسكان بلاد العراق
 السالفين الذين نحن بصدر تاريخهم في هذا الباب على خلاف في ذلك وغاية ما يظهر من سائر
 ما هناك هو ان لفظ الانباط في كلام العرب عبارة عن بعض سكان بلاد العراق السالفين
 كما ان لفظ الاقباط عبارة عن قدماء اهل مصر في سالف العصر وقد كانوا مثلهم انا سا اهل
 زراعة متقنة على اصول محكمة مستحسنة فان من الحقائق المشهورة والمعلومات المقررة
 ما انتشر من قديم الازمنة من قولهم الفلاحة النبطية في مقابلة الفلاحة القبطية
 مطب — ذكر بعض ملحوظات تتعلق بالمقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة
 والفرات في كل جيل (مغربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان
 السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما تعريه به بعد مسطور وقد
 فهم مما سلفناه في هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المسطرة اعلاه ما يوجد من وجوه
 المشابهة في الاصول الطبيعية لحوض دجلة والفرات مع الديار المصرية ولا سيما بين
 القسم المسمى منه باسم كلدة وهى الجهة الجنوبية وبيان ذلك ان كلا منهما ارض متكونة
 من المواد المجلوبة مع مياه النهر من الاماكن المرتفعة الى الاماكن المنخفضة وان كلا من
 الحوضين المذكورين ذو خصوبة لا نظير لها في اقطار الدنيا يتماها الى درجة بحيث يخرج منه
 من غير مشقة ولا عمل تقريرا جميع الخواصل اللازمة للاقوات فيما بين البوادي
 والصحراوات وكل من القطرين مستعد بطبيعته لآن يكون مكانا للتشأ واثل الجمعيات
 البشرية وميدانا لمبدء الطرق المدنية ولذلك كانت السهول المروية بالنهرين العظيمين
 الموجودين ببلاد آسية الغربية هى الامكنة التى تداوتها سائر الامم المتقدمين اقوالا
 بعداخرين وتزاجت على مملكة بلاد آسية جميع الملل من عهد النمرود فى سالف
 العهود لغاية الخلفاء المسلمين وكانت الديار المصرية والجزيرة الفراتية هما سبق قطرين

في هذه الادارة الدنيوية حلت بهما العمارة البشرية واعتق مكانين من اقطار الكرة الارضية نزلت فيهما الجمعية الانسانية وهما في درجة الاقدمية تقريبا على السوية وان كان لبابل على منف مزيد الاولية فقد كان كل من هاتين المدينتين من سالف الاعصار العبارة ضربتين متنازعتين وكانت دولتاها مخصصتين متزاحمتين تغلب احدهما على الاخرى وتتغلب على سلطنة بلاد آسية الغربية طورا وطورا ومن المعلوم ان كلا من نهري النيل والفرات متواصلان بطرق سهلة المرور ودروب غير وعرة العبور يسهل فيها سفر القوافل السيارة الكثيرة وينتشر بها سير الجيوش الجحش الكبيرة ولذلك كان في كل عصر من الاعصار متى تولى دولة مصر رجل فوشهامة او ملك ذو عزم وصرامة تعلقت همته بالاستحواز على بلاد الجزيرة كأن هناك قانونا لا بد منه وتاموسا لا محيد عنه يقضى بعدم امكان وجود هاتين الدولتين المتخاصمتين والملكيتين المتشابهتين في الاصول الطبيعية والموارد المالية اللهم الا في يد واحدة وتحت سلطنة متحدة ومن ثم نرى ان فرعون مصر طوطميس الثالث وسيتوس الاول بمدينة طيبة الصعيد ويوسف صلاح الدين بالقاهرة ومحمد علي بالاسكندرية لم يكن لهم اشتغال بال على الدوام والاستمرار في سائر الاعصار الا بتوجيه جيوشهم نحو الفرات والاجتهاد في فتوح تلك الاقطار وكذلك الحال في تلك البلاد متى تمكنت دولة ذات قوة وصول على شواطئ هذا النهر الاخير ببغداد كما كان الحال كذلك لبابل ونيوى في سالف الدهور توجهت اطماعها للتملك على ديار مصر وادخلها في حوزتها بركة الاسر وليس تاريخ بلاد آسية في سالف الايام كما كان كذلك بمدة الاسلام الاعبارة عما يكاد ان يكون مجرد حركة تداول العداوة والشحناء السياسية المستمرة فيما بين دولتي مصر والجزيرة الفراتية متقطعة تلك الحركة فقط في بعض الاحيان بما كان يطرأ عليها في بعض الايام من الحوادث الوقتية بتداخل بعض الدول الجهادية من الممالك الغربية الاوروبية في حومة ميدان تلك الوقايع الدهرية كما في عصر فتوح الاسكندر الاكبر وعصر الحروب الصليبية (انتهى من كتاب تاريخ بلاد الشرق القديم للثورخ فراسفيس لونورمان) وما قيل ايضا في المقابلة بين الفرات والنيل من الشعر الجميل والقول المنسجم الجزيل قول بعض المصريين واهل الادب المتأخرين وكان قد ابتلى بهجر الاوطان واقام ببلاد العراق مدة من الزمان فقال وتلطف في المقال

يا لله قل للنيل عنى انى * لم اشف من ماء الفرات غليلا

وسل العواد فانه لى شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا

يا قلب كم خلفت ثم بثينة * واظن صبرك ان يكون جيلا

وحيث فرغنا مما اردنا ابراده هنا في هذا المقدمة من الفوائد الجغرافية المتقدمة فيما يتعلق

بتعريف حوض دجلة والفرات ما غلب ان تشرع في ايراد ما تحقق عند علماء الان في
المتأخرين من اخبار تلك الاقطار في قديم الاعصار وذلك في عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ الجزيرة الفراتية في اعصار الاولى

مطلب — ذكر اول سكان بلاد كلد من الامم الاقدمين في سالف الزمان بعد
الطوفان — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخ بلاد المشرق القديم السالف
الذكر والبيان اعلاه ما تعريبه ادناه ذكر بنص التوراة ان اول مكان حصل فيه
اجتماع الجمعيات البشرية في سالف الاحقاب الدهرية بعد الطوفان هو حوض دجلة
والفرات ونص عبارة سفر الخليفة من الكتاب المقدس المذكور هو كذا معربا كما هو بعد
مسطور ، ولما جاء الامم من جهة المشرق وجدوا لهم رستاقا يبلد شنعار فسكنوه وتوطنوه
(اه) وصرحت التوراة ايضا بانهم في تلك البقعة قد كانوا اختطوا اول مدينة كبيرة
حصل انشائها على الكرة الارضية في سالف الزمان بعد الطوفان وفي الاقطار
المذكورة قد كان وقوع حادثة تلبيل اللسان واللغات وتفرق الامم الى سائر الاماكن
والجهات من الارض المعمورة وقد اسلفنا ذكر هذه القصة فيما تقدم من هذا الكتاب
وذكرنا انها توجد في الروايات المتواترة ببلاد البابلية كما توجد في التواريخ العبرانية
وبعد تفرق الامم المتكونة من نسل نوح عليه السلام في سالف الاقطار كانوا قد اجتمعوا أولا
في السهول المتسعة المسماة في تلك الاعصار باسم شنعار وكان قد بنى منهم في تلك السهول
شركة كبيرة متكونة من امم شتى واقوام متنوعة النسب والاصول هذا ما يظهر من حكاية
التوراة كما يشهد به ايضا ما التقطه بغاية العناية ورواه عن اهل البلاد البابلية في ايام الدولة
الاسلوقية وحكاها في تاريخه من الروايات المتواترة للمؤرخ خير وز وهو حبر كلداني كان
قد ترجم توارخ بلادهم من اللسان العبراني الى اليوناني ونص عبارته هكذا ، وقد كان اولا
ببلدة بابل او بابلون جماعة عديدة من الناس يتسبون الى امم شتى كانوا هم الذين نزحوا
ببلاد كلد وعمروها واقاموا بها وتوطنوها (اه) الى هنا معربا من كتاب تاريخ بلاد
المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان (رجع للنقل من مختصر تاريخ بلاد المشرق
والهند للمؤرخ الآتف الذكر والبيان)

وبقدر ما تبسر لنا الصعود في غابر الاعصار بدليل ما امكن لنا العثور عليه من العمارات
والآثار نجد ان اسلاف سكان تلك الاقطار كانوا متفرقين الى فرقتين اصليتين وامتين

الدرس الثامن ٢٣٩ في التاريخ العام

مستقلتين تدعى أحدهما باسم (السومير) وكانت متوطنة منها بالنواحي الجنوبية والثانية باسم (الآكاد) وكانت ساكنة بالنواحي الشمالية أما الآكاد فقد كانوا من ولد كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وأما السومير فقد كانوا من فرع النسل الانساني المعبر عنه في اصطلاح الاوروبيين بالتوراني الذي هو اصل التتار والفننديين والترك ومن هذا الفرع أيضا قدماء سكان بلاد السوسية (وهي بلاد ايران المعروفة الآن باسم خوزستان) وكذلك اسلاف بلاد الميديه (من تلك البلدان) (وهي المعروفة الآن باسم العراق العجمي واذر بيجان) وقد وقع هذا اللفظ الاخير فيما تقدم بالمقدمة من تعداد الابواب السالفة تفسيرا للفظ الاسورية من قبيل السهو وسبق القلم والصواب هناك لفظ كردستان بدلا عن اذر بيجان ولذلك نهنا عليه هنا من قبيل تدارك الغلط والنسيان حسب الامكان) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند السالف الذكر والبيان وقد كان المركز الاصل الذي انتشرت منه جمع الامم التورانية الى سائر اقطار الكرة الارضية في سالف الاحقاب العصرية هو شرقي بحيرة آرال (وهي بحيرة خوارزم) وقد كان لهؤلاء الامم في الاعصار المتوغلة في القدم نوع من التمدن والتقدم خاص بهم يتميز عما كانوا عليه من العبادات الغليظة لالكواب السماوية والميل الشديد جد للتعلق بالامور المادية وعدم الترقية العقلية بالسكينة مع بعض تقدمات عظيمة في بعض أمور المعاش المادية حين كان غيرهم من الامم في حالة من التمدن غشيمة وقد كان لدرجة تمدنهم الغريبة وحالة تقدمهم الناقصة هذ درجة فوقان عظيمة جدا على قطعة جسيمة من بلاد آسييا في تلك الحقبة الزمنية القديمة ومع كون القوم الاكاديين والسوميريين المذكورين كانوا اكثر الاقوام عددا واكبرهم قوة ومددا ببلاد كلدة والبابلية وكان منهم في تلك البلاد اساس الطوائف الاهلية الاصلية فلم يكونوا اهلا وحدهم بل كان يختلط بهم في كل مكان من مساكنهم اخلاط من امم آخريين بدون ان يكون لهم قطر معين مختص بهم فكان يساكنهم في تلك البلاد اقوام كثيرون من ابناء سام ابن نوح عليه السلام بعضهم اقوام رحالون وقبائل بدويون وبعضهم اناس حضريون بالمدن متوطنون ومن الامم المذكورة كان الاقوام المعروفون بالاسوريين او بالاصريين يانيسين وهم ولد اسور واشور (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو ابن سام وكان قد خرج معظمهم من بلاد شنعار وتوطنوا بتلك الاقطار في عهد قريب بعد ذلك من تلك الاعصار ومنهم ايضا بنو عابر وتارح ابوابراهيم عليه السلام وهم العبرانيون وقد كانوا متوطنين فيما حوالى مدينة (اور) باسفل حوض الفرات ولم ينتقلوا من تلك الجهات الى بلاد (هاران) التي قد كان فيها اول بعثة ابراهيم الابوقت ميلاد هذا النبي العظيم

مطلب — ذكر اول من انشا التمدن والعمارات على شواطئ نهري دجلة والفرات لاشك في ان اول من انشا هذه العمارة الكبيرة والحضارة الشهيرة التي كانت بيلاذ بابل وكلدانما هو مجموع قرائح هؤلاء الامم الشتى المذكورين وان صل تكون التمدن والعمارات التي تحصلت بشواطئ دجلة والفرات وصار لها فيما بعد على تمدن سائر بلاد آسية الداخلية اعظم التأثيرات انما هو نتيجة امتزاج التأسيسات الحاصلة من كل واحدة من جميع هؤلاء الملل المختلفة حين اجتمعوا على ارض متحدة ولاشك في ان كلا من ولد كوش وتوران المذكورين قد كان لهما في ذلك الزمان اعظم حظ في ذلك التمدن والعمران غير انه يصعب علينا ان نعرف اى الحزبين من الاسكانيين والسوميريين المذكورين كان هو الاسبق في هذا الميدان وباهل ترى من كان منهما هو الاقدم في طريق هذا الحادث المشترك الاعظم حيث اتنا انما تيسر لنا ان نراه وهو بحالة الكمال على الوجه الاتم وغاية ما يمكن ان يقال في حل هذا المشكل هو ان لنا من المقتضيات ما يحمل على القول بان ما حدث على شواطئ دجلة والفرات في سالف تلك الاوقات من مذهب الدين والتقدم في علم الفلك والنجوم والممارسة في الصنائع والفنون انما كان اصل موارده من الاقوام الكوشيين ودليل ذلك ما يذكر في الروايات المتواترة بين البابليين من انهم يقولون ان اول مهد لعقائدهم الدينية قد كان على ساحل الخليج الفارسي وبعثة قدون ان معبودهم المسمى باسم (اونيس) (بضم الهـ) مزة في اوله مع امالة النون الموحدة على ياء مثناة تحتية ساكنة يليها سين مهملة في آخره هو سمك كان قد خرج من البحر ليعلم الناس قوانين الخدمة الدينية

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما تعريبه ادناه واما التورانيون فانهم هم الذين جلبوا الى مدينة بابل او بابليون وبلاد الاسورية طريقة الكتابة الغريبة وكيفية الخط العجيبة المسماة بالقلم السناني بمعنى الذي هو على شكل سنان الرمح او السهم (وهو القلم الصرياني القديم من عدة اشكال كل واحد منها على صورة سن الرمح او السهم) وهو القلم الصرياني القديم الذي كان يكتب به اسلاف سكان بلاد العراق في قديم الاعصار

مطلب — ذكر نمرود وما يحكى عنه في التوراة من الروايات — اعلم انه لا يتبدئ التارخ الحقيقي في حوض دجلة والفرات كما ان الحال كذلك في الدبار المصرية الامن حين تكونت بيلاذ كلدة والبلاد البابلية دولة واحدة ومملكة متحدة اجتمع تحت لوائها سائر القبائل المتفرقة وقد كانت هذه الدولة في الحقيقة قوتها والامر اول دولة منتظمة واسبق مملكة مستقيمة حدثت في اقطار الدنيا في سالف الاعصار الغابرة من بعد الطوفان وكانت حرجة الاعلوية فيها لولد كوش بن حام على سائر الامم والاقوام التي كانت تتركب منها ولذلك يعبر عنها اهل التارخ بالسلطنة الكوشية او الحامية الاولى وتعرف بنص عبارة

سفر الخليفة من التوراة وولد لكوش نمرود وكان قد اخذ في ان يكون قادرا على الارض وصيادا قويا امام المولى جل جلاله ومن ثم سار المثل السائر وهو قوههم فلان صياد قوي امام المولى كنمرود وقد كان اصل سلطنته بمدينة بابل وارش و آ كادوشالاته ببلاد شنعار ومن تلك الاعصار كان قد خرج الرجل المسمى باسم (آسوراو آشور) (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو الذي بنى مدينة نينوى (مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) واختط شوارعها واسس مدينتي كالاش وريسان فيما بين نينوى وكالاش التي كانت هو المدينة الكبيرة (انتهى نص عبارة التوراة)

مطلب — اصل منشأ الآسوريين او السريانيين قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه ومن نص عبارة الكتاب المنزل المروي عنه اعلاه يستنبط عدة وقايع تاريخية ذات اهمية اصلية فيما يتعلق بتسار مجى اوائل بلاد الجزيرة العراقية وذلك انه يفهم منها ان الاقوام الساميين الذين هم من ولد اسور كانوا قد ساكنوا فيها الاقوام الكوشيين الذين كانوا ببلاد كلداء ولم يخرجوا منها ويهاجروا عنها الى جهة الشمال ولم يؤسسوا لهم دولة هناك غير الاولى حيث انشأوا فيها المدن الآسورية المذكورة اعلاه الا في مدة تاريخية حقيقية اي لافي المدة الخرافية بمعنى (الزمان السالفة الغير المحققة التاريخ) ومن مساكنهم بعضهم مع بعض من اول الامر في سالف ذلك العصر في ظرف تلك المدة المديدة والاعصار العديدة يعلم السبب في كون الآسوريين والبابليين وان كانوا في الاصل متين متغايرين احداهما من ولد كوش بن حام والثانية من ولد اسور بن سام كانت لغتهما واحدة وكيفية تمدنهما متحدة

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة السكدانية الاولى

اعني طبقة ملوك العراق الاولى بمدة اجتماع الآسوريين والبابليين تحت ولاية النماردة السالفين

مطلب — ذكر اوائل امر لدولة السكدانية والدولة الآسورية ببلاد الجزيرة العراقية — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ماتعريبه ادناه لانعلم شيئا مطلقا من طريق الموارد الادبية سواء كانت اثرية او بشرية من تاريخ الملوك السالفين الذي خلفوا نمرود على السلطنة ببلاد كلداء ولا من تاريخ الاعصار الاولى ببلاد الآسورية غير ان الذي يمكن لنا فقط ان نتلمحه من خلال الروايات المتناقلة طبقة عن طبقة والحكايات المتداولة من التواريخ البابلية التي نقلها لنا المؤرخ السكداني اليوناني المشهور باسم (هيرودوت) وان كانت

هي ايضا من قبيل الخرافات أى الاحاديث الغير المحققة المختلفة في درجة الخرافية هو ان كلام من بلاد كلد وبلاد الاسورية كانا في اول الامر من سالف العصر امتين متغايرتين وملتين منفرتين اما الاسوريون الذين هم من ولد سام بن نوح عليه السلام فقد كانت مساكنهم في السهول الممتدة بجنوب جبال بلاد ارمنستان بين نهري الدجلة والخابور وفي القطر الجبلي الكائن خلف نهر الدجلة لغاية بلاد الميضية (التي هي الآن بلاد العراق العربي واذر بيجان) وفي هذا القطر الاخير كانوا قد اسسوا مدينة نينوى على الشاطئ الايسر من النهر المذكور والظاهر ان سير تمدنهم في الامور المادية وما كانوا قد بلغوه فيه من الدرجة العالية كان ابطاء مما كان عليه سير التمدن عند الامة الكلدانية وذلك ان الاسوريين او النينويين كانوا متوطنين على ارض او عمر من ارض الكلدانيين او البابليين وكانت درجة اذليهم اقل اضعافا لايدان فلذلك مكثوا مدة مديدة من الزمان وهم بحال البداوة الاصلية والقساوة الاهلية غير انهم كانوا اكثر رجولية واغوى تجلدا على الحرب من جيرانهم الجنوبيين والظاهر ايضا ان الاسوريين لم يتكفوا من اول الامر في سالف ذلك العصر في هيئة دولة واحدة وسلطنة كبيرة متحدة بل كانوا اول قبائل متحالفين واتوا ما مجتمعين في صورة محالفة وهي المعبر عنها الآن بلفظ جمهورية تحت ولاية مشايخ قبائل ورؤساء طوائف كانوا بالاصالة متصفين بالصفة العسكرية واما البابليون الذين هم من ولد كوش بن حام فقد كانوا متوطنين على وجه مطلق في جميع الرساتيف الخصبة الكائنة ببلاد كلد لغاية الخليج الفارسي وكانت سلطنتهم على تلك النواحي متميزة بدرجة عالية من ممارسة الصنایع وانعنون والتقدم في المعارف والعلوم مختلط اذ كان بما يوجد دائما في الاماكن التي اقام بها ولد كوش بن حام من الاوهام الفاسدة والافهام الكاسدة المتواترة عندهم الناشئة لهم من علم النجوم وهي غايمة ما كان لهم من النصيب في تاريخ تقدم الجمعية الانسانية فكان لهم خيرة بغن الفلاحة واستخراج المعادن المعتادة والاجار النفيسة والتجارة في البر والبحر وكان عدد السكان بتلك البلدان قد نما وازداد مريعا على ارض خصبة تكاثرت فيها المدن والقرى والعمران واخذت العلوم والفنون في التوسع والانتشار ونشأ فيهم بتلك الاعصار تحت سماء صاحبة جليلة اصل وضع علم الفلك والنجوم وتقرر عندهم على آثار العقائد الاصلية الاولى التي كانت قد نزلت بطريق الوحي على نوع البشر في سالف العصر عبادة الشمس وغيرها من الاجسام السماوية وصارت هذه العبادة هي اساس دين تلك الاقطار

مطلب - ذكر الامة الكلدانية الاسورية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريه ادناه وقد كان الاسوريون بوقت مهاجرتهم الى جهة الشمال قد جلبوا معهم الى تلك النواحي بعض

شيء من تلك الممارسة التمدنية واستمر واتحت تأثير البابليين دون غيرهم حيث كان البابليون قد سبقوهم في طريق التمدن وكانوهم المعلمين لهم في كل ما يتعلق به ولذلك كان لا يرى في سائر السهول المروية بدجلة والفرات من سالف الاعصار اعنى من قبل ان يفتح الملوك الكلدانيون بلاد الاسورية بالقوة القهرية غير امة واحدة وملة مختلطة وان كانت من حيث الاصل مختلفة وهى الامة الكلدانية الاسورية ثم صارت تلك الملة الكبيرة من ذلك الحين قد تشاهد لنا في بعض الاحيان منقسمة الى دولتين متباينتين وسلطتين مستقلتين ولم تكن مدينة نينوى التى هى قاعدة الدولة الاسورية ومدينة بابل التى هى قاعدة الدولة البابلية تحت طاعة مملكة واحدة ثم آل امرهما الى ان ظهر عليهما علامات شدة الميل للاتحاد وصار هاتان الفرقتان الاهليتان في اغلب الاحيان مجتمعتين تحت يد ملك واحد ودولة متحدة وغاية ما كان يحصل من الحوادث الاصلية في مدة سلسلة ملوك الدولة الكلدانية الاسورية الطويلة هو عبارة عن حركة تناقل مركز ثقل شوكتيهما وتداول ايام دولتهما حيث كانت دولة تلك البلاد تتداول بينهما من الاسوريين للبابليين وبالعكس وكانت تتناقل تارة من جهة الجنوب اى من حيث نشأت الى جهة الشمال ومن الشمال الى الجنوب وتسمى سلطنة بلاد الجزيرة الفراتية على حسب اختلاف تلك الحركات التناقلية بالدولة الكلدانية او الدولة الاسورية اى السريانية ولكن كان دينهم واخلاقهم وعوايدهم التى كانوا عليها واللغة التى كانوا يتكلمون بها واحدة وكل من هاتين المملكتين المتداولتين والدولتين المتناقلتين امر او احد الم يتغير في المواد الاصلية

مطلب — ذكر تلك الدولة الميمنية على مدينة بابل العراقية (اى من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٠٠ ق م) قال المؤرخ المزدوى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعرييه ادناه ثم بعد حقبة من الدهر لم يتيسر لنا العثور على دليل يدل على تعيينها بالطريقة اليعقينية جاءت غارة اجنبية الى بلاد البابلية وقلعت الدولة الكوشية اى الاكادية الاولى التى كانت متسلطنة بمدينة بابل قبل ميلاد المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة وهم من القوم المعروفين باسم الآر بالاولاثر بين الذين هم من ولديا فث بن نوح عليه السلام وغاية ما يظهر هو ان تلك الحادثة التاريخية كان وقوعها موافقا للوقت الذى وقعت فيه حادثة المهاجرة الكبرى اعنى الوقت الذى ترك فيه الاقوام الايرانيون من ولديا فث او طائفة الاصلية التى كانت لهم بشواطئ نهر جيحون وتوجهوا الى جهة الغرب ليمتدوا لهم اوطان اخرى في نواحي بلاد فارس و بلاد الميديه وكان فرع آخر منهم قد نزل لبلاد الهند غير ان دولة بني يافت بمدينة بابل والجزيرة الفراتية ما سرع مازالت بعد فان دولتهم لم تستقر ببلاد آسية فيما وراء جبال تالك (وهى)

الدرس الثام ٢٤١ في التاريخ العام

(وهي التي منشأها من عند الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والعجم وتسمى أيضا عند السلف المتقدمين بجبال زجروس) وأقرضت دولتهم في بلاد كلدة بالكلية وفي بلاد الميديّة مدة بعض قرون من الزمن باقراض القوم الآريين حيث كان قد غلب عليهم بالثاني جنس القوم التورانيين الذين هم أعداؤهم من قديم الزمان

مطلب — ذكر تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية (من سنة ٢٣٠٠ الى سنة ٢٠١٧ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ماتعريبه أدناه قال المؤرخ بيروز ان الذي تملك على بلاد بابل من بعد الدولة الميديّة والآريّة المذكورة أعلاه هو دولة جديدة كانت قد جاءت فقلعتها واستولت على سرير الملك بدلا عنها وان اصلها من القوم الايلاميين وهم بشوايلام (بالملة المهمزة على الياء المنشأة التحتيّة في اوله) اكبر ابناء سام ابن نوح عليه السلام وان اول مؤسس لهذه الدولة هو ملك من ارباب الفتوحات والصولة يدعى باسم (شودور ناخوتة) ونص على انها اقامت على سرير ملك بابل من نحو سنة ٢٣٠٠ الى نحو سنة ٢١٠٠ قبل تاريخ الميلاد ووافق ذلك ما ذكر في التوراة من الاخبار بانه في تلك الاحصار كان الملك المدعوب باسم (شودور لاخومور) ملك ايلام قد استولى على سائر النواحي والجهات الكائنة في حوض دجلة والفرات وسكان من اتباعه الملك المدهو باسم (امرافيل) ملك بلاد شنه اريعي كلدة والملك (اريوش) ملك مدينة (ابلسار) وقد كانت اعظم المدائن الاسورية في تلك الحقبة العصرية والملك (تارجال) قال في التوراة وهو ملك الاقوام الرحالين فاستصحب الملك شودور لاخومور جميع الملوك المذكورين الذين هم من اتباعه وتوجه بهم للجزب نحو بلاد الغرب فاستولى مؤقتا على جميع بلاد الشام الى تخوم الديار المصرية وانتهب مدينتي سدوم وعمورة واخذ لوطا اسيرا حتى جاء ابراهيم فانتصر عليه واستنقذه منه (انتهى ملخص ما ذكر بالتوراة) والظاهر ان الملك شددور لاخومور المذكور قد كان اشهر ملوك الدولة الايلامية ببلاد البابلية

مطلب — ذكر تملك الدولة الكلدانية ببلاد البابلية (من سنة ٢٠١٧ الى سنة ١٥٥٩) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك ماتعريبه أدناه وفي سنة ٢٠١٧ قبل تاريخ المبع عليه السلام كانت قد قامت على سرير الملك بمدينة بابل عائلة ملوكية جديدة من القوم الكلدانيين واهل البلاد الاصليين فحكمت مدة ٤٥٨ سنة ومن اشهر ملوكها الذين حصل العرش لهم على آثار عمرانية وقصور ملوكية ملكان كبيران وسلطانان عظيمان يدعى احدهما باسم (اسيداجان) (بكسر الهمزة في اوله) وهو الذي انشأ الهيكل الكبير بمدينة ايلساار المذكورة

الدرس الثامن - ٢٤٢ في التاريخ العام

اعلاه وكان قد جمع تحت سلطنته مملكتي الاسورية والبابلية معا والثاني يدعى باسم (هامورابي) (بفتح الهاء في اوله) وهو الذي حفر الخليج السلطاني الشهير بمدينة بابل وهو اعظم طريق لرى الاراضى وسفر السفن ببلاد الجزيرة السفلى

مطلب - ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية (من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٣١٤ ق م) - قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريبه ادناه كانت دولة بلاد كلداء الاولى هذه قدرالت باستيلاء قراعنة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة عليهم فان الملك فرعون طوطميس الثالث كان قد استولى على مدينتي بابل ونيوى وادخل تحت طاعته بلاد الجزيرة والاسورية وكلداء ومكثت سلطنة القراعنة مستولية على تلك الاقطار مدة قرنين ونصف من الاعصار والذي ذكره تاريخ المؤرخ يروى السالف الذكر ان الذى حكم بابل فى تلك المدة هو ملوك دعاهم بملوك العرب وقال انهم كانوا اتبعا لفرعنة طيبة صعيد مصر من ملوك العائلتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المصريين (هـ)

الفصل الثالث

فى تاريخ ملوك الدولة الاسورية الاولى او طبقة ملوك العراق الاولى

مطلب - ذكر تأسيس السلطنة الاسورية (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريبه ادناه ولما اخذت الدولة المصرية فى الانحطاط فى ايام الملوك الكسالى ملوك العائلة الفرعونية المتممة للعشرين فى تلك الاوقات نيسر لسكان شواطئ نهر الدجلة والفرات ان يتخذوا لانفسهم بالثاني دولة اهلية مستقلة وسلطنة ملية بنفسها مستبدة وكان مركز استقرارها فى هذه الدفعة بجهة الشمال اعنى ببلاد الاسورية (قريباً من نحو سنة ١٤٥٠ ق م) بعد ان كانت قاعدة مملكتهم فى الاعصار الاولى بالجهة الجنوبية اعنى فى جهة الخليج الفارسى ومن وقت ان اخذت دولة القراعنة فى الاضمحلال كانت قد اخذت دولة بلاد العراق فى الاستفحال فاطاعت لسلطنتها سائر بلاد آسية الوسطانية وصار لمدينة نينوى من حيثة ذعلى مدينتي اور وبابل درجة الاعلوية وصارت فى ذلك العصر هى قاعدة السلطنة العراقية وقد كانت قاعدة مملكتهم فى العصر الاول هى مدينة اور ثم بابل غير ان مبدأ تاريخ هذه الدولة الجديدة هو غير متضح الحال ومن الخطأ البين ما ذكر فى كتب التواريخ اليونانية من الروايات العامة واشهر جدا عند السلف فيما شاع من القصص الحكوية حتى تداولته يد التعليم فى المدارس الاوروية بناء على روايات حدثت فيما بعد من ذلك العهد بأن اول من اختط مدينة نينوى هو الملك

المدعو باسم (تينوس) ثم اعقبته على سرير الملك المرأة المسماة باسم (سيميراميس) ونسبوا اليهم ماسائر الفتوحات التي صدرت فيما بعد من ذلك العهد عن الملوك الاسوريين في تلك الاوقات وكل ذلك من قبيل الخرافات والصحيح انه لم يوجد على ظهر الكرة الارضية في ذلك العصر ملك يدعى باسم تينوس ولا ملكة تدعى باسم سيميراميس بالكلية وان اول من تملك على مدينة نينوى كان في اول الامر هو بعض امراء صغيرين او ملوك طوائف تابعين لدولة المصريين ثم توسعوا في املاكهم وتغصنوا في اراضيهم واستفعل ملكهم شيئا فشيئا حتى آل امرهم الى ان تملكوا على مدينة بابل ولم يكن ذلك الا في نحو سنة ١٣١٤ قبل ميلاد المسيح ومع ذلك فقد كانت تلك المدينة العتيقة والحاضرة الشهيرة قد بقيت في ذلك العصر وهي بتقليد بالولاية عليها ملك مخصوص تابع للملوك نينوى المذكورة وفي اكثر الاوقات كان يخرج عليهم ولا يذعن بالطاعة اليهم وكان الملوك الاسوريون المذكورون يدفعون خراجا للفرعون المصرية لغاية نحو سنة ١١٣٠ قبل ميلاد المسيح حتى تقلد بمملكتهم في ذلك الزمان الملك المسمى باسم (اسوردايان) فقطع ذلك الامر وامتنع عن آداء ما ذكر من علامة التبعية والاسر

مطلب - ذكر اول فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين (من القرن الثاني عشر الى الحادي عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه ولم يشرع الاسوريون في طريق فتوح البلاد الخارجية الا في الربع الاخير من القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام فاستولوا على الافايم الجبلية المحيطة ببلادهم الاصلية من جهتي الشمال والشرق وفي نحو سنة ١١٠٠ ق م كان قد ظهر احد ملوكهم المسمى باسم (تجلاتفلصر) الاول ففتح بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام لغاية جبل لبنان غير ان تلك الفتوحات التي كانت قد صارت بها دولة الاسوريين الى ما كانت قد آلت اليه فيما بعد من هذه الجهة كانت قد خرجت عن يدهم بعد سنوات قلائل في مدة سلطنة ملكهم المسمى باسم (اسورابامار) اذ كانت قد قامت بينه وبين ملك القوم المعروفين بالهيتيين في تلك الاعصار حرب شديدة كانت الغلبة فيها للملك الهيتيين على الاسوريين فاستردوهم منهم وأخرجوها عنهم (في نحو سنة ١٠٧٢ ق م)

مطلب - ذكر اول منشأ العائلة المالكية الاسورية المسماة بالبيليطارية (من سنة ١٠٧٠ الى سنة ٩٣٠ ق م) - قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد مسطور وكانت قد انحطت مرتبة العائلة المالكية الاسورية الاولى المذكورة بهذه الهزيمة عن درجتها ولم تقم من سقطتها وبعد ذلك بقليل قامت عليها فتنة داخلية وعصبة أهلية كان رئيسها رجل يدعى باسم (بيليطارة) وهو رجل كان موظفا بوظيفة نظارة البساتين

السلطانية للملك المذكور أعلاه فقام على ولاء وقته واستولى على كرمي ملكه بدلا عنه وبذلك صار أول عائلة ملوكية أخرى تدعى بالعائلة الملوكية البيليطارية (في سنة ١٠٧٠ ق م) وأوائل ملوك هذه الدولة الاسورية الجديدة هم الذين فتحوا بلاد الميديّة في أثناء القرن العاشر قبل الميلاد وضموها الى الدولة الاسورية مدة عدّة قرون من الدهر عديدة غير ان مدة حكمهم لا تعرف ولم يوقف من أحبارهم الا على شيء قليل جدًا مطلب — ذكر الملك اسورنازير پال (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩٠٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق المذكور والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه ولم تزل مدة حكم ملوك العائلة الاسورية البيليطارية هذه مجهولة الحال حتى ظهر منهم الملك المدعو باسم (اسورنازير پال) وبه اتضح تاريخهم وكانت مدة حكمه حيث مكث على سرير المملكة الاسورية خمس وعشرين سنة هي أول مؤكدة لحادثة استفحال الصولة الاسورية الشديدة بظهور الدولة البيليطارية الجديدة من حيث تعلق اطماعها بالاستيلاء على سائر بلاد آسية ولا سيما على الاقطار الغربية منها ودليل ذلك ما حصل عليه العشور من آثار الملك المذكور اذ عثر له على حجر وجد عليه قصة سائر غزواته مسطرة مع غاية التفصيل والبيان بالقلم السرياني المحفور في الحجر المذكور يصف فيها نفسه مع غاية البلاغة والتبيان بأنه ملك في غاية الشجاعة والاقتراس بالاعداء ويقول انه لم يتأخر أبدا عن كونه سائح حياكل من تجاسر على الخروج عن طاعته من الملوك التابعين لسلطنته وعثر له على لوح آخر من الحجر وجد منصوبا على مكان مدينة كان قد أخربها بالسكية وأزالها ووقف على أطلالها فسطر عليه مائه معربا هكذا وان وجهي لينضر على أطلال المدن التي أخربتها وان رضاه قلبي لفى شفاء غليل غضبي (انتهى)

وقد علم من نص الآثار المذكورة انه لم تمض سنة من مدة حكم هذا الملك بدون ان تشهر بغزوة جهادية كبيرة وكان أكثر غزواته في جبال بلاد ارمنية وكوماجينه (وهي جزء من البلاد المنسكون منها الآن كل من ايا التي مرعش وحلب من مملكة آل عثمان) وفي بلاد بنطشراو بنطكسان (وهي البلاد المجاورة لبحر الخزر) وقد كان الحاكيم عليهم في ذلك الزمان هم القوم المدعوين بالموشيين ثم في بلاد الميديين وفي جزء من بلاد فارس الغربية وكان له غزوات أخرى بشواطئ الفرات حيث كان قد أدخل تحت طاعته سائر البلاد الكائنة على الجانب الايمن منه وهي المعروفة في عصرنا هذبا لبلاد العراق العربي وقد كافت في ذلك العصر منقسمة الى عدة ممالك مزهرة وفيها جملة دول متعددة

وقد علم من الآثار المذكورة أيضا ان الملك اسورنازير پال المذكور كان قد عبر نهر الفرات واستولى على جميع بلاد الشام الشمالية وبلاد الهينيين وسلسلة جبال آمانوس (الماداغ)

وحوض الاورنط (نهر العاصي) غير انه لم يتجاسر أن يتقدم في تلك الجهة الى أكثر من تلك الحدود لداعي ان ملكتي يهودا وبنى اسرائيل كانتا في ذلك العصر قويتين جدا بحيث لو تعصبت احدهما مع الاخرى لتيسر لهما دفعه وكان كل من الملك يهوذا فاط و الملك احوب اللذين كانا معاصريه قد تعاهدا على محاربة الآراميين ملوك دمشق الشام وظفرا عليهم بالنصر التام ولم يكن الملك آسور نازير پال المذكور أعلاه قد تعرض لهم كذلك

مطلب - ذكر الملك سلیمان نصر الرابع (من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٦٥ ق م) وظهر من بعد الملك آسور نازير پال المذكور ولده المسمى باسم سلیمان نصر الرابع ففاقت غزواته على غزوات والده وزاد طريق مجده على تالده ومن مدة حكم هذا الملك الاخير أخذ تاريخ مملكة آسور في ان يكون له أشد الارتباط وأكثر الاتحاد الكبير مع تاريخ الذوات المذكورين بالتوراة حيث صار من ذلك العهد يوجد في تاريخ دولة الآسوريين أنفسهم تحقيق وأوضح توفيق لما اشتمل عليه الكتاب المقدس عن بعض ملوكهم من الحكايات التاريخية والروايات الاثرية

وقد كان أكثر غزوات الملك سلیمان نصر المذكور كغزوات أبيه متجهة تارة الى جهة الشمال في بلاد ارمنية وبلاد بنطش وتارة الى جهة الشرق في بلاد الميديين اذ كانت تلك البلاد لدولة الآسوريين على الدوام غير مذعنة بالطاعة والالتقياد واخرى الى نواحي الجنوب ببلاد كلدة اذ كانت تلك البلاد أيضا في كل وقت هي منشأ الفتن والفساد وطورا الى جهة الغرب ببلاد الشام وجبال امانوس التي هي جبال المداغ الآن كما سبق بذلك التوضيح والبيان غير انه من تلك الجهة كان قد تعمق الى ما لم يكن قد فعله اسلافه وكان ذلك هو أول الاسباب التي اقتضت ارتباط تاريخ مملكة آسور بالذوات المذكورين في التوراة وكان هذا الملك أول من تدخل من ملوك الآسوريين في مصالح دولة العبرانيين ببلاد فلسطين فقد دلت الكتابات التي هي عنه مأثورة على انه هزم الملك احوب ملك بنى اسرائيل وانه أدخل تحت طاعته الملك ياهو من ملوك البلاد المذكورة

مطلب - ذكر الملك ييلوخوس الثالث والملكة سيميراميس الحقيقية (من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٢٨ ق م) وكان أفخر الملوك الآسوريين الذين خلفوا الملك سلیمان نصر الرابع المذكور من ملوك الدولة البيليطارية ببلاد آسور هو الملك المسمى باسم (ييلوخوس) الثالث فقد كان ملكا عسكريا وسلطانا مغازيا قويا زادا ملكا للمملكة الآسورية زيادة بليغة جدا من الجهة الشرقية في ذلك العهد وبلغ يبعثه الى حدود بلاد الهند وكان قد تزوج باسراة من بنات ملوك بابل تسمى باسم (سيميراميس) (ولم يكن في التواريخ الحقيقية الآسورية من وجدها هذا الاسم غير هذه الذات الملوكية) وقد كانت

الدرس الثام ٢٤٦ في التاريخ العام

هي صاحبة الولاية السلطانية على مدينة بابل بحيث كان دولاب الحركة السياسية يدور بالنيابة عنها في تلك الدائرة البلدية بخلاف سائر بلاد السلطنة الاسورية اذ كان دولاب الحركة الادارية يدور باسم الملك المذكور ولذلك نسب المؤرخ اليوناني المعروف باسم هيرودوت الى تلك الملكة سائر الاعمال العمومية التي تم انشاؤها والعمارات السلطانية التي حصل بناؤها بمدينة بابل وضواحيها في تلك المدة العصرية كالجسور والقناطر والارصفة والخجمان التي عملت على نهر الفرات في تلك الاوقات

مطلب — ذكر الملك سردانا پال (من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٨٩ ق م) قد كان ما حصل للسلطنة الاسورية من الامتداد البليغ في تلك الحقبة العصرية أمرا خارقا للعادة وكان ملوك نينوى وان كانوا قد اطاعت يدهم على ممالك كثيرة وأقاليم كبيرة لكنهم لم يصلوا الا ان يجعلوا سائر الامم الكثيرين والاقوام العديدين الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية في هيئة أمة واحدة وملة متحدة ولم يكن في سلطنتهم قوة اتحاد ولا لدوائهم مركز اشتداد مطلقا وكانت طريقة سياستهم معيبة ورابطة الولايات التابعة لها فيها بين بعضها وبعض وفيما بينها وبين عاصمة المملكة غير وثيقة الى درجة بليغة بحيث كان عند مبدأ كل تقليد ملك من ملوكهم تشتعل نيران الفتن تارة في مكان وتارة في مكان آخر وكان لا يصعب ان يدرك انه متى قبض على دفعة السفينة رجل غير ذي حكمة حقيقية ورجولية كاملة وتقلد بمملكة الاسوريين ملك غير شهم أو سلطان غير ذي حركة حريية قوية بحيث يكون دائما على رأس جيوشه في نزال مستعدا للحرب والقتال فلا بد من ان ما أنشأه اسلافه من ملوك القرن العاشر والحادي عشر قبل الميلاد مع غاية المشقة والاجتهاد يسقط دفعة واحدة وتذهب هذه المملكة العظيمة هباء منثورا بسهولة يتعجب منها كل أحد عجبا كثيرا ولقد حصل ذلك باستيلاء الملك المشهور باسم (سردانا پال) حيث قبض على قضيب الملك في سنة ٨٠٠ للمسيح وكان زير نساء وأسير شهوات وخناء فأنهم كالمالكين السالفين عليه كل الانهماك على اللهو واللعب واعتكف على أنواع الملاهي والطرب واشتغل بملاذ النساء عن مهام المملكة وصار لا يخرج من داخل قصره أبدا وترك كل عيش فيه شائبة عيش الرجال ولم يحصل منه أدنى التفات لمادة الحرب والجهاد ومكث على هذا السلوك القبيح مدة سبع سنين وغضب الناس عليه لا يزال في كل يوم يزداد حتى جاء رجل يقال له (أرباس) كان رئيس طائفة الجنود الميديين وكان هو ذاته ميدي الاصل والملة فوجد فرصة للدخول عليه في داخل قصره بمدينة نينوى وشاهده لا بسا ملبس النساء والمغزل في يده منهمكا على قضاء شهوته يسترخف ستائر حرمه عورته جبينه وبطائه فيداه انه يعمل الظفر بمنزل هذا الملك المنقصد الاخلاق حيث كان لا يقدر على الاتيان

بمثل أفعال أسلافه الشجعان وظهر للقائد ارباس المذكور ان الوقت قد آن لكون الاقاليم التي كانت قد انضمت للسلطنة الاسورية بالقوة القهرية يمكنها أن تخرج عن الطاعة وتشرألوية العصيان وانضم لرجل آخر كلداني الاصل يسمى باسم (قول) ويلقب بلقب (مليزيس) كان قائد الطائفة العسكرية البابلية واسرأليه أفكاره ومقاصده فبادر بموافقة وتعاهد معه على معاضدته ومساعدته واتحد كلاهما مع قواد طوائف الجنود الاجنبية وكل من كان يرغب في الخروج عن طاعة الدولة الاسورية ويستقل بنفسه من ملوك البلاد التابعين للسلطنة النينوية وعزم الجميع على عزل الملك سردانا بال عن كرسي المرتبة الملوكية وجتمع سائر رؤساء الجنود في آخر السنة جنودهم حوالى مدينة نينوى حتى بلغوا أربعين ألف رجل بعهلة فرز وتبديل العساكر الذين كانوا قد أدوا واجب الخدمة العسكرية في العام الماضى حسيما كانت قد جرت عادتهم بذلك ولما جئنا موافى ذلك المكان جاهروا جميعا بالعصيان

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى (في سنة ٧٨٩ ق م) ولما بلغ الملك سردانا بال خبر هذا الخطر الذي لم يكن له على يسال قام في الحال من غفلة شهواته وخرج عن حباله لذاته وظهر فيه على حين غفلة من الشجاعة والشهامة ما لا مزيد عليه وسار امام من بقي على طاعته من فرقة الجيوش الاسورية الاصلية وبارزهم عسكر الخوارج وقاتلهم فهزمهم شر هزيمة وانتصر عليهم نصرة تامة عظيمة على ثلاث مرات متواليات حتى أخذوا في اليأس من الظفر بصفودهم وبينما هم على تلك الحال وأذا بالقائد قول السالف الذكر تدارك هذا الامر واستعان في ذلك بمعونة الاوهام الاهلية وفساد الافهام العامة فقال لهم انه طالع الكواكب قد علم منها علم اليقين انهم ان صبروا خمسة أيام جاءهم من عند آلهتهم الامداد القوي وانتصروا من غير شك على عدوهم النصر المبين وفي الواقع ونفس الامر كان قد اتفق ان قدم من السفر بعد عدة أيام قليلة جماعة كثيرة من عساكر الاقاليم المجاورة لبحر الخزر كان قد طلبهم الملك لامدادهم فانحازوا الى عسكر الخوارج ولداعى انضمامهم اليهم فاز عسكر الخوارج بالنصر وظفروا بعسكر الملك غاية الظفر فانحصر حينئذ الملك سردانا بال في داخل مدينة نينوى وعزم على ان يدافع عنها لغاية أن يخرج منها منها ويكث الحصار مدة عامين كاملين لداعى ان أسوار المدينة كانت حصينة متينة لا تؤثر فيها آلات الحرب واضطر الحال لاجبارها على التسليم بضرورة الوقوع في سوء حالة الجوع فلم يكن سردانا بال يكثر بشئ من ذلك اذ كان بعض الكهنة قد أخبره بان مدينة نينوى لا تؤخذ من يده ما لم يكن النهر عدو له ثم في العام الثالث نزلت أمطار غزيرة ازدادت منها مياه الدجلة زيادة كثيرة حتى أغرقت

جزأجسيامن المدينة وهدمت حائطاعظيما من حصونها المينة يبلغ طوله عشرين شوطا يونانيا (ومقدار الشوط عند قدماء اليونان ١٨٥ مترافرانساريا) فاستيقن الملك من تحقق خبر الكاهن ويثس من النجاة ولاجل ان لا يقع في يد أعدائه وهو بقاء الحياة أوقد في داخل قصرعنا راعظيمة ألقى فيها كل ما عنده من خزان الذهب والفضة والحلل الملوكة ثم حصر نفسه هو ونساءه ومخاضيه في قاعة كان قد بناها في وسط النار وأقام معهم فيها حتى احترقوا جميعا وحينئذ فتحت المدينة أبوابها للقوم المحاصرين وسلمت نفسها اليهم فلم ينفعها ذلك التسليم شيئا لكونه جاء أخيرا بل أسلموها للأسلب والنهب وأوقعوها في غاية الكرب وأوقدوا فيها لانيران ومحووا أبنيتها بالكلية والجزئية مع عناية حقدية تدل على شدة الغضب التي كانت قد جمعتها قساوة الملوك الاسوريين الفاتحين السالفين في قلوب الامم الذين كانوا لهم بقوة السيف مطيعين فان الميديين والبابليين لم يتركوا حجرا على حجر من بناء الحصون والقلاع والقصور والهيكل التي كانت مشيدة فيها ولم يدعوا أثرا مطلقا من عمارة الدور التي كانت قائمة من تلك الحاضرة الشهيرة التي مكثت مدة قرنين كاملين وهي متغلبة على سائر بلاد آسية الداخلية حتى ان أهل العناية بالبحث عن الآثار القديمة من الافرنج المتأخرين لم تصل أعمال الحفر الجارية بمعرفتهم في المكان الذي كانت توجد عليه مدينة نينوى المذكورة لغاية الآن الى العثور على شقة جدار قائم واحد من البناء السابق على حادثة استيلاء كل من القائد ارباس والقائد بيليزيس المذكورين على تلك المدينة وقد كان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة ٧٨٩ قبل الميلاد

الفصل الرابع

في تاريخ الدولة الاسورية الثانية اود كر الطبقة الثانية من ملوك الجزيرة الفراتية مطلب — ذكر الملك فول (من سنة ٧٨٧ الى سنة ٧٤٧ ق م) وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم بانفسهم بالتالي وخروجهم عن طاعة الدولة الاسورية الاولى فعادوا للاقامة في جبالهم كما كانوا ولم يتعلقوا بمصالح بلاد الجزيرة الفراتية بخلاف القائد الكلداني المدعو باسم (فول) أو (بيليزيس) السالف الذي كرفانه بعد خراب المدينة المذكورة كان قد استولى على سائر بلاد الاسورية وجعلها تابعة لمدينة بابل مدة حقبة من الدهر وضم اليها أيضا سائر الاقاليم الغربية من المملكة الاسورية السالفة أعني سائر البلاد الآرامية الكائنة على جانبي الفرات وغاية ما نعلم من تاريخه هو ما اقتص في التوراة من قصة الغزوة التي غزاها في سنة ٧٧٠ ق م بمملكة بني امه اثما لا غير

مطلب — إعادة الدولة الاسورية بالثاني وذكر الملك تيجلات فلصر الثاني (من سنة ٧٤٤ الى سنة ٧٢٧ ق م) ولم تدم غلبة الكلدانيين على بلاد الاسوريين الا لغاية وفاة الملك فول السالف الذكر وكانت وفاته في سنة ٧٤٧ قبل الميلاد ولما كان الاسوريون هم أشجع الامم المتوطنين ببلاد الجزيرة الفراتية وأقواهم على الحرب والضرب وكانوا قوما أهل رجولية تامة وقوة عسكرية كاملة لم ير الوائتذكرون في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ما كان قد وقع من أسلافهم السابقين في مدة القرنين السالفين من الحروب الكبيرة والوقائع الشهيرة مع ما أعقبها من هزيمة الملك سردانا بال حسبما أسلفناه فلم يزل باقيها في نفوس أهل المدن الاسورية الكثيرة العمران من الشوق الى الاستقلال بالنفس ما حلهم على ان تاروا ثورة عامة وقاموا قيامة تامة بعد خراب مدينة نينوى بأربعين سنة وطردها البابليين من بلاد الاسورية وكان قد بقي من نسل بيت الملك من بني ييليطارة السالفين بعض امراء كانوا قد فازوا بالنجاة من حريقه سردانا بال المذكور أعلاه وكانوا متخفين في بعض أطراف البلاد منهم الامير المسمى باسم (تيجلات فلصر) فأحضره الاسوريون وجعلوه رئيس عصبتهم عند ثورتهم ومكثوا بحاربون البابليين مدة ثلاث سنين حتى استولى تيجلات فلصر على تاج الملك (في سنة ٧٤٤ ق م) واتهم فرصة من حروب داخلية ومنازعات أهلية كانت قد شتت شمل بلاد البابلية فأدخلها تحت طاعته ووضع عليها الجزية بعد ان كانت بالامس هي التي تمل على نينوى قوايينها وأعاد الملك تيجلات فلصر المذكور السلطنة الاسورية الى حدودها السابقة الاصلية ماعدا بلاد الميديّة وذلك بعد عدة وقائع حربية متعاقبة فاز بالنصرة فيها على التوالي ببلاد ارمنية وبلاد الشام وفلسطين وبلاد العرب والبلاد المجاورة لبحر الخزر والاقطار الكائنة في أقصى الشرق فيما بين بلاد الميديّة وفارس من احدى الجهات وبلاد الهند من جهة أخرى وهي التي يسمى مجملها في اصطلاح علماء الجغرافية الجبارى على مقتضى طريقهم التدريس بالمدارس الاوروبية باسم بلاد اريان (وهي التي تعرف الآن ببلاد افغانستان) وحينئذ فقد كان هذا الملك تعمق في الفتوحات من هذه الجهة الاخيرة الى أكثر من سائر أسلافه وبلغ الى حدود بلاد الهند الغربية

مطلب — ذكر الملك سرجون (من سنة ٧٢١ الى سنة ٧٠٤ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ما تعرض به أدناه وقد تملك من بعد الملك تيجلات فلصر ولده المسمى باسم (سلنصر) فكانت مدة حكمه قصيرة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ق م) وهو الذي كان قد شرع في حصار مدينة سمريّة ومات عندها في اثناء الحصار ولما كان هو آخر نسل بيت السلطنة الاسورية أذ كانوا قد انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطانية اجتمع أعيان الدولة وقلدوا بمنصب الملك رئيس قواد الجنود المدعو باسم سرجون

الدرس الثام ٢٥٠ في التاريخ العام

وقد كان من أعظم الملوك أر باب الفتوحات يبلاد الاسورية وكانت العائلة الملوكية التي كان هو رثسها والدولة السلطانية التي أسسها وان كانت قد مكثت مدة قصيرة لكنها كانت قد ألقت على وجه التاريخ بهجة كبيرة وذلك ان سرجون هذا من أول مبادئ مدة سلطنته كان قد أخذ مدينة سمريه وأخربها بالسكية وحارب الملك سبا كون الحبشي ملك مصر وبلاد الاثيوبية فغلبه في واقعة رافيا يبلاد الشام (في سنة ٧٢١ ق م) ثم شن الغارة بالحرب في بلاد ارمينية مدة مديدة فأطاعها الدولته كلها الاشيا قليلا منها ودخل في بلاد الالبانية (بلاد الارثوط) حتى بلغ الى حد سفع جبال قوقازة وفتح بلاد الفلاطينيين (في سنة ٧١٠ ق م) وكذلك جزيرة قبرص (في سنة ٧٠٨ ق م) وقد كانت تلك الجزيرة في ذلك الزمان يحكم فيها عدة ملوك طوائف صغيرين ورؤساء أقوام عديدين أصل أكثرهم من اليونان وفي أواخر مدة حكمه كان قد اختط مدينة (خورازاباد) وشيد قصر أعظمياله فيها بدلا عن مدينة نينوى من بعد خرابها قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان والذي دل على ذلك هو ما اتضح من أعمال الحفر والتفحص التي حصل اجراؤها على التعاقب بمعرفة اثنين من أهل بلادنا الفرائسوية وهما المعلم (بوطه) والمعلم (ويكتور پلاس) ومن تلك الاعمال صار الحصول على أغلب النقوش الجسيمة الاسورية التي توجد محفوظة بالتسقيانة سرارية لورة الملوكية (بمدينة بارس) ثم مات الملك سرجون المذكور حيث قتله جماعة من أر باب الفتن من أهل بابل (في سنة ٧٠٤ ق م) و بقتله اشتعلت نيران الفتن الاهلية في تلك الحاضرة السكادانية

مطلب - ذكر الملك سنحاريب (من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨١ ق م) وكان قد تقلد بالملك من بعد الملك سرجون المذكور ولده المشهور باسم (سنحاريب) فلم يكن دون أبيه في مادة الحرب والجهاد اذ كان قد ابتلى باطفاء نيران الفتن الشديدة القائمة بمدينة بابل واضطر لان يقاتل الخوارج في واقعتين اذ كانا قد قاموا عليه في مدة ولايته مرتين (احدهما) فحتر ياسة رجل يدعى باسم (ميروداشبالادان) (والثانية) فحتر ياسة رجل يدعى باسم (سوزوب) ثم انتهى الحال بان الملك النينوي المذكور اشتد غضبه على مدينة بابل فعاقب أهلها الطغاة وعذب سكانها هؤلاء البغاة بأن أباح فيها السلب والنهب وأسلمها للنيران واللهب فاحترقت عن آخرها وصار عابها ساقلاها مع كونها قد كانت معتبرة عندهم كحرم محترم وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م) ولم تمنع هذه الفتن الداخلية الجسيمة الملك سنحاريب المذكور من ان يباشر بنفسه في الجهات الخارجية عدة غزوات عظيمة فكان قد ذهب الى بلاد فلسطين (في سنة ٧٠٠ ق م) وأدخل تحت طاعته مدينة صور وغيرها من مدن بلاد الفينيقيين وأغار على مملكة يهودا وهدد فرعون مصر

بالديار المصرية ثم وضع الحصار على مدينة اورشليم أو القدس الشريف (كما سلف ذكر ذلك غير مرة في مواضع من هذا التأليف) غير أنه بركة دعاء ملك يلا ديهورا المسمى باسم (خزقيا) وكان رجلا صالحا وملكاً قويا ناجحا وبرجاء النبي (اشعيا) الذي كان له معاصر من أنبياء بني اسرائيل كانت يد الله سبحانه وتعالى قد وطمشت على جنوده الوطء الثقيل فأرسل عليهم كما سلف ذكر ذلك في الابواب السالفة طاعونا شديدا أهلك منهم مقداراً عظيماً حتى اضطر الملك سنحاريب المذكور للتأني عن حصار مدينة القدس وقفل عائداً بجنوده الى جهة الفرات ولكنه كان أسعد طالعا في غزواته يلا دالميدية وبلاد السوس (خوارزم الآن) لغاية بلاد فارس وأعاد بناء مدينة نينوى بالثاني من بعد ان كانت قد بقيت خراباً من عهد هزيمة سردانا بال واتخذها مفرد دولته وقاعدة بلاد سلطنته وجعلها يلا دآسية أفخر حاضرة وأشهر مدينة عامرة (في سنة ٦٨٤ ق م) وانتقل اليها وأقام فيها مدة ثلاث سنوات ثم مات حيث قتله اثنان من أبنائه الكبار لكنهم لم يمتنعوا بشرة جريمتهم بل اشتد عليهما الغضب العام وبادر الناس عليهما بالقيام حتى اضطرا الى الفرار يلا دارمنية وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسارادون (من سنة ٦٨١ الى سنة ٦٦٨ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريه ادناه وقد كان آسورادون المذكور هو ثالث ابناء سنحاريب وكان ابوه قد نصبه بوظيفة الوالي على مدينة بابل فلما تقلد بتاج المملكة استمر على الإقامة في المدينة المذكورة ليضبط اهلها ويمسكهم تحت الطاعة السلطانية وقع كذلك عصيان اهل المدن الفنيقية مع غاية القساوة والجبر وكانوا قد قاموا على الدولة السريانية وادخل تحت الطاعة أيضاً مملكة يهودا وأمسك مدة من الدهر في مدينة بابل الملك منشة مقيداً بسلاسل الاسر وغزا غزوة في بلاد فارس واخرى على شواطئ البحر الاسود حتى بلغ بلاد اقليم (كولشيدة) (وهي المسماة الآن باسم اميري تي ومنجري لي) الكائنين على غربي جبال قوقازة واستولى على أكثر جزيرة العرب وديار مصر ثم اعتراه المرض واحس بالعجز عن القيام بواجب الملك فتنازل عن سرير المملكة لولده البكرى المدعو باسم (آسور بانيبال في سنة ٦٦٨ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسور بانيبال (من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٤٧ ق م) وكان الملك آسور بانيبال المذكور هو آخر ملوك الاسوريين المجاهدين وهو الذي يعرف عند اليونان باسم (سردانا بال) غير أنهم كانوا يميزونه مع غاية الحرص والعناية عن الملك سردانا بال المتخنت الذي سقطت مدينة نينوى اول مرة في ايامه من سالف الزمان وقد كان الملك آسور بانيبال هذا هو الذي استمر أولاً مدة ثلاث سنوات متواليات بالديار المصرية

الدرس الثامن ٢٥٢ في التاريخ العام

وهو يقاتل الملك (طهراقة) ملك بلاد الانيوبية (الحبشة) وينازعه على ملكه مصر في ذلك العصر وظفر في تلك الديار بعدة مرات هجيرة من التجاح والانتصار واستولى على مدينة طيبة الصعيد مرتين واسلمها الى السلب والنهب ووقع بها غاية الكرب ثم انتهى امره لان ترك تلك الديار حيث رأى ان التملك عليهم يحتاج لكثير من المشقة والتعب وقد كان من جملة الملوك الذين كانوا يدعون له الخراج الملك المسمى في تلك الحقب باسم (جيجيس) (بجيم فارسية مثلثة من تحتها ياء مثناة تحتية فجيم عربية معنادة بمالة على ياء مثناة تحتية أيضا يليها سين مهملة في آخره) وهو ملك بلاد (ليدية) (وهي الجزء الغربي من ولاية الاناضول المتركب الآن من القسم المسمى باسم (سوراخان) وغيره من بلاد آسية الصغرى وبهجة هذا الملك الكبيرة امتدت دائرة اعلوية الدولة الاسورية على جميع بلاد آسية الصغرى المذكورة وكان للملك آسور بانيال المذكور اخ يدعى باسم (سامولس هوجان) كان عاملا له على ولاية مدينة بابل فقام عليه واراد ان يستقل بنفسه ورفع الوية العصيان واستعان في ذلك بملك بلاد السوس وملك بلاد العرب (في سنة ٦٦٣ ق م) ووقعت بينهم حرب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود اقوام الخوارج فهزمهم ملك نينوى شرهزيمة وظفر باخيه هذا واستولى عليه ثم اطلق سبيله وعفاه عنه وتوجه عزمه للعزاة ببلاد السوس فادخلها تحت الطاعة النينوية بعد حرب مكثت مدة ثلاث سنوات (من سنة ٦٦٣ الى سنة ٦٦٠ ق م) واستولى على مدينة سوس قاعدة البلاد المذكورة حيث اخذها بطريق المحجوم عليها واسلمها للسلب والنهب واخذ ملكها اسيرا وشنقه ثم انتقل يحنوده الى بلاد خزيمة العرب وجاس خلال ديارها وصر بها من اولها الى آخرها في غزوة مكثت عدة اعوام ظفر فيها بالنصر المستمر على الدوام (من سنة ٦٥٩ الى سنة ٦٥٧) قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب - ذكر آخر ما حصل من التجاح في الجهاد على يد بعض ملوك الطبقة الثانية من الملوك الاسوريين بتلك البلاد (من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٢٥ ق م) ولما توفي الملك آسور بانيال الطاهر بالنصر على بلاد السوس كان قد تملك على ملكة نينوى ولده يدعى باسم (آسور ديليلي) وفي أيام دولة هذا الملك الاسوري الجديد كانت قد ظفرت المملكة الاسورية من التجاح في الجهاد بتلك البلاد ظفرة عسكرية أخرى وذلك ان بلاد الميديين كان فيها بمدة عصر الملك سرجون وولده عدة ملوك طوائف متفرقين ورثا قبائل كثيرة متحالقين بعضهم مع بعض في هيئة الحكومة الجمهورية ولذلك سهل على المكيين الاسوريين المذكورين افتتاح بلادهم وادخالها تحت طاعة السلطنة الاسورية ثم اجتمعوا في هيئة ملكة قوية واحدة وسلطنة ذات شوكة متحدة وقام فيهم الملك المدعو باسم (فراهورت) متقلدا بقلادة سلطنة الميديين (في سنة ٦٥٧ ق م) فاجلى الاسوريين من

الاماكن التي كانوا يزالوا مستولين عليها من بلادهم واقتح بلاد فارس كلها وسائر البلاد الايرانية الكاثنة فيما وراء جبال هندكوش وصحارى بلاد القرمات وبذلك صارت المملكة الميديه سلطنة جهادية متسعة ودولة كبيرة ذات صولة ومنعة فخطر له انه يقتدر على أن يأتي بمثل ما فعله الملك ارباس السالف الذكر ويهدم شوكة مملكة نينوى و يعدم قوة السلطنة الاسورية بالكلية فانغار على بلاد أسور غارة شديدة وقابله الملك أسورديليلى هذا بجيوش عديدة ووقعت بينهما واقعة حرب كبيرة عند مدخل مضائق الجبال الكاثنة بتلك البلاد (في سنة ٦٣٥ ق م) تنزل فيها فرادورت المذكور وهلكت الجيوش الميديه عن آخرهم وكان هذا التجاج هو آخر فترة جهادية وغاية نصره عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة نينوى من ملوك السلطنة الاسورية

مطلب - ذكر زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وبالطريقة القطعية (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٠ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه ماتعريبه ادناه وقد كانت الدولة الاسورية الثانية في ظرف تلك المدة الماضية مع ذلك قد أخذت في الاضمحلال وتدنانت للزوال وسقطت قوتها العسكرية ونفدت خزائنها المالية مع كون من جاورها من الامم كانوا قد صاروا الى درجة العظمة والاستفحال وفي سنة ٦٢٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد قام الملك (سيا كزار) (بكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها يليها الف فكاف فزاي معجمة فألف فراءه مهمة في آخره) ملك الميديين وخليفة الملك فرادورت المذكور آنفا على مملكتهم وكان قد استولى على سائر بلاد آسية الصغرى (بلاد الاناضول) لغاية النهر المسمى عمدا السلف باسم (حاليس) ويسمى الآن باسم (قزىل يرمق) واتهمز فرصة من موت الملك أسورديليلى وما ترتب عليه من ظهور الفتن والاختلال في بلاد السلطنة الاسورية وحضر يجنوده امام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان الملك الكلداني المسمى باسم (نابو بولصر) (بنون موحدة افوقية فألف قبله موحدة تحتية عرية معتادة فباء فارسية مثلثة من تحتها بعدا واو فلام فصاد فراءه مهملتان في آخره وهو أبو يحنصر المشهور) قد أثار الفتنة في مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها وتقلد بتاج المملكة عليها وأعاد لهذه المدينة الكبيرة ما كان قد عهد لها في الاغصار السالفة من الاستقلال وأخذت دولة الملك المذكور في الاستفحال وكادت مدينة نينوى ان تسقط بالكلية لولا ما حصل في ذلك العصر من غارة الاقوام السيتيين (قبائل يأجوج ومأجوج) على بلاد الميديين ونزولهم على أهالى تلك البلاد كالجراد المنتشر واستعبادهم اياهم مدة ١٩ سنة من الدهر حيث ترتب على تلك الغارة بقاء مدينة نينوى واتخاذ الدولة

الاسورية الثانية في ذلك العهد مدة بعض سنوات بعد من الوقوع في هاوية الزوال وكان الملك المدعو باسم (ساروق او آسوراقوس) قد قبض على قضيب الملك بمدينة نينوى (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) ولداعى ما حصل من الهدنة لتلك المدينة بغارة الاقوام السيتيين المذكورين كان قد تيسر له ان مكث على سرير المملكة النينوية نحو تسع عشرة سنة من غيره كدرو لا منازع تقريرا غيبرانه انما كان مستوليا على سلطنة ضعيفة ومملكة دينية وضعيفة متمزقة الشمل لا قوة لها ولا ثبات ولا صولة لها ولا حياة ولم يجتهد هو في اقامة اودها ولا سعى أدنى سعى في اعادتها لما كانت عليه من قوة عددها ومددها بخلاف الملك سيا كزار ملك الميديين فانه بعد ان بذل مجهوده وبلغ مقصوده من انتقاذ مملكته من غارة الاقوام السيتيين والامم التورانيين المذكورين كان قد عاد يجنوده الى اسوار مدينة نينوى بعد تلك المدة المذكورة ووضع عليها الحصار بالثاني عازما على ان يستأنف ما كان قد فعله بها في أوائل تلك الازمان الملك ارباس أعنى انه اراد ان يخرب تلك الحاضرة التي كانت موطن هؤلاء الملوك الجبابرة وكانت قد استعبدت معظم بلاد آسية ووضعت تلك الاقطار في أضيق ريقة الذل والصغار ويدمرها الدمار الذي لا تعود للعمار بعده أبدا وساعده على ذلك أيضا غاية الاسعاد الملك نابو بولصر ومن كان تحت طاعته من القوم البابليين بمثل ما كان الملك قول قد أتى به لارباس من المساعدة مع غاية الحمية والمجاهدة وبعد ان قام على حصارها مدة مديدة حصل فيها مقتلة شديدة واستولى عليها وأخذها فسقطت ويئس الملك آسوراقوس من النجاة ففعل بنفسه كما كان قد فعل سلفه سردانا بال في مثل هذه الواقعة وقتل نفسه بيده فخرّب القوم الغالبون تلك المدينة العنيدة وحرّقوا ما كان فيها من القصور والمهاكل العديدة وصارت مدينة نينوى هذه العظيمة التي كانت إحدى مفاخر بلاد آسية بعهد الملك سنحاريب عبارة عن ثلال متكومة وأطلال متهدمة في غاية الدمار والتخريب (في سنة ٦٠٦ ق م) ولم تعد للعمار مرة أخرى بعد ذلك أبدا كما أنذر بذلك أنبيا بني اسرائيل

الفصل الخامس

في تاريخ الدولة الاسورية الحادية أوطبقة ملوك العراق الثالثة

مطلب — ذكر الملك نابوشودونوزور او بنخته صر المشهور (من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٥٩ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروني عنه أعلاه بعد ذلك ما تعريه

أدناه وبهذه الحادثة الكبيرة انتقلت وراثته سلطنة نينوى الشهيرة مدة بعض سنوات يسيرة الى مدينة بابل أو بابلون ويشاهد من حيث ذنانه قد قام في بلاد العراق القديمة دولة كلدانية حديثة تملك على سائر الاقاليم الغربية والجنوبية التي كانت تحت يد الدولة الاسورية الثانية وهي طبقة ملوك العراق الثالثة وكان بطل هذه السلطنة العراقية الجديدة ومنشئ صولتها الشديدة هو الملك المدعو باسم (نابو شودونوزور) (وهو العربي باسم بختنصر المشهور) وكان أبوه المدعو باسم (نابو بولصر) قد استقل بالسلطنة في مدينة بابل (في سنة ٦٢٥ ق م) وبينما كان الميديون قد مكثوا تحت طاعة الاقوام السبيين مدة مؤقتة كان هو بحسن تدبيره واتقان ادارة أموره قد أرقى بلاد أسفل الفرات من الفلاح والنجاح الى أعلى الدرجات واستفحل ملكه في تلك الجهات واعانه على احسان ادارة ملكته خزم رأى زوجته المشهورة باسم (نيتوكريس) فأنشأ في مدينة بابل بتلك الاوقات ~~كثيرا~~ من العمارات التحسينية والاعمال التزينية والاشغال النافعة العمومية وفي سنة ٦٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان الملك نابو بولصر المذكور قد أشرك معه في منصب الملك ولده بختنصر المشهور وعهد له على السلطنة بولاية العهد فيما بعد

مطلب — ذكر واقعة حرب قيرقيزية او قرقميش (في سنة ٦٠٦ ق م) وقد
كان بختنصر وهو فتى شاب بعد في عين السنة التي كانت مدينة نينوى قد سقطت في اقدام على ساق الحرب وسار في عدد عديد من الجيوش فقاتل الملك نبحاو ومن ملك مصر بمدينة قيرقيزية او قرقميش في واقعة حربية قطعية ظفر فيها عليه بغاية النصر والقلبة العسكرية اذ كان الفرعون المذكور قد اتهم الفرصة من انحطاط دولة الاسوريين بمدينة نينوى فاستولى على بلاد الشام وفلسطين ثم تعدى بختنصر نهر الفرات وطرد المصريين من جميع الولايات والاقاليم التي كانوا قد افتتحوها من تلك الجهات وكان قد أراد أن يضع الحصار على مدينة اورشليم ومن ثم يدخل ديار مصر واذا خبر وفاة أبيه قد وصل اليه فاضطر لمصرعة العود الى مدينة بابل على الفور (في سنة ٦٠٤ ق م)

مطلب — ذكر أوائل غزوات بختنصر على اليهود (من سنة ٦٠٣ الى سنة ٥٩٩ ق م) ثم عاد بختنصر بعد عامين الى بلاد الشام بالثاني وأغار على الملك يهوياقيم ملك يهودا وقرر عليه خراجا يؤديه اليه وأخذ معه الى بابل من أعيان اليهود عدة قرهاش وجملة من الاواني المقدسة الموقوفة على بيت المقدس وبعد ثلاث سنوات عاد ملك اليهود لنكس ما كان قد عقده مع بختنصر من العهد معتدا على امداد فرعون مصر مع كونه لم يرد له من الديار المصرية أدنى مدد وكان ملك العبرانيين المذكور قد مات بعد ذلك بقليل فترك على

رأس ولده المدعو باسم (يخنيو) ثقل وبال ما ترتب على عصيانته (كما أسلفنا ذلك في مكانه من باب تاريخ العبرانيين بتفصيله وبيانته) ولم يقيم يخنيو المذكور على سرير مملكة يهودا غير ثلاثة شهور اذ كان يختنصر قد أرسل عليه جنوده ثم حضر بنفسه الى بلاد اليهود بالثاني واضطر ملك اليهود المذكور لأن سلم نفسه وسائر أهل دولته ودائرته ايد عدوه هذا الجبار فلم يكتف يختنصر بأن يأخذ هذا الملك العبراني مع أهل دولته بحالة الاسر بل دخل مدينة اورشليم وانتكح حرمة بيت المقدس الكريم واحتلب سائر خزائنه المكتونة ونزاثن قصر هذا الملك المصونة وأخذ معه في ربة الاسر الى مدينة بابل من أشجع أبطال الجنود العبرانية ما يبلغ عشرة آلاف مقاتل وكثيرا من أرباب الحرف والصنایع الاسرائيليين ولا سيما الحدادين والغندقية (صناع الاسلحة) وذلك لقصد منع بلاد اليهود من ان تعود بالثاني الى الاستعداد للدفع والمنعة ولم يترك في مدينة بيت المقدس غير القليل من أفقر الناس واخذ معه الى مدينة بابل الملك يخنيو المذكور مع والدته وسائر نسائه ومخاضيه ووضع في السجن وضيق عليه غاية التضيق ثم أظهر انه يريد أن يترك للامة اليهودية خيال استقلالها الاول فنصب على كرسی مملكة اورشليم عم الملك الاسير المدعو باسم (صدقيا) كما هو في موضعه فيما سلف من هذا الكتاب مسطور

مطلب - ذكر خراب بيت المقدس على يد يختنصر المشهور (من سنة ٥٩٠ ق م الى سنة ٥٨٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما تعرض به أدناه وقد كان النبي ارميا من أنبياء بني اسرائيل هوني ذلك العصر وقد أئذ الملك العبراني السالف الذكر ومن تقدمه من ملوك اليهود بما سيحصل على مملكة فلسطين من التخريب والاسر فلم يكن يصني لاندازه أحدهم وعيبت بصيرة صدقيا كغيره من أسلافه عن سماع هذه الاخبار النبوية والعمل بتلك النذر التدبيرية مع كون النبي ارميا كان لا يفتر عن الانذار اليه والاشارة عليه بأن الاولى له ان يسلك طريقة سياسية احتراسية و يذعن بالطاعة لسلطان الدولة البابلية ومع ذلك فقد خالف مشورته وناقض نصيحته وتخيّل له انه يقتدر على الخروج عن طاعة ملك العراق ويستقل بنفس دولته فجأهر بالعصيان عليه وأمتنع من اداء الخراج الذي كان يدفعه اليه واتحد مع فرعون الديار المصرية وملوك المدن الفنيقية (في سنة ٥٩٠ ق م) فغضب يختنصر لذلك أشد الغضب وسار بنفسه مرة أخرى الى مدينة بيت المقدس ووضع عليها الحصار ثم تركها مدة يسيرة وتوجه لقتال فرعون مصر المشهور باسم (ابريس) اذ كان قد حضر بجنوده الى بلاد الشام لقصد امداد صدقيا عليه وكان ملك مصر المذكور قد عاد الى تلك الديار وأخذ في الفرار بدون أن يضرب عليه ضربة واحدة فعادت الجيوش الكلدانية الى بلاد المملكة اليهودية واستولوا على مدينتي (لاخيس وآسبشه) ووضعوا الحصار

الحصار الثاني على مدينة اورشليم وضيقوا عليها ومكث العبرانيون مدة تسعة عشر شهرا في داخل قاعدة ملكهم يدفعون هجوم الجيوش البابليين ويتحدون على مقاومة صولتهم ثم اشتدت المجاعة عليهم فغلبت على قوة ثباتهم وأجبرتهم على الاذعان والتسليم وكان الاسوريون قد دخلوا المدينة من خرق في السور وتصادف ان صدقيا المذكور كان قد أراد أن يخرج منه ويفر الى جهة نهر الاردن مع بعض خدمه فلحقه بعض الجنود البابليين في سهل ربحا وقبضوا عليه وأحضروه ليجتصر فقتل ابتداء بين يديه وهو ينظر اليهم ومعمل عينيه وحمله مقيدا في سلاسل من الحديد الى مدينة بابل (في سنة ٥٨٨ ق م) و بعد ذلك بشهر كان قد دخل قائد طائفة خفر الملك البابلي المذكور وهو المسمى باسم (نابوراردان) في مدينة القدس واستولى عليها وشرع في تخريبها ودمرها وأحرق قصر الملك والهيكل المكرم وذهب مع الخبر الاعظم ستين نفسا من أعيان بني اسرائيل وبعث الى مدينة بابل في ربة الامر كل من بقي في المدينة من غير فرار الى اليوادي والقفار من القوم اليهود (وهذا هو المعبر عنه عند أهل التاريخ بخراب بيت المقدس الا كبر على يد بختنصر)

مطلب — ذكر حصار بختنصر لمدينة صور واستيلائه عليها (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٧٤ ق م) ولم يكن ملك بابل الجبار المذكور قد اكتفى بذلك بل تعلقت أطماعه بفتح بلاد الفينيقيين والاستيلاء عليها اذ كانت كثرة ثروة تلك البلاد قد جذبت قواده اليها وكان أنبياء ذلك العصر لم يرالوا من مدة مديدة ينذرون أهالي مدينة صور بما سيلحقها من مصائب الدهور وكانت قد صار لها درحة الاعلوية منذ ستمائة سنة على سائر المدن الفينيقية وقد كانت مدينة صور هذه قاعدة ذات منعة حصينة فلما وضع بختنصر عليها الحصار ثبت الصوريون امامه وقاوموه حتى أقام على حصارها مدة ثلاث عشرة سنة ثم أخذها عنوة اي بطريق الهجوم عليها وقفل بالصوريين كما كان قد فعل بالقوم العبرانيين ونقل الى بلاد كلدة أوجه أعيان ذوى البيوتات من أهل تلك البلدة (في سنة ٥٧٤ ق م) واعترف له بالطاعة بالضرورة سائر الترائل والمستعمرات من القبائل الفينيقية التي كانت تملكها مدينة صور بالسواحل الغربية من بلاد افريقية وفي بلاد اسبانيا (جزيرة الاندلس) كنزلة قرطاجة (وهي الآن ولاية تونس) قبل ان تصير ليد الدولة الرومانية وكنزلة قانس وصارت جميع هذه المستعمرات ملحقة بسلطنة بختنصر حيث صار له الغلبة على تلك المدينة الاصلية

مطلب — ذكر وفائع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية (من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٧٢ ق م) وقد كان بختنصر المذكور بعد ان استولى على مدينة صور وأدخلها تحت طاعته وقبل أن يرجع الى مدينة بابل التي كانت قاعدة سلطنته شن الغارة

عني الاقوام المدعوين عند الامم الاقدمين بالايديمين وبنى مؤاب والامونيين اذ كانوا قدام القوام مع دولة العبرانيين عند قيامهم الاحير عليه فأجبرهم كذلك على الدخول تحت طاعته وألزمهم بالاذعان اليه وغزا غزوة كبيرة في بلاد العرب الجاهليين حتى بلغ الى مملكة سبأ ببلاد اليمن وكانت تلك الحروب التي انذرها أنبياء ذلك الزمن هي آخر سلسلة الغزوات التي غزاها هذا الملك الكلداني ببلاد آسية الغربية

مطلب — ذكر ما أثر عن يختنصر من العمارات والآثار في تلك الاعصار — ولما عاد يختنصر من تلك الاسفار الحربية الى بلاده الاصلية التفت الى انشاء العمارات والآثار واشتهر بحسن ادارة الامور الداخلية كما اشتهر بالفتوحات الخارجية غاية الاشتهار وكان قد حصل له من تلك الغزوات أموال عظيمة ومقادير جسيمة من اسرائك البلاد الاجنبية فاستعملها في بناء عمارات كثيرة وانفقها في انشاء آثار كبيرة تحسنت بهامدنية بابل وتزينت أجمل الزينة حتى صارت تلك المدينة أشهر مدينة في بلاد الدنيا ببقاها في تلك الاعصار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان قال المؤرخ هيرودوت اليوناني في تاريخه عند الكلام على صفتها وقد كان سافرا اليها ونزل بها واطلع عليها في اثناء القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام ما هذا نص عبارته : وقد كانت تلك المدينة فائحة جدا الى درجة بحيث لا تعرفها مدينة اخرى يمكن مضاهاتها بها وذلك ان مدينة بابل هذه هي موضوعة في وسط سهل متسع وهي على شكل مربع تبلغ مساحة كل ضلع من أضلاعه مائة وعشرين شوطا (والشوط مقياس لليونان يقدر الآن بقدر ١٨٥ مترافرانساويا) يحيط به خندق عميق هو على الدوام ممتلئ بالماء يليه سور فيه يبلغ مساحة سمكه خمسين ذراعا ملوكة على مائتي ذراع ارتفاعا ويحترقها نهر الفرات من الوسط بحيث يقعها الى قسمين ويختطها خطين وهونهر عظيم عميق القعر سريع الجريان يأتي من بلاد الارمن ويصب في بحر (ايريترة وهو البحر الهندي الذي من ضمنه الخليج الفارسي) ومن داخل السور الكبير سور آخر هو بالنسبة اليه صغير وكل طرفي السورين ينتهي من عند شاطئ النهر براوية خارجة يمتد منها على الجانبين حائط مشيد من الآجر يحيط بالنهر من الطرفين وفي داخله الديار منها ما هو على ثلاث طبقات ومنها ما هو على أربع في شوارع مستقيمة متقطعة بطرق اخرى منتظمة تنتهي الى النهر المذكور بأبواب صغيرة مفتوحة في السور المبني على طوله كلها متخذة من معدن النوج لسكل شارع من الشوارع القاطعة للشوارع الاصلية باب مخصوص والسور البراني هو للمدينة حصص حصين على ان السور الجواني ايضا متين غير انه دونه في الاتساع ومركز كل من الخطتين المذكورتين ظاهر ممتاز (احدهما) بوجود قصر الملك فيه حيث يظهر لناظر بما يحيط به من سور عظيم

وحائط قوي متين (والثاني) يتبين لعين الرائي بتشيد هيكلي جسم لمعبودهم المسمى عندهم باسم (بعل) وأبوابه مصنعة من النحاس الأحمر قال المؤرخ اليوناني المذكور ولم يزل هذا المعبد قائما على جدرانها لغاية الآن (انتهى نص عبارة هيرودوت)

ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه أن سور مدينة بابل الكبير يشتمل بمقاس العالم الفراتساوي المشهور باسم (أوبير) على مسافة تبلغ خمسمائة كيلومتر (والكيلومتر عبارة عن ألف متر) مربع يعنى مقداراً من الأرض يساوى جميع مساحة مديرية نهر السين ببلاد فرنسا أى بقدر أضغاف مسطح مدينة باريس على الحالة التى كانت عليها فى سنة ١٨٥٩ الميلادىة خمس عشرة مرة وبقدرها سبع مرات على الحالة التى هى عليها الآن وأما السور الصغير فهو أضيق من الأول يشتمل على مسافة مائتين وثمان وتسعين كيلومتراً مربعاً على أكثر من مسطح مدینه لوندربكثير ولا يسوغ أن يقال أن هذين السورين كانا حصنين لمدينة كبيرة عتيقية بل هما عبارة عن معسكر حصين متسع جداً فأن مسافة الأرض المشمولة فى داخل السور الثانى فضلاً عن الأول لم تكن كلها معمورة باماكن السكان الأهلية وقد نص المؤرخ اللاتينى المعروف باسم (كتكويرس) فى تاريخه على أن محيط الدائرة الكائن عليها الديار المعمورة بمدينة بابل المذكورة قد كانت تسعين شوطاً لا غير وياقها كان أرضاً مزرعة على وجه بحيث تكفى الثمرة الحاصلة منها لمائة القوم المحصورين فيها وتمنع عنهم ضرورة الوقوع فى غائلة الجماعة لمدة عديدة من الزمن كما أن السور البرانى لبلاغة سعة يمنع هذه القلعة من غائلة الأخذ والاحاطة بها والتضييق عليها وقد كان يختص شيد قصره فيها على مقادير بليغة جداً وإنشأ وزرع فى داخل سورها على ذات شاطئ الفرات البساتين المعلقة المشهورة كأنها جبال صناعية كبيرة لتنتزه فيها امرأته المسماة باسم (آميتيس) وقد كانت ميسدية الأصل لقصد أن تنزى بها المناظر الخلوية المعهودة لها فى بلادها الأصلية وهى عبارة عن طبقات مدرجة بعضها فوق بعض من قبيل ما يوجد فى عصرنا هذا بالجزيرة المسماة باسم (ليزولا) بجهة جزيرة الجزيرة الجميلة فى البحيرة المعروفة بالبحيرة الكبرى (بولاية سردينيا من بلاد إيطاليا) ومن تحتها سفلى عظيم يحملها وقد اصطنع فيه مغائر متسعة تحت كل طبقة مزرعة من السفلى المذكور وأسس فى تلك المدينة أيضاً عدة هياكل أهلية عديدة وجملة معابد دينية مشيدة وأصلح شأن الهرم القديم الذى كان محل إقامة كاهن معبودهم المدعوب باسم (بعل) السالف الذكر وبنى ما كان يدعى عندهم بماعناه (برج اللغات) الذى كان يوجد بالناحية المسماة (بورسية) إحدى ضواحي مدينة بابل فى تلك الاوقات ولم يقتصر يختصر على تحلية مدينة مملكتهم هذه كما كان يعبر عنها بذلك حسبما عثر عليه فى آثاره الأثورة وتزيين

سائر المدن الاخرى الداخلة تحت سلطنته بل كان قد أنفقت ايضا الوسائل تحصيب اراضي بلاد البابلية وتوسيع دائرة المعاملات التجارية فاجرى العمارة اللازمة للخارج السلطاني الشهير الذي كان قد انشأه الملك (هامورابي) قبل ذلك العصر بالف وثلاثمائة سنة وكان قد انسد بمرور الدهر وكاد ان يزول منه الاثر فاعاده بختنصر واصلح شأنه حتى عُد اهل التاريخ هذه العمارة كأنها انشأ جديد وتأسيس حقيقي مفيد وحفر بركة عظيمة عند اسفل الناحية المسماة باسم (سيارة) لقصد ان تكون حوضا يجتمع فيه المياه اللازمة لرى ارض المزارع بذلك السهل وحدث فرضة بحرية في الخليج الفارسي عنده مصب الدجلة والفرات بمدينة (تيريدون) وهي ثغر بلاد كلدنة على ساحل الخليج الفارسي وقد كانت قاعدة تلك البلاد في ذلك العصر) وبذلك تم تأسيس مادة السقر في البحر

مطلب — ذكر ما عثرى بختنصر من داء الجنون وما حصل له من الغرور والفتون وحيث كان الحال كما توضح اعلاه فقد ثبت ان بختنصر قد كان ملكا كبيرا وسلطانا خطيرا غير انه كان قد غلب عليه الكبر فاضاعه واستولى عليه الجبر فالتف احواله واوضاعه فاغتر بنفسه وافتتن وآل به الغرور والفتون حتى اعتراه الجنون كما قد يحصل كثيرا لامثاله من ذوى القرائع الكبيرة اذا اغتر واهما حصل لهم من السعادة الكثيرة وتخيل له انه آله يستحق العبادة فصنع لنفسه تمثالا من الذهب وامر سائر الناس بانهم يسجدون له ويعبدونه قال في التوراة ولما ابى ثلاثة فتيان من اليرانيين ان يمشوا هذا الامر كان قد امر بختنصر بالقائم في النار فلم تؤثر فيهم وانجاهم الله سبحانه وتعالى منها ولما شاهد بختنصر هذه الكرامة اذعن لآله بنى اسرائيل غير انه لم يزل الكبر غالبا عليه ولذلك وقع الله به العذاب المهول واصاب هذا الملك الجليل بارذل جنون رذيل حتى آلت به حالة الاختبال الى انه صار يالف الاعتزال عن الناس ويهيم في الاودية كالبهايم ويروم ان يتغذى مثلها من الاعشاب التي تنبت في البوادي حتى صار بدنه بشيع المنظر لداعي اهماله من التعهد بنظافة والاغتسال والتعريض على الدوام لتغيرات الحوادث الجوية ومكث على تلك الحال مدة سبعة شهور ثم افاق ورجع للاشتغال بتدبير امور المملكة بالثاني وبعد ذلك بقليل مات (في سنة ٥٦١ ق م) بعد ان اقام على سرير الملك مدة ثلاثة واربعين سنة وكان كما قيل قد اخير هو من قبل بزوال السلطنة البابلية

مطلب — ذكر مريعة انحطاط السلطنة البابلية ومجمل زوال الدولة السكدانية قال المؤلف قرانيس لوفورمان السالف الذكر والبيان ولم يكن يلزم لمن يتأمل في الاحوال الواقعة في تلك الاعصار ان يكون قد أوتي منحة من النبوة كبيرة لاجل ان يعرف ان سلطنة بابل هذه التي كانت قد بلغت بتلك الاقطار الى اعلى درجة من الابهة والفخار كانت قد تدانت

من الزوال والدمار وان ما كانت قد بلغت من اعلی درجة الشوكة في مدة يسيرة لا بد وانه سينقض منه الجدار في مدة أسرع من مدة نشأتها بل يكفي لمعرفة ذلك مجرد عقل ذي قريحة ناقبة ونفس باعقاب الامور متبصرة وذلك ان السلطنة المذكورة لم تكن مؤسسة في حد ذاتها على اساسات قوية ولم تستقر على اصول متينة على وجه بحيث تستمر بل كان هذا التمثال العظميم انما هو قائم على قدمين من طفل بمعنى انه سريع العطب كما في تأويل الرؤيا النامية التي كان قد راها بعض ملوك بابل وكان قد أولها له النبي دانيال بهذا المعنى (حسبما سبق بذلك في موضعه توضيح هذا المجال) ولم يكن في الامة البابلية الشهامة الجهادية والهمة الجندية الكافية لحفظ ما تبصر لها من السلطنة القوية على اقوام عديدين وامم في الجنس متنوعين كما اتفق للاسوريين حيث حفظوا دولتهم وابقوا سلطنتهم مدة عدة قرون من الزمن ولذلك كان مجرد وفاة بختنصر قد انتشر الخبر بمدينة بابل على الفور بأن امة جديدة ذات بطش ووطأ شديدة ستسطو على دولتهم وانها قلعت دولة الميديين مع ان تلك الامة المستجدة قد كانت لها من التابعين وهم القوم المسمون بفارس كما كانوا يدعونهم في تلك الاعصار وكانوا قد برزوا من خلال جبالهم الوعرة لشن الغارة على سائر الاقطار تحت قيادة ملك ناشئ من أعظم ملوكهم شهامة واعلاهم همة (وهو الملك كيرشاقيروس) وكان مجرد ظهور مبادي امره في الوفايع الحربية قد انتشر صيته وامتدت شهرته في سائر الانام وعدم من جملة قواد الجيوش العظام وكان انبياء بني اسرائيل قد انبأوا منذ زمن طويل بغاية الجهر والاعلان بأن مدينة بابل العظيمة الشأن ستقع عن قريب في مثل ما وقعت فيه مدينة اورشليم من السوء والخذلان

مطلب — ذكر من خلف بختنصر على كرسى مملكة بابل من الملوك في ذلك العصر (من سنة ٥٦١ الى سنة ٥٥٥ ق م) ولما توفي بختنصر كان قد خلفه على كرسى مملكة بابل ولده المدعو باسم (ايو يليروداش) (بألف مائة على ياء مثناة تحتية ساكنة فواو مكسورة فياء مثناة تحتية فلام ساكنتين فيم فياء مثناة ساكنة فراء مهملة فواو قدال مهملة فألف فشين معجمة في آخره) وكان هذا الملك الاخير قد اشتهر كما ذكر في التوراة بأنه قد جاء من مكارم الاخلاق الانسانية بفعلة في غاية الحسن وذلك انه بمجرد ان صعد على سرير الملك أمر بالملك (يخنيو) ملك يهودا فأخرج من السجن وكان قد مكث يقاسى سلاسل الاسر مدة سبع وثلاثين سنة ورفع مقامه فوق سائر أهل دولته وقلده بمنصب أعلى من مناصب سائر الملوك الذين كانوا مقيدون في سلاسل الاسر بقاعدة مملكته وصار يؤا كاه على خوانه ورتب له ما يلزم له عاشه على طرف خزيته غير انه في سائر مدة حكمه لم يأت بما يوافق ما وقع منه في أول امره من هذا الفعل الجليل وقد قتله صهره يدعى باسم (نيريجليصور) (بنون

موحدة فوقية يليها ياء مثناة تحتية - سا كنة فراء مكسورة فياء مثناة تحتية فجيم معجمة
سا كنتين قلام ياء مثناة تحتية قصا دمهملة فواو فراء مهملة في آخره وهو زوج بنت
بختنصر وكان ذلك (في سنة ٥٥٩ ق م) واستولى على سرير ملكه بدلا عنه ولكنه
لم يمكث عليه غير أربع سنوات فقط وهلك هو كذلك في واقعة حربية وقعت بينه وبين الملك
(كيرش أو قبروس) ملك فارس اذ كان قد توجه بجنوده اليه وأراد ان ينازعه مملكة بلاد
الميدية التي كان قد انتزعها من يد السلطنة العراقية

مطلب — ذكر الملك نابونيد (من سنة ٥٥٥ الى سنة ٥٣٣ ق م) —
وكان الذي خلف الملك نيريجليصور المذكور على كرسي مملكة بابل طفل له صغير لم يمكث على
سرير الملك غير بعض شهور وذلك ان رؤساء امناء الديانة الكلدانية وقد كانوا هم أرباب
الحركة السياسية والطائفة الدينية السياسية المتحكمة بدولة بابل العراقية في تلك الحقبة
العصرية لما تلاحظ لهم ما يوجد في أخلاق هذا الطقل من تباشير الرذائل والانطباع على
الجبر والقساوة من صغر سنه قاموا عليه فخلعوه وعزلوه عن سرير الملك ونزعوه وولوا واحدا
منهم بدلا عنه يقال له (نابونيد) (في سنة ٥٥٥ ق م) فاستولى على سرير الملك
واستقر عليه مدة السبع عشرة سنة الاخيرة من مدة السلطنة البابلية الشهيرة وكانت
أوائل مدة سلطنته آمنة مطمئنة ومبادئ أمره قارة سارة لداعي ان الملك كيرش ملك
فارس كان مشغول انبال بافتتاح ممالك اخرى غير مملكة بابل هذه فلما خلا بابل ملك العجم المذكور
من عزواته وكان قد استولى على سائر بلاد آسية ما عدا مملكة العراق المذكورة توجه اليها
وشن الغارة عليها (في سنة ٥٣٨ ق م) بجنود من القوم الفارسيين والميديين
معلنًا بأنه عازم على ان يضم مملكة كلدة الى ممالك سلطنته المتعددة

مطلب — ذكر سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلي (في سنة
٥٣٣ ق م) — وكان الملك نابونيد هذا قد بادربلإلقاء الملك كيرش فدارت الدائرة
عليه وانهزم هزيمة تامة حتى اضطر للنجاة بنفسه وفر من امامه متبوعا بعدد يسير من
جنوده وخدماه والتجأ الى قلعة بوسية وحصرته سه فيها وترك بختنصر حتى وصل
الى بابل ووضع الحصار عليها وكانت تلك المدينة يوجد فيها من الذخائر والمؤونة ما
يكفيهم لمدة عدة سنوات ولم يتيسر لذات القوم المحاصرين لها فلم يكثر ثوابهم ولم يبالوا
بخطبهم واكن كان قد جاء الوقت المحتوم بالتقادير الازلية للانتقام من تلك المدينة
الكلدانية وكان الملك كيرش من عهد قريب قد جفف النهر المسمى باسم (لوجانديس)
بواسطة فتح خجان فيه وهو أحد العدران الممددة للدجلة فعزم على ان يفعل مثل ذلك
بنهر الفرات ويدخل بجنوده في مدينة بابل من مجرى النهر المذكور فعمل عليه قناطر تتصرف

بها مياهه الى البحيرة الصناعية التي كانت الملكة نيتوكر يس قد حفرتها هناك كما أسلفنا
 ذكرك ذلك و بهذه الوسيلة تيسر لجنوده ان يسيروا في مجرى النهر حيث صار الماء لا يبلغ
 الا الى ما فوق سيقانهم فقط وتوسطوا فيها بين خطتيها وكان يمكن لسكانها ان يأخذوهم
 ويقبضوا عليهم كما يأخذ الصياد غنيمته في حباله مصيدته بأن يغلقوا عليهم أبواب أرصفتهم
 المصطنعة من النحاس التي سلف ذكرها و يقذفوا عليهم بالآلات الحرب من أعلى أسوار
 مدينتهم ولكن كان أهل المدينة في اشتغال باقتحاض موسم لهم فغفلوا عنهم وتركوهم
 حتى تمكنوا من وسط حاضرتهم قبل ان يشيع الخبر بهذا الامر في باقي طاراتها العديدة
 وكان الملك نابونيد قبل ان ينحاز الى قلعة بؤرسينية قد ترك في مدينة بابل ولده المدعو باسم
 (بلطازار) اذ كان قد عهد اليه بالملك وأشركه معه في كرسى المملكة العراقية ولا شك
 في ان ما ذكر في سفر النبي دانيال بالتوادة من الوصف الجيب والذكر الاخذ بجوامع القلوب
 فيما يتعلق بمجلس الفوايحش الذي كان يلطازار قد انهمك فيه واعتكف عليه قد كان
 في جوف ليلة هذا الموسم اعني في ذات الليلة التي كان كيرس قد فجأ بجنوده الفارسيين
 والميديين مدينة بابل هذه ودخلها على حين غفلة من أهلها واتفق ان أحد قواد عسكر العجم
 المسمى باسم (دارا) الميدي المأمور من طرف الملك الفارسي بقيادة هذه الغارة الليلية على
 قاعدة السلطنة الباباية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده بالولاية على ستراية
 بابل (اي ولاية الستراب بمعنى الوالي او العامل) وكان الملك نابونيد قد سلم نفسه بصفة الاسير
 لملك فارس المذكور وبذلك زالت دولة العراق بالطريقة القطعية وانمحت بالكلية
 والجزئية من خريطة الكرة الارضية ولحقها الى هاوية الزوال ذات مدينة بابل هذه بعد
 قبل من القرون الزمنية

الفصل السادس

في كيفية ما كانت عليه بلاد الاسورية والبابلية من الدرجة المدنية
 والحالة العمرانية في سالف الاحقاب العصرية

مطلب — بيان كيفية المراتب الاساسية والمناصب السيادية التي كانت عليها الدولة
 الملوكية الاسورية الكلدانية في سالف الاحقاب العصرية قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان
 السابق الذكر والبيان اعلاه في هذا الشأن ما تعريبه بغاية الضبط والتحرى على قدر الامكان
 كما سطر ادناه وقد كانت الدولة الملوكية الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية
 يتحقق فيها نوع ولاية الامر العامة التي حددت فيها بعدد مائة الدول السلطانية الحادة

في بلاد اسسية وسائر الدول المشرقية كدول الخلقاء الاسلامية ودول فارس الكيانية والساسانية وهو عين نوع الحكومة التي عليها ترتيب الدولة العثمانية بالقسطنطينية والدولة الروسية الموجودتين في عصرنا هذا وذلك عبارة عن أقبح بجد لتقدم الحرية البشرية وارذل فقد انكارم الاخلاق التمدنية فكان ترتيب دولتهم من قبيل الحكومة الاطلاق ما يكون من غير ضابط يضبطها ولا قانون يربطها بوجه من الوجوه مطلقا غير ما كان يعترها في بعض الاحيان من ثوران بعض قنن داخلية مشتملة على سفك الدماء الغزيرة التي كانت تحصل في داخل قصورهم الملوكية

ومع ذلك فلم يكن الملك في بلاد كلدنة والاسورية معتبرا في درجة الألوهية كما كان الحال كذلك بالديار المصرية ولم نعثر في ضمن الآثار القديمة التي حصل عليها العثور لغاية الآن من اطلال مدينة نينوى والمدن التي كالت مجاورة اها على اثر ولا عمارة تدل على ان من ملوك العراق السالفين من صكان يحترم على انه اله معبود في مدة حياته كما وجد ذلك في آثار العمارات الفرعونية بل لا يوجد فيها ادنى شائبة ولا اثر مطلقا يدل على تأليه أحد منهم من بعد وفاته وكان الملك يعتبر عندهم دائما كفرد من البشر غير ان ذلك البشر كان بيده مجموع النفوذ الروحاني والبدني معا بمعنى انه كان مسلطا على الارواح والابدان وبعبارة أخرى كان له الولاية المطلقة العليا واليد التصرفية القصوى على سائر الرعايا من حيث السياسة والاديان وكان هو الخبر الأعظم والسلطان الاطلاق وكانوا يلقبونه بلقب خليفة الالهة على الارض وبرون ولايته صادرة عن اصل آلهي فهي ولاية عامة مطلقة تشمل الارواح والاشباح وقد دلت النقوش والتساوير التي حصل عليها الثور في ضمن العمارات والقصور الباقية من آثار مدينتي نينوى وبابل على حقيقة كيفية المعيشة التي كانت عليها طريقة ترتيب الدولة النينوية والبابلية في تلك الاعصار الاولى اذ يوجد على تلك العمارات والتساوير من النقوش والتماثيل ما يدل تارة على هذا الغرض المذكور وتارة على صورة ما كان يحصل من الغزوات والحروب التي كانت تقع من بعض الملوك لقصد امتداد فتوحاتهم حيث كانت لا تزال تتسع بها الممالك العراقية فتري صورة ملك الملوك منهم جالسا في داخل قصره والقصر مع ذلك قلعة حصينة وحوله جم غفير وقوم كثير من رجال دولته واعلاهم منصبا طائفة طواشيتة ومن أرقى أرباب وظائف ديوان الدائرة الملوكية ناظر سرايته وكبير سقاة الملك ورئيس الحرس السلطاني وكان من وظائف هذا الامير الاخير ايضا رياسة مشيخة البلد وادارة اعمال شتى المشنوقين وكان ارباب وظائف السراية الملوكية مع كونهم تحت ادارة الذات السلطانية بطريق المباشرة اى من غير واسطة وفي خدمته الخاصة هم ايضا اعيان رجال دولته ورؤساء حكومتهم وأرباب مشورته ينعقد منهم مثل مجلس شورى الوزراء الذي

ينعقد الآن في الممالك العصرية (وهو المعبر عنه بالمجلس الخصوصي في الديار المصرية) عبارة عن مجلس عال ينعقد من اكابر اعيان ارباب الدولة لقصد ادارة مهام المملكة تحت عالى رياسة الملك وان كان هو في اغلب الاحيان معتكفا في داخل حريم سرايته منهم كما على لذته مشتغلا بقضاء شهوته عن النظر في المصالح العامة

مطلب — بيان كيفية تقليد الولاية على الاقاليم المفتحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية — وقد كانت الاقاليم العديدة والولايات المدينة التي كانت قد افتحتها الدولة الاسورية الكلدانية وجعلتها تابعة لولايتها السلطانية على ضريين (احدهما) ما كان يولى عليه عمال من طرف الملك بطريق المباشرة (والثاني) ما كان يلحق بالسلطنة العراقية بمجرد التبعية فقط فاما الضرب الثاني فكان متى فتح الاقليم توضع عليه يد السلطنة الاسورية العظمى ويقر على ما كان عليه في سالف الاعصار من ترتيب كيفية ولايته وقوانينه الاهلية الثابتة فيه بالروايات الاثرية مع بعض تغيير وتبديل قد يحصل من لدن الحضرة السلطانية الكبرى ويقر بيت ملكه على ولايته والصلية غير انه ياتزم بالاذعان والتبعية لملك الملوك الاعلى على انه سيده ومولاه ويحبر على ان يؤدي اليه في كل سنة من المال اناوة جسية ويبعث له حصص عظيمة من الجنود تنضم للعساكر السلطانية العراقية وقد كان من النوادر جدا ان يجرد ملك الاسورية بعض الاقاليم المدعنة بالطاعة اليه على انها بالتبعية له من ولايتها الخصوصية ويبعث عليها عاملا من مدينة نينوى بطريق المباشرة من طرفه ولا يقع ذلك الا اذا تكرر من ذلك الاقليم الخروج عن الطاعة السلطانية والمجاهرة بالعداوة والعصيان للدولة الاسورية الكلدانية

مطلب — بيان كيفية ترتيب الطبقات الاهلية وتركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية — لم يكن يوجد ببلاد الاسورية في سالف الاعصار لاطبقات اهلية متميزة بعضها فوق بعض ولا درجات متباينة بالدقة ولا طائفة سيادية وراثية مستقرة على وجه ثابت بل كان سائر الناس على قدم المساواة بعضهم لبعض في هيئة الاجتماع البشرية اعنى تلك المساواة التي كانت تقتضيها وتريدها وترغب فيها وتقرها طبيعة نوع الحكومة الملوكية المطلقة التصرف في سائر الامور لاداعي انها هي التي يسهل لها ان تنفذ حكمها عليها وتطمئن اليها وهي عبارة عن كون سطح التسوية بين جميع الطوائف الاهلية تضغط عليه وطأة قدم السلطنة ذات الشوكة القوية التي يحصل الحرص عليها من لدن قوة النفوذ السلطانية على سائر رقاب الرعية بحيث لا يكون بينهم تمييز البتة اللهم الا باختلاف الدرجات الناشئ عن الترقية الى بعض المناصب العلية والمرتبات الاولى التي يترقى اليها بعض الرجال بمجرد ارادة ولي الامر كما يريد ويرضاه وليس فوق يده يد عليها للتهنيش عليها وفي اغلب الاحوال

يكون ذلك الترقى لا مبنيا على بواعث فضل واستحقاق بل لمجرد قضاء شهوة المولى وهو اه لا غير حتى انه لم يوجد في بلاد الاسوريين بتلك الاعصار تميز ثابت مستمر ولا فرق ظاهر مستقر بين القوم الاسوريين والرعايا المغلوبيين من اهل البلاد التي اقتحوها وتغلبوا عليها وتملكوها فكان الملك في اغلب الاحيان ينصب بإرادته بعض الرعايا الاجنيبين في اعلى مناصب دولته ولم تكن المناصب العلية التي يناط اليها النظر في اهم المصالح السلطانية العمومية ينصب فيها دائما بالخصوص من اعيان الاهالى الاسورية الاصلية

مطلب — الكلام على ما كان للاسوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين — لم يذكر في كتب التاريخ المأثورة عن مؤرخي السلف المعتمد عليهم في المدارس الاوروية من القوائد التفصيلية والمعلومات البيانية فيما يتعلق بمادة الشرائع والقوانين الاسورية كما نقلوا لنا فيما يتعلق من هذا القبيل عن احوال الديار المصرية وغاية ما نعلم في هذا المقام هو ان كيفية القضاء في المواد الجنائية قد كانت تحصل عندهم بالطريقة الفورية أى السريية بمعنى انهم كانوا يقضون على المتهم بمجرد ثبوت الدعوى عليه في مجلس القضاء بالطريقة الشفاهية وقد كانت شرائعهم في هذه المادة شديدة جدا وعقوباتهم يشعة للغاية وانهم كانوا يستعملون طرق التعذيب لاجل الحصول على اقرار المتهمين بالاجبار وان الحكم بالموت على المذنبين لا يصدر غالبا الا مسبقا بالتفنن في أنواع العذاب وتقلب المصاب على أصناف العقاب مما لا يعرف نظيره في الديار المصرية وقد كان مجرد قطع رأس الآدمي من غير تمثيل به ولا تعذيب بالبلاد الاسورية في تلك الحقبة المصرية مما يعد من الاحوال التزرية ويعتبر من أنواع القتل اللطيفة وهيئات الموت الغير العنيفة وكانوا في أكثر الاحوال تارة يصلبون المذنبين ويمثلون بهم وتارة يخوزقونهم وطورا يسلخونهم وعسم على قيد الحياة ولا يدفنونهم الموتى المعاقبين بل يلغونهم في البادية فتأكلهم أنياب السباع المستوحشة وتقتربهم الحيوانات المفترسة وكان من المعتاد لهم كثيرا أن يعاقبوا على الذنوب الصغيرة التي لا تستحق القتل بقطع عضو او عدة أعضاء من البدن وكثيرا ما كانوا كذلك يجازون بفقأ البصر

مطلب — ذكر طباع الاسوريين — قد كان الاسوريون في سلف الاعصار بالاصالة هم من الرجال الغلاظ الشداد والابطال اولى الحرب والجلاد ولقد صدق بعض الصدق ووافق قوله بعض الحق من غير عنهم يقوله انهم كانوا رومانى بلاد آسية القديمة وقد اضم لنا بدليل ما نشاهد من تصاويرهم وتماثيلهم المصورة في عماراتهم العظيمة انهم كانوا اناسا قصار القامة غلاظ الجسم شداد القوة اولى اعصاب تدل على انهم كانوا منطويين على قوة عصبية خارقة للعادة انوفهم صلبة محدودة وعيونهم متسعة وفي تقاطيع وجوههم ما يشتمل

على أظهر العلامات المميزة لذوات نوع الرتبة الالهية البشرية المعروفة بالسامية هذا فيما يتعلق بصفاتهم الحسية وهياكلهم الجسمية وامان حيث طباعهم العقلية واخلاقهم الباطنية فانهم كانوا على حسب ما عهد فيهم من الفضائل والذائل الاخلاقية جامعين لان ما يكون عليه اعظم امة فاتحة للممالك يبلد آسية فقد كانوا رجالا اهل جراءة واقدام على الحرب وقوما جبارين اهل قساوة للغاية يعشقون سفك الدماء ويحبون السلب والنهب اشد الحب وكانوا يبذلون نفوسهم مع غاية الجاس في الصداقة ملوكهم ممتلئين من الكبر الذي لم يعهده نظير ولا قياس في امة من الامم السالفة وكانوا يزعمون انهم فوق جميع الملل المتقدمين ولهم صبر على الحرمان من الملاذ الدنيوية وفيهم ميل للخداع والخيانة واشد الطباع القريرية المائلة لحب السلطنة وكانوا قوما اهل نشاط وشهامة ورجالا اهل جلالة ومواظبة ولدا على اجتماع جميع هذه الصفات فيهم كانوا هم احدى الملل التي خلقها الله سبحانه وتعالى بتدابيره الازلية واعدها بتقاديره الالهية لقصد ان تستولى على غيرها من الامم الاخرين مدة ما من الاحقاب الدهرية ولاجل ان يجعلها آلة عقاب لمن يستحق منهم سوء العذاب

وقد بلغت درجة خشوتهم وشدة نشاطهم وحركتهم لغاية انهم قاوموا مدة عدة قرون كاملة ما كان حاصلها عليهم من تأثير التنعم والرفاهية التي كانت قد غلبت عليهم من بعدما كان قد تحصل لهم من كثرة الغنى والثروة من سائر اقطار الدنيا باستيلائهم على الممالك الكثيرة والفتوحات الغير المحصورة وتيسر لهم من بعد سقوط الملك مردانا بال انهم في مسافة ثلاثين سنة قاموا من سقطتهم وعادوا لما كانوا عليه من شدة وطأنهم وعادوا درجة صولتهم وشوكتهم واستمرروا على فتوح البلدان اكثر مما كانوا عليه في سالف الزمان ولم يتيسر لغيرهم من الامم الآسيين انهم استمرروا على حفظ درجة أعلويتهم الجهادية مدة مديدة واعصارا عديدة كما تيسر لهم مع كون الامم الذين كانوا قدامهم بالقوة القهرية كانوا اقواما اولى عصبية شديدة ومقاومة عنيدة وكانوا هم ذاتهم محاطين بأعداء من اشد ما يكون

مطلب — ذكر ما كان للاسوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة — قد كانت أرض بلاد الاسورية في سالف الزمان ولم تنزل لغاية الآن خصبة خصوبة تامة في أى مكان أمكن جلب الماء اليه وتيسر ريه وكانوا قد تعلموا فن الفلاحة من جيرانهم البابليين الذين كانوا في أول الامر هم أساتيدهم والقوم الاعلون عليهم ولذلك كان فن الفلاحة قد بلغ عندهم الى أقصى درجه الكمال من أعصار قديمة جدا في سائر بلاد الجزيرة الفراتية سواء كان ببلاد كلدة أو ببلاد الاسورية وكانت طرقهم الزراعية مؤسسة على أقوى الاصول العلمية أعنى على أساليب علمية وتجاريب فعلية تصعد الى أقصى

الازمان السالفة مع كونها مبنية على قواعد من العلم مستندة للدالة العقلية ولم يكن يلحق الاسوريين والبابليين في فن الفلاحة أمة من الامم السالفين ولم يبقهم في كثير من الاعمال الزراعية أحدهم من الامم المتأخرين وكما كانت الزراعة عند هاتين الملتين في أعلى درجة من الكمال فكل ذلك كانت الصنایع عندهم على تلك الحال فكان يخرج من معامل مدينتي نينوى وبابل في تلك الاعصار الغامرة من الاقمشة المصبوغة بالالوان الزاهية او المطرزة والامتعة النفيسة والمصنوعات المتقنة من مخلوط المعادن الثلاثة التي هي النحاس والقصدير والخارصيني او التوتية المعدنية المسمى بمجموع ذلك بالتوج ومواد من المصاغات التي عليها نقوش بغاية الدقة والظرافة ومن الاواني المتخذة من الفخار المظلي ما يرغب فيه الراغبون ويجلبه الجالبون الى سائر بلاد الامم المتقدمين وقد كان لمدينة بابل تجارة ذات حركة نشيطة في البحر مع بلاد الهند وفي البر مع بلاد فارس والسوم ولمدينة نينوى قوافل تسافر الى بلاد الفتيقيين وآسية الصغرى وبلاد الارمن والميديين

مطلب — ذكر القلم السناني والخط السرياني — قد كان الخط الاسوري والسرياني المعبر عنه عند علماء الافرنج المتأخرين بالقلم السناني هو في الاصل من قبيل الخط الهيوري ياتي بالقلم المصري القديم اعني مركباً من حروف هي تماثيل الاشياء المحسوسة وصور المواد المكتوبة ثم بمقتضى الميل الطبيعي حصل في تصوير الاشياء على هذا الوجه تبديل شديد وتحويل آخر جديد واحوجت ضرورة الاختصار الى استبدال تصوير الشيء المكتوب على صورته الاصلية بتصوير بعض خواص مميزة له عن غيره وهي وان كانت ليست بصورته الحقيقية غير انها تدل على بعض صفات ظاهريه هي أخص خواصه الطبيعية ومن ثم نشأت صورة الكتابة السريانية المعبر عنها بالطريقة السكتانية السناية وصفقتها المميزة لها عن غيرها هي ان جميع الاشكال التي تتركب منها على أي هيئة كانت هي عبارة عن حروف ترجع بالاختيار او بالجبر الى كونها تنتهي بما هو شبه بسنان الرمح او المسمار ولذلك تعبر عنها بالكتابة السناية ولم تكن هيئة هذه الطريقة في أول الامر الاناشئة عن كيفية رسم الخط وذلك ان الاسوريين والبابليين لم يكونوا يكتبون علامات كتابتهم هذه لا بالقلم الواسطي على كاغد كالمعهود عند أهل المشرق لغاية الآن ولا بقلم الرسم على ورق البردي ولا على جلود مدبوغة مجهزة لهذا القصد أو على خرق من القماش ولا بسن قلم النقش الجاف على ألواح من الخشب أو خوص النخيل أو قشور الاشجار بل كانوا لداعي عدم تيسر هذه الوسائل لهم بالسهولة يرسمون حروفهم مفرغة في ألواح من الطفل الطرى ثم يحرقونها بالنار اذا أرادوا بقاءها وحفظها على ممر الاعصار وكانت آلة كتابتهم قلماً على شكل المثلث يتخذونه من الحديد لهذا العمل حصل العثور على عدة افراد عديدة منه في اطلال مدينة نينوى فكان تصوير شكل

خطهم على تلك الصورة الغريبة أعنى صورة المعمار هذه ناتجة عن تأثير خط هذا القلم في مجسم الطفل وترسم صورة المسماة فيه بواسطة الطرق عليه طرقتين بقلم النقش المذكور ولا شك ان الرسم على الحجر بمثل هذا العمل كان اسهل لهم واسرع من تصوير تماثيل الاشياء المكتوبة بنماها عليه ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الاولى الى تلك الطريقة السهلة قال المؤرخ قراتيس لونيورمان المروى عنه اعلاه وجنوع الصحف التي تيسر لنا الحصول عليها من بقايا الكتب السريانية القديمة الحقيقية هي ناتجة عن اعمال الحفر التي حصلت في اوائل هذا القرن الحاضر بمعرفة المعلم (ليار) الفرانساوى الساف الذكروا اصلها من الكتبخانة العمومية التي كان قد انشأها الملك آسور بانيبال في قاعة من قصره بمدينة نينوى في ذلك العصر ولقد كانت تلك القاعة دار كتب عجيبة وكتبخانة غريبة وهي عبارة عن مجرد الواح مسطحة مربعة من الآجر كتب على كل من وجهيها بالقلم الساني القديم ونوع الخط السرياني الدقيق المصنوم (المعروف في اصطلاح اهل الخط بقلم الرقعة) صحيفة من الكتابة مرسومة على أصل الطفل وهو بحالة الطراوة بعد وقد وضع بأعلاها رقم يدل على انها صفحة من كتاب يتركب مجموعه من جملة صفحات كلها من هذا القبيل ولا شك انها قد كانت في الاصل من صوصة بعضها فوق بعض على هيئة الكتاب موضوعة في خانة من دولا ب الكتبخانة المذكورة

مطلب - ذكر ديانة الآسوريين وعقائدها أهل العراق السالفين - وقد كانت ديانة الآسوريين والبابليين هي اصل منشأ اغلب المذاهب الدينية التي كان عليها سكان بلاد الشام وبلاد آسية الصغرى السالفين وكان دينهم من حيث أصوله الاساسية وقواعده الاصلية العمومية من قبيل دين قدماء المصريين وسائر أديان أهل الجاهلية الصابئين وعبداء الاصنام من الامم السالفين على العموم وذلك انه متى أمعن الناظر فيه نظره وحقق بصره الى ما وراء القشرة الخشنة الغليظة أعنى مادة تعدد الآلهة المعبودين لهم التي كانوا يحجبون بها مصون عقائدهم عن أعين العامة منهم وصعد الى مرتبة من العقائد الدينية الحقيقية أعلى من تلك الاوهام العامية التي هي لتلك العقائد الاصلية وسائل ابتدائية وأوائل توسلية اتضح له في ضمنها ادراك معنى أصلي دقيق من اصل الوجدانية الالهية وانه كان لهم حظ من عقيدة التوحيد الاصلية التي هي من آثار الوحي السابق غير انها كانت قد تشوهت على مرور الزمان بما كان قد تدخل في اذهان هؤلاء الامم من التخييلات الشيعية والاوهام البشيعية في ميدان تعدد الآلهة المعبودين حيث خلطوا المخلوق بالخالق وتصوروا الذات المعبودة في صورة مادة دنيوية آلهية جعلوا الحوادث الطبيعية هي مظاهرها وتوهموا ان الآثار الاعتبارية هي ما أثرها فكانوا يعتقدون انه يوجد اله واحد اسمى وذات معبود

أعلى هو السيب الاعظم والكل الاقصى تنتهي اليه سائر الاشياء الاخرى وتشتمل فيه اشتمال الكل على الاجزاء ودونه عدة آلهة ثانوية سفلى وجملة ذوات معبودة دنيا صادرة عن الذات الالهية العليا مرتبة في اعتقادهم على درجات متنوعة بحسب اختلاف قدرها واهمية بعضها بالنسبة لبعض وليست في الحقيقة الاعبارة عن صفات الذات الاعلى وهم قد شخصوها وعن مظاهرها الاثرية وهم قد شخصوها وجعلوها ذوات مستقلة وآلهة منفردة عن الذات الاصلية وأصل جميع أديان الامم الجاهليين وعبداء الاصنام الصابئين السالفين واحد وانما كانت تختلف خصوصاً من حيث تنوع هؤلاء الذوات المعبودين الثانويين واختلاف ماهياتهم الذاتية في تخيل هؤلاء الامم السالفين فكان المصريون كما أسلفنا ذكر ذلك في موضعه قد تأثر تخيلهم خصوصاً بالحوادث المتوالية المرئية لهم من حركة الشمس اليومية والسنوية فترأى لهم فيها أعظم مظهر وأظهر أثر للذات الالهية الاصلية وتصوروا ان فيها انموذج قوانين نظام الكون فجعلوها أصلاً لتخصّصات آلهتهم ومنشأً لتخصّص ذوات معبوداتهم بخلاف أهل العراق السالفين أعني الكلدانيين والاسوريين المذكورين فانهم لما كانوا قد انهمكوا بالخصوص على الاشتغال بعلم الفلك كانوا قد تصوروا ان مجموع سائر الكواكب القلكية ولاسيما الكواكب السيارة منها هي آثار الذات الالهية فاعتبروها هي ما أثرها الظاهرية ومتعلقاتها الاثرية وجعلوها في طريقتهم الدينية هي الصور المرئية الصادرة عن ذات معبودهم الاصل المطلق وكانوا يعتقدون اتحادها بالعالم المرئي الذي هو صنعتها وقد كان هذا التصور موافقاً لما كانوا منهمكين عليه من دوام الاشتغال بعلم الفلك والتجوم حيث كان هذان العلمان هما الغالبان على عقول هذه الامة وكانت خربة القسس الكلدانيين الذين هم أمناء دياتهم منهمكين بالخصوص على رصد أحوال السماء وما فيها من الكواكب والتجوم ومعرفة حركاتها وكانوا قد تقدموا في هذا العلم فوق سائر العلوم تقدماً كبيراً جداً وكانوا لعلم الفلك هم اول الواضعين واسبق المؤسسين اليهم بنسب اختراع دائرة فلك البروج وتقسيم الدائرة الى ٣٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة وانهم اول من رصد الكواكب السيارة وحسب حوادث خسوف القمر وقد جرهم الاشتغال بعلم الفلك الى البحث في العلوم الرياضية ولا سيما علم الاعداد وعندهم أخذ الفيلسوف اليوناني المشهور بفيثاغورس جدول الضرب المشهور باسمه في علم الحساب لغاية الآن ولقد كانت ديانة أهل نينوى وبابل تشتمل على رذائل شنيعة ومناسك بشيعة وأمر مخالف لمكارم الاخلاق منفرة للطباع السليمة جداً ومن ثم كان التشنيع الشديد والتقميع بالنفس العالي الذي كان يصدر من أنبياء بني اسرائيل على هذه الديانة الدينية التي كانت تقر مثل هذه القبائح الشديدة

مطلب — ذكر فنون الاسوريين وصناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كان فن

الدرس الثام ١٧١ في التلخيز العام

العمارة عندهم - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروا البيان قد مكث الناس مدة مديدة واعصارا عديدة يعتمدون على مجرد قول أهل التاريخ السالفين كالمؤرخ (اكليرياس) مثلاً فيما ذكره من انه قد كان للاسوريين في سالف الاعصار فنون وصنایع قد اتسعت دائرتها وعمارات اتقنت صنعها الى درجة عالية جداً ويعتقدون مجرد دعواهم في سما حرره من بديع وصف العمارات الفاخرة والقصور والهياكل المشيدة التي كانت في مدينتي نينوى وبابل حتى جاءت سنة ١٨٤٤ الميلادية (سنة ١٢٦٠ هجرية) وفيها عثر بلدنا العالم النحرير والقنصل الشهير باسم (بوطه) وكان قنصل دولة فرانسبا بالموصل على آثار قصر قديم لبعض الملوك الاسوريين في مكان قرية حقيرة تدعى باسم (خورازاباد) على القرب من مدينة الموصل المذكورة وكان هو اول من استكشف شيئاً من تلك الآثار الماثورة ثم حذا حذوه وقف آثاره جماعة كثيرون من اهل العناية بالبحث عن احوال الامم السالفين فاستكشفوا من هذا القليل استكشافات كثيرة جداً حتى وقف سائر الناس الآن على حقيقة فن من العمارات لم يكونوا يعرفوا وجوده ولا قدره الا بمجرد الاعتماد على تلك الاقوال الادبية والشهادات التاريخية المشهورة ولقد علم بدليل هذه الاستكشافات ان ما كان يوجد ببلاد البابليين من العمارات الدينية كان كله على منوال واحد فانهم كانوا يبنون هياكلهم على شكل هرم مدرج يتركب من عدة سطوح عديدة مربعة وجملة طبقات مربعة من قصات بعضها فوق بعض من جميع جهاتها أعني ان كل سطح او طبقة منها هي أضيق مما دونها على وجه بحيث ان الطبقة السفلى أعني قاعدة الهرم كانت على اوسع مسافة من الارض والطبقة العليا وهي الرأس هي أضيقها وقد كان بناء برج بابل المشهور على هذا الوجه من قبل وكذلك كان بناء اقدم الاهرام المصرية كهرم صقارة مثلاً وقد كان انشاء معابدهم على هذه الهيئة موافقاً لما كان من كوزافي اذهانهم من بناء العقائد الكلدانية خصوصاً من مبادئ اصلها على القواعد الفلكية وكانهم كانوا يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يتقربون الى الاجسام السماوية التي كانوا يعبدونها فاتخذوا هياكلهم هذه كأنها رصد خانات حقيقية لكي يرصدوا فيها حركاتها الدورية ولذلك تراهم على سطح الطبقة العليا منها يبنون زاوية أو مصلى صغيراً وهو عبارة عن حجرة مربعة من زينة بأجمل الزينة يوضع فيها تمثال الاله المعبود لهم في كل هيكل من هياكلهم وكل سطح او طبقة من الطبقات السكاثر بعضها فوق بعض مكسو بطلاط من الآجر تختلف ابعادها وألوانه في كل واحدة منها عن غيرها من الطبقات الأخرى وقد كان من عوايد الاسوريين على وجه العموم ان يعملوا جبيلات من قفعة عظيمة اي تلالاً مصطنعة جسمية يجعلونها قواعد مسطحة يبنون عليها هياكلهم وقصورهم ومدائنهم وديارهم ومنازلهم وكانت مدينة نينوى مبنية على هضبة مصطنعة من هذا القبيل تمتد على

نخط مد يد من مساحة الارض وكانت اسوارها تحيط على نطاق من الارض يبلغ مقاسه ٣٦ شوطا يونانيا ظاهرها مبني بالاجروباطها محشوب تراب مجلوب ولذلك تراها المازال عنها الحائط المبني بالاجرانها التراب المذكور واختلط بالارض كأن لم يكن لها سور وحيث كانت عماراتهم مبنية على تلك التلال الصناعية كانت بحسب طريقة بنائها هذه تظهر لعين الراي كأنها في الحقيقة تلال أخرى من اعمال البشر مترتبة على التلال الاولى وكأنهم كانوا يحتفرون في جوانبها مساكنهم اذ كانوا يضطرون لذلك كما يظهر بضرورة جنس المواد المتيسرة عندهم لعمل الابنية والحاجة كونهم يتخذون لانفسهم بيوتا طرية لتقيم الحرفى مثل تلك الاقطار الشديدة الحرارة نعم ان ارض بلاد الاسورية يوجد بها أحجار بكثرة للبناء لكن البابليين الذين كانوا لا ينويين هم الاساتذة المعلمين كانوا لا يجدون في ارض بلادهم مواد للبناء حيث كانت ارضهم كلها سهولا تتركب من مجرد طينة طفلية مجلوبة ولذلك اضطروا لاتخاذ ابنيهم كلها من الطوب المصطنع اما محروق بالنار او مجفف بحرارة الشمس لا غير وقد قفأ أثرهم في ذلك تلامذتهم الاسوريون غير انهم بدلا عن كونهم يضررون الطوب بطريقة اساتيدهم البابليين انما كانوا يقتصرون على عمل مدا ميح من الطقل اى على مجرد القاء المادة الطفلية من بعد سحقها بمسحقة في قوالب من الخشب فقط ولم يكن للاسوريين مواد بناء أخرى غير هذه المادة حسبما اتضح من جميع اعمال الحفر التي حصلت في آثار العمارات الاسورية القديمة لغاية الآن اذ لم يوجد فيها البناء بالجر اللهم الا في صورة تطبيق من الظاهر لبعض الحيطان تراه مرصوصا على طبقات او صفوف بعضها فوق بعض وفيها نقوش خفيفة تمتد على طول جوانب القيعان وتلك القيعان في غاية من الزينة الزاهرة الزاهية والنقوش الباهرة الباهية يكسو حيطانها من الظاهر طبقة من الحجر المنحوت مبنية على الوجاهات الخارجية من السطوح المذكورة ولما كان الاسوريون لا يتخذون ابنيهم الا من المدا ميح الطفلية لزمهم ان يجعلوا حيطانهم سمكة جدا وكانوا لا يبنون الا حجرات ضيقة وحيطانا غير مرتفعة لان القبوة المصنوعة من المدا ميح الطفلية المذكورة لا يمكن ان تكون الاعلى ابعاد غير عظيمة وكانوا لا يجعلون عماراتهم الا بدورا واحدا ويربثون سطح سقفها بطبقة جسيمة من الطين لاجل ان لا تحترقها الامطار ولا ينفذ فيها الشقوق الناشئة عن اشعة الشمس

مطلب — ذكر ما كان قد اشتهر عند الاسوريين في تلك العصور من صناعة التصوير — قد كان فن التصوير ببلاد الاسورية في سالف العصور من اعظم الفنون التي كان يشتغل بها الامم الافديمون ومنهم تعلم اليونان مبادئ تصويراتهم اذ كانت هذه الصناعة قد انتقلت اليهم بواسطة سكان بلاد آسية الصغرى وهم كانوا قد اخذوها عنهم وتعلموها منهم وذلك انه بامعان النظر في اعمال التصوير المصنوعة بتلم ارباب الفن النينويين واليونانيين في الاخصار

الاخصار الأولية يرى ان بينهم ما درجة تربية عجيبة ومناسبة غريبة جدا وقد كانت صناعة التصوير عند الاسوريين كما هو شأن جميع الفنون الابتدائية والصناعات الأولية وكما كان الحال كذلك عند قدماء المصريين عبارة عن تقليد غير تام للصور الطبيعية وصناعة غشيمة في رسم القلائل التصويرية تكاد ان تكون اعمالا بنائية اوهى اساليب اتفاقية مصطلح عليها عندهم واكثرها من قبيل ما يشتغل به الصياني في سائر البلدان في مبادئ اشتغالهم بفن الرسم والتصوير فتري سائر رسم الوجوه في التصوير البارزة عندهم مثلاً مأخوذاً بجانب ولو ترتب عليه اختلال تركيب مجموع الصورة بتمامها لدا في كون تمثيل المستويات على الجانب اسهل من تمثيلها بالمواجهة غير ان فن التصوير عند الاسوريين كان مبنياً على اصول مغايرة لاصول فن التصوير عند المصريين ولم يكن على الصناعة الاسورية تلك الفخامة الاحتفالية والضخامة ال اثرية التي كانت تشاهد على القلائل المصرية وذلك ان الاسوريين كانوا بدلاً عن كونهم يصورون الاشياء بصورها العمومية ويتطرون لمجرد القوانين الجبرية من الصور الطبيعية فقط فبختصرون صور المستويات والخطوط بواسطة ايجاز الصورة المراد تمثيلها والاقتصار فيها على اجزائها الاصلية واصافها الطبيعية المميزة لها ويتجنبون ما يستحق العناية به مبنياً على اصول الدقة والحدق كانوا يتعلقون بتصوير دقائق الاحوال مع غاية العناية والتدقيق فلا ينسون تطرير الثياب ولا يملون رسم صغيرة من شعر الرأس أو اللحية او مصاب ذراع او فخذ وما أشبه ذلك واشدة اعتنائهم بمثل هذه الدقائق كانت صناعة التصوير الاسورية كالمصرية تبعده عن تمثيل الحقيقة الطبيعية لكن كل منهما من طريق مخالف للثاني مخالفة الضد للضد وكانت عنايتهم في التصوير بالاحوال التبعية تبلغ من درجة الاهمية البليغة الى ما يضر بمجموع الرسم على العموم وكانت كيفية رسمهم لا عصاب أعضاء الجسم لدا في المبالغة في اظهارها وتصير هائلة جداً وتصير النسبة بين اجزاء البدن غير مضبوطة ومن هذه الخبيثة بقي فن التصوير ببلاد العراق القديمة دون فن التصوير في ديار مصر بكثير ولم يكن فيه ما كان في فن التصوير المصري من الروح التخيلي ودرجة التصوير العقلي وعظمة السكون والجلالة الدينية الموجودة في القلائل المصرية لكنه في مقابلة ذلك يشتمل على حركة ونشاط وتوع من الروحانية والحياة لم تكن تعرف عند ارباب الفن المصريين (انتهى من تاريخ الامم المشرقية والهند لل مؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروا البيان)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الرابع من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

- ١ - ما المقتضى لترتيب تاريخ الاموريين والبابليين بعد قدماء المصريين والعبرانيين
النسبة الينامعاصر المصريين

مقدمة

- ٢ - ماصفة حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات
- ٣ - كيف تنقسم الجزيرة الفراتية بالنسبة لطبيعة طبقتها الارضية وما طبيعة ارض
كل قسم منها
- ٤ - ما المراد من التعبير ببلاد الاسورية وكيف كانت تنقسم في سالف الحقب العصرية
- ٥ - ماهي الولايات المشعولة في حوض دجلة والفرات وما صفة تلك البلدان على حسب
ما هي عليه الآن
- ٦ - ما مكان مدينة (نينوى) القديمة ومن هو اول من استكشف آثار هذه المدينة العظيمة
- ٧ - أين توجد اطلال مدينة بابل المشهورة
- ٨ - ما المراد من النبط أو النبطيين في مقابلة القبط أو القبطيين
- ٩ - ما وجه المقابلة بين وادي النيل ووادي دجلة والفرات وما الموجب لتعلق اطماع
الدول بالجمع بينهما والاستيلاء عليهما في كل عصر وجيل
- ١٠ - ماذا قيل من الاشعار العربية الشهيرة في المقابلة بين نهرى النيل والفرات

الفصل الاول

- ١١ - من كان سكان بلاد كلدنة من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان وماذا
يذكر عن السومير والاكاد - وهل كانوا وجدتهم سكان تلك البلاد
- ١٢ - من كان اول من أنشأ المدن والعمارات على شواطئ نهرى الدجلة والفرات
- ١٣ - ما النمرود وماذا يحكى عنه في التوراة من الروايات
- ١٤ - ما أسور وماذا يؤثر عنه من الاسمار والعمارات
- ١٥ - ما أصل منشأ الاسوريين وأوال السريانيين وما نسبتهم للبابليين

الفصل الثانى

- ١٦ - ماذا ثبت من تاريخ أوائل أمر الدولة السكدانية والدولة الاسورية حين كانتا
مجتمعتين ببلاد الجزيرة الفراتية وماذا كانت مما كنهم من تلك الاقطار وما تحقق
عنهم من الاخبار
- ١٧ - ما حال الامة الكلدانية الاسورية في تلك الاعصار الاولى
- ١٨ - ما قصة تملك الدولة الميديّة على مدينة بابل العراقية ومادة تملكهم على تلك البلاد
قبل الميلاد
- ١٩ - ما قصة تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية ومادة تملكهم على تلك البلاد قبل
الميلاد
- ٢٠ - من الذى اعقب الدولة الايلامية على بلاد البابلية وفي أى سنة كان ذلك قبل
الميلاد وما أشهر ملوك هذه الدولة الذين عثر لهم على بعض آثار بملك البلاد
- ٢١ - ما قصة استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية ومادة ذلك الاستيلاء
وماذا يستأنس لذلك من كتب المؤرخين المتقدمين

الفصل الثالث

- ٢٢ - كيف كان تأسيس السلطنة الاسورية بملك البلاد (من القرن الخامس عشر الى
الرابع عشر قبل الميلاد) وما حاله تاريخ تلك المدة من حيث الصحة والاعتماد

- ٢٣ - ما أوائل فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين ومن هم أول الملوك الاسوريين القاطنين
- ٢٤ - ما أول منشأ العائلة المالوكية الاسورية المعروفة بالبليطارية وما تاريخ حدوثها قبل المدة الميلادية وماذا ثبت من تاريخ بليطارية ومن خلفه من ملوك تلك العائلة الملوكية
- ٢٥ - ماذا ثبت من تاريخ الملك آسور نازير پال وما عثر له عليه من الآثار الفعلي ما كان فيه من غرائب الخصال وعجائب الافعال
- ٢٦ - ماذا ثبت عن الملك سلمانصر الرابع وما تحقق له من الغزوات والوقائع
- ٢٧ - ماذا ثبت من أخبار الملك يلوخوس الثالث والملك سيميراميس الحقيقية وهل في التواريخ الاسورية الصحيحة امرأة تسمى بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية
- ٢٨ - ماذا يدكر عن الملك سردان پال من رذائل الخصال وماذا تضرب به الامثال وماذا ترتب على قبح سلوكه من الفتن والاختلال وخراب مدينة نينوى الخراب الاول بعد القتال
- ٢٩ - ما قصة زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى الاول وما تاريخ هذه الحادثة الكبرى

الفصل الرابع

- ٣٠ - ماذا كان من حال القوم الميديين بعد خراب مدينة نينوى الاول وماذا يدكر عن الملك قول بعد ذلك بمدينة بابل
- ٣١ - كيف كانت مدة مكث الدولة البابلية وماذا فعل الاسوريون بعد ذلك من الممالك حتى عادت السلطنة الاسورية الى مدينة نينوى بالثاني وماذا يدكر عن الملك (تجلات قلصر) الثاني
- ٣٢ - ماذا يدكر عن الملك (سلمانصر)
- ٣٣ - ماذا يدكر عن الملك (سرجون)
- ٣٤ - ماذا يدكر عن الملك (سنحاريب)
- ٣٥ - ماذا يدكر عن الملك (آسارادون)
- ٣٦ - ماذا يدكر عن الملك (آسور بانيال)

٣٧ - ما آخرا حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض الملوك الاسوريين من الطبقة الثانية بتلك البلاد

٣٨ - كيف كان زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين وماذا ترتب على تلك الحادثة الدهرية

٣٩ - من هو آخرا ملوك الدولة الاسورية الثانية بمدينة نينوى وكيف كانت حالته بالنسبة لصاحب الدولة الميديية

الفصل الخامس

٤٠ - ماذا يدكر من غرائب الامور عن الملك بختنصر المشهور

٤١ - ما قصة واقعة قرقيش الشهيرة وما الذي اوجب سرعة هود بختنصر الى مدينة بابل عقب هذه الواقعة الشهيرة

٤٢ - ما قصة اوائل غزوات بختنصر ببلاد اليهود بناء على ما كان قد حصل من طرف ملكهم من نقض العهد

٤٣ - ما قصة خراب بيت المقدس على يد بختنصر وماذا فعل بالملك صديا من افعال الجبر والتهور

٤٤ - ما قصة وقايح بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية

٤٥ - ما قصة ما يؤثر عن بختنصر من العمارات والآثار وما صفة مدينة بابل حسب ما نص عليه المؤرخ هيرودوت اليوناني في تلك الاعصار

٤٦ - ما ملحوظات المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بقياس مدينة بابل في تلك الازمان ببعض الماسدن الموجودة الان

٤٧ - ما تعريف البساتين المتعلقة المشهورة في قديم الرمان وبماذا يمكن تشبيهها بما يوجد من هذا القبيل الان

٤٨ - ماذا كانت آثار بختنصر فيما يتعلق بالمواد الزراعية والتجارية والسفارات البحرية

٤٩ - ما قصة ما اعتري بختنصر من الجنون وما حصل له في آخر عمره من العرور والفتون

٥٠ - ما أسباب سرعة انقضاء السلطنة البابلية وعجلة زوال الدولة الكلدانية بالنسبة للسلطنة الآشورية وما تأويل الرؤيا المنامية التي كان يراها بعض ملوك الدولة العراقية فيما يتعلق بهذه القضية

٥١ - ما تاريخ خلفاء بختنصر على ملكة بابل من الملوك في ذلك العصر

٥٢ - بماذا اشتهر ولد بختنصر المدعو باسم (ابو بلير وداش) من مكارم الافعال الانسانية وهل استمر على حسن تلك السيرة الملوكية

٥٣ - ما قصة صهر بختنصر المدعو باسم (نيريجايصور) وكيف كانت عاقبة امره في تلك العصور

٥٤ - من ذا الذي خلف الملك (نيريجايصور) وما قصة استيلاء الملك (مانو يد) على سرير السلطنة البابلية وكيف كانت حالة أيام هذا الملك الاخير

٥٥ - ما قصة سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكافة

الفصل السادس

٥٦ - كيف كان ترتيب الدولة الآشورية الكلدانية في سالف الاحقاب الزمنية وما نوع تلك الولاية العمومية وكيف كانت تعتبر عندهم المراتبة الملوكية بالنسبة لساكني المراتب الدولية

٥٧ - ما كيفية تقليد الولاة على الاقاليم الاجنبية المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الآشورية في تلك الاحقاب العصرية

٥٨ - كيف كانت طريقة ترتيب الطبقات الاهلية وترتيب الجمعية البشرية ببلاد الآشورية في تلك الاحقاب الدهرية

٥٩ - ماذا يذكر عما كان للاشوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين بالقياس على شرائع المصريين

٦٠ - كيف كانت طباع الاشوريين الاخلاقية وهيئاتهم الجمعية

٦١ - ماذا يذكر عن الاشوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة

٦٢ - ما تعريف القلم السناني والخط المصري القديم

٦٣ - ما قيمة ديانة الاشوريين وما هي عقائد اهل العراق السالفين وما اذا كانوا قد برعوا فيه من انواع العلوم والفنون

الدرس الثام ٢٧٩ في التاريخ العام

٦٤ - ما حالة صناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كانت قد بلغت درجة فن العمارة

عندهم

٦٥ - ما حقيقة ما كان قد اشتهر عن الاسوريين في تلك العصور من صناعة التمثيل والتصوير



الباب الخامس

في تاريخ الفرس والميدين وسكان بلاد العراق الجهمي واذرييجان السالفين

(واصل مأخذ هذا الباب من تأليفات العلماء الاور وباوين المتأخرين وتحقيقات المؤرخين المحققين المصريين ولا سيما من تأليف المؤلف (بريجان) فيما يتعلق باصول الامم المتكوثة من بني يافث السالفين وتأليف العالم (بيشيت) فيما يتعلق باصول الامم الهنديين والاور وباوين والايرانيين الاولين وكتاب المعلم (شيبيل) فيما يتعلق باصل ديانة الجنس البشري الهندي الايراني وتأليفات العالم الپروسياني المشهور باسم (كوهن) وغير ذلك)

افكار تقديمية وفوايد عمومية

قد علمنا ما تقدم في الابواب السابقة ان الديار المصرية هي قطب رحي الدينا القديمة والحديثة في الاعصار السالفة والحالفة كما سيأتي ايضاحه ايضا في الابواب اللاحقة وفهمنا ما سلف ذكره لغاية الان ان كل امة نبعت بصولتها بين الامم المتقدمة وكل ملة برعت بشوكتها بين الملل السافين في ذلك الزمان لا بد وان تتعلق بالاستيلاء عليها اطماعها وتتشوق لاستصفائها بنفسها واستتباعها لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى دون سائر الاقطار الدنيوية من المزايا الطبيعية وحسن الاحوال الموقعية كالخوداء البديعة الجمال الغزيرة المال والحسنة ذات الحسب والنسب الكثيرة النشب يتزاحم عليها الراغبون ويتنافس في مهرها الخاطبون ولذلك يجب علينا معاشر ابناء المصريين وطلبة العلم المصريين في درس التاريخ العام والبحث عن اخبار سائر الامم والاقوام ان لا تقطع النظر عن هذه البقعة الكريمة والجنة الارضية العظيمة ونزد سائر توارخ الامم المتنوعة عين اليها ونبحث في جميع اخبارهم واحوالهم لامن حيث كونهم لنا هم الغرض الاصل والباعث الاولى بل بطريق التبعية والقياس عليها واذا سرحنا اور وحناني بعض ميادين اخبار هولاء الامم والاقوام في كل مكان وفي كل زمان ينبغي لنا ان نرجع دائما الى هذه الاوطان التي حباها من الايمان ونقول لها بالقلب واللسان قول العاشق والولهان (شعر)

اورى بسعدى والرباب وزينب * وكل يديع الحسن والقصد انتمو

وان من اشهر الامم السالفين واكبر الملل الاغراب المتقدمين الذين امتدت يدهم

واستعدت عددهم وعددهم للاستيلاء على الديار المصرية في سالف الاحقاب المصرية اعني بمدة التواريخ القديمة التي نحن بصدد البحث عنها والاقتباس منها بعد غارة الملوك الرعاة المعروفين بالهيكسوسيين وغارة ملوك الاثيوبيين ومن استلمت عليها كما علمتهم تفاصيل ذلك فيما سلف من ملوك الاسوريين هم ملوك فارس والميديين أي سكان بلاد العراق العجمي واذريجان السالعين وكانت مصاكنهم فيما وراء البحر المعجمي عند السلف باسم بحر (ابر يتر) وهو المعروف الآن بالخليج الفارسي الخارج من الاوقيانوس الهندي او بحر الهند ويتصل بخليج عمان وذلك القطر هو ما يعرف في هذا الزمان ببلاد الهند أو دولة (ابران) والغرض لنا من هذا الباب ان نبحث عما ثبت عند المحدثين من علماء التاريخ الاروباويين المتأخرين من أخبار هذه الامة الشهيرة والملاذات الشوكة الكبيرة من سالف الاحقاب لغاية ان امتدت سلطنتهم وشملت غارتهم ديارنا هذه المصرية واستلحتوها بالتبعية وتتبع تاريخها بعد ذلك اغاية ما يعرف في اصطلاح أهل التاريخ بالحروب الميديه يعنون بذلك الوقايع الحربية التي وقعت بين الامة الفارسية واليونان المبر عنهم عند العرب بالروم كما هو معلوم وذلك في نحو القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما فعلنا بالامم المذكورين في سالف الابواب من هذا الكتاب

وقبل الشروع في ايراد هذه التحقيقات التاريخية والنتائج الاستكشافية العلمية يلزم أن نقدم امام هذا الباب مقدمة تشمل على معلومات جغرافية وقوائد وصفية تتعاق بالاقطار الارضية التي كان فيها مساكن هذه الامة الميديه وتلك الامة الفارسية التي يزيدان نشغل بالوقوف على حقيقة تاريخها في سالف الاحقاب لضرورة معرفة وصف المكان قبل السكان على حسب الاسلوب الذي سلكناه في هذا التأليف لغاية الآن

مقدمة

في بعض قوائد جغرافية ومعلومات وصفية تتعلق ببلاد فارس والميديه

جرت عادة المؤرخين الاوروباويين ان يذكروا تاريخ بلاد فارس والميديين او مادي في باب واحد وان كانوا أمتين متغايرتين وملتين مختلفتين كما جرت عادتهم ايضا بان يذكروا في باب واحد كذلك تواريخ الاسوريين والبابليين لارتباط أخبار بعضهم ببعض ولكون مساكنهم متقاربة والافضل للميديه (ويقال لها ايضا لامعادي) هي خلاف بلاد فارس وان كانت اماكنهم متصافيه من أقطار الارض وكدلك منهما كل سطر بعد

مطلب — حدود بلاد الميديّة — أما بلاد الميديّة فهي محدودة من جهة الشمال ببحر الخزر وبلاد أرمينية ومن جهة الغرب ببلاد الآسورية الأصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفريثية (بالأثناء المثلثة بعد الرأء المهملة) وهي القطر السكائن بشرقي العراق العجمي وعسري خراسان الآن و جبال الخزر تستر سائر سطح الجهة الشمالية منها وفي تلك الجهة أيضا ما يوجد بتلك البلاد من الأنهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم (قورش أو قور) والثاني بنهر (آراس) وقد كانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (ايكباتان) (قال صاحب معجم مشاهير الرجال والبلدان ولعلها الآن المدينة المعروفة بهمدان) ثم مدينة (راجيس) (وهي المدينة المعروفة باسم الري الآن)

مطلب — حدود بلاد فارس — وأما بلاد فارس أو فارستان فقد كانت في سالف الزمان عبارة عن الأرض المشمولة فيما بين بلاد الميديّة المذكورة أعلاه والخليج الفارسي من جهتي الشمال والجنوب وبين بلاد الكرمان (بكسر الفاء الموحدة وسكون الرأء المهملة) وبلاد البابلية من جهتي الشرق والغرب وفيها من جهتي الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول إليها إلا بغاية المشقة والتعب وكانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (برسبوليس) (وهي المعروفة الآن باسم (ابتشهيل منار) ثم مدينة (بازارجاد) (بالبا الفارسية في أوله وهي المعروفة الآن باسم (بازا) أو (فازا) (بالباء الفارسية أو بالفاء الموحدة الفوقية في أوله)

وقد كانت سلطنة فارس المشهورة في عصر (دارا) الأول تشتمل على عشرين سترابية أي عمالة بمعنى إقليم أو ولاية ينصب عليها عامل من طرف دولة فارس المذكورة منها ما هو بلاد أفريقية كالديار المصرية وما يليها من بلاد (قوريس) أو بلاد (ليديا) (وهي بلاد برقة) من الاقطار المغربية ومنها ما هو بلاد آسيا بما فيها بلاد الميديّة أغاية بلاد الهند ولا جـل تصور مجموع بلاد فارس ومادى الأصلية قبل الشروع فيما يتعلق بهما من الاخبار التاريخية رأينا ان نعرب هنا ما تسطر في كتاب جغرافية المعلم (فورتنبير) الكبرى الفرنسية فيما يتعلق بهذه الاقطار الفارسية وذلك كما سطر بعد

مطلب — اوصاف مملكة فارس الطبيعية وذكر بعض احوالها المحلية — قال المعلم (فورتنبير) المذكور في كتاب جغرافيته الكبرى المشهور ان دولة فارس المسماة عند اهل المشرق بدولة (ايران) تمتد الآن في شرقي دولة بني عثمان على الاقطار الكائنة فيما بين بحر الخزر من جهة الشمال والخليج الفارسي من جهة الجنوب وتتصل من جهة الشرق ببلاد (بلوچستان) و (افغانستان) ومن جهة الشمال الشرقي ببلاد (تركستان) المسماة أيضا ببلاد (التمر المستقلة) ومن جهة الشمال الغربي ببلاد ما وراء جبال قوقازة ومساحة طولها

٣٠٠ كيلومتر من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على متوسط عرض يبلغ ١١٠ كيلومتر ومساحة سطحها مليون واحد كيلومتر مربع وتعداد اهلها الآن عشرة ملايين نسمة ومتوسط اقطارها على درجة ٣٥ من العرض وتمتد من جهة الجنوب الى حد الرأس المسمى باسم (رأس ياسك) السكائن على بحر عمان ويسمى مدخل الخليج الفارسي من بحر الهند باسم بونغاز (هرمز) ويشتمل البونغاز المذكور على جزيرتين تدعى احدهما باسم جزيرة (هرمز) والثانية باسم جزيرة (كيشم) وفي داخل الخليج الفارسي عدة جزائر عديدة وهذا البونغاز شهر باستخراج اللؤلؤ

وأجل اقطار بلاد فارس المذكورة هو الجهة الجنوبية منها غير ان هواءها حار وكثيرا ما تعثر بها الريح الخطرة المعروفة بالسموم وأما في جهة الشرق والشمال الشرقي فان درجة الهواء لطيفة موائمة للصحة وفي جهة الشمال منها عني على سواحل بحر الخزر قنطرة اقطارها خصبة بخلاف جهة الشرق حيث تجدد فيها الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) أي الملحمة ويخرج ببلاد فارس هذه ثمرات طبيعية نفيسة وفواكه أرضية جميلة فهي الموطن الأصلي لشجرة التين والمان والتوت واللوز والخوخ والشمش والسبرقوق والعنب ويصطنع بها النخيل الجيد ويخرج بعدة اقطار منها كذلك من القمح والارز والقطن وقصب السكر ما هو سبب لثروتها ويزرع بها من البساتين التي هي منتزهات أهل فارس ما يزدان بها لا يحصى من أنواع الازهار الجميلة وفي هذه الاقطار الخيل الفارسية المشهورة الجميلة والجمال الجيدة النافعة للأسفار وهي نفيسة أيضا من حيث مالها من دقيق الاوبار التي تتخذ منها الاقشة المتقنة وفي الاقطار الشرقية منها صنف من المعز يكاد أن يضاهي في الاشتهار معز بلاد (التبت) من حيث دقة الشعر وقد يوجد في عدة أقاليم منها الاسد والنمر وغير ذلك من السباع الضارية وأعظم المواد المعدنية التي توجد بها الملح حيث يوجد في كل مكان منها والنفط وهم يستعملونه للتنوير بدلا عن الزيت ومنها النحاس والياقوت والفيروزج واللازورد واللون الازرق الجميل

وتنقسم بلاد فارس بحسب احوالها الطبيعية الى ثلاثة اقطار أصلية (الاول) وهو أعظمها يشتمل على وسط تلك المملكة وعلى جهة الشرق منها ومنه يتركب الجزء الغربي من ارض مستوية مرتفعة متسعة تعرف باسم مناهضة فارس وهذه الهضبة يحدها من جهة الشمال جبال خراسان وجبال البرج ومن جهة الغرب جبال (الوند) وأعلى هذه الجبال هو رأس (ديماوند) السكائن في جبال البرج المذكور ومقدار ارتفاعه ٦٤٠٠ متر (الثاني) من اقطار بلاد فارس الطبيعية هو منحدر بحر الخزر وهو في جهة الشمال منها (الثالث) في جهة الجنوب منها هو يشتمل على المنحدر المائل نحو الخليج الفارسي وبونغاز (هرمز)

وبعمر عمان

وسائر الانهار الموجودة بمضبة فارس المذ كورة لامصاب لها بل تضيق اما في رمال الصحاري او في البحيرات والبرك الموجودة فيها بدون ان يرى لها مصارف معلومة واعظمها النهر المسمى باسم (زايانده رود) وهو يضيق في الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) المذ كورة اعلاه النهر المسمى باسم (بنده مير) وهو يصب في بحيرة (بختاجان) وفي جهة الشمال الغربي من ثم مضبة فارس هذه بحيرة ملحمة عظيمة تعرف بحيرة (أرميه) (بضم الهمزة وسكون الراء المهملة) ومساحة طولها ١٣٠ كيلومترا وماؤها كبحيرة لوط وبحيرة (ألوان) الملح المياه التي تعرف بغربي بلاد آسيما فلا يعيش فيها سمك ولا حيوان مطلقا ومن أنهار هذه الاقطار أيضا نهر (قرل أوزان) ونهر (أراس) وهو نهر سريع الجريان جدا يتكون منه بعض الحدود الفاصلة بين أرض فارس وبلاد ماوراء جبال قفازة (وهو الذي كان يسمى عند الامم المتقدمين كنهر (بنده مير) السالف الذ كر باسم (آراس) ثم نهر (تدران) وأسفل مجراه ببلاد (تركستان) (أوبلاذ التتر المستقلة) وفي المنحدر الجنوبي من تلك الاقطار نهر الكرخ يلتقي مع النهر المسمى بشط العرب ثم نهر (قارون) يصب في خليج فارس مع اختلاط بعض مياهه بماء هذا النهر الاخير

مطلب — ذكر تقاسيم ملكة فارس السياسية في هذه الاحقاب العصرية — قال العالم الجغرافي المروى عنه أعلاه مامعناه ان ملكة فارس تنقسم من حيث خططها السياسية الى أحد عشر أقليما أو حكمدارية اثنان منها في جهة الشمال على طول بحر الخزر وهما (مازندران) و (كيلان) أما الاول فقاعدته مدينة (بلفروخ) يبلغ عدد أهلها ١٠٠٠٠٠ نفس وهي حاضرة شهيرة بكثرة المتاجر والصنایع والمدارس ويليهامدينة (ساري) وعدد أهلها ٣٠٠٠٠ نفس واما الثاني فقاعدته مدينة (رشت) ومبلغ أهلها ٨٠٠٠٠ نفس غير ان موقعها في مكان مضر بالصحة

وفي وسط ملكة فارس أوبان الاقليم المعروف بالعراق العجمي أي الفارسي وهو يشتمل من جهة الغرب منها على أقطار خصبة ثم يمتد من جهة الشرق الى صحاري جديدة وقاعدته مدينة (طهران) التي هي قاعدة سائر ملكة فارس وهي على القرب من جبال البرج وعدد أهلها في الشتاء ١٣٠٠٠٠ نفس وفي الصيف ٤٠٠٠٠ نفس فقط ومن أظهر ما فيها من الانبئة الكبيرة والعمارات الشهيرة قصر الملك وهو عمارة متسعة جدا متحلية بكثير من الزاوق والزينة وعلى شرفي تلك المدينة مدينة (ديماوند) السكائنة على القرب من الرأس المسمى باسمها من جهة الجنوب ويجوارها اطلال مدينة الري التي يقال انها هي مدينة (راچيس) القديمة وهي مكان ولادة الخليفة هارون الرشيد المشهور وفي جنوب العراق

البحمي المذكور مدينة (أصفهان) وقد كانت هي قاعدة المملكة الفارسية قبل مدينة (طهران) ثم انحطت عن عالي درجتها السالفة إذ كان عدد أهلها في سالف الزمان نحو مليون كامل من السكان ثم صارت لا يوجد بها الا نحو ١٠٠٠٠٠ نفس الآن ومن أظهر العمارات الظاهرة بتلك الحاضرة عدة قصور وقنطرة (زا يانده رود) والسوق المعروفة بسوق عباس والمسجد السلطاني الموجود فيها والسهل المحيط بها فهو خصوبة غريرة جلتها يخرج منه خصوصاً من القاون والبلخ أصناف شهيرة وفيما بين أصفهان وطهران مدينة (باشان) وهي مدينة جميلة جداً والمدينة المسماة باسم (قم) وهي عند أهل فارس كعبة محترمة يكثر حجهم إليها وبقعة مباركة يترددون بالزيارة إليها وعلى شمال طهران مدينة (قزوین) يبلغ عدد أهلها ٦٠٠٠٠ نفس وقد كانت في سالف الأيام مقر السلطنة وهي شهيرة بما يصطنع بها من السيوف الجمجمة والمصنوعات النحاسية وفي غربي العراق البحري مدينة (همدان) أو (همذان) (بالذال المعجمة أو بالذال المهملة) وهي من أجل مدائن بلاد فارس موضوعة على القرب من اطلال المدينة الشهيرة عند السلف باسم (ايدكانان) وفي الجنوب الشرقي من العراق البحري المذكور مدينة (برز) وهي حاضرة كبيرة لا بأس بها وأكثر سكانها من المجوس وهم عبدة النار المتدينون بديانة (زردشت) (وسبأني بيان تاريخ مذهبهم في هذا الباب ان شاء الله تعالى)

ومن الاقاليم السياسية بغربي المملكة الفارسية ثلاثة اقاليم تمتد على حدود الدولة العثمانية وهي (اذربيجان) (وکردستان) و(خوزستان) اما الاول فهو عبارة عن اراض جبلية حفراء قفراء باردة الهواء تكثر بها الزلازل الارضية الشديدة وتظهر فيها الانقلابات البركانية (اي الارية) العديدة (والبركانية نسبة للبركان بمعنى الجبل الذي قد تنفخ فيه فوهات من النيران) وقاعدة هذا الاقليم مدينة (تبريز) وهي حاضرة جميلة ذات تجارة كبيرة على الشمال الشرقي من بحيرة (ارميه) يبلغ عدد أهلها ١٦٠٠٠٠ نفس وعلى الشمال الغربي من البحيرة المذكورة المدينة المشهورة بعض الشهرة باسم (خوى) (على صيغة التصغير)

واما اقليم كردستان الفارسي فهو كذلك عبارة عن اراض جبلية أكثر سكانها قبائل من الاكراد الرحالين التزالين والاقوام الغير المتوطنين ومن مدنه ايضا مدينة (سهنه) ومدينة (كرمانشاه) وهي مدينة رديئة الابنية غير انها كثيرة التجارة يبلغ عدد أهلها ٤٠٠٠ نفس واما اقليم خوزستان فهو كائن من جهة الجنوب على ساحل الخليج الفارسي ويشتمل من جهة الشمال على الخطة المسماة باسم (لورستان) وقاعدته مدينة (شستر) على القرب من اطلال المدينة القديمة المشهورة باسم (سسوس) ومن مدنه الشهيرة مدينة (سوسة)

(ديسقول)

ومن اجسل اقاليم مملكة فارس ايضا الاقليم الجليل والوادي الجليل المسمى باسم (فارستان) وهو بلاد فارس الاصلية وارض دولة العجم القديمة الحقيقية وقاعدته مدينة (شيراز) موضوعة في اجل الموضع واجل المواقع بوادهوق الحقيقة جنة يستمر بها فصل الربيع على ممر ايام السنة ويخرج بها اجود اصناف الخمر الذي يتأق ببلاد آسيا والبرقوق اللذيذ وغيره من أنواع الفواكه الشهيرة وهذا الوادي معدود من جملة الجنان الارضية عند اهل البلاد الشرقية غير انه يكثر به الزلازل التي قد يترتب عليها خراب بعض الاماكن والمنازل ويعمى اهل فارس مدينة شيراز هذه بدار العلم وبها كانت اقامة الشاعر بن الفارسيين الشهيرين باسم الخاقظ والسعدي وفي الشمال الغربي من هذا الاقليم ايضا الوادي المسمى باسم (شهاب ديوان) وهو احد الجنان الاربع المشهورة بتلك البلدان وعلى الشمال الشرقي من شيراز آثار مدينة (برسپوليس) التي كانت قاعدة مملكة فارس في سالف الازمان واعظم المين الكائنة بهذا الاقليم هي القرنة المسماة باسم (ابوشهر أو بندر ابوشهر) على ساحل الخليج الفارسي وهي عرضة لدرجة من الحرارة خائفة وامامها في الخليج المذكور خربة (كرك) التي توالى عليها يد الفلمنكيين ثم الفرائسيين ثم الانجليز وأقصى الاقاليم الفارسية الى جهة الجنوب اقليم (لارستان) وقاعدته مدينة (لار) التي كانت في سالف الزمان مدينة عظيمة ثم انحطت عن عالي درجتها القديمة الآن وفي الجنوب الشرقي من المملكة المذكورة اقليمان أحدهما بحري وهو المسمى باسم (موغستان) والثاني أدنى منه وهو اقليم (كرمان) اما الاول فهو من جهة على ساحل بوغاز (هرمز) وبحر عمان وبه ميناء تعرف باسم (بندر عباس أو جومرون) كانت في سالف الزمان موضع تجارة عظيمة وفرضة بحرية جسيمة وابست تابعة لمملكة فارس بل هي ملوكة لامام مسقط من ملوك العرب ويوجد امام هذه القرنة جزيرة (هرمز) في البوغاز المسمى باسمها وهي عبارة عن صخرة قفزة لا تنج شيأ غير ان فيها مدينة من هرة كانت في الاعصار المتوسطة لغاية القرن السابع عشر من الميلاد من أعظم البقاع تجارة ببلاد آسيا وعلى القرب من هذه الجزيرة من جهة الغرب منها جزيرة (كيشم) وهي أوسع منها وأرضها خصيبه جدا وكلتاها تابعة لامامة مسقط للمملكة فارس وأما الثاني وهو اقليم (كرمان) فهو مشهور بما يصنع فيه من الانسجة الجميلة المتخذة من أوبار الابل وشعور المعز وما يخرج منه من العقاقير الطبية والمواد المعدنية والخمور الجيدة وقاعدته مدينة (كرمان) وتسمى أيضا (مرجان) وفي شرقي مملكة فارس ايضا الاقليم الكبير المسمى باسم (خراسان) وهي قعة خصبة جدا

في الجهة الشمالية ومتكونة من صحارى جديبة في الجهة الجنوبية وهي مشهورة بما تلتقط منها من نوع الياقوت المسمى بالعل وبالفيروزج والخيول الجيدة والبسط المتقنة وقاعدته مدينة (المشهد) (مشهد الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه) وقد كانت أكثر عظمتها في المدة السالفة مما هي عليه في هذه الاعصار الخالفة بكثير وبها مسجد شهير واثركبير يقال انه مؤسس على مشهد الامام الحسين ولذلك يكثر عليه تردد الزائرين ومحط رحال المسافرين ويجوار المدينة المذكورة آ نار مدينة (طوس) المشهورة وقد كانت في الاعصار السالفة حاضرة كبيرة ومنها الشاعر الفارسي الشهير بالفردوسي ومن المدن العظيمة باقلم خراسان أيضا (نيسابور) ويجوارها معادن الغير، زج وفي نواحي بحر الخزر من مدن مملكة فارس الشهيرة مدينة (أستراباد) عدد سكانها ٤٠٠٠٠٠ نفس وبها يسمى الخلق المعروف بهذا الاسم ثم مدينة (دامغان) الكائنة على جنوب المدينة المذكورة وهي الآن مدينة صغيرة مع كونها قد كانت في الاعصار الغابرة مدينة مزهرة جدا تسمى باسم (هيكا تونفيل) قال المعلم (قورتبشير) المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهيئة حكومة بلاد فارس من قديم الزمان ولم تزل لغاية الآن هي من قبيل الحكم الملكي المطلق غير ان عدة قبائل منهم لا يزالون يعيشون بحالة من الاستقلال تكاد ان تكون تامة ويلقب الساطان عندهم بلقب (الشاه) ودينهم الآن دين الاسلام من شيعة على رضي الله عنه وهم يعبرون عن انفسهم بالتاجية ويسمون اهل مذهبهم من حيث الديانة بالعدلية واخصاءهم من اهل السنة هم الذين يدعونهم بالشيعة وأهل فارس هم امة مهذبة وملة مؤدبة يوجد فيها جملة فضائل ظاهرة جميلة واخلاق تمدنية مقبولة (هـ)

مطلب — ذكر جغرافية أرض فارس التاريخية ومقابلتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية - قال العالم الجغرافي المحكي عنه اعلاه في هذا المقام ما معناه ان دولة فارس او ايران وهي المعبر عنها عند العرب بدولة العجم التي وصفناها في المطلب السابق البيان هي الآن في مكان ما كان يدعى في سالف الزمان بهذه الاسماء القديمة وهي كما سطر ادناه

- (اولا) القطر المسمى باسم (مادی) او (الميدية) في جهة الشمال الغربي
- (ثانيا) بلاد (هركانيا) في جهة الشمال
- (ثالثا) بلاد (السوسية) أو (السوس) في جهة الغرب
- (رابعا) اقليم (فارستان) أو بلاد فارس الاصلية في جهة الجنوب
- (خامسا) بلاد (كرمانيا) أو (الكرمان) في جهة الجنوب الشرقي
- (سادسا) بلاد (القرثية) في جهة الشمال الشرقي

أما بلاد (مادى) أو (الميدية) المذكورة أعلاه فقد كانت قاعدتها في سالف الزمان المدينة الشهيرة باسم (ايكباتان) (ويقال إنها هي همدان الآن) وقد كان من جملة أقاليمها ما يسمى بأقليم (لابروباقيس) (كصيفة اثني) وكان فيه القلعة المسماة باسم (يرواسبه) ومن مدنها الكبيرة المكنانة في جهة الشمال الشرقي منها مدينة (راجيس) وهي مدينة عتيقة جدا على القرب من جبال الخزر لها ذكر في التوراة وقد كان اسمها عند المقدونيين من اليونان (اوروبس) وفي عهد الملوك الفرثيين (ارساو يا) ثم سميت في مدة القرون الوسطى في عهد دولة العرب المسلمين باسم (الري) وبقي عليها هذا الاسم الأخير لغاية الآن ثم مدينة (طابه) على القرب من بحر الخزر وكانت قاعدة الأقليم المسمى في ذلك العصر باسم (طابور) وعلى القرب من ذلك المكان كانت مساكن القوم الأقدمين المعروفين باسم (المارديين الشماليين)

وأما بلاد (هركانيا) فقد كانت تمتد على السواحل الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ولذلك كان يدعى ذلك البحر أيضا باسم بحر (هركانيا) وكانت قاعدة تلك البلاد تسمى باسم (زودراكارته) أو (كارته) أو (هركانيا) وموقعها في ناحية الجنوب بالأقليم الذي كان يدعى حينئذ باسم (لاستايين) (كصيفة اثني) وقد كان أعظم أقاليم تلك البلاد في ذلك الزمان وكانت هذه المدينة هي قاعدة سلطنة القوم المعروفين بالفرثيين

وأما بلاد (السوسية) أو (السوس) فهي المعروفة الآن بأقليم (خوزستان) وقد كان من أهلها في سالف تلك الأزمان فضلا عن السوسيين الأصليين أقوام آخرون يدعون باسم (الكوسيين) و (الاوكسيين) و (المارديين الجنوبيين) وكانت المدينة الشهيرة عند السلف باسم (سوس) هي قاعدة تلك البلاد وموقعها في جهة الشمال منها وقد كان ملوك فارس يتخذونها محل إقامة لهم في بعض الأحيان ومن مدنها الأصلية أيضا مدينة (سبلوقية) في جهة الشمال الغربي منها ومدينة (عراقه) على نهر الدجلة والظاهر أن أصل منشأ التسمية بلفظ العراق عنها

وأما بلاد فارس فهي التي كانت تدعى في التوراة باسم (فاراس) أو (ايلام) وهي الآن عبارة عن إقليم (فارستان) مع جنوب العراق العجمي وقد كانت السلطنة القديمة التي كان يطلق عليها هذا الاسم عند الأمم المتقدمين قد امتدت امتدادا عظيما واتسعت اتساعا جسيما بكثرة الاقطار التي كان قد افتتحها الملك (قورش أو قيروس) وعدة ممن خلفه على سرير مملكة فارس وكانت تشمل فضلا عن بلاد فارس الأصلية بالمعنى المراد هنا على بلاد (مادى) أو (الميدية) و بلاد (السوسية) و (البابلية) و (الآشورية) و بلاد (ارمنية) و (آسية الصغرى) (وهي بلاد الأناضول الآن) وعدة اقطار أخرى من بلاد آسيا الغربية وقد كانت تنقسم بلاد فارس الأصلية عند الأمم المتقدمين إلى قسمين أصليين (أحدهما) فارس الحقيقية الأصلية

في الجهة الجنوبية و (الثاني) ما كان يدعى باسم (فارتاسين) في الجهة الشمالية ما القسم الأول فقد كانت قاعدته المدينة المشهورة باسم (برسبوليس) على نهر (آراس) وكان بها قصر ملوكي فاخر أحرقه الاسكندر وكان به مدينة كبيرة أخرى تسمى باسم (بازارجادة) على نهر (القور) وبها قبر الملك (قورش) السالف الذكر وقد كان في القسم الثاني المدينة المسماة باسم (اسبادلنه) وهي المعروفة باسم اصفهان الآن في الجهة الغربية منه والمدينة المعروفة باسم (ايكباتان المجوس) في الجهة الشمالية الشرقية وانما تنسب للمجوس لكون الملك (دارا) كان قد بناها لهم بالخصوص

وأما بلاد (كرمانيا) وهي المعروفة بالكرمان الآن فقد كان من ضمنها جزيرة (اوراكته) وهي المعروفة الآن باسم (كيشم) وجزيرة (اورجانه) وهي المسماة الآن باسم (هرمز) وهي أصغر من الجزيرة الأولى غير انها صارت أشهر منها في القرون الوسطى لداعي ما حصل فيها من واقعة النجاء القوم المسلمين المسمين باسم (الهرمزيين) حين هربوا من التتار والمغول اليها وقد كانت مدينة (كرمانه) وهي المعروفة بمدينة (كرمان) الآن هي قاعدتها غير ان الظاهر ان مدينة (كرمانه) المذكورة قد كانت موضوعة على المكان الكائن عليه مدينة (جومرون) الآن

وأما بلاد (الفرثيين) فقد كان موقعها على شرف بلاد (هركانيا) وقد كانت في الأصل جزءا منها وأصل القوم المعروفين بالفرثيين من الاقوام السيتيين (اقوام يأجوج ومأجوج) ظهورا في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وحدث رئيسهم المسمى باسم (ارباس) سلطنة عظيمة ودولة ذات شوكة جسيمة جدا امتدت حدودها الى غاية شواطئ الفرات من جهة الغرب والخليج الفارسي من جهة الجنوب حتى خشيته من ا دولة الرومانيين على نفسها حقبة من الزمن وانتهت في القرن الثالث لميلاد المسيح عليه السلام

وقد كانت بلاد الفرثيين تشتمل من جهة الشمال الشرقي على الاقليم المسمى باسم (مرجيان) ومن جهة الشمال على الاقليم المسمى باسم (قوميزين) ومن جهة الجنوب على الاقليم المسمى باسم (طابيين) وكانت المدينة المشهورة باسم (هيكاتونفيل) الكائنة بأقليم (قوميزين) المذكور هي قاعدة دولة الفرثيين ودار اقامة الملوك الارياسيين المذكورين وأما مدينة الاسكندرية التي كانت توجد بأقليم (مرجيان) فقد كان الاسكندر هو الذي اختطها وبنائها ثم جاء الملك (أنطيوخوس سوتير) فآثرت بنائها وزيورها ولذلك سميت فيما بعد باسم (انطاكية) على نهر (مرجوس) وهو المعروف الآن باسم (مرجاب) (بفتح الميم وسكون الراء المهملة في أوله) قال العالم الجغرافي المروى عنه أعلاه في تاريخ دولة فارس على وجه الاجمال كما هي طريقة العلماء الجغرافيين ما تعريبه أدناه وكانت بلاد فارس قد مكثت بحالة

النهول وعدم الذكر من سالف الدهر حتى جاء عصر الملك (قورش) فأحدث فيها سلطنة متسعة البلاد ودولة ذات منعة وجهاد في القرن السادس قبل الميلاد وجاء الاسكندر (الرومي أو المقدوني أو اليوناني) بعد قرنين فازالها وبوفاته اقتسمها خلفاؤه الى آخر ما أبداه (هذا ما اردنا نقله هنا من جغرافية قورتنبير الكبرى لغصدة تعريف هذه البلدان التي نريد الوقوف على حقيقة تاريخها على وجه التفصيل والبيان وذلك هو ما يأتي بعد) معربا من كتاب تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر) فنحصر اذلك في ثلاثة فصول وهي هذه نذكرها فنقول

الفصل الاول

في بيان اصل الذرية الايرانية ومنشأ الامة الفارسية

مطلب — ذكر الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه ان اقدم الآثار التاريخية التي تتعلق بذرية بني يافت أو الطائفة البشرية المعبر عنها في اصطلاح علماء الافرنج المتأخرين بالمرتبة الهندية الاوربية لا تصعد الى اكثر من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد كانت تلك الطائفة في تلك الازمان منحصرة كلها بالمواطن الكائنة على القرب من المهد الاول الذي كان قد نشأ فيه نوع الانسان قبل الطوفان اعنى على شواطئ نهر (جيحون) ببلاد (البكرية) (وهي ما يدعى الان بخانية بلخ من بلاد (تركستان) او بلاد التتر المستقلة) قال المؤرخ الفرانساوي المذكور ولقد صدق من حقق النظر ودقق الفكر فذهب الى ان هذه البلاد هي اقدم المساكن وأول المواطن التي اقام بها فيما يعلم من التواريخ البشرية اصل تلك الذرية الياقثية التي نحن منها معاشر الاورباويين وكانها كانت لهم كخلاية نحل خرج منها على التوالي قبائل شتى وعدة اقوام متفرقين اتخذوا لهم مواطن أخرى من اقطار الارض والذي يظهر من احوالهم التاريخية انهم حين كانوا مجتمعين في قطر واحد على هيئة اجتماعية واحدة كان لجميع الفروع المتفرعة عن اصل يافت بن نوح عليه السلام صورة وجود ذاتي مخصوص وكانوا يتكلمون بلغات متباينة بعضها عن بعض غير انها ترجع كلها الى لغة أصلية مشتركة بينهم صار كل فرع من فروعها المذكورة فيما بعد تفرق هؤلاء القبائل من بني يافت الى تلك الاماكن المختلفة من الارض أصلا للغة أو لفرقة من اللغات البشرية وقد كانت سائر هذه الذرية تسمى نفسها باسم (الآريا أو الآرية) أو (الآريين)

(بمعنى المحترمين)

مطلب - ذكر اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين - لما يبق لنا من آثار هذه الاعصار الاولى للاقوام الياقضية الاصلية ما وقف به على حقيقة اخبارهم التاريخية غير ما بقي من بعض كلماتهم اللغوية تشبث اهل النظر في مضاهاة اللغات البشرية ببعض الكلمات التي كانوا يتكلمون بها في تلك الاعصار الغائبة واستنبطوا منها أكثر ما كانوا عليه قبل تفرقهم من الاحوال الدنيوية والهيئة الاجتماعية الانسانية والقاعدة الاصلية التي توصلوا بها للوقوف على هذه الحقيقة التاريخية هي ما تنبه اليه بعض علماء الافرنج المتأخرين من ان جميع الكلمات الدالة على مدلول واحد في اللغة الهندية الدينية المسماة باسم (السنسكريت) واللغة الايرانية القديمة المعروفة باسم (الزند) وفي اللغات التي يتكلم بها أهل أوروبا في هذا العصر الاخير هي على حال بحيث لم تتغير صيغتها ولا معناها غير تغيير يسير وبذلك استدلوا على ان الآريين الذين هم اصل القوم الياقثيين هم اصل اهل الهند وفارس وسائر الامم الاوربية المتأخرين واستنبطوا من ذلك ما كان عليه تلك القبائل الآرية الاصلية في تلك الاعصار الاولى من الدرجة المدنية والهيئة المعاشية الدنيوية حين كانوا مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض التي كانت تسمى في تلك الاحقاب الدهرية باسم (البكرية) اعني قبل ان ينفردوا في ذلك العهد الى الاقطار الشتى التي توطنوا بها فيما بعد وتوضح ذلك انهم وجدوا امثلا ان طائفة الالفاظ اللغوية التي تتعلق بالمعيشة الرعائية كاللفظ الدال على معنى الدابة او الماشية او البهيمة مثلا كلها تقرىبا متحدة اللفظ والمعنى في جميع طوائف اللغات الهندية والاوروبية وبذلك حق لهم ان يستنتجوا ان هذه الطريقة المعاشية (اعني رعاية المواشي) قد كانت هي الحرفة الاصلية التي كان يتخذها وسيلة لمعاشهم يتوفاث السالفون حين كانوا متوطنين بالاقطار الكائنة على شواطئ نهر جيحون ومن ثم علم ان أكثر أنواع الدواب المتزلية والحيوانات الاهلية كانت معلومة لهم وانهم كانوا يقتنون نوع البقر والخيول والغنم والمعز والخنزير والاوز وغير ذلك من الحيوانات والطيور الانسية

وبواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية بعضها مع بعض استدلوا على ان هؤلاء الاقوام قد كانوا في سالف تلك الايام يعرفون تطبيق الخيل والبقر تحت نافي المحراث ولا يعرفون فن الفروسية وانما كان لليونان به بعض معلومية في أيام جاهليتهم الاولى المسماة بالاعصار الاميروسية (أي التي ذكرها الشاعر اليوناني المشهور باسم (اميروس) في قصائده الشعرية) وقد كان النباةل الياقثيون السالفون قد عرفوا أيضا صناعة بعض معادن وابتدؤا في زراعة الارض ولم يكونوا يسكنون تحت الخيام كالعرب ولا فرق العربيات كالاقوام السيتين بل كانوا ينون لهم

مساكن يا وون اليها وبيوت ثابتة يقيمون فيها وكانوا يجمعون بعضها البعض في بعض بقاع من الارض بحيث تكون منها ما يمكن ان يطلق عليه لفظ القرى أو الكفور بل ربما كان منها ما يصح ان يطلق عليه ما هو من قبيل المدينة أو الحاضرة والبندر الكبير

مطلب — ذكر ما كانت عليه العائلة والملة عند الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين — وما تحقق أيضا عند علماء الاقربح المتأخرين بواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية من احوال الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين ان العائلة تظهر لنا عند الاقوام الآريين المذكورين ببلاد (البكتريه) في سالف تلك الاحتباب العصرية مادة محترمة وعقدة وثيقة قوية مكرمة بنيت عليها أساس ترتيب الهيئة الاجتماعية والزواج عقدا مقدسا معتبرا وعملا مختارا مشتهرا تسبقه خطبة ويشار اليه بانضمام اليدين من العروسيين ومتى دخلت الزوجية في بيت الزوج صارت من حسن المعاملة وجيل المعاشرة والمواصلة حرما محترما ودستورا مكرما كما يليق بمقام من به بقاء النسل نعم ان المرأة كانت عندهم تحت طاعة الرجل غير ان تلك الاعلوية كانت ملطفة بما كان يحصل بين الزوجين من التعاشق الحاصل من الطرفين وبما كان ممكنا في اخلاقهم وعوايدهم من احترام الروجة لزوجها واتخاذ الزوج لها حرما يذب عنه وحى يحميه ويقا تل دونه وبالتوسع في دائرة العائلة حدثت عندهم العشيرة وقد كانت في اوائل اسر الاقوام اليافثيين عبارة عن مجموع عدة عائلات مرتبطة بعضها مع بعض بروابط القرابة النسبية كما صارت كذلك فيما بعد ببلاد ايران والهند وجزر رقي (ارلدة) و (ايقوسيا) ببلاد انجلترا وعند سائر الامم الاسلاويين ببلاد اور وية وكان لهارئيس هو شيخ العشيرة او ولي امرها او كبير القوم أو أبوالعائلة ومع ذلك فلم يكن يسوغ له ان يتصرف في سائر أمورها وحده بمجرد رأيه بل كان له مجلس شورى يتركب من بعض رجال كلهم من مشايخ القوم وآباء العائلات الذين يجمعهم أصل واحد فيستشيرهم ويرجع لقولهم ومن اجتماع عدة عشائر تتألف القبيلة ومن عدة قبائل تتركب الامة وللامة رئيس أعلى له الولاية العامة القصوى على سائر رؤساء العشائر والقبائل وهو الملك وكان يعبر عنه عندهم بماعناه (القائد والمرشد)

وكان من وظائف الملك عند الامم المتناسلين من بنى يافث السالفين انه هو الذى يعقد الصلح ويأذن بالحرب ويقود الجند وكان قد ابتدأ عندهم فن القتال العام بالتقاء الصفيين ومقابلة الجيشين وأخذوا يدينون حول القرى والبنادر بعض اسوار تحصينية بطريق العسكرة الخلوية وكان من وظائف ملكهم ايضا ان يقضى بينهم ومن اغرب اخلاقهم وخصالهم واعجب عوايدهم وخلاهم انهم كانوا في حالة الشك يرجعون لما كانوا يعبرون عنه (بفضاء الله) وكان ذلك عندهم أولا عبارة عن الامتحان بالنار وهو الاكثر استعمالا

لديهم ثم عدوا فيما بعد الى الامتحان بالماء

مطلب - ذكر كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقسين - قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قد علم لنا من ترجمة الكتب الدينية الاربعة المشتملة على الادعية والصلوات التعبدية الهندية القديمة المعروفة باسم (الويدا) وهي الكتب التي بقيت الى هذا العهد في بلاد الهند بطريق الرواية والتوارث جيلا عن جيل من آثار القبائل الذين كانوا قد امتحروا تلك البلاد قبلا بعد قبيل ان ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المنقذين وان كانت الكتب الدينية المذكورة لم تفقدنا منها غير صورة مقتطفة من اصولها الاصلية وهيئة فرعية من عقائدها الاولى لكنها قريبة جدا منها وهي اصل سائر الخرافات التي تحكمت فيما بعد على عقول جميع الامم الهنديين والاربابيين وتخصوصا عند اليونانيين قد كانت كلها مبنية على عقيدة الوجدانية الالهية فقد كان اسلاف الامم الهنديين والاربابيين يعتقدون ان كل شئ صادر عن الذات الالهية العليا والحضرة المسنحة للوجود بالحقيقة القصوى وهي ذات الله سبحانه وتعالى ويرون ان تلك الذات كما هو عين العبارة المخصوصة في صلب الكتب الويدية المذكورة هي ، الذات الحي والروح الالهى الباقي السارى في العالم ، وما ذكر في احدها الكتب الدينية الماثورة وهو الكتاب المسمى باسم (لوريچ ويدا) وهو عبارة عن مدائح الهية وادعية توسلية على الهيئة الشعرية في حلق الذات العلية) ما هو قريب مما ورد في نصوص التوراة من العبارات المتعلقة بما يستحقه المولى الاعلى جل جلاله من الصفات ونص عبارته (معربة) هكذا ان الاله الذى ندعوه ، هو وحده مالك الملك وهو ملء السموات والارض وهو المحي والمقوى لكل شئ وكل ما عداه من الالهة يتمسون ببركته وايس الموت والحياة المخلدة الابامره وارادته وان الجبال المغسورة بالثلج والبحار مع ما يترى بها من الموج والاقطار السماوية المتسعة تشهد بقدرته وهو الذى بنى على امكن اساس كلام السموات والارض والفراغ والفلك ونشر النور في الجو وان السماء والارض لتهشعران من هيئته بحضرته وهو الاله الاعلى فوق كل آله ، (انتهى نص عبارته) قال المؤرخ المذكور ولم يتهق ان احدا من ارباب الاديان من الامم السالفين في قديم الازمان تكلم في المواد الدينية باعلى من هذا اللسان غير العبرانيين وامرى ان ادراك الذات الالهية بهذه الصفة العالية بالنسبة لله تعالى الدينية التي كانت تعلم في اشهر المعابد والهيكل كل بلاد اسيا عند الامم المتناسلين من ابناء سام او حام لهواظهم دليل على ما لبث يافث من درجة الاعلوية العقلية وشدة الميل للتصورات الروحانية العلية غير ان معنى الوجدانية الالهية الذى كان قد بقى في عقول الناس من آثار العقائد البشرية الاصلية وبما يالوحي الذى نزل على ارباب النبوة المتقنين قد كان

اعتراه الفساد عند بني يافث الاولين كما حصل مثل ذلك عند سائر الامم السالفة ما عدا
العبرانيين حيث اختصهم الله سبحانه وتعالى بعنايته وامدهم باعائه اذ جعلهم مستودع
حقيقته وموضع امامته فبقيت حتى وصلت اليها بخلاف غيرهم من الملل والاقوام الاخرين
كبنى يافث هولاء المذكورين حيث كانت قد فسدت عقائدهم الوحيية الاصلية بما سلكوه
من طرق الضلال وتوهموه بمجرد الخيال من تشخيص الصفات والنعوت الالهية وتأليه
الاثر الصادرة عن الذات المؤثرة واعتقدوا ذلك كله آلهة اخرى متنوعة المراتب
والاحوال صادرة عن الذات العاليا فخلطوا الآله الخالق بالعالم المخلوق وحلوا وحدته الى
عدة افراد اشركوهم معه في مرتبة الالهية وبذلك بدلوا اصل الادراك للذات المعبودة
الصادرة عن الوحي الاول اشنع التبديل وحولوه ابعث التحويل وانحى ذلك الاصل بالكلية
والجزئية في صور العبادة العامة الطاهرية حتى جرد ذلك الى ان سقطوا في هاوية الاشراك
وتعدد الآلهة المعبودين ووقعوا في عبادة الاسنام في اقبيددين وقد كانت المظاهر
الطبيعية والاثر الظاهرية التي ترى للاقوام الآريين الاولين انها اثر قوة الذات
المعبودة الاصلية ومظهر القدرة الالهية الاولى فعبدوا فيها صفاتها وشخصوها وجعلوها
ذوات آلهية اخرى وصارت اصلا لخرافاتهم الالهية ومنشأ لا وهامهم الملية هي محض
الحوادث الجوية التي تتولد منها خصوصية الكائنات الطبيعية كتأثير الشمس على الحياة
النباتية وكالرياح الجارية والابخرة الرطبة والسحب والصواعق والامطار وغير ذلك من
الاثر الالهية النوية

مطلب - ذكر مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى
الارض الاوربية - لم تنكس مهاجرة القبائل اليافثيين الى العيين الذين تكونت منهم
اهالي بلاد اوروبه الان وكيفية رحلتهم من الاقطار الاسية في سالف الزمان قد حصلت
دفعة واحدة ولم يخرجوا كلهم خرجة متحدة بل لزم الضرورة ان يكون ذلك قد حصل شيئا
فشيئا وجزءا بجزءا بالطريقة التدريجية حسبما اقتضته ضرورة ازدياد عدد النفوس
وتكاثر مقادير الاهالي الآريين المشرقيين لانهم لداعي كونهم بحسب طبيعة تلك الاقطار
كانوا وعين من جهة الشرق بموانع عظيمة وقواطع جسيمة من الجبال الصعبة النطع
والارتمال فاضطروا لان يدفعوا غيرهم من القبائل اليافثيين الآخريين الى جهة المغرب
حيث كان هولاء الاقوام الاحيرون يجدون امامهم في تلك الاقطار مسافات متسعة وفرانجات
من الارض مطلقة من غير مانع يمنعهم ولا قاطع يقطعهم عن ان يتخذوا لانفسهم فيها
موطن مستجدة واما كل اخرى مستعدة غير ان الظاهر ان هذه المهاجرة وان كانت في اول
الامر تدريجية كان قد طرأ عليها حين من الدهر لزم ان تكون فيه قد تراحت على حين

بفأة وثراكت دفعة واحدة على حين غفلة لسبب من الاسباب اقوى دفعاً ما ذكر اعلاه
هو ليس لنا معلوم غير ما يظهر من انه في ذلك الحين كان كل من بقى ببلاد آسيا من اصول القبائل
اليافقية الاولى التي انتشت منها الملل الاوروبية والامم الافرنجية الموجودة الآن كانوا
قد هاجروا مرة واحدة وخرجوا خرجة متحدة من تلك الاقطار المشرقية الى هذه النواحي
المغربية ليبحثوا فيها عما فيه اصلاح شؤونهم من ترقية الاحوال والحصول على السعادة والمال
وتركوا ههنا اخواتهم الاربيين المشرقيين يتملكون وحدهم ويتمتعون دون غيرهم
بذلك القطر المصب الذي كان اول مهدهم لنسلهم وكان وقوع هذه الحركة الاهلية الكبيرة
والحادثة المجرية الاخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة آلاف سنة من الاعوام
وفي المدة التي تلى تلك الواقعة التاريخية على الفور كان قد حصل انشاء اقدم النظم المؤلفة من
مجموع الكتب الدينية الاربعة المعروفة باسم (الويدا) السالفة الذكر وبالتأمل فيها
والاطلاع عليها يظهر منها ان القبائل اليافقيين المشرقيين قد كانوا ايضا في تلك الاعصار
التالية على حالة من الهيئة الاجتماعية البشرية كالحالة التي كانوا عليها في الاعصار السالفة سواء
سواء غير انهم لما كانت اعداد الاهالي قهيم لاتزال تزداد بغاية السرعة لزم ان ترتب على ذلك
عندهم ان العمارات والمدن كثرت والبنادر والخواضر عظمت وكبرت ومنطقة الزراعة
اتسعت وتقدمت واخذت تغلب على ما كانوا عليه اولا من حالة المعيشة الرعائية والحياة
الخلوية وشرعت جمعيتهم البشرية وكيفية تركتهم الانسانية في ان تنتظم بالهيئة
التدرجية اعني انها قد اخذت في ان تكون منقسمة الى درجات اى طوائف اهلية ومراتب
ملية بدون ان تتصور هيئة الخرق الحقيقية والفرق القانونية اى المراتب الاهلية التي
تكون بحيث لا يسوغ لاحد من ارباب اى فرقة منهم ان يتعداها الى ما عداها وغاية
ما هنالك انها كانت على وجه بحيث ان الحرف والصنایع قد كانت عندهم في تلك الارمان على
وجه العموم وراثية بمعنى ان الولد في اغلب الاحيان كان ينتحل صنعة ابيه ويتبعه في
وسيلة معاشه ويقتفيه لا غير وقد كانت هذه الطوائف الاهلية عبارة عن طائفة امماء
الديانة او مشايخ الدين وطائفة العسكرا والمجاهدين وطائفة ارباب الزراعة والعلايين
وقد كانت تنقسم هذه الطائفة الاخيرة عندهم في بعض الاحيان الى فصيلتين متميزتين
وطائفتين اخريين وهما فرقة رعاية المواشي وفرقة الحرايين الحقيقيين ثم يتمكن حوادث
الفتوحات المتوالية من الاقوام اليافقيين انغالبين وبتأثير قوة طائفة امماء الديانة المعروفين
بالبراهمانيين في بلاد الهند قد آل امر الفرق الثلاث المترتبة من اسلاف الاقوام الاربيين
المتقدمين لان صارت خرقا اهلية حقيقية وفرقا قانونية ملية وصارت هي الطبقات الاهلية
العليما بعد وصار الاهالي المغلوبون من نسل جام الذين كانوا قد سبقوهم الى تلك البلاد

في سالف الايام منحصرين في الطبقة السفلى وأرباب هذه الدرجة الدنيا محتقرين وهم يدعون
 أرباب هذه الطبقة الالهية الدينية باسم (السودرا) او السودريين
مطلب - ذكر زردشت ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته - قال المؤرخ المحكي
 عنه اعلاء بعد ذلك ما تعريبه أدناه - وفي ذلك العصر يلزم أن تضع تاريخ حادثة المذهب
 الديني الذي تدين به الايرانيون في ذلك العهد وينسب الفخر فيه للرجل المشهور باسم (زردشت)
 (بفتح الزاي المججمة وسكون الراء المهملة يليها دال مهملة مضمومة ثم شين مججمة سا كنة
 بعد هاء ثاء مثناة فوقية سا كنة أيضا وضبطه ابو القدا في تاريخه بلفظ (زرادشت) يزاي منقوطة
 مفتوحة وراء هملة مفتوحة بعدها ألف فدا ل مضمومة مهملة وشين منقوطة سا كنة و ثاء
 مثناة من فوقها وهو المحرف عند اليونان بلفظ (زروراستر) يضم الزاي المججمة وسكون الراء
 المهملة يليها واو مفتوحة فألف فسین مهملة سا كنة فتاء مثناة فوقية مكسورة فراء مهملة
 سا كنة في آخره) واصل معناه (اشراق الذهب) وقد اجمع سائر من كتب في التواريخ
 القديمة على ان (زرادشت) هذا قد كان موجودا في اعصار عتيقة جدا والذي استقر عليه
 الا نرى اهل العلم من الافرنج المتأخرين هو انه ولولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا
 الرجل المؤسس لدين الاقوام العارسيين في سالف الزمان ولم يزل يصعب تعيين العصر الذي
 حدث فيه هذا المذهب الديني الشهير لداعي عدم الوقوف لغاية الآن على مواد صحيحة يبنى
 عليها ما يدل على ذلك من البرهان الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان في نحو القرن الخامس او
 السادس والعشرين قبل ميلاد المسيح ولا علم لنا بشئ ثابت صحيح فيما يتعلق بحياة (زرادشت)
 المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الديني الذي هو باسمه لغاية الآن مشهور
 وتبينت أصوله في ضمن كتب تعرف باسم (زندوستا) (يزاي مججمة مفتوحة فنون موحدة
 فوقية سا كنة يليها دال مهملة مفتوحة فواو مهملة وسین مهملة سا كنة فتاء مثناة فوقية
 مفتوحة بعدها ألف في آخره بل لا نعرف له على وجه الضبط وطنامعينا ونهاية ما هنالك ان
 المكان الذي كان فيه قد نشر أصول مذهبه وظفر بنجاح ما وعظبه من قواعده دينه هذا هو
 الذي تعين فقط وهو بلاد (البكترية) (بلخ) وذلك كان في عهد الملك (جوستاسب) بن
 (لوهراسب) بن (كيسرو) بن (كيكائوس) بن (كيقباد) الذي هو مؤسس العائلة
 الملوكية المعروفة بالكينانية التي كانت هي المتولية على كرسي مملكة بلاد (البكترية) في
 تلك الحقبة العصرية ولا نعرف حقيقة هذا الصانع الابصناعته ولم تقف على هذا الرجل
 المشرع الابشريعته وذلك انها في الحقيقة هي شريعة عظيمة الشأن واحكام عالية المقام
 يستحق اعلى درجة من الاستحسان وانديانة (زرادشت) هذه لهي اقوى اجتهاد
 يتصور من تصاعد العقل البشري نحو عالم الروحانيات وحقائق ما وراء الطبيعيات

ولم يكن عندنا يمكن ان تؤسس عليه اصول ديانة ناشئة عن مجرد العقل البشري اعني بدون مساعدة الوحي الالهى و بعض الاستحسان العقلى الطبيعى وبالنسبة لساثر الاديان التى كان يتدين بها ساثر الملل ببلاد آسيا فى سالف الازمان وغيرهم من جميع الامم المتقدمين ما عدا ديانة العبرانيين الصادرة عن الكسمة الالهية هى اشرف ديانة واتقاها واتحرف شرعة واعلاها واقرب طريقة تشريعية للحقيقة الدينية الحقيقية وهى نتيجة اشرف الطبع المجبولة فى نفوس بنى يافث الذين هم ارباب العقول الفلسفية الحقيقية واصحاب النفوس العالية الالهية التى تأنف الميل للعقائد المادية وتأبى دون ساثر بنى نوح ما يبنى عليها بالضرورة من الديانات المبنية على تعدد الالهة المعبودة التى كانت قد سرت تدريجيا فى عقائد الآريين السالفين ومحت آثار الشريعة الموحدة السالفة فى الاغصار الاولى ولذلك ترى (زرادشت) قد جاء فى اصول ديانته بمثل ما جاء به أنبياء بنى اسرائيل واحبار دين النصرانية السالمون من شدة الغضب على عبادة الاصنام واتى فى هذا المقام من الاحكام بما يقتضى تسمية الذوات التى كانت الاقوام اليافثيون يعبدونها على انهم آلهة لهم بناء على اصول الديانة الويدية القديمة بالارواح الخبيثة واه جعل الالهة الذين كانوا لهم فى سالف الزمان معبودين بمقتضى ذلك الدين بالنسبة لدينه من قبيل الشياطين وبالجملة فان (زرادشت) يميل فى مذهب دينه الى حقيقة الوجدانية المحضة ويصعد باجنحة قوة عقله الى اعلى هذه العميدة الصادقة الازلية ويرقى الى اوج تلك الحقيقة الشابتة المخددة غير انه لما كان قد وكل نفسه لمجرد قوة عقله الطبيعية وانحرم من عناية الوحي الالهية زلت قدمه عنده هذه المسألة المعضلة وسقطت هممه لدى تلك القضية المشككة التى هى مسألة اصل الشرف كانت هى العقبة الموهلة التى انكسرت دونها سفينته علمه والصخرة الغائلة التى عجزت عندها قريحة فهمه وحيث لم يتيسر له ان يرقاها ولم يمكنه ان يخلص دونها ويتعداها اضطر الى ان يخط الى اسفل هذه الثنية وهبط الى ارض عقيدة دينية اعنى عقيدة الثنية (أى اعتقاد الآلهة اثنين و بناء اصول دينه على اصلين) وهما الخير والشر أو النور والظلمة المدعو (أولهما) باسم (اورموزد) و (الثانى) باسم (اهريمان) وسيأتى لذلك فى المطلب الآتى بعد هذا زيادة ايضا حو بيان

مطلب — ذكر ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما تدعى عليه منهما دين (زرادشت) فى سالف الزمان — وقد كان (اورموزد) فى اعتقاد (زرادشت) ومن تبع مذهب لغاية الآن عبارة عن الخير فيقول بانه هو الذى خلق الخلق وانه كما هو نص الكتب المأثورة عنه المذكورة آنفا هو الروح العاقل والحكيم ويعبر عنه كذلك بروح القدس واصل الخير ويتصور عنده بالنور والشمس والمار ويدعوها بصفة ولده وانه خالق

لشئ ويصفه بأنه قائم بذاته غير مخلوق أزلي باقياً أول له يعهد ولا آخر له ينقد ويعتقد أنه يوجد بازاء هذا الآله الجيد واصل الخير المسند له آخره وله على الدوام والاستمرار خصم وضد وإن آله الخير معه في نزاع مستعرا قصد أن يتسلط عليه ويعلو فوقه وأنه أصل يساوي في القدرة ويضاهيه في الطبيعة والحقيقة وأنه كما دونص عبارة الكتب المذكورة أعلاماً أيضاً هو الروح الخبيث أو أصل الشر ويدعوه باسم (أهريمان) ويقول أنه هو الذي خلق الشر المعنوي والحمي وأنه هو الذي خلق الموت غير أن غريزة (زرادشت) العقلية لم تأذن له أن يجزم باعتقاد كون الشر يقتضي أن يكون باقياً مخلداً إلى ما لا يزال فقال بأن (أهريمان) وإن كان أزلياً لا أول له يعهد لكنه لا بد من أنه يأتي عليه يوم في آخر الزمان يغلبه فيه آله الخير ويعلو عليه ويستحيل آله الشر المذكور إلى حالة العدم وينقد وتعود الخليفة إلى ما كانت عليه في أول الأمر من النقاوة والصفو ويذهب (أهريمان) إلى حيث لا يرجع بالثاني إلى عالم الأكوان ويسمى مذهب (زرادشت) هذا بالديانة المزدية

مطلب - ذكر تفرق الآريين المشرقيين إلى فرقتين وتوجههم إلى ناحيتين متعارضتين - ولما كان بالضرورة مثل هذا التبدل الديني السكلي والحادث الكبير الأصلي الذي حدث في تلك الأزمان على يد (زرادشت) السالف الذكر والبيان لا يمكن أن يتقرر في الأذهان بدون معارضة شديدة ومقاومة عنيدة تحصل من سكان تلك البلدان فالظاهر أن الأقوام الإيرانية الذين هم أسلاف القبائل الساكنين ببلاد الفارسيين والميديين (بلاد الآرية) قد صوبوا في أسرع حين إلى التدبير بأصول دين المزدية وهو مذهب (زرادشت) المذكور وذلك أن صاحب هذا المذهب الجديد المسطور كان قد خرج منهم وظهر من بينهم وذلك باعث قوى يحملهم على أن ينضموا إليه ويعتمدوا عليه وافترق منهم أعداؤه وهو القبائل الذين توجهوا منهم إلى نواحي الهند وافتخوها في ذلك العهد وبقي في أذهان أممادياتهم قوة العبادة الوهمية وغلبة الديانة الصنمية المتوجّهة نحو تأليه الحوادث الطبيعية والاعتقاد في علوية المخلوقات السكونية ولا شك في أن حادثة تبديل ديانة الأقوام الآريين المنسوبة إلى (زرادشت) المذكور واصل منشأ الوعظ به في تلك العصور قد كانت قبل حركة المهاجرة الكبيرة التي تفرق بها مجموع الآريين المشرقيين إلى فرعين وتوجههم إلى ناحيتين متعارضتين أحدهما إلى جهة الشرق والثاني إلى جهة الغرب بعد أن كانوا غاية ذلك العصر مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الأرض ولا شك في أن أصل هذا الافتراق الذي حصل بين هؤلاء الاتصال الآرية لا يقتضي له غير المنازعات الدينية والظاهر أن القبائل الذين اظهروا العداوة لمذهب (زرادشت) كانوا هم الذين تمت عليهم الغلبة في تلك المنازعات التي وقعت بينهم فيما يتعلق بمسائل العقائد الدينية وكيفية الأعمال التعبدية فاضطربوا

الفصل الثامن ٣٠٠ في التاريخ العام

للمهاجرة بالسكية من ارض (البكترية) التي كانت هي اصل مسقط رأسهم واول
 مهديا بناء جفسمهم وصارت تلك الارض وطنا خاصا لاهلهم وارتحلوا من اهلها
 وانتقلوا جميعا الى ما وراء سلسلة جبال (هند كوش) من الجهة الاخرى
 ولم يزالوا يتقدمون من هناك دائما الى قعر المشرق والجنوب وتوطنوا على التدرج بالاقطار
 التي كانت تعرف عند اليونان في تلك الاعصار باسم (البارو بانيسوس) و(الدرنجيان)
 و(الاراكوزيا) وتداخلوا في الجزء الشمالي من وادي جيحون ومكثوا في تلك الاقطار مدة
 الف سنة يتنازعون مع الاقوام البلديين الاصليين الذين هم من نسل حام ومن ثم تعددت
 يدهم وامتدت سلطنتهم على سائر البلاد الكائنة بمحوضي جيحون ونهر السنج
 واما الابرانيون التابعون لمذهب (زرادشت) فكانوا قديما متوطنين ببلاد (البكترية)
 (وهي خانية بلخ) و بلاد (السوجديان) وهي ما يدعى الآن بخانية بخارى وخوة نند من
 بلاد تركستان و بلاد (مرجيانه) وهي البلاد الكائنة على شواطئ النهر المعروف
 الآن بنهر مرجاب، واستقر بعضهم في تلك الاقطار وهاجروا آخرون منهم بضرورة كثرة عدد
 النفوس فيهم الى جهة الجنوب الغربي وعبروا بلاد (هركانيا) وتغلبوا على بلاد (مادي
 اوالميدية) و(السوسيه) و بلاد فارس الاصلية وطردها منها بالسوء ولتسكنها الاصليين
 الذين هم من الاقوام الكوشيين المذكورين في الروايات القديمة المتداولة عند الفرس بانهم
 كانوا رجالا سود البشرة اولى شعور قصيرة تشبه اصواف الغنم

الفصل الثاني

في تاريخ الماديين والميديين وذكر الدولة الميديية

مطلب — ذكر الماديين الاربيين والتورانيين — اما في بلاد فارس الاصلية وفي
 بلاد القرمان التي كانت ملحقة بها من وقت استيطان القبائل الباقية فيها فان الايرانيين
 لم يجدوا من طرف سكانها الاصليين معارضة شديدة ولا مقاومة قوية عنيدة ولذلك مكثوا
 بتلك البلاد وتوطنوا فيها وصاروا هم المالكين لها بدون منازع قوي ينازعهم عليها
 بخلاف بلاد الميديية حيث كان الاقوام الاربيون قد سبقهم اليها القبائل التورانيون الذين هم
 اعداؤهم الشديدون واهلهم الالادون وكان هؤلاء القبائل التورانيون الذي كانوا
 متوطنين في اول الامر ببلاد الميديية يوجد منهم فيها اقوام عديدون ورجال اولو عصبية كثيرون

ولذلك لم يتيسر للقوم الايرانيين ان يخرجوه من ديارهم بل اضطروا لان يسكنوهم فيها ويبقوا فوقهم هم الاعلون ويمكثوا عليهم بصفة القوم الفاتحين

مطلب — ذكرنا زعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين — وقد كان التورانيون الذين هم سكان بلاد (مادى) الاصليون في اول الامر قد امتثلوا الشدة الوطأة الناشئة بادئ يده عن قوة عليا الاقوام الاربيين ثم رفعوا رءسهم في اقرب مدة واشتبكوا بالحرب والقتال مع القوم الايرانيين الذين ارادوا ان تكون لهم الدولة عليهم ولم يزل النزاع بين القومين يتردد مرة بعد مرة ويتجدد بين الخصمين المذكورين كرة بعد كرة على ذلك القطر حيث كانت القوة متساوية من الطرفين والشجاعة متعادلة من الجانبين حتى مكث النزاع بينهما مدة اكثر من عشرة قرون والحرب بينهما سجال تارة ينتصر هؤلاء واخرى يظفر الآخرون وليس لهذه الوقائع التاريخية تاريخ ثابت وثيق يعتد به ولاذ كرمحقق يعتمد عليه غير ان ذكرنا هذه الوقائع الخرافية مع غاية الوضوح والصراحة الجلية فيما يلقى لغاية هذه الايام الحاضرة من الروايات المتداولة بين العوام ببلاد فارس ولم يزل مذكوراً في ضمن الحكايات الخرافية والافتمالات التخيلية الماثورة عن الشعراء الفارسيين فلم يزلوا يتحدثون بان مدة الحروب المذكورة كانت قد طال جداً وعالت اشتداداً وبعداً ثم آلت في آخر الامر لان غلب ايران على توران وصار هو الاعلى عليه غير انه لم يصل لغاية ان يعدمه بالكلية ويغنيه وقد كان ذلك في الحقيقة هو ما وقع في آخر الحروب الاهلية والمنازعات النسبية التي وقعت في تلك الاعصار الغابرة بين التورانيين والايرانيين ببلاد الميديا اعني ان الايرانيين لم يباغوا املهم من اعدام صورة الوجود الملية وهيئة الكينونة الاهلية التي كانت متكونة من الاهالي التورانيين الذين كانوا قد سبقوهم بالتوطن في تلك الاقطار من سالف الاعصار وانما تغلبوا عليهم بالقوة القهرية وتحكموا فيهم بالحالة السبادية وصارت لهم الدولة عليهم وصاروا هم بالتبعية اليهم

مطلب — ذكر دين المجوسية وبيان كونه هو غير دين المزدية — ومع ما كان قد استقر الحال عليه من توطن هاتين الملتين المتغايرتين في الاصل والنسب ببلاد الميديا وهما الايرانيون والتورانيون ومن بعد ما وقع بينهما من المقاومات الاهلية والمخاضات الدينية في ظرف تلك المدة المديدة من القرون الزمنية قد كان من المستحيل ان مذهب (زاردشت) المجلوب الى تلك البلاد مع القبائل الايرانية يبقى فيها على حال النقاوة الاصلية بدون ان يعتريه بعض تغيير وتبديل وفي الواقع ونفس الامر كان قد حصل في مذهب الديانة المزدية الذي هو دين فارسي الاصلية بعض تحويل في ذلك العصر وآل الى ما صار يعرف بدين المجوسية وهو مذهب الديانة الذي حدث يتخاضم الملتين المذكورتين وتفاقم هذين القومين

الدين النمام ٣٥٢ في التباين العام

المختصين ببلاد الميديّة وكان مذهب دين الميديين مخالفاً بالكلية لمذهب الاقوام الفارسيين وانما عرف بدين المجوسية نسبة الى طبقة امناء الدين السيادية التي كانت تقوم بخدمته وكانوا يدعون بالمجوس وحيث انّ فدين المجوسية هو خلافاً لدين المزدية وقد جرت عادة الناس ان يطلقوا اسم دين المجوس على مذهب (زرادشت) المسمى بدين المزدية والحال ان هذا خطأ كان اول من وقع فيه مؤرخو اليونان في سالف الازمان وكان اولهم المؤرخ اليوناني المعروف باسم (هيرودوت) وذلك انه قد كان انما سافر في بلاد الميديّة لا في بلاد فارس الاصلية فخلط بين المزدية بدين المجوسية ولا شك في ان ذلك خطأ صريح والدمج كما علم لنا من المعلومات التي تحصلنا عليها في هذا الشأن وان كانت قليلة الوضوح والبيان هو ان دين المجوسية عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن اصل دين (زرادشت) مبني على عقيدة الثنائية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصليين (اهريمان) و(اورموزد) اللذين هما اله الشر واله الخير عندهم ويتعبدون لعدد كثير من الالهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرى لهم ذلك من ديانة الامم المجاورين ولا سيما من الاسوريين وهذا امر مناقض بالكلية لاصل تربية (زرادشت) الاصلية

مطلب — ذكر استيلاء الدولة الاسورية على بلاد الميديّة — وقد كانت بلاد الميديّة من اول الاقطار التي تعدت اليها يد ملوك الاسوريين من دولة بني بيليطارة فكثت في ايديهم مذعة لوطاة ظلمهم وتعديهم مع غاية الامتثال والاذعان مدة ثلاثة قرون من الزمان وكانت طريقة سياسة الاسوريين في تلك البلدان ان يعتمدوا على القوم التورانيين لكونهم راوهم اقرب للطاعة والامتثال من الاقوام الاربيين لما كان في طباع الاربيين المذكورين من حب الحرية والاستقلال وعدم سهولة الاذعان لاحكام الدولة الاجنبية ولكونهم كانوا كثير اماً بظاهرون عليهم بالعصيان ولداهي كونهم كانوا على الدوام والاستمرار مستعدين عليهم للقيام والثوران ثم لما تشاقلت وطاة الدولة النينوية مع مرور الزمن على سائر الالهة الى الميديين من كلا الجنسين المذكورين سواء كان اصلهم من التورانيين أو الايرانيين حصل ارتداد فعل في الجنس الايراني الاصل الذي كان هو المقاوم لجور الدولة الاجنبية ولداهي توجيه الحرب على الدوام من طرف الملوك الاسوريين الى الطبقة الآرية ببلاد الميديّة تحررت اعلاويتها وثبتت أفضليتها وامتزجت بالطائفة التورانية وانضم كل من هاتين الطائفتين الاصليتين المذكورتين كلناهما الى الاخرى وان كانتا من منذ قرون عديدة متعاديتين عداوة شديدة واجتمعتا القصد التخلص من ظلم هذه الدولة الغريبة ولما جاء وقت توجيه أول ضربة قوية على الشوكة النينوية التي كانت متسلطنة على بلاد الميديّة في تلك الحقبة العصرية كان القوم الآريون هم اول

البادئين بهذه الحركة الاهلية الجسيمة وأول المنشئين في بلاد الميمنية لدولة جمهورية عظيمة

ذكر الدولة الميمنية

مطلب — ذكرار باس والدولة الجمهورية الميمنية (من سنة ٧٨٨ لغاية سنة ٧١٠ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لو نورمان السابق الذكرو البيان أعلاه بعد ذلك ما معناه قد قصصنا في الباب المعقود البحث عن تاريخ الاسوريين والبابليين السابق قصة العصيان الذي حصل بجموع تدبير كل من قائد العسكر المسمى باسم (ارباس) الميمني الاصل والقائد الكلداني المسمى باسم (فول) أو (يليزيس) في سنة ٧٨٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما ترتب على ذلك من خروج الجنود الملكية على الدولة الاسورية واستيلائهم على مدينة نينوى وقتل الملك سردانا بال الى آخر ما ذكر في موضعه هناك فلاحاجة لتكراره هنا بالثاني وتام ما ترتب على هذه الفتنة الجندية بالنسبة لبلاد الميمنية هو ما انعقدت له هذه الترجمة بالخصوص وهو المسمى برعنه في كتب التواريخ الاسلامية يتار يخ ملوك دولة فارس الاولى وما تحقق منه عند علماء الافرنج المتأخرين هو ما نذكره بعد فنقول

قال المؤرخ المذكور انه من بعد تمام هذه الفتنة الاسورية واستقرار (ارباس) في بلاده الاصلية لم يكن هو فيهم ام لسكا حقيقيا ولا سيما بالمعنى الذي يطلق عليه هذا اللفظ عند الامم الاسيين بل كان قائدا عسكريا ورثا جهاديا واحدا للملة مرتبة ترتيبا سياسيا اساسيا على هيئته ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقى الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميديون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من بعده رجل وجهه ذو نفوذ وشوكة يجتمعون اليه ورئيس نيده ذو اعتبار وصولة يعتمدون عليه ليمسك في يده عروة امورهم العمومية ويحفظ في قيده ولايتهم المركزية فتفرق شملهم وتمرق طالهم بالكلية والجزئية وبالجملة فقد كان التفرق الذي هو من هذا القبيل مدة مقدار عديد من القرون جبالا عن جبال هو الحال الاصلية المتسلطن في سائر القبائل الايرانية على العموم حيث كانت عندهم طريقة تمييز القبائل ادعى موافقتها لما كان متحكما في طباعهم من حب المعيشة الحربية مع الاشتغال بالفلاحة ورعاية المواشي دون سائر الصنابع والفنون قد بقيت لديهم على حالة تقاوتها الاصلية وكانت عندهم هي القاعدة

الاساسية التي يبنى عليها تركيب هيئتهم الاجتماعية البشرية
 واذا كانت هذه الحالة التفرقة توافف حب الاستقلالية المحلية وتناسب الحرية الشخصية
 الاهلية وتليق بحال أمة لا بأس عليها ولا خطر يصل اليها من الغارات الاجنبية كالامة
 الفارسية الاصلية فقد كانت مضرة بامة كالامة الميديّة اذ كانت على خطر شديد من جهة
 الدولة الاسورية وذلك انه على أبواب الميديين كانت السلطنة الاسورية قد قامت من
 ستمطتها في اسرع مدة زمنية واعادت قوتها العسكرية الى اقوى مما كانت عليه في اى حقبة عصرية
 وكانت قد دخلت في طريق الفتوحات والتغلب على سائر الاقطار والولايات وتوجهت
 مطامعها خصوصا الى استرداد سائر البلدان التي كانت تحت طاعتها في سالف الزمان واشتد
 تتبعها على الوجه الاخص لاعداء سائر الدول التي كانت قد تعصبت عاليا وخرجت عن
 القاء يد الطاعة اليها وترتب على تحزبها عليها خراب مدينة نينوى بالكلية وكانت بلاد
 الميديّة بعد ان كان قد اخرجها (ارباس) من رق عبودية الملوك الاسوريين قد كادت ان تقع
 في حباله أسر الدولة العراقية بالثاني لولا ان شدة الخطر المتوجه اليها من تلك الجهة وضرورة
 الاجتماع للدفاع العامة عن الاوطان قد اجأت الاقوام الميديين على ان تركوا الحالة
 الاستقلالية التي كانوا عليها في كل خطة ارضية من بلادهم واجتمعوا في هيئة دولة واحدة
 قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية وتوضيح ذلك هو ما يأتى في المطالب المسطورة بعد
ملطب — ذكر (ديجوسيس) ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميديّة (من سنة ٧١٠ لغاية
سنة ٦٥٧ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قال المؤرخ
 اليوناني المشهور باسم (هيرودوت) بانص عبارته هكذا قد كان يوجد في بلاد الميديين
 رجل حكيم يسمى باسم (ديجوسيس) وكان قد تعلقت اطماعه بان يكون ملكا عليهم فسلّك
 مسلك العدل وحسن السيرة للحصول على اغراضه وذلك انه قد كان من اخلاق الاقوام الميديين
 انهم كانوا تفرقون الى اخطاط متميزة كل قبيلة منهم في خطة ارضية مختصة بها لا يتعدى
 عليهم اقليمها وكان (ديجوسيس) هذا منذ زمن طويل قد صار رجلا متمسكا في قومه
 مشتهرا في خطه ولسكونه يعدان المظلومين ييغضون الظلمة ويحبون من يقضى بينهم بالعدالة
 والحكمة كان يبذل كل طاقته في ان يقضى بالحق بين اهل عشيرته بخلاف سائر القبائل
 ببلاد ما دى كما حيث كانت اصول العدل فيها منكرة وسائر القوانين والشرائع محترقة ولما
 شاهد اهل خطه حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلّك في جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة
 ولم ينحرف عن طريق الحق في جميع أحكامه حتى استوجب ذلك غاية الثناء عليه من اهل
 قبيلته وسمع به غيرهم من سكان الخطط الاخرى وكنّا اتوا الى ذلك الوقت يقضى عليهم
 ظلما وجورا وحيث ثبت لديهم من غير شك ولا التباس ان (ديجوسيس) دون غيره هو
 القاضي

القاضي الكامل والحاكم العادل الذي يقضى بالحق بين الناس صاروا يتجارون الى محكمته ولا يرضون الا بحكمته ولم يزل يزداد في كل يوم عددا المتقاضين لديه ويشتهد زحام المتحاكين اليه لتيقنهم من عدالة احكامه ولما شاهد ان جميع الناس قد انكبوا عليه وانه قد صار وحده هو الحامل لثقل اعباء جميع القضايا ولا حكام امتنع من الجلوس بمجلس القضاء وأبى ان يصعد على كرسى المحكمة بعد ان كان هو وحده من تلقاء نفسه يصعد عليه وينظر في كل امر يعرض اليه ويقضى فيه وصرح بتنأزله عن وظيفة القضاء بين الناس متعللا بان ذلك اوجب اهمال مصالحه الخصوصية حيث صار يقضى ايامه كلها في قضاء المصالح العمومية فترتب على امتناعه هذا ان عادت المرفقات وانقطعت الطرقات وفشا الظلم والجور في سائر الطبقات الاهلية واختل نظام الجمعية بالسكية في سائر أخطاط جميع بلاد الميمنية اكثر مما كانت عليه في أى مدة كانت من الاعصار الخالية ولذلك اجتمع سائر الاهالي الميدين في مجلس جمعية عمومية وتشاوروا فيما بينهم اقصدان برسوالهم على صورة مستحسنة في شأن حالهم الراهنة وقام اصدقاء الحكيم (ديجوسيس) في المجلس وقالوا امامه حيث كانت هذه الحالة التي نحن عليها بهذه البلاد لا يمكن معها ان نعيش فيها فقد وجب علينا ان نختار ااملا كايضبط امورنا ويقضى بيننا على اصول جيدة وقوانين متقنة حتى يتيسر لنا ان نزرع اراضينا مع الامان بدون ان نخشى من احد ينحر حننا منها بالظلم والجور والقوة القهرية فأثر هذا القول على عقول سائر القوم الميدين واتفقوا جميعا على ان يتخذوا لهم ملكا وأخذوا على الفور في ان ينتخبوه وحيث اجعت سائر الاراء بالمدح والثناء على الحكيم (ديجوسيس) المذكور واتفقوا على كلهم على انه هو الجدير وحده بالقيام بولاية الامر العمومية توجهوا اليه وبايعوه وابعاءهم عليه قلدوه بالملك وولوه فامرهم بان يشيدوا له قصرا يليق بمرتبة ويرتبوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته وحضرتة فامثلوا ذلك الامر وبنوا له في المكان الذي أشار لهم اليه عمارة متسعة حصينة ودار ملكة جميلة متينة وابعاءوا له ان ينتخب من شاء من جميع افراد الامة الميمنية ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرير الملك اجبر الرعية على ان يدينوا له مدية وامرهم ان يزينوها بأنواع الزينة ويحصنوها بالقلاع والحصون المكيئة ولم يلتفت لغيرها من الاماكن التي كان يلزم ان تكون حصينة بتلك البلدان فامثلوا امره وأذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له مدينة حصينة وقلعة كبيرة جدا وهي المسماة في ذلك الزمان اسم (ايكباتان) وفي مكانها الآن مدينة (همدان) (هـ) ما نقله المؤرخ فرانسيس لونورمان عن (هيرودوت) مؤرخ اليونان

مطلب — ذكر الملك (فراودرت) وما نشأ في عصره من السلطنة الميمنية الكبيرة

(من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٣٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه والظاهر ان مدة ولاية الملك (ديجوسيس) هذا قد كانت مدة سلمية استعملها هذا الملك بالخصوص في ترتيب أحوال المملكة الميدية الداخلية لتكون مستعدة لما كان قد كتب لها من التقادير الازلية وتوصلت اليه فيما بعد بذلك العهد من المراتب العلية وذلك انه من بعده كان قد تقلد بالملك في ذلك الوقت ولده المدعو باسم (فراوورت) وكان ملكا محبا للجهاد وسامطانا مغرما بفتح الممالك والبلاد ولا نعلم شيئا صحيحا من اخبار أوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد أشرف عليها بطرد الاسوريين من سائر الاماكن التي كانوا الميراثوا عليها مستولين من بلاد الميدية وذلك اننا نرى هذا الملك من أوائل مدة الفتوحات التي كان قد تحصل عليها من البلاد الاجنبية مستوليا على سائر بلاد (مادى) من غير منازع ينسازعه ولا معارض يعارضه في ذلك مع ان من المحتق كون جزء منها قد كان في مدة عهد الملك (ديجوسيس) السالف الذي ذكر في يد بعض الامم الاجنبية ولم يبتدئ الملك (فراوورت) في مغازيه الكثيرة الا في سنة ٦٥٠ ق م) وكانت قد توجهت هجمته الجهادية أولا الى جهة المشرق وسكان مبدأ امره ان اطاع لدولته بادئ بدء سائر بلاد فارس الاصلية وكانت في ذلك الامر قد أخذت في ان تكون في هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مدية وهي متفرقة الى عدة قبائل متدة لا رابطة لها ولا عقدة تحافية وثيقة تضبطها وكان أول تصور هاتفي صورة المملكة المتحدة في الوقت الذي كانت بلاد مادى قد خرجت فيه بواسطة عصيان (ارباس) السالف الذي ذكر عن طاعة السلطنة الاسورية التي كانت قائمة بمدينة (نينوى) في ذلك العصر وكان ملك فارس المسمى عند اليونان باسم (آشمينوس) هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه فاتصر عليه وغلبه الملك (فراوورت) ملك مادى المذكور فاعترف له بالتبعية وصارت مملكة فارس الاصلية تابعة للدولة الميدية والملك (آشمينوس) هذا هو أصل العائلة الموكية الفارسية التي منها الملك (كيرش أوقيروس) وسائر ملوك فارس المسمين عند اليونان بالآشمينوسية (وعند مؤرخي العرب وفارس بالكيانية) ولم يقتصر ملك مادى المذكور في تلك الجهة من الفتوحات والاستيلاء على الممالك والولايات على ما ذكرناه أعلاه فقط بل كان في مساقه بعض سنوات قلائل قد اطاع لدولته سائر الامم المتوطنين في ما وراء جبال (هندكوش) ومحاري بلاد القرمات اذ كان أصل أكثرهم من الايرانيين وقد مرح الطبيب المؤرخ اليوناني المشهور باسم (اكتازياس) في كتاب تاريخ فارس والهند الذي كان قد ألفه وبقى بعضه مسطورا في ذيل تاريخ (هيرودوت) بان القرثيين وهم قوم أصلهم من الاقوام البيثيين او التوارنيين كان الملك (فراوورت) قد

أدخلهم تحت طاعته ومن ابتداء مدة حكم هذا الملك نرى أيضا بلاد (البكترية) وما التحق بها من ولاية (هركانيا) وولاية (المرجيان) و(السوجديان) كلها منضمة لدولته وكذلك في جهة الغرب من بلاد مادي كانت الامة الارمنية التي هي من جملة الامم الآرية وكانت متحالفة من عهد (ارباس) مع الامة الميديّة لزم بالضرورة ان تكون مدعنة بالتبعية لسلطنة الملك (فراوررت) المذكور وعلى حسب الظن القوي وصادق الحدس العقلي انه كان في نظير تلك التبعية قد انقذ بعض اراضيهم من يد الدرة الاسورية اذ كان بعضها تحت ايديهم وكانت قد وصلت اليهم يد تعليمهم

وحيث كان الملك (فراوررت) قد استولى على جميع هولا الامم وبذلك جعل المملكة الميديّة سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية ذات منعة قوية ظن انه يمكنه ان يفعل بمدينة نينوى كما فعل بها من قبله (ارباس) أعني انه اراد ان يخربها ثانية وكانت قد قامت من سقدها ورجعت لسالف بجنتها وعظمتها بعناية الملك (سنخاريب) وشرع في ان يطبع لدولته بلاد الاسورية اكرخاب، اذ في ذلك اذ توجه مع نخبة جنوده اليها فلم يظفر بها وهلك هو وهم جميعا في (سنة ٦٣٥ ق م)

مطلب — ذكر الملك (سيا كزار) (من سنة ٦٣٥ الى سنة ٥٩٥ ق م) وتقدمت له اليد من بعد الملك (فراوررت) المذكور ولد المسمى باسم (سيا كزار) فكان اكثر بالجهاد وقوى شغنا بالحرب والجلاد من والده المحكي عنه أعلاه وذلك انه اعتبر بسوء عاقبة أبيه فكان اول عنايته منذ صعد على سري مملكته ان أحدث في الامة الميديّة ترتيبات عسكرية جيدة وكان اقوم الفرثيون برفادة أبيه قد خرجوا عن طاعته فتوجه اليهم وحاربهم واطاعهم بالثاني لدولته ثم التفت لتنفيذ مقاصد والده فيما يتعاق بانحراب مدينة نينوى بالثاني وتدبر في ذلك الامر وتفكر وتأمل وتبصر فأداء حسن التدبير الى ان مثل هذا المشروع المهم لا يتم الحصول عليه الا بواسطة عقد محالفة مع اهل الجنوب من حوض دجلة والفرات كما فعل مثل ذلك (ارباس) في سالف الاوقات ولاجل ان لا يقدم وحده على مثل هذا الامر العظيم عقد عهدا مع الملك الكلداني المعروف باسم (نابوناصر) على انهما يفتتحان معا ويقتسمان المملكة الاسورية وتوثقت عرودة هذا العهد بما حصل بينهما على الفور من المبادرة بعقد زواج بنت الملك (سيا كزار) المذكور على ولد الملك (نابوناصر) وهو (بختنصر) المشهور وقد كان شابا حديث السن بعد وبوفاة الملك (آسورديلي) ملك نينوى في سنة ٦٢٥ قبل الميلاد (كما سلفنا ذكر ذلك في موضعه) بدت لهذين الملكين المتحالفين والسلطانين المتصاهرين فرصة ان ينفذا أغراضهما وعزمهما على ان يبلغا مقاصدهما فانارت الجيوش الميديّة والكلدانية دفعة واحدة على بلاد الدولة الاسورية

فتوجه الميديون اليها من جهة الشمال والكلدانيون من جهة الجنوب والتقى الجمعان والنهم الصفان من الجنود الميديّة والعساكر الاسورية وكار قد غلب الميديون على الاسوريين في ملحمة عظيمة وواقعة حرب منتظمة جسيمة وأخذ الملك (سيا كزار) في أن يعقد على مدينة (نيوى) دائرة الحصار وتقدم الملك (نابوبولصر) ودنا من أن يحضر لا مداده بسائر اجناده على اخذ هذه المدينة واذا بملك الميديين قد نزل عليه على حين فجأة منه جيش عديد من الاقوام السيتيين وشنوا الغارة على سائر بلاد الميديين

مطلب — ذكر غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين — وقد كانت غارة الاقوام السيتيين عبارة عن مهاجرة حصلت من امة متوحشة سارت بالصادقة وذلك انه كانت قد قامت حرب بينهم وبين قوم آخرين كانوا الهه مجاورين يقال لهم (الترميميون) كانوا في ذلك العصر متوطنين بالصحرى الجبلية الكائنة في شمال بحر الخزر وجبال قوقازة فلما تمت غلبة السيتيين على هؤلاء القوم القريبيين اندفعوا وراءهم ولم يزالوا هم متتبعين حتى ضلوا في مضائق جبال قوقازة ولم يزالوا يتقدمون فيها الى جهة الامام ويهيمون في تلك الصحارى بدون أن يعرفوا الى أى جهة هم متوجهون حتى نزلوا كالسيل على بلاد الميديين فقام الملك (سيا كزار) المذكور وأراد ان يوقف غارتهم ويمنع مولتهم عن بلادهم ولا فاهم يجنوده فهزموه وغلبوه واضطروا لان صار تحت طاعة هؤلاء القوم المتوحشين ومكث السيتيون مدة ثمانى عشر سنة يخربون سائر بلاد آسية الداخلية حتى انهم بلغوا الغاية حدود الديار المصرية وكان الميديون هم اكثر سائر الامم الآسيين اصابة بغارة هؤلاء القوم المغيرين حيث كانوا قد توطنوا بدارهم وتمسكوا فيها على وجه بحيث كان يظهر عليهم انهم لا يريدون ان يخرجوا منها أبدا ولم يتوصل الميديون للنجاة منهم الا باعمال الخيالة والخيانة عليهم وذلك ان الملك (سيا كزار) وأصحابه من طائفة اسياد الميديين الكبار دعوا ملك السيتيين وأعيار رؤسائهم الاصليين الى وليمة كبيرة واسكروهم بكثرة شرب الخمر ثم ذبحوهم عن آخرهم وهم سكارى وقامت جميع الالهة الميديين على سائر الاقوام السيتيين فقتلوه عن آخرهم وقطعوا دابرهم جميعا حيث صاروا الارئيس لهم ولا رابطة عامة تجمعهم

مطلب — ذكر ما حصل بعد ذلك للملك (سيا كزار) من الظفر الجديد — وبمجرد ما انتقد هذا الملك من غارة هؤلاء الاقوام المتوحشين كان قد جدد العهد مع الملك (نابوبولصر) والتفت لتنفيذ ما كان قد عقد عزيمته عليه وتحبيب اليه من العزم على خراب مدينة (نيوى) بالثاني فتوجه كل من هذين الملكين المتجالفين بجنودهما اليها وعقد الحصار عليها وظفرا بها تمام الظفر واتصرا عليها كل النصر وفي (سنة ٦٠٦ ق م) كانت هذه

الدرس الثام ٣٠٩ في التاريخ العام

المدينة الجبوتية الفاخرة والحاضرة العظيمة المتكبرة التي كان قد أعادها الملك (سبحاريب) بالشاني من بعد خرابها الاول الى درجة عظمتها الاولى قد سقطت في قبضة هذين الملكين الجبارين فأخر باها في هذه المرة خرابا لم تعد للعمارة من بعده ابدا واقتسما بينهما بلاد الاسورية فاخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب منها ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعني في (سنة ٦٠٣ ق م) كانت قد قامت حرب أخرى بين (سيا كزار) وملك القوم المسمين باسم (البيديين) وهو المدعو باسم (أليان) وكان هذا الملك الاخير قد استولى منذ بعض سنوات قليلة على إقليم (افريجيا) وهو على وجه التقريب بعبارة عما يسمى الآن بلواء قونية وآق سراي وآق شهر بيلاد القرمان ولواي كوتاهية وقراحصار من بلاد الاناضول المعروفة (ببلاد آسيا الصغرى) وكذلك على إقليم (فادوسيا) وهو جزء من ولايتي سيوة والقرمان الآن) قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم (هيرودوتس أو هيرودوت) في تاريخه ما نصه (معربا) هكذا

مكث الميديون والبيديون يتحاربون مدة خمسة سنوات والحرب بينهما سجال تارة يظفر هؤلاء وأخرى ينتصر الآخرون حتى جاءت السنة السادسة ففصل بينهما ما هو أشبه بواقعة حرب ليلية وبيان ذلك ان القومين المذكورين بعد ان مكثا تلك المدة على الدوام والاستمرار في قتال تعادل فيه الحظ من الطرفين كما قد تلاقيا في ملحمة كبيرة ومقتلة خطيرة واذ بالهار قد صار ليلا على حين فحاة منهما بانكشاف قرص الشمس وهما في حوة الميدان يتحاربان ويتضاربان وكان الحكيم (طاليس) الملبى احد فلاسة اليونان السبعة المشهورين قد انذر من قبل بهذه الحادثة الجوية وأخبر بوقوعها الامة اليونانية وعين ذات اليوم والسنة التي تقع فيها ولما تراءى للجيش الميدي والبيدي ان النهار قد انقلب ليلا أجمعا عن القتال وبادروا للصالح وتوسط بينهما في ذلك ملكا يابل وبلاد (سيليسية) (وهي المعبر عنها الآن بولايتي سيليفكة وادنة) ولما كانوا يظنون ان عروة العهد لا تتأكد الا برابطة قوية كرابطة مصاهرة ونحو ذلك ألزم هذا الملك (أليان) بان يزوج ابنته المصماة باسم (اريانيس) بابن الملك (سيا كزار) المذكور المدعو باسم (أستياج) (اه نص كلام هيرودوت) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وتعين مجرى النهر المسمى باسم (هاليس) (وهو المعروف الآن باسم (قزيرموق) وهو القاسم لارض إقليم (فادوسيا) المذكور الى قسمين متساويين هو الحد الفاصل بين تخوم السلطنتين المذكورتين

مطلب — ذكر الملك (أستياج) والملك (كيرش أو فيروس) المشهور وقصة زوال سلطنة الميديين في سالف العصور (من سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٦٠ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه وكان الملك (استياج) ابن (سيا كرار) المذكور قد خلف أباه على سرير سلطنة الميديين في (سنة ٥٩٥ ق م) وكان ملكا ظالما وسلطانا جائرا غاشما لا تخفله ولا يجد قال المؤرخ الفرانساوي المعروف باسم (روبيو) مانصه (معربا) بعد

وكان قد رأى في المنام انه يزيله عن سريره ملكته ابن بنته المسماة باسم (مزدانة) وكان قد زوجها ابولدمن قرية العائلة الملوكية الفارسية القديمة يقال له (قمبيزس أو قمبيز) فأراد ان يقتل الطفل الذي ولد لهما عند ولادته وهو (كيرش أو قبروس) وأمر به هذه المأمرية رجلا من كبار ضباط عسكره يقال له (هر باجوس) وهذه القصة مبنية على ما حكاه اهل فارس أنفسهم في حكاياتهم الاهلية ورواياتهم المالية حيث ارادوا ان يغربوا في قصة تاريخ مدّة طفولية الملك (كيرش) هذا بذكرياحوال غريبة ووقائع عجيبة اذ كان هو الذي وسع سلطنتهم ورفع صواتهم وبواسطته استولوا على سائر بلاد آسية اذ ذكر وامام معناه ان (هر باجوس) المذكور أعلاه لما أسره الملك (استياج) بان يأخذ حفيده هذا ويقتله كان قد هزته اربحية الرأفة اليه واخذته شدة الرحمة والحمية عليه فتعلقت ارادته بان انجيه من القتل الذي أمر به الملك والقاء عند اع من رعاه الاله واودعه اياه ثم عشر عليه الملك الميدي الذي هو جده لأمه وعرفه بتقاطيع وجهه واسرة محياه فاستحياء وابقاه مؤولا رؤياه بأنها قد تصدقت بما كان (كيرش) قد اجراه بوقت طفولته وقد رآه وهو يلعب مع الاطفال يجري صرر رسوم المملكة عليهم ويأق الاواسر االية بنخوة الملك اليهم فاخذته الى قصر ملكته ورضه الى اهل دواته وانتقم من ضابط العسكر الذي كان قد أمره يقتله على وجه شنيع وطريق شنيع بان اطعمه لحم ذات ولده في هيئة لحم جدي مشوي فحدث ذلك (هر باجوس) على (استياج) وحمل (كيرش أو قبروس) الى الخروج عن طاعة جده وعلى ان ينقذاة فارس الاصلية من رقي السلطنة الميديية ووعد به بان يساعده على ذلك بكل قوته وبعضه بذاته متى شرع في تلك المسالك قال المؤرخ (روبيو) المروي عنه اعلاه بعد ذلك ايضا ما معناه وكار (كيرش) المذكور قد اعل الحيلة وتوصل لاثار نيران الفتنة والعصيان عند ابناء اوطانه الاصليين اعني الاقوام السارسيين وكانوا اقواما جبليين واناسا بدويين اشد قوة واقوى على الحرب والقتال من الاقوام الميديين وكان الملك (استياج) قد أساء التدبير اذ قلد (هر باجوس) هذا برياسة جنده المتوجه لقطع دابر هذه الفتنة وقع ذلك العصيان حيث خان الملك ادعى ما كان قد أسره في باطنه من الحق عليه بما اجراه في حقه من الظلم بذبح ولده واطعمه لفلزة كبده وزك راية الظفر ومزية الغلبة والنصر لرئيس جند القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك (استياج) بنفسه

على رأس جنوده وأراد أن يدفع الجنود الفارسية عن كرسي مملكته فلم ينجح واجتهد كل الاجتهاد في اطفاء نيران هذا الصياد فلم يفلح بل انهزم اثم هزيمة واقبحها وقتل أكثر عسكره في حومة الميدان ووقع هو ذاته أسيراً في يد أعدائه وكان قد مكث على سرير السلطنة الميدية خمساً وثلاثين سنة وهو آخر ملوك دولة الميديين التي كانت قد ظهرت في الاقطار الآسية ذات شوكة كبيرة مدة حقبة من الزمن يسيرة (اه كلام ناؤرخ (رويو) المقول عنه اعلاه

الفصل الثالث

في تاريخ السلطنة الفارسية الاصلية

مطلب — ذكر فتوحات الملك (كيرش) (من سنة ٥٥٩ هـ الى سنة ٥٤٥ هـ ق م) — قال اؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت نتيجة هزيمة الملك (امتياچ) المذكور واقتتاح بلاد الميدية از صار بيد الملك (كيرش) الولاية السلطانية على سائر البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصاً على جميع الامم الآريين والملل الايرانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) ومحمارى بلاد الفرمان فبادر لوضع اليد باقل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك أمراً سهلاً عليه اذ كان سائر هؤلاء الملل أخوات ملته فكانوا يميلون بالطبع اليه ويعطون بالجسلة اليه ويؤثرون بالضرورة ان يكونوا تحت أعلى يامة ايرانية الاصل المحض كالامة الفارسية على أمة مختلطة النسب والحسب يتداخلها أصول أمم غرب كالامة الميدية

ولما كانت بلاد البكترية معرضة لكثرة غارات هؤلاء الامم الاغراب وتكرر سقوط هؤلاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والسلب والانتهاك كان أول ما تعلقت به همة الملك (كيرش) ان ابتداء قصد الحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين المسمين باسم (الساسيين) وهم قوم من الاقوام التورانيين كانوا متوطنين حوالى ينابيع نهر سيجون المسمى ايضاً باسم (سيرداريا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى ياغم (آمورجيس) وجعل بلادهم ستراية من اعمال سلطنته أى ولاية جعل عليها والياً من ولاق فارس الملقبين بلقب الستراب بمعنى العامل على إقليم من أقاليم الدولة الفارسية وحيث توطدت بذلك سلطنته وتمهدت البلاد لدولته من الجهة الشمالية الجنوبية شرع

يفتح البلاد المجاورة لجبال قوقازة وكانت قد بقيت مستقلة لم تدخل تحت طاعة الدولة الميديّة وبعد أن أقام على قتالها عدة سنوات عديدة وقام فيهما عدة حروب شديدة وهلك فيها أناس كثير ون كان قد أدخل تحت طاعته وألحق بأعمال سلطنته كلا من إقليم (البانيا) و (ايسيريا) ومجموعهما هو ما يعبر عنه الآن باسم (داغستان وبلاد الجرج) وأما الاقوام المدعوون باسم (الكولشديين) سكان إقليم (كولشيد) (وهو ما يعبر عنه الآن بولايي ايميرسيا ومنغريليا) فقد كانوا يمثلوا القوت و دخلوا صلحا تحت طاعته وكذلك الاقوام الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة الكائنة على الساحل الجنوبي الشرقي من بحر الخزر وهم (المارديون) و (المكرونيون) و (الكاليبيون) والقوم المشهورون باسم (الطبرانيين) وهم قوم كانوا مشهورين عند الامم السالفة من أقدم الاعصار السالفة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كاهم كانوا قد اطاعوا صلوته ودخلوا تحت أسر دولته وبذلك صار الملك (كيرش) الفارسي المذكور مستوليا على سائر الاقطار الكائنة بآسيا الصغرى (بلاد اناطول) الى حد نهر (قريل يرموق)

مطلب ذكر الملك (كريزوس) ملك بلاد ليديا سنة ٦٤٠ قبل المؤرخ فرانسيس لونورن الميقول عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان معاصر الملك (كيرش او قيروش) المذكور آنفاً ملك يقال له (كريزوس) ملك بلاد ليديا وهي الجزء الغربي من بلاد آسيا الصغرى او الاناضول ويعبر عنها الآن باسم سوراخان وما يليه من بعض بلاد ان اخرى وكانت قاعدة مملكته في ذلك الزمان تدعى بمدينة (سردوس) وكان ذلك الملك هو اقوى الملوك ببلاد آسيا الصغرى وكان قد اجتهد في أن يحدث له في تلك الاماكن من الدنيا القديمة دولة عظيمة وسلطنة متسعة جسيمة يضاهي بها السلطنة الفارسية وكان قد اجبر المداين اليونانية التي كانت كائنة على السواحل البحرية من تلك الجهة الآسية على ان تذهبن بالطاعة اليه وبلغ لغاية ان جاء تحت قبضة مملكته سائر البلاد الكائنة فيما وراء نهر (قريل يرموق) وكان قد اغتر بما حصل له من النجاح فاراد ان يبدأ بالحرب والكفاح الملك (كيرش ملك فارس) المذكور اذ كان يخشى صلوته على بلاده واراد ان يفتقم عليه ويأخذ منه بشار الملك (استياج) الذي هو صهره ويحكي انه قد كان استشار كاهنة مدينة (ديلموس) (ويقال لها ايضا ديلفي) وهي مدينة نهيرة كانت بأقليم (فوكيده) من بلاد اليونان القديمة كان بها هيكل وكاهنة تخبر بالمغيبات لمعبودهم المدعوب باسم (ابوالون) (بتفخيم اللام) وفي مكانها الآن مدينة (كستري) (بفتح الكاف في أوله وتاء مثناة فوقية يليها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة في آخره) وسألها كيف تكون عاقبة هذه الحروب فاجابته بقولها انك اذا

جرت نهر (قزبل يرموق) اخرجت مملكة عظيمة فسافر مطمئنا لقلوها جازما بأنه سيزيل مملكة فارس فكان الحال بالعكس وكانت المملكة التي زالت هي مملكته والساطنة التي تخربت هي سلطنة في ذلك العهد وبيان ذلك هو كما يأتي بعد

مطلب — ذكر هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة اليديين على يد (كيرش أوقيروس) من (سنة ٥٤٥ الى سنة ٥٤٤ ق م) بخاز (كريزوس) بجيوشه النهر المذكور ودخل بهم اقليم (قبادوسية) واستولى عليه بغاية السهولة لداعي انه لم يجد من يصد عنه غير سكان تلك البلاد ثم التقى مع جيوش فارس تحت قيادة الملك (كيرش) بنفسه ووقعت بينهما قتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين غير انه لم يظهر فيما النصر لاي الجانبين حتى جاء الليل فانهى بذلك القتال ولم يرد (كريزوس) ان يعود عليه بالحرب في الغد لداعي انه كان قد قيل له ان جنوده هم دون جنود خصمه في العدد فعاد الى مدينة (سردوس) التي هي قاعدة مملكته وبعث يطلب المدد من ديار مصر وبابل و (لقد مونيا) بلاد اليونان بناء على ما كان منعقد ايده وبينهم من العهود وعزم على ان يعود بالحرب في فصل الربيع الآتي قال المؤرخ (رويو) وكان الملك (كيرش او قيروس) قد تبصر في نتيجة تلك الاستعدادات الطويلة وبلغه الخبر بان الملك (كريزوس) اعتمد على طول مدة فصل الشتاء ففرق شمل جنوده وأذن لهم بالعودة الى بلادهم فبادر ملك فارس بالسير الى مدينة (سردوس) قبل ان يتيسر لملك اليديين ان يجمع جنوده ويستعد للقاءه ومع كون الملك (كريزوس) كان قد جاءه ملك فارس على حين غفلة منه وبخاؤه بالقتال من حيث لم يكن له ذلك على بال سار لفته له مع من تيسر له جمعه من رجاله وكان اليديون قد فتحوا في مدة عهده فتوحات كثيرة واستولوا تحت قيادته على بلاد متسعة كبيرة فاغتروا بامتداد صيتهم وشهرتهم بالحرب والظاهر انهم كانوا قد تغالوا في قيمتهم من حيث الجلال والضرب وكانوا قد اطمأنوا لانفسهم واعتمدوا على شجاعتهم وكان لهم خصوصاً مهارة كبيرة وحذاقة شهيرة بركوب الخيل فالتقى الصفان والتحم الجيشان في سهل منيع عظيم مكشوف امام مدينة (سردوس) عند ملتقى نهرى (هيلاس) و (هرموس) وهو النهر المعروف الآن بنهر (شرابات او القادوس) على القرب من مدينة (ازمير) قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني المحكي عنه أعلاه في هذا الموضع من تاريخه ما نصه (معرباً) أدناه

وكان الملك (كيرش) قد جمع الجبال الحاملة ل ذخيرة جنوده ووضعها في مقدمة جيوشه المشاة بإشارة بعض قواد عسكره فلما نظرت اليها خيول عسكر اليديين قرعت من منظرها وهلعت من رائحتها لعدم اعتيادها عليها ففرت منها وفرت عنها قبل ان تحمل عليها فنزل فرسانها عن ظهورها وتركوها واجتهدوا في ان يحاربوا على الارض بدونها فلم يصادفوا الغرض

ولم يخن عنهم اجتهادهم ذلك شيئاً اذ كان أقوى عددهم قد فقد واشد مددهم قد نفذ فتمت عليهم من جنود فارس الغلبة والنصر وتفرق شملهم وتمزق جمعهم وانهمزوا اثر هزيمة وانحصر الملك (كرزوس) في مدينة (سردوس) اشد الحصر (انتهى نصر كلام هيردوت) منقولا من تاريخ (رويو) ثم قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المتسكر بالذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ومع ذلك فقد كان ملك الليديين الماركو لم يقطع العشم من الظفر اذ كان الاقوام اليونانيون قد دخلوا تحت طاعته من عهد قريب وكانوا له مصادقين وكان قد ارسل من اهل بلده بالذاني يستجلبون حضور الامدادات اليه من عنده هؤلاء الامم والملل المنحالفين معه فلم يكد كل ذلك ثمرة ولم يعد عليه منهم عائدة معتبرة بل كار الملك (كيرش) بعد اربعة عشر يوما من تاريخ الحصار قد هجم بجنوده على تلك المدينة التي كانت في ذلك العصر قلعة مؤسسة على صخرة ذات منعة مشتهرة فدفعهم القوم المحصورون في اول الامر وكان بعض جنود اقرس قد لحظ بالامس طريقا يوصل الى مكان من سور القلعة يمكن منه التسلق عليها وكانت القلعة حينئذ عاطلة من الحرس لاعتقادهم عدم امكان الصعود على الصخرة التي كانت هذه القلعة موضوعة فوقها فارشدا اخوانه اليها وصعد عليها وتبعه كثير من اصحابه وبذلك سقطت مدينة (سردوس) المذكورة هي وذات ملكها واسائر بلاد المملكة الليدية في قبضة يد الملك (كيرش) (في سنة ٥٤٤ ق م)

مطلب — فتح المداثر الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اى البلاد اليونانية الاصل التى كانت على سواحل بلاد آسيا الصغرى وذ كراستيا لدولة فارس على سائر الامم والاقوام الكائنين ببلاد آسيا العليا (من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٣٩ ق م) قال المؤرخ المذكور آنفا ولم يتأخر (كيرش) ان شن الغارة على سائر المدن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اى البلاد اليونانية الاصل التى كانت قائمة على سواحل بلاد آسيا الصغرى (وهى سواحل الوبية سيوى وصوراخان وعابدين الآن) وحيث لم يرد لهم امداد من اخوانهم اليونانيين المتوطنين بنواحي أوروبا كان الملك (كيرش) قد استولى عليهم وامتدت يده اليهم وامتنع اهل مدينة (نيوس) (وهى المدينة المسماة باسم (سيدشيدجك) الآن واهل مدينة (فوكيا) (وهى المدينة المسماة بهذا الاسم على القرب من ازمير لغاية الآن) من الاذعان لطاعته فهاجروا من اوطانهم الاصلية وانتقلوا الى الجهات الارربية وانضم الهوكيون الى اخوانهم اليونانيين الذين كانوا قد هاجروا من قبل الى الجهات المغربية اعنى القبائل اليونانية الذين كانوا قد تزلوا بجهة (مرسيليا) (من سواحل فرانسة) ثم فتح اقليم (كاريا وليسيا) (لوانى) منتشرون تسكة الآن) مع ما كان قد حصل من اهلها من المقاومة الشديدة والمصادمة

العنيدة وقد كان الذي تم له فتح سائر البلاد ان التي كانت تتركب منها رأس آسيا الصغرى في ذلك الزمان هو القائد (هرياجوس) المذكور آنفاً وكان (كيرش) نفسه مشغولاً في اثناء تلك المدة بالاستيلاء على جميع الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا وسائر الاقاليم السكانية فيما بين بلاد الهند وفارس أعني سائر الاقطار التي كانت تعرف عند الجغرافيين السالفين باسم عام وهو (بلاد الاريا والاريا) بمعنى بلاد الآريين وهي ما يعرف الآن بسجستان وخواران وما يليهما من البلدان لغاية بلاد (الهند) وفتح بلاد (جيدروزيا) (وهي ما يعرف الآن بولاية (مهران) وسائر الاقطار التي تليها لغاية بلاد اقوام المسمين باسم (الجنداريين) المصابقة لآعلى مجرى نهر جيحون

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية على يد (كيرش) ملك فارس المذكور في (سنة ٥٣٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان الملك (كيرش) لم يزل ينتقل من فتح الى فتح ويرتحل من بلد الى بلد فاترا بالنصر والنجح حتى تعلقت اطماعه بالاستيلاء على جميع بلاد آسيا بتمامها والاحاطة بالانحدر مامها وكان قد استولى على معظمها ولم يبق عليه للحصول على هذا الغرض على وجه لم يتيسر لاني ملك كان من ملوك ذلك الزمان لغاية ذلك الاوان غير ان يخرب مملكة الكلدانيين التي كان قد أسسها في ذلك العصر بمدينة بابل الملك الشاهيران (نابوبلصر وبختنصر) على آثار المملكة الاسورية القديمة وكانت هذه المملكة قد أخذت في الاضمحلال والسقوط لسوء الحال وابتدأت في الزوال ولم يتأخر الملك (كيرش) ان فعل ذلك وتحصل على بلوغ آماله فيما هنالك (كما قصصنا قصة ذلك في الباب السالف ولا حاجة لتكراره هنا) ولما استولى الملك (كيرش) على مدينة بابل (في سنة ٥٣٨ ق م) صار سائر سكان الاقطار الكائنة فيما بين نهر السند الى بحر الارخبيل او بحر جزائر الروم ومن عند صومارى بلاد العرب الى حد نهر سيجون امارعيا بالسلطنته وامامو كامدعين بالتبعية لدولته ولم يخرج عن ذلك بحسب الظن الا بعض أناس قليلين من سكان الجبال المتوحشين او بعض قبائل بدويين من الاقوام الرحالين التزالين كان هذا البطل الفارمى يأثف من ان يكدر عليهم في عزلتهم معيشتهم وتأبى نفسه العالبة منازلهم ومقاتلتهم وكان متى استولى على امة او ملة من هؤلاء الامم والملل العديدة اوطاع لدولته مملكة او دولة من تلك الممالك والدول الكثيرة لم يبدل اقسامها السياسية ولا خططها الارضية ولم يغير شيئاً من الشرائع والقوانين الجارية عندها بل كان يقيها على حالها ولم يكن مطمع نظره متوجهاً الا نحو انشاء دولة جهادية وطاقنة عسكرية قبل كل شيء على سائر هذه الاقطار الآسية

مطلب — ذكر خاتمة الملك (كيرش) (من سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٢٩

(ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان الملك (كبرش) قد أقام على كرسي سلطنة فارس من بعد استيلائه على مدينة بابل مدة ثمانى سنوات وهو بحالة السلم الكامل وفي تلك المدة كان قد أطلق سبيل القوم العبرانيين الذين كانوا بمدينة بابل مأسورين واذن لهم ببناء هيكل اورشليم بالثانى كما قصصنا ذلك تفصيلا في تاريخ القوم اليهود (وتقدم ذكره ايضا في الباب الثالث من هذا التأليف نقلا عن كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

وكانت الملك (كبرش) على تلك الهدنة لغاية (سنة ٥٢٩ ق م) ثم في تلك السنة اما لقضاء ما كان قائما بنفسه الى فتح البلاد من السهوة التي لا تشبع والحاجة التي لا تقنع او لقصد ان يجمع غارات بعض القبائل الذين كانوا له مجاورين وكانوا له بالاذى يتعرضون كان قد شرع في شن الغارة بحرب جديدة على القوم المسمين في ذلك العصر باسم (الماساجيتيين) (يا جوج و ما جوج) وهم قوم من الانسال التورانية او التركية كانوا متوطنين بالصحرى الكائنة على شمال نهر سيحون وانتصر الملك (كبرش) الفرصة لشن الغارة عليهم من حيث كونهم كانت تملكهم امرأة يقال لها (توميريس) فجمع جيوشا عديدة وسافر بهم اليها وانشأ عدة قناطر على نهر سيحون ومربهم عليها ولما بلغ الملكة (توميريس) المذكورة خبر سير تلك الجيوش الفارسية اليها بعثت اليه رسولا يعرض عليه ان ياتقى الجيشان ويلتحم الصفان في ميدان حرب مغلقا بى مكان اراده فلم يقبل وبدلا من ان يرضى بالقتال على هذا الوجه الصادق والطريق المستقيم اللائق عمد وعول على طريقة مكر وخديعة بمشورة الملك (كريزوس) ملك الليديين وكان معه في هذه الغزوة الشنيعة وذلك انه اشار عليه بان يترك معسكره معطلا عن الدفع والاحتراس ويلاءم بالذخائر من سائر الانواع والاجناس بحيث يسهل على الجنود (الماساجيتيين) ان يلجوه وبسلبوا ما فيه وينتهبوه ومتى دخلوه واستغلوا بتعاطى ما فيه نزل هو عليهم على حين غفلة منهم يحل جنوده ففرق شملهم وشرق جمعهم وظفر بهم كل الظفر وانتصر عليهم كل النصر وكان قد خبا في ناحية من النواحي جل جيوشه العديدة فتمت عليهم هذه المكيدة قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في تاريخه ، وكان الملك (كبرش) قد تباعد عن نهر سيحون بمرحلة يوم وترك اقبح جنوده هنالك وعاد مع اجودهم الى ذلك النهر بالثانى فحار القوم (الماساجيتيون) وهجموا على معسكره بثلاث جنودهم وقتلوا سائر الحرس وظفروا منهم بمقصودهم واشتغلوا بالسلب والنهب والسكر والاكل والشرب واذا بالجيوش الفارسية كانت قد اقبات اليهم ونزات عليهم فقتلوا منهم رجالا كثيرا واخذوا اكثرهم مأسورين كان من جلتهم قائد عسكرهم المسمى باسم (اسبارجاييتيس) وهو ابن الملكة (توميريس) التي هي ملكتهم فارسلت

الملكة المذكورة اهلاه رسولا الى الملك (كيرش) تقول له ما معناه يا أيها الملك السفاح الذي لا يشبع من سفك الدماء لا تفخر بما حصل لك من هذا النجاح فانك لم تحصل عليه الا بواسطة عصارة العنب وهذا الشراب الذي يزيل العقل وانتي لنا صحتك بنصيحة جيدة فاصمع ما أقول لك رد علي ولدي واخرج سالما من بلدي ولوانك أتلفت معظم جنودي والا فاني أقسم بالشمس التي هي الاله الاعظم والسيد المالك الاكرم للقوم (الماساجيتيين) انتي لاشبعنك بالدماء ولو بلغت ما بلغت من الظمأ فلم يعبأ الملك (كيرش) بقولها هذا المسطور اعلاه واما ولدها فانه لما أفاق من سكره التمس من الملك ان يفك قيوده ويمجد ان انفك من سلاسل الحديد قتل نفسه بيده ولما بلغ ذلك أمه اجتهدت في ان جعت ساثر من كان عندها من الرجال وعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس المذكور فتم النصر للقوم (الماساجيتيين) على العساكر الفارسيين وهلك اكثرهم في ذلك المكان وفي هذه الواقعة الحربية مات الملك (كيرش) نفسه بعد ان كان قد أقام على سرير المملكة الفارسية مدة تسع وعشرين سنة كاملة وأمرت الملكة (توميريس) بالبحث عن جثته في جملة الموتى فعثرت عليها ومثلت بها وغمست رأسه في قربة مملوءة من دم الادميين المقتولين وهي تقول اني وان كنت لم أزل على قيد الحياة ظافرة بالنصر لكنك قد قتلتني بقتل ولدي فلا شبعنك من دم البشر كما أوعدتك (اه) ما نقل من تاريخ (هيرودوت) اليوناني قال المؤرخ فرانسيس لونورمان الفرانساوي وهكذا كانت خاتمة هذا الملك الفاتح الكبير غير ان السلطنة العظيمة التي كان قد أسسها كانت قد بقيت من بعده مدة حقبة من الدهور كما هو بعد مسطور

مطلب — ذكر الملك (قمبزاوقمبيزس) فاتح الديار المصرية وذكرك فتح ديار مصر بغارة الجنود الفارسية (من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٥ ق م) ولما مات الملك (كيرش) كان قد خلف ولدين اكبرهما يدعى باسم (قمبزاوقمبيزس) وكان قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والاصغري يدعى باسم (سمرديس) كان قد تقلد بالعمل على ولايتي البكتريه والبرثية من اعمال السلطنة الفارسية بشرط ان لا يدفع لآخيه خراجا غير انه يترف له بالا علوية السياسية لا غير ويمجد ان جلس الملك (قمبيز) على سرير المملكة الفارسية وجبرما كان قد ترتب من المصائب وسوء العواقب على الغزوة الماساجيتية كان قد تعلقت رغبته وتوجهت همته لان يشهر نفسه هو كذلك بفتوح البلاد ويذكر بالغزو والجهاد وأول ما توجه نظره الى فتح الديار المصرية حيث كانت لداعي ما شملت عليه من أنواع الغنى والثروة دائما تجذب اطماع الملوك الآسيين اليها وكانت تلك الديار في ذلك العصر خصوصا قد أوجبت حقد القوم الفارسيين عليها اذ كانت

قد تعاھدت مع الملك (كریزوس) ملك الیذین عایهم وكان قد وفد علی دولة ملك فارس فی ذلك العهد رجل یونانی یقال له (فانیس) (بامالة النون الموحدة) فوقية علی یاء مثناة من تحت بعد هاسین - حلة فی آخره) كان قائد الجنود الیونانیین المقیمین بالابرة فی خدمة فرعون مصر المدعو باسم (امازیس) وكان قد فر من الملك المذکور والتجأ الی ملك فارس المدعو باسم (قمبیزس) هذا فاطلعه علی حقيقة أحوال تلك البلاد ودله علی طرق الوصول بالسهولة الیها فكان ذلك موجبا لتمام التصمیم علی فتحها والتوجه الیها و بإشارة الرجل الیونانی المذکور كان الملك (قمبیزس) قد عقد معاهدة مع مشایخ قبائل العرب الذین كانت أهم الید علی الطرق الموصلة من البر الی وادی النيل وكان الملك (امازیس) ملك مصر قد مات وخلفه علی سریر المملكة الفرعونیه ولده المسمى باسم (اساماتیکوس) الثالث فقابل به بالجيوش المصریه عند فرع النيل المسمى بفرع (بیلور) (وهی ما یسمى بناحیه (تینة او القره) الآن) وكان فی جملة الجیوش الفرعونیه اوجاق الجنود الیونانیین والكاریین المستخدمین عند الدولة المصریه بالجامكية فارادوا ان ینتقموا من الرجل الیونانی الخائن هذا علی اولاده وكان قد سافر الی بلاد فارس وتركهم بمصر فاحضر وهم الی المعسكر وذبحوهم بین الصیفین وابوهم ینظر الیهم و یتفجع نفیج الوالد علیهم ثم التقی الصفان والتحم العسكران وكان الملك (قمبیزس) قد وضع فی مقدمة جیوشه جملة من القطط والبازات وغیره من أنواع الحیوانات المحترمة عند المصریین فلم یتجاسروا ان یضربوا بسهامهم علی العدو خوفا من ان تصیب تلك الحیوانات وانهرهوا الی وراء بمجرد أول صدمة حصلت علیهم وثبت مع غایة القوة الجهادیه امام الجنود الفارسیین العساكر الیونانیین والكاریین المؤجرون فی خدمة الدولة المصریه حیث لم تمنعهم مثل هذه التذقیقات الاعتقادیة واشتد القتال بینهم مدة مدیده وقتل من الطرفین عدة عديدة ثم انتهی الحال بان تمت غلبة الفارسیین علیهم لداعی كثرتهم بالنسبة الیهم ولما فاز الملك (قمبیزس) بالنصر علی جیوش مصر ارسل الیهم رسولا من قومه بمدينة (منف او منفیس) وكانوا قد رجعوا منهزمین الیها یطلب منهم ان یعقدوا معه عقد شروط یتفقون علیها فصعد النهر علی سفینه من سفن جزیره (میا این او میدبلی) الیونانیة وبجبردان وصل الی مدينة مصر القدیمة وراه أهلها علی البعد خرجوا من قاعاتهم زمرا زمرا وقبضوا علی السفینه فكسروها قطعاً قطعاً وقطعوا ركابها راكبا وأخذوها معهم الی القلعة علامة علی النصر فغضب الفارسیون من هذا الفعل الذی هو من قبیل الخیانة الاهلیة للحقوق الملیة و جاؤا الی القلعة المصریه واحاطوا بها وحاصروها وصیقوا عایها بالعنوة والقهر استولوا علیها واخذوها وقتلوا اولاد الملك (اساماتیکوس) الثالث فرعون مصر وجماعة کثیرین

من أعيان المصريين الأسورين وكان أول الملك (قمبيزس) ملك فارس قد أتى ملك مصر نفسه ولم يقتله ثم بعد مدة من الزمن أمر بقتله قتل بناء على دعوى أنه عقد عصبة وأقام قننة على القوم الفارسيين

مطلب — ذكر كيف كان سلوك الملك (قمبيزس) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر — ولما تمكن الملك (قمبيزس) من ديار مصر وتسلطن عليها ذهب إلى مدينه (سيدس) (صالحجر الآن) حيث كان قبر الملك (امازيس) فنبش قبره وأحر جرمته وأجرى عليها انتقاماً قبيحاً إذ كان يزعم أنه كان قد سببه وأذاه في مدة حياته فأمر بموميته (يعني بجثته المصبرة بالموميا) فضربت بالمناخيس حتى تمزقت وتقطعت قطعاً وتفرقت وتمثل بها غاية التمثيل والتشويه ثم ألقاها في ناراً احترقت وكان في ذلك أساءة للعقائد الدينية من وجهين (أولاً) للعقائد الدينية الفارسية حيث كانت أمة فارس تعتقد أن النار هي أكرم صورة لاله الخير المسمى عندهم باسم (ورموزد) ويرون أن من قبيل أقبح الكفر تدنيسها وتحييسها بالقاء الرمة فيها و (ثانياً) للعقائد الدينية المصرية إذ كان من عقائد أهل مصر الأصلية وشعائرهم الدينية الأهلية أن يحفظوا جثث موتاهم بغاية الدقة ومع ذلك فقد كان (قمبيزس) المذكور قد سلك في أوائل أيام افتتاحه للديار المصرية طريقة سياسية تأنيسية ومسلوك معاشرة تأليفية تبتغي مراعاة جانب الخواطر المالية والعوائد والأخلاق الأهلية ومعنى في أن يجذب قلوب المصريين بواسطة تقليد من بقي من أعيانهم بعلامات تميزا أكثر لهم منها وعلى الخصوص بإظهار العناية الظاهرة بمواد عبادتهم حتى أنه كان قد اتخذ لنفسه القابا سلطانية مصرية محضنة وأراد أن يوهم الناس أنه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية القديمة وأخذ في أنه يتعلم قواعد الديانة البادية

مطلب — ذكر غرورة الملك (قمبيزس) في بلاد الإيتيوبية (الحبشة) (في سنة ٥٢٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت ديار مصر قد تمهدت للقوم الفارسيين وتوطدت واستقرت على حالة السلم وتمكنت ولم يرقها كما في عهد افتتاح الإيتيوبيين لها واستيلائهم عليها في العصر السالف أن قام بالاقليم البحرية المسماة بالديلتة منها بعض عصب أهلية ولا حصل بها حروب خزية لقصد إخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيش الفارسية قد أفرع سائر الأمم والملل المجاورين لها جأ الليبيون (أي العريقون وهم أهل جبال برقة أي الجبال الغربية من الديار المصرية) وأذعنوا بالطاعة من غير قتال اليهم والتمروا بالملك (قمبيزس) بخراج يدفعونه إليه وبعثوا له هدايا واقتفى أثرهم في ذلك القوم اليونانيون القوريونيون (وهم سكان المدينة

المسماة الآن باسم قورين أو جريمة ببلاد المغرب) وصفاله الخال قارادان يوجه الحرب في آن واحد الى ثلاث أمم متنوعة وهم القرطاجيون (سكان مدينة قرطاجة) وهي تونس الآن) والآمونيون (وهم سكان واحات آمون الكائنة بالجبال الغربية من الديار المصرية) والايثيوبيون (وهم الحبشة) وكان اسطوله مركبا من أناس بحارة من الفنيقيين وهم الصوريون (أي سكان سواحل الشام البحريون) فامتنعوا من واقفته على التوجه للهجوم على القرطاجيين لكونهم في الاصل من اخوانهم الذين هاجروا من السواحل الشامية وصاروا بتلك السواحل المغربية نازلين ولذلك توجه (قمبزش) بجنوده الى بلاد الايتيوبية بجراة لا يتصورها العقل غير ملتفت بالكلية لما يلزم لثوة جيوشه من الذخائر الضرورية ولما يلزم لنفسه من وسائل الاحتراس والامنية ولما وصل الى مدينة (طبة) الصعيدية ووجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو خمسين الف عسكري لمحاربة الآمونيين وخراب ما كان لهم في تلك الناحية من هيكل الصنم المعبود للاقوام الليبيين باسم (آمون) وهو المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتر) وكان له فيه كهنة مشهورون بالاخبار بالمغيبات في تلك الاعصار فاسر عسكره باحراق ذلك الهيكل وما فيه من الكهنة اللذكوريين واستمر على السير ياتي جنوده الى جهة بلاد الايتيوبية وأراد أن يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند أول اعوجاجاته الكبيرة وتوغل بعساكره الكبيرة في الصحراء (المروفة الآن بصحراء كروسكو) فلما صاروا في وسط سهول متدعة من الرمال لأنهم جاز فيها ولا علف للدواب ولا ماء للشرب ولا شيء مما مطلقا ما يؤكل صاروا في مجاعة شديدة حتى أكل بعضهم بعضا واضطر (قمبزش) لأن يرجع على أثره مع قل عسكره بعد أن ترك في تلك الصحراء أكثرهم واهلك فيها معظمهم وأما من كان قد توجه منهم الى واحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثر وبقي حالهم مجعولا لغاية الآن والظاهر أنهم لم يتيسر لهم أن يصلوا الى محل مأموريتهم وأنهم هلكوا كذلك في طريق مسيرتهم بتلك الصحارى الجبلية حيث لم يرجع منهم رجل واحد الى الديار المصرية وقد روى بعض الكهنة الآمونيين أن فرقة الجيوش الفارسية من الذين كانوا قد توجهوا الى تلك الناحية لما وصلوا الى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة فدفتهم تحت جبال من الرمال حتى هلكوا جميعا بهذه الآفة السماوية

مطلب — ذكر ما عثرى الملك (قمبزش) من الجنون والاعترا بدهاء الكبر في ديار مصر (من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٢ ق م) — ولما كان (قمبزش) بكان عال من الكبر والاعترا ببلوغ المال جاءته هذه المصائب فخطت

من كبره وجرحت جرحا شديدا من غروره وجبره حتى اختل لذلك عقله واعتراه داء الجنون وعاش بعد ذلك مدة خمسة عشر شهرا لا يصدر عنه الا افعال جنونية شديدة واعمال قاسية عنيدة من أشد أفعال اختلال العقل والفتون وذلك انه لما رجع من غروره هذه الخائبة الى مدينة (منف او منفيس) كان قد وجد الاهالى المصريين مشغولين باشهار موسم معبود لهم وهو الجعل المشهور باسم (ايس) وكان قد مات لهم عجل قديم وارادوا ان يستبدلوه بجعل آخر جديد وكان من عادتهم انهم يشهرون تلك الحادثة بافراح اهلية عظيمة وخلاعات عاقبة جسيمة فتخيل له ان اهل مصر انما كان انبساطهم هذا في ذلك العصر تشمتا بما حصل له من النوائب وان تلال الامر قد عالجضرت كبار ولالة الامور اعيان الطوائف الاهلية بمدينة (منفيس) ومع ما حصل منهم من فوضى الجلال وبيان الاسباب المقتضية للاعلان بهذه المواسم المالية أمر بقتلهم فقتلوا به انهم كذبوا عليه وعشوه ثم طلب القسس والكهنة المصريين وأمر بضربهم بقضبان الحديد فضر بواو أمر بقتل كل من وجد من الاهالى المصريين مشغلا باشهار شئ من شعائر هذا الموسم الدينى ورغب فى ان يرى بنفسه ذات الجعل المعبود لهم باسم (ايس) فأتى به اليه فقال حين رآه ما معناه ان هذا لعمرى لهو المعبود الذى يليق بعقول المصريين وطعنه بسيفه فى فخذه ثم تراكت منه على رؤس المصريين مظالم شديدة وتوالت عايبهم منه مغاشم عديدة فابكر حق الملاكية فى سائر الاماكن من الديار المصرية بالسكينة وابطل سائر الشعائر الدينية أو عطلها واختل أمر الاحتفالات الجنازية واسدرا الأمر بمنعها بالسكينة مع كونها قد كانت من أشد ما تعلق به عناية الطوائف الاهلية وأكدماء تشوق اليه قوة العقائد الدينية المصرية ولم يكن القوم الفارسيون أنفسهم باكثر مراعاة ولا وقاية من شرافعال هذا الرجل المجنون المعربد على الاهالى المصريين حيث أمر أحد خواصه المسمى باسم (ايريكرا سب) بقتل أخيه المدعو باسم (سمرديس) السالى الذى ذكر فقتله فى السر وأعقب ذلك أيدضا بقتل أصغر أخواته اذ كان قد عرض عليها ان يتزوج بها على خلاف العوائد الجارية ببلاد فارس فى ذلك العصر فامتنعت الى غير ذلك من القبائح الشنيعة والقساوان البشعة التى ثبتت عنه ورويت

مطلب — ذكر تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير المملكة الفارسية ووفاة (قمبزش) بالديار المصرية (فى سنة ٥٢٢ ق م) — وبينما كان الملك (قمبزش) ملك فارس منهمكا بالديار المصرية على هذه الافعال الجنونية والاعمال العريضة كانت قد قامت فتنة عظيمة ومحنة جسيمة بالديار الفارسية وترتب عليها ان صارت مقاليد السلطنة بيد القوم الميديين مدة حقبة يسيرة من الاحقاب الزمنية وكان رأس

تلك العصابة هم طائفة المجوس وعادت ثمرتها عليهم اذ كان الملك (كيرش) اقصد ان يجذب قلوب الامة الميديه ويستميلهم اليه قد اعطى لطائفة المجوسية جاها عريضا وتأثيرا كبيرا وقد كان قصده المجوس بقيام هذه الفتنة فضلا عن الاستيلاء على ولاية الامر العمومية ان يجعلوا الامة الميديه درجة الاعلوية على الامة الفارسية ويجعلوا دين المجوسية الذي هو مذهبهم هو الاعلى على مذهب الديانة الزرادشتية المحضنة التي هي ديانة القوم الفارسيين اذ كان كل من المذهبين المذكورين على الدوام متعادين وكان كل من القومين متخاصمين فقام رجلا من اخوان المجوس وتسكفلا للقوم بتنفيذ هذه المقاصد وكان أحدهما منصوبا من لدن (قمبيزش) بمنصب نظارة الاملاك السلطانية ببلاد الميديه فقام بتدبير هذا الامر وذلك انه كان قد علم بان الملك (قمبيزش) قد قتل اخاه (سمرديس) وكان قد أسر هذا الخبر وكان اكثر الناس يعتقدون انه لم يزل على قيد الحياة وكان للمجوسي المذكور اخ يدعى باسم (جوماتيس) كان بينه وبين (سمرديس) مشابهة ذاتية شديدة فقام المجوسي المذكور ونصب اخاه (جوماتيس) هذا على سرير مملكة فارس على انه هو (سمرديس) وبعث رسلا في سائر الاقاليم والولايات الفارسية وعلى الخصوص في الديار المصرية يعرفون العسكر بعدم الطاعة الى (قمبيزش) وانهم لا يعترفون من الآن فصاعدا بالسلطنة (سمرديس) ابن (كيرش) اوقيروس فلما بلغ (قمبيزش) خبر هذه الفتنة عزم على ان يسافر من بقي على طاعته من الجنود الى بلاد فارس وتجهز للسفر الى قاعدة مملكته وهم بان يركب حصاه على وجه عنيف كما يفعل المجنون بفرح نفسه جرحا شديدا بذات سن سيفه ومع وجود هذا الجرح امر بان يحمل على نعش فتجهز له وسار عليه مسافة من الطريق ثم غلب عليه تعب السفر فتفرح الجرح وهضل الداء واستوات عليه التعثرينة فهلك به في قرية حقيرة بالشام

مطلب — ذكر مدة تلك المجوسي (جوماتيس) باسم (سمرديس) واستيلاء (دارا) اودار يوس) على سرير الملك الفارسي (من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٢١ ق م) — ولما مات (قمبيزش) ظن (جوماتيس) المجوسي المذكور انه قد ثبتت اقدامه على سرير مملكة فارس بالوجه القاطن فاقام على سرير الملك الفارسي مدة بعض شهور يحكم البلاد ويلى امر هؤلاء العباد باسم (سمرديس) بدون منة من بكر عليه والامتناع ينازعه في ذلك وكان قومه المجوسيون لم يزالوا يفعلون على اعدائهم الفارسيين الزرادشتيين من افعال التشفيات الغلية الناشئة عن التعصبات الدينية الجهلية والتخرجات الملية ماسا من سيرته وشاعت قباحتها بين الناس حيث كانوا قد عذبوا امناء الديانة الزرادشتية وآخر بواعيدهم واتفقوا احوالهم بالكلية فاراد (جوماتيس) المذكور ان يستعمل

قلوب الرعية اليه و يعادل سوء ميرة قومه المجوسيين المذكورين بانعطاف الناس عليه فامر بأن كل من كان له ثلاثة أطفال من الرعية يعفى من كل خراج وخدمة عسكرية ومع ذلك فقد كان السر الذي هو فيه مستتر لكي لا تعرف حقيقة حاله قد انكشف وظهر وذلك ان رجلا فارسيا يدعى باسم (اوتانيس) كان واليا له على اقليم (القادوسية) الجنوبية وكان له بنت كانت في جملة نساء المجوسى (جوماتيس) المزور باسم (سمرديس) هذا فتهطن لتزويره وتيقن من حقيقة حاله وتعيينه واسر بذلك الى بعض اعيان قومه الفارسيين فاجتمعوا على الفور وتذاكروا فيما بينهم وتدبروا في وسائل عزل هذا الرجل المتعبدى على كرسي مملكتهم بطريق الغش والتزوير وكان المتواطئون على هذا الامر سبعة نفر كان من جملةهم رجل يدعى باسم (دارا اوداريوس) فاشار عليهم بانه يلزم ان يتوجهوا في الحال ليجمعوا على الملك المجوسى في قصره ويقتلوه فوافقهم جميعهم على ذلك ولم يتأخر وان ذهبوا اليه في الحال وهجموا عليه في قصره من غدره ولا اهمال وقتلوه هو وكل من صادفوه معه في القصر الملو كى من المجوس وبلغ هذا الخبر الى مدينة (ايكباتان) (همدان) فقام اهلها الفارسيون وفي ايديهم السلاح وقتلوا كل من لاقوه في طريقهم من القوم المجوسيين تشفيا للغيل صدورهم من جراءة تعذيبهم عليهم واستلاب قضيب الملك بطريق الغش من ايديهم وحصل مثل ذلك في أغلب المدن ببلاد فارس كلها بل اتخذوا مثل ذلك اليوم من كل سنة عيدا اهليا ونورا وزامليا يشهرون فيه هذه المقتلة الداخلية ولم يزل هذا العيد شهر عندهم لغاية القرن التالى لذلك العصر حتى ذكره الماورخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه المروى عنه غير مرة اعلاه وسماه بما معناه (موسم مقتلة المجوس)

ولما تمت هذه الفتنة على الوجه المذكور آنفا اجتمع السبعة نفر المتعصبون وتشاوروا بينهم في كيفية هيئة الحكومة التى تليق بحال بلاد فارس اذ كان فرع بيت الملك المستقيم من آل (كيرش) قد انقرض فيها وبعدها كره طويلا ومجادلة جادة عميقة فيما يترتب من الفوائد والمضار على كل واحدة من انواع الحكومات الثلاثة التى هى الحكومة الملو كية او السلطانية والحكومة السيادية والاعيانية والحكومة الاهلية او الجمهورية استقر رأيهم على ان النوع الاول هو اجودها واحسنها وانه هو الذى بها احوال بلادهم واتقنها واجمعوا رأيهم ايضا على طريقة مخصوصة ينتخبون بها الملك الجديد وهى انهم اتفقوا على ان يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم القدر وهم راكبون على صهوة افراسهم امام المدينة واول من يسلم على الشمس وهى طالعة بأول صهيل حصانه صار هو الملك المتقلد بتاج المملكة دون غيره منهم وكان الذى فاز بقصة السبق فى حومة هذا

الميدان بواسطة حيلة وخديعة حصلت من سائس رحكابه هو المدعو منهم باسم (دارا اودار يوس) بن (جوستاب او هيستاب) ولذلك صار هو السلطان في (سنة ٥٢١ ق م) وهو رجل من نسل الملك (اشيمونوس) من خامس جيل ينتهي اليه بواسطة اخ ثان لوالد الملك (كيرش او قيروس) كان يسمى باسم (ار يارامنيص) كان والده (دارا اودار يوس) المدعو باسم (جوستاب او هيستاب) المذكور واليا للملك جوماتيس المجوسي على ولاية فارسستان الاصلية وبقى على هذه الوظيفة بعد تقليد ولده بتساج المملكة الفارسية (ولد ل الملك (اشيمونوس) هذا الذي جعله اليونان مؤسس العائلة الملوكية الفارسية المسماة عندهم باسم الدولة (الاشيمونوسية) وهي غير العائلة المسماة عند فارس والعرب باسم الدولة (الكيانية) هو عين الملك المعروف في كتب مؤرخي فارس واهرب المذكورين بالقب (كيقباد) حيث جعلوه هو اول الدولة (الكيانية المذكورة)

مطلب — ذكر ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الازمان (من سنة ٥٢١ الى سنة ٥١٤ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكروالبيان اعلاه بعد ذلك مامعناه ولما جلس (دارا) على سرير ملكة فارس قام عليه عدة ثورات شديدة وسلسلة فتن هائلة عنيدة كان مبداءها من عهد سلطنة (جوماتيس) المجوسي المتشبه بذات (سمرديس) السالف الذكروحدث بعضها بمرد صعود (دارا) نفسه على كرسى المملكة الفارسية في ذلك العصر فكث مدة ست سنوات وهو على قدم الحرب والقتال حتى اطفأ نيران ذلك لانه تلال واستأصل تلك الفتن كلها وتوصل لان اقرله بالمملكة سائر العباد في سائر سعة تلك البلاد التي كانت تابعة للدولة الفارسية بتمامها ولم تكن تلك الحركات عبارة عن مجرد ثورات اهلية ناشئة عن بعض أهواء وقتية او بعض مظالم محلية اودسائس طامعية صادرة عن بعض أعيان من كبار الزوائف الالهية بل كان اكثرها ناشئة في الانظار الارضية التي كانت توجد فيها مخاصمات قومية توجب نفور أهلهاء عن الدخول تحت طاعة الدولة الفارسية وتمييزهم عنها لركلية لدا هي تذكر ما بقي اهتم عنهم من احوال الاستقلالية والامتداد بالنفس

الملية

وبالجمله فقد كانت أغلب نواحي السلطنة الفارسية على التعاقب اودفعة واحدة ميدانا لتلك الفتن الداخلية والثورات الالهية فكان الخروج عن الطاعة السلطانية قد حصل اولاً ببلاد السوسية بل في بلاد الولاية الفارسية الاصلية نفسها ولكن الظاهر ان أشد الامم الخارجية عن طاعة السلطنة الفارسية مداومة وهذا في تلك الحقبة العصرية كنزاهم القوم الميديون لدا هي ايغار صدورهم بما وقع عليهم من قرب عهد من ازال التماكل

لهم من الدولة القوية ودرجة الاعلوية ولا سيما بحادثة مقتل خرقة المجوس الذين هم طائفة
 آمناء ياتهم الاهلية والارمنيون لداعي ما كان قد قام بقلوبهم من الحقد والضغينة من حيث
 كون الدولة الفارسية قد عامتهم بصفة الرعية والقوم المغاويين مع كونهم كانوا يرون انهم
 انما هم بالنسبة اليها خصوصاً من الاقوام المتخالفين فقط والبابليون لداعي ان الفارسيين كانوا
 قد فقدوا حريتهم وأزالوا دولتهم واستولوا عليهم من عهد قريب قال المؤرخ فرانسيس
 لونورمان المروى عنه اعلاه نقلاً عن كتاب المؤرخ (رويو) الفرنسي بعد ذلك ما معناه
 ولم يحك المؤرخ (هيردوت) اليوناني في هذا الموضع من تاريخه مما يتعلق بهذه الحوادث
 الثقلبية غير مقدار يسير من الاخبار التاريخية وان كانت قد شغلت أوائل مدة حكم
 الملك (دارا) من تلك الاحقاب الدهرية وكان الذي تعرض لذكره منها هو أهمها في الجلة
 ثم حصل الثور في هذه الحقبة العصرية على الاثر اقديم المشهور باثر جبل (بيستون)
 وجاءنا هذا التاريخ المسطور فقص لنا قصة تامة لهذه الوقائع الدولية الفارسية (قال المؤرخ
 فرانسيس لونورمان) المذكور في تاريخ بلاد المشرق القديمة الكبير بعد ان قص ما حكاه المؤرخ
 (هيرودوت) في تاريخه مانصه هذا ما رواه المؤرخ (هيرودوت) في تاريخه ولقد اكد كل
 ما قاله في هذا الشأن وتم بعض ما نقص منه مع غاية الايضاح والبيان ما عثر عليه في هذه
 الايام الاخيرة من الاثر المكتوب ذي الاهمية الكبيرة حيث جاء تحقيق أعظم التحقيق
 وصدق كل التصديق على الحقيقة التي ذكرها هذا المؤرخ اليوناني الشهير بأبي التاريخ
 وذلك هو ما وجد مسطوراً على جبل (بيستون) وهو صخرة توجد على نحو مسجلة من شمالي
 مدينة (كرمانشاه) على يسار الذهاب من مدينة بغداد الى همدان الآن أعني في إقليم
 كردستان الفارسي اى الارض التي كانت تعرف في قديم الزمان باسم (الميدية) وصخرة
 (بيستون) هذه هي ما كان يسمى عند علماء الجغرافية السالفين المتداولة كتبهم في مدارس
 الاوروپا وبين باسم جبل (داجستان) وهي صخرة ترتفع ارتفاعاً قابلاً بقدر ٤٥٦ متراً
 وجد على جانبها رسم صورة منقوشة بالنش البارز الجسم والنحت المعظم ودونها اثر قديم
 مسطور مستطيل العبارة الى غاية بليغة بحيث ان السياح المشهور باسم (كيربورتر) قال
 في رحلته انه يلزم لنسخة لا اقل من مدة شهرين وذلك هو صورة ملك جالس على هيئة
 الهدء والسكون في مجلس احتفال يقدم اليه فيه صورة أعداء مأسورين وهو يدوس
 تحت أقدامه رمة رجل مغلوب وهذا الملك هو (دارا أوداريوس) والرجل الذي
 يدوسه تحت أقدامه هو المجوسي (جوماتيس) وهؤلاء المأسورون هم رؤسا اقوام كانوا
 قد استمروا فرصة من تعدى المجوسي المذكور على كرسي السلطنة الفارسية فأثاروا الفتن
 الداخلية وبخروجوا عن الطاعة السلطانية في سائر الاقاليم الفارسية والذي استكشف

هذا الاثر العظيم وعرف ذلك الكتاب المسطور الكريم وترجمه ونشره في عالم المنشورات العلمية هو (الجنرال راوولنسون) الانجليزى المشهور وهو محرر النقش والتعبير بثلاث لغات مما وهى اللغات الرسمية والجهات الدولية التى كانت مستعملة في ديوان كتابات الدولة الفارسية الكيانية في تلك الحقبة العصرية أعنى اللغة الفارسية والميدية والاسورية اقتص فيها قصة استيلاء الملك (دارا) المذكور على سرير المملكة الفارسية وحوادث مدة سلطنته لغاية سنة ٥٩٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى أنفس أثر يؤثر ويستند اليه واصدق تاريخ مسطر يذكرو بهتد عليه في حقيقة تاريخ ذلك العصر ولذلك رجعتنا اليه واعتمدنا عليه في كثير من مواضع هذا التأليف لداعى كونه مخصصا قد ترجمه الى اللغات الاوروبية أولا جناب (الجنرال راوولنسون) الانجليزى المذكور ثم جناب (المونسى أو بير) السباح الفرنساوى المشهور وبذلك صار هذا الاثر المأثور الآن سهل التناول والاطلاع عليه من كل أحد (انتهى ما اردنا نقله من كتاب تاريخ المشرق الكبير للؤرخ فرانسيس لونورمان ور جعنا النقل من تاريخه الصغير)

قال المؤرخ المذكور نقلا عن تاريخ (رويو) المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهذا الاثر الذى هو اطول اثر قديم عثر عليه في الدنيا ينسب لها كان قد نقش في الحجر باسم الملك (دارا) على جانب جبل ببلاد الميدية محرر بثلاث لغات اصلية كانت هى اللغات الثلاثة الرسمية المستعملة في ديوان كتابات الدولة (الاشيمونوسية أو الكيانية) وكانت كلها تكتب بالحروف المعروفة بالسنانية وهى الفارسية والميدية والاسورية وهى عبارة عن قصة بجميع الحوادث والغزوات التى فعلها هذا الملك من اول قتل (جومتيس) المجوسى المتشبه بذات (مهرديس) الى ان ثبتت اقدامه على سرير المملكة الفارسية وتم له الاعتراف بالسلطنة في جميع الاقطار التى كانت تابعة لهذه الدولة المتسعة الآسية وباعلى كتابة الاثر المذكور رسم صورة مجسمة هائلة بقلم النقش البارز في ذات النهر المسطور تصور فيها ذات صورة (دارا) على هيئة الدائس تحت اقدامه رمة (جومتيس) المجوسى وامامه صورة عدة من رؤساء الفتن التى كانت قد قامت على دوائه فاطاعهم اهوائه بوقت جلوسه على سرير مملكته وفي رقابهم اغلال الحديد ويان ذلك كما هو المحض من الاثر المروى عنه اعلاه هو كما سطر ادناه

وهو ان بلاد السوسية كانت قد قامت اولا وانارت فيها الفتنة وخرجت عن طاعته وثارث معها ايضا مدينة بابل تحت رياسة رجل زعم انه ابن الملك (نابرينيد) الذى هو آخر ملوكها فتوجه اليهم (دارا) بجنوده وقتلهم أشد القتال وحاربهم اجدا بالحرب والنزال وبعد ان انتصر عليهم نهري عظيمين (احدهما) على شواطئ نهر الدجلة (والثانية) على

شواطئ القرات كان زعيم القوم البابليين قد انهزم والتجأ الى داخل مدينة بابل ومكث فيها مدة مديدة محصو را يذب عن نفسه

وحكى قصة ثوران هذه الفتنة بمدينة بابل المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في آخر المقالة الثالثة من تاريخه المشهور فقال ان هذا الحصار كان قد مكث مدة عشرين شهرا ولم ينته الا بواسطة خيانة وخديعة حصلت على يد رجل فارسي يقال له (زوير) (بالزاي المجمة في اوله يليها واو فياء موحدة فارسية مكسورة بعدها ياء مشناة تحتية ساكنة فراعهم هملته في آخره) كان للملك (دارا) من الخدمة الصادقين والاولياء الذين هم لمصلحة اسيادهم المالكيين لا رواحهم من الباذلين وكان من هؤلاء الرجال الذين يقوم بهم الحمية الملكية اى التعصب لبعض الدول السلطانية او الحمية الوطنية فتحملهم على ان يفعلوا بنفوسهم افعالا عجيبة واعمالا غريبة وكثيرا ما يوجد من امثال هؤلاء الرجال في التواريخ البشرية فقطع انفه واذا نه وذهب على هذه الهيئة المشوهة الى القوم البابليين لقصد ان يوهبهم ان الملك (دارا) هو الذى فعل به تلك الفعل القاسية وانه انحاز اليهم لينتقم لنفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فتمت عليهم هذه الحيلة وصدقوه واعتمدوا عليه ووافقوه فسلم مدينة بابل للملك فارس بواسطة هذه المكيدة وبينما كانت الجيوش الفارسية محاصرة لتلك المدينة السكادانية كانت قد قامت فتنة اخرى متسعة شديدة في الافاليم الشمالية وذلك ان كلاما من الامم الميديين والاسوريين والارمن كانوا قد اتحدوا بعضهم مع بعض وتعصبوا على القوم الفارسيين لداعي ما هو قائم بقلوبهم من الحقد التام والضغن العام عليهم وانقلب ايضا اليهم اهالى ولاية (المرجيان) وغيرها من الولايات الشمالية الشرقية فاعانواهم على ذلك حتى قامت فتنة ثانية ببلاد السوسية مع كونها قريبة من مركز السلطنة الفارسية ولكنها كانت وقتية حصل تسكينها في برهة يسيرة من الزمن بخلاف الفتنة العظيمة التي كانت قد قامت ببلاد الميديية اذا كان رئيس هذه العصبة الاهلية كما هو نص ما سلف ذكره من تلك الكتابة الاثرية قد ادعى انه ابن (سياكزار) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان يعنى من غير شك انه زعم كونه حفيد الملك (استياج) اخو ملوك بلاد الميديية وانه كان قد منع عن حق استيلاء التملك عليها لداعي سبق تقليد الملك (كيرش) بتساج المملكة اليم) ولذلك وجه الملك (دارا) نحو بلاد الارمن والميديية معارح باشددة مكثت مدة مديدة مع غاية الهمّة والشهامة العنيدة واقامت مادامت مدة حصار مدينة بابل واضطر الملك (دارا) ايضا لارسال احد قوادعسكره لاستئصال الفتنة القائمة بولاية (المرجيان) حتى قامت عليه فتنة أهلية اخرى ايضا في ذات اقليم (فارستان) من رجل منازع له في سرير الملك ثان باسم (سمرديس) السالف الذكر والبيان ثم أعقب ذلك في متن الاثر المذكور أعلاه

ذكر عدة فتن أخرى عديدة وقيامات أهلية جديدة (أولا) بولاية (آرا كوزيا) ثم بعد ذلك بابل مرة ثانية إذ كان قد قام بهامدع آخر يزعم أنه ابن للملك (نابونيد) ثم ببلاد (السوسية) وبلاد القوم الساسيين بعن القباطل (السيديين) الذين كانوا داخلين في ضمن السلطنة الفارسية غير أن تقاصيل جميع هذه الفتن الأخيرة لم تزل مجهولة الحال ولاكن كلها حصل اطفائها بعناية الملك (دارا) بالقطع والاستئصال (انتهى ما نقل عن تاريخ المؤرخ (رويو) المنقول عنه اعلاه)

مطلب — ترتيب الاسترايات بالسلطنة الفارسية — قال المؤرخ فرانكيس لورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان (دارا) بعد أن ادخل تحت طاعته السلطانية سائر الاقاليم التي كان قد اطاعها الملك (كيرش) من قبل للدولة الفارسية قد اجري تقسيمات سياسيا جديدة وعمل ترتيبا اداريا سديدا في الخطط الارضية والافطار المدعنة لصولته بصفة الرعية لقصد توثيق جباية التواضعات السلطانية على وجه الانتظام وتقوية سرعان نفوذ ولاية الامر العمومية المركزية في سائر اجزاء جسم السلطنة الفارسية اعني في جميع الولايات والاقاليم التي كانت لها بالتبعية ولأجل التسوية بين اهمية المراتب العسكرية الكبيرة فقلد بتلك المناصب الجهادية الطيبة قوادا ثانيا وبالترتيب (استراب) وسمايت الولاية المنوطة لعهدتهم باسم (الستراية) وهي عبارة عن وظيفة عسكرية وملكية معا يعني انه اناط اليهم قيادة العسكر الموضوع في كل ولاية لغرض حفظها مع وظيفة جباية الخراج السلطاني المضروب عليها فتقسم سائر البلاد التابعة الى السلطنة الفارسية في تلك الحقبة الزمنية الى تسع عشرة ستراية وقد كان الغرض الاصل المقصود لذلك (دارا) من احداث هذا الترتيب الجديد هو ان يغير ما كان قد سلكه اهلانه من قبله في تقسيم ولايات السلطنة الفارسية على منقضى الطريقة الطبيعية وهما (كيرش وقمبيز) حيث كانا كما افتتحا ملكا اجنبية تركاها على كيفية تقسيمها الاصلي كما اني اهما جولا كل ملكة كانت مستقلة مجرد ستراية ملحقه ببلاد الدولة الفارسية فقط فلما جاء (دارا) وزع سائر بلاد السلطنة الفارسية توزيعا جديدا وفسهاة. سياسيا سياسيا سديدا اعني على حسب اقتضاه الاحوال السياسية والطرق الاحتراسية اى على وجه بحيث يصعب على الامم والملل الداخلين تحت طاعة الدولة الفارسية ان يشيروا الى اهلية ويخرجوا عن طاعة الدولة السلطانية الاصلية اذ كان الملك (دارا) قد ظهر له بالتجربة في مبادئ مدته حكمه بكثرة الفتن التي قامت عليه ما يوحد من الخطر في طريقة التقسيم القديمة ولذلك عدل عنها الى هذه الطريقة الجديدة

وهذه هي قائمة السترايات الفارسية اعني الاقاليم والولايات التي سكنت تابعة للدولة الفارسية

الفارسية وكان قد وضع عليها (ستراب) بمعنى العامل او الوالى من طرف السلطنة الاصلية حسبما كان قدرتها (دارا) كما سطرها المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه ولم تكن ولاية (فارستان) الحقيقية مندرجة فيها لداعى ما كانت عليه من الاحوال السياسية المختصة بها ولم تكن تدفع خراجا للخزينة السلطانية كساتر الولايات الفارسية الشاهانية وذلك كالمصر وديعد

(اولا) الاقوام اليونانيون المتوطنون ببلاد اسيا الصغرى (وهى بلاد الاناضول الآن) وهم اليونانيون والماسيون والاليوليون مع اقليم (كاريا) (وهى لواء منتش) واقليم (ايسيا) (لواء تسكة) وولاية (بنفيليا) (وهى الجزء الغربى من ولاية (ايتشيل) مع الجزء الجنوبى من ولاية الاناضول الآن)

(ثانيا) سترابية (الميديا) (وهى الجزء الغربى من ولاية الاناضول اعنى صوراخان وما يليها من تلك البلدان) وولاية (الميزيا) (وهى لواء قره منى وغيره من البلاد المجاورة لبلاد اسيا الصغرى) مع سائر القبائل المتوطنة بالجبال الكائنة فيما بين هاتين الولايتين (ثالثا) سترابية سواحل بوغاز (هيليسبون) (وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنى قلعه) الآن) مع ولايات (افريجيا) (وهى تقرىسا ما يعرف الآن بالوية قونية وآق مرأى وآق شهر ببلاد القرمان ولوائى كوتاهية وقره حصار ببلاد الاناضول) و (بشنيا) (وهى الجزء لشمالى الغربى من ولاية الاناضول) و (بفلاجونيا) (وهى ما يعرف الآن بلوائى قسطمونى وكيا نجارى) و (القابادوسيا) (وهى الآن جزء من لوائى سيوة و بلاد القرمان)

(رابعا) سترابية (سيليسا) (وهى ولاية (سلفتش وادنه) الآن) (خامسا) سترابية بلاد (فنيقيا) والشام وفلسطين وجزيرة قبرس (سادسا) سترابية مصر وبلاد (ليبيا) (وهى الجبال الغربية من الديار المصرية) و بلاد (القيرونية) (وهى بلاد برقة الآن) (سابعا) سترابية بلاد (الساتاجيتيين) و (الجندريين) و (الداديسيين) والاباريثيين وكل هؤلاء هم اقوام من الامم الاقدمين كانوا متوطنين فى الجبال السكائنة فى اعلى نهر السند (ثامنا) سترابية بلاد السوسية (وهى خوارزم الآن) (تاسعا) سترابية بلاد بابل والاسورية (بلاد العراق العربى القديمة) (عاشر) سترابية بلاد الميدية (وهى بلاد اذربيجان والعراق العجمى الآن) (حادى عشر) سترابية بلاد (هركايا) مع ما فيها من الاقوام الشتى وهم (الكاسيون) و (الينثيمانيون) و (الداريتيون)

(ثاني عشر) سترابية بلاد البكرية (وهي الآن غانية بلغ بلاد تركستان المستقلة)

(ثالث عشر) سترابية بلاد الارمن مع بعض الانحطاط المجاورة لها

(رابع عشر) سترابية بلاد الاقوام المعجمين باسم (السايارتيين) و (الساينجيين)

و (الطامانيين) و (الميزيين) و (الاوليين) والظاهر ان جميع هؤلاء الاقوام كانوا هم

اهل بلاد القرمين و بلاد (السوجديان) الاقدمين ومسكان الجزائر السكانية في مدخل

الخليج الفارسي في تلك الازمان

(خامس عشر) سترابية بلاد (الاسيين) وهم قوم من الاقوام السيتيين كانوا متوطنين

حوالي منابع نهر سيحون

(سادس عشر) سترابية بلاد (البرثية) و (الخوارزمية) و (السوجديان) و بلاد

(الآرية)

(سابع عشر) سترابية بلاد (الباريكانيين) و (الايثيوبيين) يعني الحبشة او الكوشيين

المتوطنين ببلاد (جندوزيا) (وهي المسماة ببلاد مهران الآن)

(ثامن عشر) سترابية بلاد (ايبيريا) و (البانيا) وهي البلاد السكانية فيما بين نهر

(آراس) وسلسلة جبال قوقازة

(تاسع عشر) سترابية بلاد بحر (بنطش) وهي قطر من بلاد (آسيا الصغرى) مع

ما كان متوطنا فيه من الاقوام الصغرى والامم الكثيرين وهم الاقوام المعجمون باسم

(الموشيين) و (الطبارانيين) و (المكرونيين) و (الموزيناكيين)

هذه هي قائمة ببيان السترايات الفارسية حسب ما ورد في المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في

تاريخه وكما كان قدرتهم الملك (دارا) ولما غم الملك المذكور الى عمله بالبلاد السكانية

على الشاطئ الايمن من نهر السند جعلها سترابية ممتدة لعشرين وحينئذ فقد كان عدد

السترايات اى الاقاليم التابعة للسلطنة الفارسية في عهد (دارا) عبارة عن عشرين

سترابية فقط وكان المؤرخ (هيرودوت) المروي عنه اعلاه قد جمع سائر مبالغ

الخراج المتحصلة من الاقاليم الفارسية المذكورة وحول النقود الفارسية الى النقود

اليونانية فبلغت قيمة الواردات للدولة الفارسية من العشرين سترابية المسروقة اعلاه في

كل سنة مبلغ ١٤٥٦٠ تالانا بسكة مدينة (اتينه) وذلك يساوي بالوزن مبلغ ٨٢

مليوناً و ٧٩٩٨٦٦ فرنكا بالسكة الفرانساوية واذا نظرنا لما كانت عليه قوة

الفضة في ذلك الزمان بالنسبة لما هي عليه الآن صح لنا ان نقول ان مبلغ ايراد الدولة الفارسية

المرقوم اعلاه بضاهاى قيمة حقيقية تبلغ ٨٦٢ مليوناً و ٣٨٢٩٢٨ فرنكا

مطلب — ذكر بيان طريقة ولاية الاقاليم بالسترايات — قد كان سائر

العمال الملقين بلقب الستراب للدولة الفارسية في درجة متساوية بعضهم لبعض وكانت درجة نفوذهم فيما يتعلق بالمواد العسكرية والمالية متحدة غير أن طريقة الإدارة الداخلية التي كانت تجري في كل سترابية من تلك السترابيات هي التي كانت مختلفة ولم تكن على وتيرة واحدة بل كانت السترابيات الفارسية كما كان الحال كذلك في السلطنة الاسورية على ضربين (الأول) الاقاليم التي كانت يوضع عليها ولاية أو عمال بطريق المباشرة من طرف السلطنة الفارسية المركزية أعني أن إدارة أمورها كانت جارية على مقتضى القوانين السلطانية الأصلية و(الثاني) الاقاليم التي كانت ملحقة بها بمجرد علاقة التبعية أي على وجه كونها تابعة للسلطنة الأصلية بمعنى أنها كانت باقية على حالة الاستقلالية الداخلية بحيث تجري إدارة أمورها بمقتضى قوانينها الخصوصية و يوضع عليها ولاية أو عمال من اعيان طوائفها الأهلية فاما الضرب الأول فقد كان من جملة ما كان الباعث على التشديد عليه وتضييق حبل ارتباطه بقوة النفوذ المركزية هو خشية أن يحصل فيه الثورات الأهلية والقيادات المليية المتكررة على الدولة السلطانية الأصلية مثل ولاية الميديّة والبابلية والميدية ومنهما كان الباعث على ذلك فيه هو كونه محطات بحرية وواقع غس عسكري أصليّة للاسطيل الحربية الفارسية بحيث يلزم جعلها تحت مباشرة إدارة السلطنة العليا لداعي أنها من حيث كونها جهات ثغرية بحرية هي ذات أهمية قصوى مثل الديار المصرية وولاية السيليسية ومنهما كان الباعث على التضييق عليه وجعلها تحت مباشرة الاوامر والنواهي السلطانية كونه قد كان قبل ذلك تحت طاعة الدولة الميديّة مثل ولاية البكرية وما يليها من الولايات المجاورة لها فقد كانت طريقة سياسة السلطنة الفارسية من حيث إدارة الاقاليم التي هي من هذا الضرب جارية على مقتضى العوائد القديمة فلم يكن الستراب المتولي عايمًا قلداً فقط بقيادة الجنود المروضين فيما للمحافظة عليها و جباية الخراج المضروب عليها بل كان منوطا اليه أيضا إدارة سائر أمورها وجميع تفاصيل تدابيرها بأن يقلد من طرفه سائر العمال والولاة اللازمة لمباشرة سائر المصالح فيها وكان من أهم ما يوكّل اليه واعظم ما يوصى عليه بأن يلتفت بالخصوص اليه و يعتنى به هو العناية التامة في كل سترابية بمصلحة الفلاحة إذ كانت زراعة الارض من أهم ما تهتم به الامة الفارسية هذا فيما يتعلق بالسترابيات السكّانة تحت مباشرة الدولة السلطانية

وأما في البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الفارسية بمجرد علاقة التبعية فقط فقد كانت وظيفة الستراب مقتصرة في مجرد قيادة الجنود الموضوعين في القلاع والحصون والمواضع العسكرية ذات الأهمية منها للمحافظة عليها و جباية الخراج المضروب عليها وبمشة الى الخزان السلطانية لا غير ولا يتعلق له بشئ من أمور الإدارة الداخلية غير أنه كان له حق

للمنسبة والثقتين والملاحظة بوجه عام على ولايات الامور الاهلية المنصوص بين مناصبهم
الاصلية كما كانوا قبل فتح بلادهم لطاعة السلطنة الفارسية وقد كان منصب الستراب
في تلك البلاد بتلك الاحقاب الزمنية أشبه شئ بمنصب عمال الدولة الانجليزية الموضوعة
في هذه الحقبة العصرية عند بعض ملوك الهند البليدين المعينين باسم (راجا) عني
الملك البلدي المتقلد بمنصب الملك الاهلي في بعض الممالك الهندية التابعة للملكة
البريطانية مجرد علاقة التبعية فقط وقد كان من جملة السترابيات الفارسية سترابيتان
متميزتان على وجه بحيث كانتا متصورتين في هيئة ملكيتين كئيتين وولايتين تكادان
ان تكونا تقر بيا مستقلتين اذ كان الرئيس عليهما يتولاهما بطر في التوارث وان كان يلقب
كغيره من ولايات اقاليم الفارسية بلقب الستراب غير انه لم يكن يوضع عنده عامل ينصب بطريق
المباشرة من طرف الدولة السلطانية وهما السترابية الثالثة عشرة والتاسعة عشرة عني
ولاية ارمنية وولاية بنطش فاما بلاد ارمنية فانها الداعي ما كان حاصل من الصداقة للسلطنة
الفارسية من طرف ملك ارمنية المدعو باسم (يجران) الاول ومن خلفه على سر بر
ملك ارمنستان كانت قد اعطيت لها هذه المزية السياسية على خلاف المعتاد في سائر
الاقاليم التابعة للدولة الفارسية واما بلاد (بنطش) فانها وان كانت لم يسبق لها كبلاد
ارمنية انها كانت ملكة مستقلة قديمة بل كانت مكونة بمجموع أهم متصرفين واقوام بعضهم
عن بعض مستقلين لغاية ان افتحها الملك (كيرش) وضمه للمملكة الفارسية وكانت
من ذلك الوقت قد اجتمعت وانضمت ووضع عليها ملك من فروع العائلة المالكية الفارسية المسماة
باسم (الاشيمونوسية او الكيانية) كان يدلي لبيت الملك الذي منه (دارا) بدرجة نسبة
قرية جدا فلذلك اعطيت لها أيضا هذه المزية السياسية

وفيما عدا هاتين السترابيتين المذكورتين آتقا كانت حادثة ترتيب السترابيات التي كان
قد أحدثها (دارا) بناء على ما كان جاريا من قبله عبارة عن كونه قد جمع كل عدة
ولايات كانت محكومة أولا بعدة ولايات امور اهلية ورؤساء محلية كان اغايم بلقب أولا
بلقب الملوك وجعلها كلها سترابية واحدة أعني عمالة واحدة سياسية تابعة للدولة الفارسية
وذلك لقصد ان يستوثق ولا يخشى من كون الستراب المنسوب من طرفه عليهما يتصرف له
بالسهولة ان ينتهز الفرصة اذا كان مستوليا على دولة واحدة من ميل تلك الملة للخروج عن
طاعة الدولة الاجنبية فيتحكم بها ويجعل مصلحته مصلحتها ويخرج بذلك عن الطاعة
السلطانية وبقوز بالاستقلالية وكان من جملة ترتيب السترابيات بالدولة الفارسية أيضا ان
الملوك التابعين للدولة السلطانية مجرد علاقة التبعية فقط لم يستمر وفي عهد (دارا) على
ما كان لهم في عهد أسلافه (كيرش وقمبيزش) من التصرف التام وولاء الامم العام

على بحالهم بل كان دائما يوضع عندهم عامل فارسي يصب عاينهم من طرف الدولة السلطانية المركزية ليكون نائباً عنها ويكون له اليد الطولى عليهم وكان له المرتبة العليا فوقهم بحسب ترتيب درجات أرباب المناصب السياسية والمراتب السلطانية الفارسية ولما كان ملك فارس في تلك الاحتماب الدهرية يوجد تحت طاعته السلطانية عدة امراء مسئولين على امارات ارضية ووجه ملوك طوائف كثيرين كانوا له بالتبعية كان الملك الكياني يلقب في ذلك العصر بملك الملوك أو بالملك الاعظم والا كبر

مطلب — بيان ما ترتب على ترتيب السترايات من المترتبات قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك مامعناه هكذا كانت طريقة الخطط الارضية والتقسيم السياسية والمالية حسبما كان قدرتهما (دارا) في بلاد السلطنة الفارسية وقد حصل فيه بعض تغيير وتبدل وجرى عليه بعض اصلاح وتكميل في كثير من التفاصيل غير انه بقي على حاله الاصلى واستمر على حسب الترتيب الاولي فيما يتعلق بالخطط الارضية الاصلية والاصول السياسية الاساسية لغاية ان جاء الاسكندر الاكبر وافتتح الممالك الآسية

وقد كان من مقتضى هذا الترتيب ان الملك هو الذي ينصب السترايين ويعزلهم واكل مخالفة للاوامر السلطانية كانت تعد من قبيل العصيان والبنى على السلطان والمخرج عن طاعة ولي الامر الفارسي فيرتب عليها في أغلب الاحيان قتل المرتكب لذلك الذنب وأدنى تهمة تكفي لضباع أى ستراي كان من ولاية الاقاليم الفارسية وذلك انه قد كان يرسل اليه بمجرد السعي عند السلطان الاعظم رسول مخصوص ومعه سند توكيل عام وترخيص تام من طرف السلطان للحرس بان يقتلوا الشخص العاصي فينفذوا الامر السلطاني على الفور من غير تأخير ولا نوان وقد كانت دولة فارس لاجل سرعة المواصلات بين الاقاليم التابعة اليها قد رتب معاة على خيول موزعة على محطات بين كل واحدة والثانية مرحلة يوم كانوا يحملون اوامر الملك الى السترايين وراسلاتهم الى الدولة العليا وهذا هو ما يعرف بالبريد وهو من اختراعات (دارا) وقد كانت هذه الطريقة مما يسهل على ان نفوذ الدولة المركزية في سائر اجزائها الفرعية ومع ما كان حاصل من ملوك فارس من الاحتراسات الشديدة والاحتراقات الاكيدة لقصد مراقبة احوال ولاية الاقاليم الملقبين بالسترايين وامساكهم في قيود الطاعة والامثال على الدوام والاستمرار لم يتيسر لهم تدارك ما كان يكثر وقوعه منهم في تلك الاعصار من الفتن الاهلية المتكررة والحروب الداخلية الممتدة كثرة التي كانت قد مضت شمل السلطنة الفارسية في آخر ايامها المتأخرة وذلك ان السترايين كان قد نيط ليدهم من ولاية الامر نفوذ كبير فكان الوالى منهم ما أسر عما يترعرع وراذاتيا ويتأبط شبرا وكبرا

تخصيا ويرى نفسه زيادة درجة من الأهمية الذاتية لسعة ما يراه تحت طاعته من البلاد
الموكولة لولايته حتى انتهى أمرهم لأنهم كانوا يبرون أنفسهم في مرتبة ملوك مستقلين
وولاية أمور حقيقيين وصارت البلاد الموكولة لعهدتهم لا عبارة عن ولايات منوطة لأماتهم
وهم فقط بمنزلة العمال عليها الدولة سلطنة عليا بل صارت لهم كاتبا املاك خصوصية
يستغلونها لانفسهم وحقا لك ارضية يتمتعون بها المنفعة ذواتهم الشخصية ولذلك تضاعفت
قوة الدولة المركزية واضمحلت وتلاشت شوكة السلطنة الفارسية الاصلية واستردت
وجاءت سرعة زوالها في أيام الاسكندر الأكبر فدللت على ضعف عروة الرابطة السياسية
الجامعة بين اجزائها العضوية

مطلب — ذكر شن الغارة من الملك (دارا) بجثوده الفارسيين على الامم المعروفين
بالسيتين (في سنة ٥٠٨ ق م) — وبعد ان اتم الملك (دارا) اطفاء
سائر القن الاهلية والقيادات المالية التي كانت قد قامت على دولته ورزب جميع بلاد
سلطنته ترتيبا سياسيا جديدا تراءى له من عزم الامور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية
لاجل حفظ حالة السلم الداخلية ان يوجه همه رعاياه الجهادية وشهامتهم الحربية نحو
غزوات خارجية وقد كان كبيره ايضا يدعوه لان يدخل في طريق الفتوحات وشهر نفسه
كاسلافه بالجهاد والغزوات وذلك ان سلفه الملك (كبرش) كان قد افتتح جميع ممالك آسيا
(قمبزش) ذهب يجهوشه الى بلاد افريقية فعزم هو ايضا على ان يستولى على بلاد
اوروپة واجل الحصول على هذا الغرض احتج بعلمتين وهما انه اراد ان يمنع من الآن
فصاعدا ما كان يقع دائما على بلاده من غارات الاقوام السنيين وان يقطع درجة الاهلية
التي كانت قد تقررت لهؤلاء القبائل المتوحشين على جميع بلاد آسيا في سائر الاقطار
مدة ثمانى عشرة سنة من قبل عهد الملك (سياكزار) فهم على ان يجهز تجريدة عظيمة
ويذهب بنفسه على رأس غزوة جسيمة لشن الغارة على الامم السيتين

ولفظ (السيتير) هذا هو لفظ عام وكلمة غير معينة المعنى والمرام يعبر بها عند السلف
ولاسيما عند اليونان في تلك الايام عن جميع القبائل التي كانت تعيش بالحالة البدوية
والهيئة الانتجاعية أعني القبائل الرحالين التزالين والاقوام الغير المتوطنين في اماكن
ثابتة ولا في مداثن وقرى مستقرة كقبائل العرب المنتجة من كل من كانوا يقيمون
في الصحارى المتسعة والبادى الكبيرة السكائة على شمال البحر الاسود وجبال
قوقازة وبحر الخزر وبحيرة (ارال) وينتجعون الى ما هو ابعد من ذلك الى جهة الشرق
من أى جنس كان من الاجناس البشرية وكان هذا اللفظ يطلق عند اليونان وسائر الامم
المتقدمة في تلك الايام على قبائل شتى ويطلق على اقوام من اكثر ما يمكن تنوعا وقرنا

من حيث الاصل والجذبة فاما السيتيون الآسيويون الذين كانوا قد انتشروا كالجراد المنتشر ببلاد آسيا في عهد الملك (سياكرار) ووصلوا الغاية بلاد فلسطين فقد كانوا يقيمون في التورانيين ولا شك في انهم هم أسلاف الاقوام المعروفة في الاعصار الوسطى باسم التترا والمغول اعني الاقوام المفسدين والامم المؤذين الذين كانوا قد اخرجوا من البلاد ودوخوا العبادت تحت قيادة (خنكيزخان وتيمورلنك) المشهورين وهؤلاء الاقوام السيتيون السائقون هم الذين كان الملك (كيرش) قد توجه لشن الغارة عليهم فيما وراء نهر سيحون فلحقته من سيوفهم المنون ومات هناك كما تقدم ذكر ذلك واما السيتيون الاوروبيون فهم من جنس الذرية اليافقية المعبر عنها بالطبقة الهندية الاوروبية والظاهر انهم هم اصل الفرع الجرمانى بالخصوص من فروع هذه الطبقة البشرية فانهم هم أول من عرفهم اليونان فعبروا عنهم في الاصل على وجه التخصيص بهذا اللفظ اليونانى القديم وهو لفظ (السيتين)

ولاشك في ان ما ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه من الوصف الغريب والشرح الطويل العجيب لاخلق السيتيين وعوائدهم واحوال بلادهم واما كتبهم ليس المراد منه غير الاقوام السيتيين الاوروبيين المذكورين وهم السيتيون الحقيقيون اعني القبائل الآرية الاصل الذين كانوا مقيمين بالبادى والصحارى التى هى صحارى بلاد الروسيا الآن وكان اكثرهم ساكنين فيما بين النهر الذى كان يعرف عند القدماء باسم (لورستين) وهو ما يدعى الآن باسم نهر (دنيبير) والنهر الذى كان يعرف عند السلاف باسم (لوتافايس) وهو المدعى الآن باسم نهر (الدون) ببلاد اوروپة وقد كانوا في اعلى اوج من الشوكة واقوى درجة من الصولة حين شن الغارة عليهم (دارا) الفارصى ووصف احوالهم المؤرخ (هيرودوت) اليونانى ثم انحطت درجتهم واضمحلت حالتهم بعد ذلك في اقرب مدة وهاجرت قبائلهم تدريجيا الى جهة الشرق وآل امر الامم السيتيين المذكورين في عهد الملك (ميتريدات) ملك (بنطس) المشهور لان صاروا لهداد لهم ولا اعتدائهم بطريق الجدد في جملة الامم الذين كان لهم حظ من العمل في الحروب الجارية بسواحل بحر (بنطوكسان) (البحر الاسود) في تلك الاعصار وكانت قراريتهم قد انقرضت من تلك الاقطار وصارت البلاد التى كانت مساكنهم بعضها قفار وبعضها حل فيه بدلا عنهم الاقوام (السرمايون)

ولما أراد (دارا) ان يشن الغارة على الاقوام السيتيين من جهة شمال بحر (بنطوكسان) اجتاز يحنوده الى اقليم (طراقة) (وهو الجزء الشمالى الشرقى) من الولاية المسماة باسم (الروملى الآن) وذلك انه وضع قناطر على بونغاز (البوسفور) (وهو المعروف ببونغاز)

القسطنطينية او بونغازا مبول الآن) وهم بهم عليها وأنشأ قنطرة أخرى أيضا على نهر
(طونة) واجتاز بهم كذلك عليها وأقام القوم اليونانيين الدين كانوا في ضمن جيوشه
حرسا عليها وأخذ يتبع الاقوام السيتيين في تلك النواحي فلم يثبتوا امامه بل ساروا كلما
دنا منهم يتباعدون وهكذا صاروا على الدوام والاستمرار ينتقلون ويرتحلون قدما في سهول
متسعة لا آخر لها حتى كادت ان تنفذ ذخائر جنوده ولحقهم مجاعة شديدة وانظر للرجوع
يجيوشه الى ورايه بالشأن لاجل ان لا يقع في مثل ما وقع فيه قبله (قمبيزس) من المصائب
بديار مصر بل يادر بالفرار اذ كان السيتيون قد عادوا عليه بالكر قلائد اى اهلهم ضعفه
وارادوا البطش به واهلاك جنوده بالكلية حتى ان الجيوش الفارسيين لقصد سرعة
قهقهرتهم كانوا قد تركوا امرضاهم في الطرقات ولم يحملوهم معهم وابتدؤا عملية عودتهم
من الليل لاجل ان ينتهزوا فرصة بعض ساعات يسترون فيها عن اعين العدو حيث كان
قد كاد ان يلحقهم ويضطش بهم وصاروا يهربون من ملاقاته بقدر ما يمكن كانوا في أول الامر
يرغبون فيها ولربما كان فرارهم هذا لا ينفعهم في شيء لو لم يكن القوم اليونانيون الذين
كانوا موضوعين على حراسة قنطرة نهر (طونه) قد صدقوا في حفظها واتخذوا بذلك هؤلاء
العساكر الفارسيين المساكين الذين كانوا قد كادوا ان يكونوا من الهالكين شهداء جراءة
ملكهم وقضاء لاوطار اطماعه هذه

مطلب — ذكرنا حصل بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) و بلاد الهند
(في سنة ٥٠٦ ق م) ولما لحق (دارا) من الخجل بتلك الموانب والغضب
مما أصابه من تلك المصائب في غزوة السيتيين اخترق بجنوده اقليم (طراقة) واجتاز بهم
بونغاز (البوسفور) وانتقل الى سواحل آسيا من عند مدينة (مستوس) (سيزين
مهملتين في أوله وهي المعماة الآن باسم (باوا الى قلعة سي) وترك بجهة أور وية جيشا
يبلغ ثمانين الف مقاتل تحت قيادة (ميجابيس) بن (زوير) احد السبعة نفر الذين
كانوا قد تعصبوا معه على عزل (جوماتيس) المجوسي وقتله كما سبق ذكر ذلك في محله ما
كان من القائد (ميجابيس) المذكور الا انه نأى عن التوجه بجنوده للعرب على الاقوام
السيتيين والتفت لمحاربة اهل اقليم (طراقة) فادخله تحت طاعة الدولة الفارسية
بالكلية في اقل من سنة ثم شن الغارة بعد ذلك على مملكة (مقدونيا) وهي الجزء
الغربي من ولاية (الرومى الآن) وطلب من ملكها المتولى عليها في ذلك الزمان وهو
المسمى باسم (اماتاس) الطين والماء عبارة عن طلب الاذعان والامتثال لطاعته فلم يتأخر
الملك المذكور ان اجابه لما طلب واذعن له بالطاعة من غير توقف كما رغب فوضع القائد
الفارسي المذكور اليد على مدينة (بيراشة) المعماة أيضا باسم (هرقة) ولم تزل تعرف

هذا الاسم الاخير لغاية الآن وعلى مدينة (بيزانة) (وهي المعروفة بالقسطنطينية والاستانة العلية او اسلامبول الآن) وهما مفتاح بوغاز (البوسفور) من نواحي اقليم (طراقة) ووضع اليها ايضا على كل من جزيرة (امبروس) (بالسين المهمل في آخره) وهي المسماة الآن باسم (امبرو) (من غير سين مهمل في آخره) وجزيرة (كينوس) وهي المسماة الآن باسم (استالين) من جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفي تلك السنة بعينها كانت قد توجهت غزوة فارسية ايضا لفتح بلاد الهندس فاج جيش من الجنود السلطانية من اقليم (الجندارية) التابع للسلطنة الفارسية فاطاع سائر الامم والاقوام القاطنين في الجهات التي يخترقها على نهر (السند) قبل ان يدخل بلاد (بنجاب) من سلسلة جبال الثلج الهندية المسماة بجبال (هيمالية) وانضموا بطريق الشعب للستراية السابعة مع بقائهم تحت ولاية ملوكهم الاصليين وولاية امورهم الاهليين كما كانوا قبل فتح بلادهم للدولة الفارسية ومن هنالك بأمر (دارا) انشئت عمارة بحرية واسطول مركب من سفن فارسية على نهر السند من اخشاب بلاد (كشمير) وجعل القائد عليها امير البحر اليوناني الماهر الشهير باسم (سيلاكس دو كار يانده) وكان قد اشتهر في ذلك العصر بما عايناه من كثرة السفر في البحر فنزل بالسفن الفارسية على نهر السند لغاية مصبه من بحر الهند وشرع بها الى جهة المغرب حتى وصل بعد مدة ثلاثين شهرا الى نهاية البحر الاسود اعني الى الميناء التي كان فرعون مصر المشهور باسم (نيخاووس) قد وجه منها السفن الفينيقية لقصد السفر في البحر حول بلاد افريقية وكانت نتيجة سفر القائد (سيلاكس دو كار يانده) اليوناني المذكور بالاسطول الفارسي على الوجه المسطور ان امتدت بدسلطنة (دارا) على سائر البلاد الكائنة فيما بين الشاطئ الايمن من نهر السند وجبال (پكتيان) وهما تكونت الستراية الفارسية الممتدة للعشرين ولم تتجاوز الامة الفارسية الى الشاطئ الايسر من النهر المذكور ولم تدخل خصوصاً في البلاد المعبر عنها الآن باسم (بنجاب) بمعنى الخمسة الانهار من تلك الاقطار حيث كانت يسكنها في تلك الاعصار اقوام اولوا حرب وجهاد وأمم أرباب شجاعة وجلاد كان الاسكندر الاكبر هو اول من فاز بفخر ادخالهم تحت طاعته وحاز ذكر اسمهم في دائرة سلطنته

ولم يكتف (دارا) بالاعتصار على جميع هذه التوسعات الملكية والتمسكات الارضية من الاقطار بل كان لما وصل الى حدود الممالك الأوروبية القائمة في تلك النواحي بتلك الاعصار تعلق مطامعه أيضاً بأن يفتح اقطارا اخرى من تلك الجهات اوسع وابهج من اقليم (طراقة) و (مقدونيا) واراد ان يطبع لدولته ذات ملكة اليونان الاصلية الكائنة على السواحل البحرية من تلك البلدان فتعلل اثن الغارة عليها بعلته خروج عن الطاعة السلطانية الفارسية

الدرس الثامن ٣٣٨ في التاريخ العام

حصل من بعض الطغاة اليونانيين المملكين على بلاد (اليونانية) (أى المدن اليونانية الكائنة على السواحل الآسية) وكان قد خشي على نفسه من (غضب دارا) فعصى عليه وخرج عن طاعته وكان الاثينيون أى أهل مدينة (اثينة) قاعدة مملكة اليونان الأصلية قد ساعدوه عليه مدة حقبة من الزمن وان كان أمدادهم له ضعيفا خاليا عن القوة والحزم ومن ثم صارت مملكة اليونان دون غيرها من سائر البلدان عند الملك الفارسي هي مرمى اشتغال البال ومحط حال الحرب والقتال وترتب على ذلك انه تورط في تلك المنازعة الطويلة والحرب العوان الثقيلة التي اشتهرت بين فارس واليونان في ذلك الزمان بقوة الجيوش من الطرفين ومما بعث عليها من البواعث السياسية من الجانبين حتى استمرت على الدوام تقريبا مسافة قرن ونصف من الدهر وترتب عليها في ذلك العصر خراب مملكة فارس وزوالها بالكلية وتحويل احوال بلاد آسيا الغربية بتأثير قوة الفنون والصنایع والمدنية الاثينية وقوة اللغة اليونانية وهذه المدة هي المشهورة على لسان أهل التواريخ اليونانية والاوروبية بهذه الحروب المديدة بمعنى الفارسية وهي عبارة عن الحروب التي حصلت بين ملوك فارس واليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام وكان مبدأها في عهد (دارا) بن جرمستاب هذا وهو (دارا الاول) ولذلك لزمنا ان نقف هنا من تاريخ دولة فارس على هذا العهد وبقيته تأتى في ضمن باب تاريخ اليونان الآتى بعد لان تاريخ بلاد المشرق من أوائل عهود الحروب المديدة في الحقيقة وعلى وجه الاصلالة انقطع ولا يكون من الآن فصاعدا الا عبارة عن حوادث تذكر بطريق التبعية لتاريخ اليونان حيث يكون تاريخ اليونان من الآن هو تاريخ القطن والحرير (انتهى الى هنا معربا من تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

تذييل

يتضمن بعض قوائد تفصيلية ومسائل تكميلية مما يتعلق باحوال
الدولة الفارسية

(معربا من تاريخ المعلم (فرانسيس لونورمان) الكبير)

المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة فارس السابقين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات — قال المعلم فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المتقدم الذكر والبيان في هذا الشأن اعلاما تعريه أدناه قد كان من عيوب ترتيب الدولة الفارسية مع ما كانت عليه من عدم البلوغ لدرجة الكمال

بعد في عهد كل من الملك (كيرش) والملك (قبيزش) انهم لم يكن لها قاعدة سلطنة ثابتة ولا كرسي مملكة معير يقيم فيه آرياب الدولة المركزية بل كان هذان الملكان الاولان يعيشان عيشة تكاد أن تكون اتجاعية بمعنى رحالة نزاله وحالة على الدوام انتقالية متجعة فكانا تارة يقيمان في ناحية وتارة في أخرى من نواحي سلطتهما المتسعة اما الملك (كيرش) فكان قد ثبت في المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (ايكباتان) (وهي همدان الآن) وكانت اقامته في القصر الملوكي الذي كان قد شيده لنفسه الملك (ديجوسيس) كما تقدم ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب واما الملك (قبيزش) فلم يكن قد خرج من ديار مصر منذ افتتاحها حتى مات وكانت حادثة تعدى (سهرديس) الجحوشي على سرير الملك الفارسي قد دلت على ما كان يوجد في تلك الحالة من الخطر من وجهين (أحدهما) في طول اقامة الملك في إحدى نهايات حدود مملكته و (الثاني) في جعل مركز السلطنة الفارسية ببلاد الميديين مع كونهم لم يزالوا يحلمون باسترداد ما كانوا يزعمونه من انه قد كان لهم الدولة العظمى واليد العليا على القوم الفارسيين وان القوم الفارسيين انما اغتصبوها منهم واستولوا عليها بدلا عنهم ولذلك لما جاء الملك (دارا) واراد ان يرتب أحوال الدولة الفارسية على وجه بحيث يعطى للصولة الملوكية زيادة قوة احس بشدة ضرورة ان يجعل لمملكته قاعدة ثابتة مستمرة ويعين لسلطنته نقطة مركزية مستقرة فانتخب لقضاء هذا القصد مدينة (سوس) وهي المسماة الآن باسم (شوستير) لكونها قد كانت معتمدة من جهة على ولاية فارسستان الاصلية التي كان فيها مركز قوة السلطنة الفارسية الحقيقية ومن جهة أخرى كانت قريبة من مدينة بابل ومن بلاد الميديّة وموضوعة على ابعاد متساوية من نهاية حدود بلاد سلطنته المتسعة من المشرق الى المغرب وشيد فيها قصر املوكيا عظيما فاخر اصار بعد ذلك محل سكنى سائر الملوك الكيانيين اذا كانوا يسوا مسافرين على رأس جيوشهم في الغزوات البعيدة وكان (دارا) قد اسس ايضا في وسط ولاية فارسستان الاصلية المدينة المسماة في ذلك العصر باسم (پرسبوليس) او (فارسخرا) وهي المسماة الآن باسم (ايتشيل منار) (بمعنى الاربعين عمودا) لقصد ان تكون مقبرة لدا فنار باب عائلته الملوكية وبنى فيها أيضا قصر املوكيا متسعا

أما قصر (سوس) فكان قد حفر عليه منذ بعض سنوات القائد الانجليزي المسمى باسم (الجنرال ويليام) المشهور بالدفيع عز مدينه (كارمر) (الكائنة ببلاد الارمن على حدود الدولة العثمانية من جهة دولة ايران الآن) والسائح الانجليزي المشهور باسم (نوقتوس) فلم يجد امنه غير اطلال واهية وآثار بالية غير انهم لم تزل تدل على ما كان لفن العمارة الفارسية من الصفات الاصلية المميزة لها عن غيرها من انواع العمارات التي كانت للامم السالفين واما قصر (پرسبوليس) وهي التي كانت تسمى عند الفارسيين المتأخرين باسم (استخرا)

فان اكثر بنيانه هو لغاية الان قائم على جدرانہ وكل من اطلع عليه من المباحين منذ قرون عديدة عجب له واستعجب به غرابة شديدة وهو موصوف في كتب التواريخ المطولة بما لا يسع هذا الدرس المختصر ان يحيط به من البيانات المفصلة

المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين في سالف العصور — قال المؤرخ فرانسيس لو رومان في تاريخه الكبير ما تعرييه كما هو بعد مذکور

قد كان فن التمثيل والتصوير الفارسي حسبما يظهر لنا من التأمل في العمارات المذكورة والنظر في تلك الآثار التي هي عندهم مأثورة متولدة بطريق المباشرة عن فن التصوير الاسوري القديم وانه منسوخ على صورته وان الفرع ليس دون الاصل بل ربما كان تفرغه اعلى واسلم وضرب قلم النقش فيه اطلق واتقن واعلم وتناسب الاجزاء العضوية من البنية البشرية اضبط واصح أكثر من اعاقوا حوط ولكن الامر الذي يظهر ان الفارسيين كانوا فيسه بالحقيقة مخترعين وفي الواقع ونفس الامر مبتدعين في تلك الازمان هو فن العمارة والبنیان نعم لا شك في انهم كانوا قد استعاروا ايضا كثيرا من غوذجات فن العمارة والبنیان الذي كان متبعاً في مدينة (نينوى) عند الاسوريين مثل طريقة السطوح المدرجة والمقوش المفروغة في داخل الحجرات على صورة سلاسل غير منقطعة من الاشكال والهيئات ورسم الابواب المصورة على جوانبها صورة أثار ذات أجنحة وغير ذلك من الكيفيات فكل ذلك لابد من انه قد كان مأخوذاً عن الاسوريين غير ان القوم الفارسيين كما كانوا يقتدون بغيرهم كانوا كذلك يترحون ويخترعون ويختلفون في فن العمارة ويتبدعون فانهم قد غيروا فن العمارة عندهم تغييرا كلياً وذلك انهم لم يبنوا ابنياتهم من الاجر ولا من المدامج المصطنعة من الطين النقي كما كان ذلك شأن البناء عند بني بابل ونيينوى بل كانوا يتخذون مواد ابنيتهم كلها سواء الخيطان او الاعمدة من الرمر الجليل المستخرج من جبال فارس الاصلية دون غيره من سائر المواد والمهمات الحارية وكانوا ينجحونه مع غاية الضبط والدقة ويصقلونه صقلا عجبيا واما القوف والحجرات فكانوا يتخذونها من الخشب ويطلونها بانواع الالوان ويكسون بعضها بصفايح المعادن ومع ذلك فاعجب شيء انفردت به طريقة العمارة الفارسية واختصت به دون غيرها من طرق العمارات التي كانت مستعملة عند الامم المتقدمين هو كيفية وضع الاعمدة وذلك ان الاعمدة توجد بكثرة بليغة جدا في بناء قصر مدينة (سوس) وقصر مدينة (پرسبوليس) وكلها على وتيرة واحدة وهيئة متحدة وحيث كانت اعمدتهم لا تحمل الاثقالا خفيفا جدا لانهم كانوا لا يبنون ابنياتهم على طبقات متعددة وكانت ابنيتهم الصلوية تتخذ دائما من الخشب كن العمود عندهم يرتفع الى درجة عظيمة وخفة بليغة

جدا كانه جذع شجرة ارتفع في الجوليا أخذ حظه من الهواء والشمس ولم يتفق لافته من الامم السالفين انهارت في ابنتها اعمدة الى هذا الحد من الارتفاع وشيدتها مع هذه الدرجة بليغة من الظرافة والابتداع فان الاعمدة التي حصل العثور عليها في قصر مدينة (برسبوليس) يبلغ ارتفاعها اضافة قطر قاعدتها ثلاث مرات ويظهر عليها انها مصنعة من الحجر على منوال اعمدة قد كانت متخذة من الخشب الخفيف وتميز تلك الاعمدة خصوصا عن طريقة المساند التي كان يستعملها المصريون واليونان والاسوريون بما كانت عليه كيفية صناعتهم وسهام الترتيب العجيب والتنظيم الغريب وذلك انهم كانوا يصطنعون رؤس اعمدتهم مسددة تطيلة جدا على وجه بحيث تتسع كلما ارتفعت على عدة طبقات من قباب توضع بعضها فوق بعض متعاكسة حتى تنتهي بصورة مقدم ثورين تعتمد عليهما الخشاب المخرجة البارزة من البناء وبابلية فان فن العمارة الفارسية هو نسيج وحده وفي فريد لا يوجد ما يضاهيه ولا يعهد ما يحاكيه في فنون العمارات القديمة من حيث كونه قد جمع بين الظرافة والعظمة

المسألة الثالثة — باي لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد (دارا) وما هو الخط الفارسي القديم — قال المؤرخ المروى اعلاه انه لما كان الملك (دارا) قد استولى على بلاد متنوعة واعم مختلفه اللغات والاجناس جدا اضطر في ترتيب دولته لان يتبع الطريقة القديمة التي كانت مستعملة من قبله عند الملوك النينويين وفي تحرير الدفاتر الديوانية والوثائق العمومية بعدة السن مختلفة واتخذ جملة لغات متنوعة بصفة اللغات الرسمية بمعنى الديوانية فكانت الاوامر الملوكية والوثائق العمومية الصادرة من لدن الدولة الفارسية في تلك الاحقاب العصرية تنشر في البلاد الكائنة على سواحل آسيا الصغرى باللغة اليونانية وفي بلاد القبادوسية و (سيليسيا) و (سورية) و (فلسطين) باللغة الارمنية وفي ديار مصر باللغة المصرية وتكتب بقلم الكتابة الهيروغليفية كما كان الحال كذلك في عهد الدولة الفرعونية الاصلية سواء بسواء واما في بلاد آسيا الوسطانية فقد عثر على الآثار الماثورة عن ملوك الدولة السكيانية من عهد (كيرش) لغاية عهد (دارا الثاني) الملقب بلقب (نوتوس) مسطرة بثلاث لغات كلها مرسومة بنوع الخط السناني وهي اللغة الفارسية الاصلية واللغة التورانية الميدية واللغة الاسورية وقد اسلفنا الكلام فيما تقدم على كيفية الخط السناني الذي كان يكتب به كل من هاتين اللغتين الاخيرتين فلاحاجة لتكراره هنا واما اللغة الفارسية الاصلية فانها كانت مبينة لها بالسكية ولم يكن لها مشاركة مع الخط الاسوري القديم الذي كان مستعملا في مدينتي نينوى و بابل الامن حيث انهما رسم سائر الاجزاء التي تتركب منها الحروف على هيئة سنان

الرمع او المسمار فقط وقد كان اول من وقف على قراءته واثبت قيمة بعض العلامات الدالة على حروفه هو العالم الالماني المشهور باسم (جروتفند) الذي هو من مدينة (هانوفر) ببلاد المانيا ثم اقبلت اثاره مع النجاح في ذلك كل من العالم الفرانساوى المعروف باسم (سنيارتان) والعالم الدانيمارقي المعروف باسم (باسك) والذي تم الوقوف على حقيقة الخط الفارسي القديم المذكور وجعل هذه المادة من قبيل الاستكشافات العلمية التي مار الحصول عاها بالطريقة القطعية هو ما حصل في هذا الشأن في سنة ١٨٣٦ الميلادية من الاشغال البحثية باتحاد كل من العالمين الفرانساويين المعروفين باسم (أوجين بورنوف) و (لأوسيو لاسان) وجاء كل من (الدكتور هانكس) و (السير هنري راولتسون) الانجليزيين فاشتغلا أيضا بالبحث عن طريقة الخط الفارسي القديم ثم جاء العالم الفرانساوى الشهير باسم (الموسيو او بير) فوضح ما كان قد بقي غامضا للغاية الآن من مسائل هذا الشأن والظاهر ان أول منشأ هذا الخط قد كان ببلاد (الباكترية) وانه قد كان في أول الامر مركبا من مقاطع حرفية ولكن ما عثر عليه من الآثار المكتوبة في عهد الدولة السكيانية لم يكن بهذه الصفة بل هو مركب من مجرد حروف هجائية تبلغ ستة وثلاثين حرفا وكيفية رسمها كرسمة صورة الحروف الهيموري بجليفية المصرية والسناانية الاسورية القديمة توجد في كتب التواريخ المطولة (انتهى من كتاب تاريخ بلاد المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لورنومان)

الدرس الثام ٣٤٣ في التاريخ العام
مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الخامس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل ما أخذ هذا الباب

افكار تقديميه وفوائد عمومية

٢ — كيف يقتضى ان يعتبر البحث عن تواريخ سائر الامم المتقدمين بالنسبة الى تاريخ مصر عندنا معاشر المصريين

مقدمة

٣ — ما حدود بلاد الميمنية

٤ — ما حدود بلاد فارس والى كم سترابية كانت تنقسم في عهد (دارا) الاول

٥ — ما اوصاف مملكة فارس الطبيعية وما بعض احوالها المحلية

٦ — ما اقسام مملكة فارس السياسية وما بعض احوالها في هذه الاحقاب العصرية

٧ — ما جغرافية ارض فارس التاريخية ومقابلاتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية

الفصل الاول

٨ — ما ذا يدكر عن الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين

٩ — ما ذا يدكر من اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسب ما تحقق عند علماء الاقرب في المتأخرين

١٠ — كيف كانت حالة العائلة والملة عند القوم الآريين السالفين وبني يافث المتقدمين

١١ — كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المتقدمين

١٢ — ما قصة مهاجرة القبائل الياقثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى

الاراضى الأوروبية وما ذا يفهم من احوالهم حسب ما علم من الكتب الويدية

١٣ — ما ذا ثبت من تاريخ (زردشت) ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته

١٤ — ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبئ عليه منهما دين (زردشت) في سالف الزمان

- الدرس الثامن ٣٤٤ في التاريخ العام
١٥ — ماذا يذكر عن حادثة تفرق الآريين المشرقيين إلى فرقتين وتوجههم إلى
ناحيتين متعارضتين

الفصل الثاني

- ١٦ — ماذا يذكر عن الميديين الآريين والتورانيين وكيف كانت منازعة القومين
ومقاومة الخصمين المذكورين
١٧ — ما حقيقة دين المجوسية وهل هو غير دين الزردية أم كيف الحال
١٨ — ما قصة استيلاء الدولة الآسورية على بلاد الميديه

ذكر الدولة الميديه

- ١٩ — ماذا يذكر عن (ارباس) والدولة الجهورية الميديه وكيف كانت طائفتها الاولى
٢٠ — ماذا يذكر عن الحكيم (ديجوسيس) وكيف كان منشأه وكيف كان الملك في بلاد الميديه
٢١ — ماذا يذكر عن الملك (فراروت) وما حدث في عصره من السلطنة الميديه الكبيرة
٢٢ — ماذا يذكر عن الملك (سياكرار) من الاخبار وما توجه اليه عزمه من خراب
مدينة (نينوى) في تلك الاعصار
٢٣ — ما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين
٢٤ — ماذا حصل بعد ذلك للملك (سياكرار) من الحوادث والاخبار
٣٥ — ماذا يذكر عن الملك (استياج) وكيف كان منشأ الملك (كيرش اوقيروس)
المذكور وما قصة ما ترتب عليه من زوال دولة الميديين في تلك الاعصار

الفصل الثالث

- ٢٦ — ماذا يذكر من اخبار فتوحات الملك (كيرش) للبلاد وقصة تدوينه للعباد
٢٧ — ما قصة الملك (كربزوس) ملك ليديا وماذا يحكى عنه من قضية استشارته
لسكاهنة (ديلفوس)
٢٨ — كيف كانت هزيمة الملك (كربزوس) وزوال دولة اللبيين على يد الملك (كيرش
اوقيروس)
٢٩ — ما قصة فتح مدائن يونيا واستيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام المتوطنين
ببلاد آسيا العليا
٣٠ — ما قصة زوال دولة آسور على يد الملك (كيرش) المذكور

- ٣١ — كيف كانت خاتمة الملك (كيرش أو قيروس) وما قصة مكيدته ووفاته في واقعة حربية مع الملكة (توميريس)
- ٣٢ — ماذا يدكر عن الملك (قمبيز أو قمبزش) فاتح الديار المصرية وما قصة فتح هذه الديار المصرية بالجنود الفارسية وذكر (فانيس) أحد قواد الفرقة العسكرية اليونانية المؤجرة للدولة المصرية
- ٣٣ — كيف كان سلوك الملك (قمبزش) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر
- ٣٤ — ما قصة غزوة الملك (قمبزش) بلاد الايتيوبية وفي واحة (آمون) بالصحاري الليبية
- ٣٥ — ما قصة ما عثرى الملك (قمبزش) من الجنون في ديار مصر بذلك العصر
- ٣٦ — ما قصة الفتن الأهلية والمحن الداخلية التي حصلت بالدولة الفارسية من طائفة المجوسية بمدة غياب الملك (قمبزش) في ديار مصر وكيف كان تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير الملك الفارسى وكيف كانت وفاة (قمبزش) في ذلك العصر
- ٣٧ — ماذا يدكر عن مدة استيلاء (جوماتيس) باسم (سمرديس) وكيف كان استيلاء (دارا أو درايوس) على سرير مملكة فارس
- ٣٨ — ما قصة ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الارمان حسبما قصها المؤرخ اليونانى (هيرودوت) وما حقيقة الاثر القديم المعروف باثر جبل (بيستون)
- ٣٩ — كيف كان ترتيب السترايبات بالدولة الفارسية حسبما كان قدرتها (دارا) ونص عليها المؤرخ (هيرودوت) وما اذا ذكر فيما يتعلق بتقدير مبلغ الخراج الوارد منها بالدولة الفارسية في تلك الحقبة العصرية
- ٤٠ — كيف كانت طريقة ولاية الاقاليم الفارسية بالسترايبات والى كم ضرب كانت تنقسم الولايات الفارسية في تلك الاوقات
- ٤١ — ماذا ترتب على ترتيب السترايبات من النتائج والمترتبات
- ٤٢ — ما معنى البر يدوم من كان أول من ابتدعه في الدولة الفارسية
- ٤٣ — ما قصة غارة الجنود الفارسيين على الامم والاقوام المعروفين عند اليونان باسم (السيثيين) وماذا كان المراد بهذا اللفظ عند الامم المتقدمين وذكر

الدرس الثام ٣٤٦ - في التاريخ العام
(السيتين الاوروپيين والأتبيين)

- ٤٤ — ماقصة ما حصل فيما بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) وبلاد الهند
وذ كرامير البحر اليوناني المشهور في تلك المدة باسم (سيلاكس دوكار يانده)
٤٥ — ما المراد بما اشتهر في عرف اهل التاريخ بعهد الحروب الميدية وماذا وقع عنا هنا من
تاريخ دولة فارس على هذه المدة التاريخية

تذييل

- ٤٦ — المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن الملك (دارا) ومن سببه من ملوك دولة
فارس السالفين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات
٤٧ — المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم
الفارسيين في سالف العصور
٤٨ — المسألة الثالثة — بأي لغة كان تخرج الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية
والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد الملك (دارا) الاول
وما هو الخط الفارسي القديم



الباب السادس

في تاريخ الفنيقيين او الصوريين وقدماء سواحل الشام السالفين

واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية من امر بن
(الاول) التأليعات العمومية والتحقيقات التاريخية العلمية التي كتبها بعض علماء الافرنج
المتأخرين فيما يتعلق بمجموع احوال الكنعانيين وسكان بلاد الفنيقية المتقدمين
(الثاني) الرسائل الخاصة وصية لتي افها بعض علماء الافرنج المذكورين فيما يتعلق بكشف
احوال بعض الآثار القديمة التي حصل العثور عليها في هذه الاعصار الراهنة من آثار هؤلاء
الامم السالفين

مقدمة

في بيان اصل الفنيقيين وتعرف المداثن التي كانوا فيها متوطنين
(معر بامن مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند للمؤرخ فرانسيديس لونورمان)

مطلب — بيان اصل الفنيقيين — قال المؤرخ فرانسيديس لونورمان
في مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند ما تعريبه بعد — ان اصل الفنيقيين كما هو نص
العبارة الواردة في الباب العاشر من سفر الخبايكة من التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به
في سالف الاوقات وكانت ذرارهم قد حكوه لاحد اخبار النصاري المشهور باسم
(سنتوغوستان) حسب ما نص عليه في الكتب الماثورة عنه هم من نسل (كنعان) الذي هو
من نسل حام بن نوح عليه السلام كما روى في نصوص التوراة غير ان بني كنعان لم ينحصروا
في الفنيقيين فقط بل كانوا فروعا متفرعين كان منهم هؤلاء الفنيقيون وكان هذا الفرع قد
تكون من اول الامر في صورة وجودية منفردة عن سائر الفروع الكنعانيين وكان هو
أشهرهم واكبرهم وآخرهم انقرضا واقدروهم

مطلب — ذكر اصل الكنعانيين وكيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها
في اول الامر متوطنين — وقد كانت مداثن الكنعانيين من اول الامر على سواحل
الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي جزائر
البحرين وقد كانت اثنتان متما تسمى احدهما في ذلك العصر باسم (صور) والثانية باسم
(ارواد) ولما انتقل الكنعانيون من تلك الاماكن فيما بعد كانوا قد اخذوا هدير اللفظين وسماوا
بهما بعض اماكن من بلاد فلسطين حين انتقلوا اليها وتوطنوا فيها وعلى نحو ٣٥٠٠ سنة تقريبا
قبل الميلاد كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولى هذه اما لداعي زلازل ارضية

الأرض الثامن ٢٤٨ في التاريخ العام

وقعت فيها فخرجتهم منها كما ذكر بعض الروايات وأما كما ذكر بر رواية أخرى لداي إجبارهم على الخروج منها عقب واقعة حرية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد اتصروا عليهم فيها فاضطروا للهجرة من أوطانهم الأصلية وهاجروا كلهم منها واختاروا بلاد العرب في سالف الأزمان سائرين في الطريق الأصلية التي لم تزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هي التي توجه إليها بأرالماء العذب الذي يلزم لسقي المسافرين ودوابهم وصاروا يرتحلون من واحة إلى أخرى من تلك الصحاري حتى وصلوا إلى بلاد فلسطين على القرب من بحيرة (طبرية) وقد كان ذلك هو آخر مدى هجرتهم ولما استقروا ببلاد الشام تغلبوا على تلك البلاد ووضعوها بيد عليهم وتفردوا هناك إلى أربعة فروع (أحدهما) تكون من عدة اقوام مختلفة وقبائل متنوعة منهم واقاموا ببلاد فلسطين و(الثاني) توطر على السواحل الشامية فيما بين جبل لبنان والبحر المتوسط الأبيض (بحر سفيد) و(الثالث) تعمق إلى جهة الشمال واستقر بوادي (الأورونت) (وهو نهر العاصي) وهذا الفرع عبارة عن أكثر القبيلة المعروفة باسم (الهيثيين) (بالتاء المشددة الفوقية أو التاء المثلثة) وقد كانت هذه القبيلة في ذلك العصر هي أقوى سائر القبائل السكنعانيين شوكة وأشد هم صولة و(الرابع) كان قد انما على الديار المصرية مسترشداً بجماعة من القوم الهيثيين المذكورين فاستولوا عليها معهم مدة - قبة من الدهر وتأسس منهم فيها له - تلك الملوكة المعروفة بالملوك الرعاة (أو الملوك العمالقة)

وقد كان استيطان السكنعانيين ببلاد فلسطين من قبل نزول إبراهيم عليه السلام فيها إذ كان قد وجدهم مستولين على سائر ذلك القطر فعاش بين أظهرهم فيها مدة حقبته من الدهر

مطلب — ما المراد من لفظ الفنيقية وتعريف ما ككار يوجد فيها من المدن الأصلية — اما لفظ (فنيقية) فهو كلمة يونانية تكتب وينطق بها في الأصل بنقطة (فنيسيا) (بالتاء المشددة) ولابد للقاف المشددة وقد جرت عادة المعريين في هذا العصر ان يقابوا السين قافاً ولذلك صارت (فنيقية) ولم يعلم اصل اشتقاقها وما أخذها لغاية الآن غير ان المعلوم ان لفظ (الفنيقيين) لا يوافق على سائر الاقوام السكنعانيين الذين توطنوا في ثواحي الشام الجنوبية كلهم بل على السكنعانيين البحريين أي المتوطنين على سواحل البحر فقط وهم الذين قد كان لهم صورة وجود منفردة عن غيرهم من سائر الاقوام السكنعانيين بالكلية وحينئذ فالمراد من لفظ (الفنيقية) في اصطلاح اهل التاريخ أو الجغرافية المدرسية هو هذا القطر الضيق جدا المنحصر فيما بين الجبل والبحر ممتداً شمالاً من أول جزيرة (ارواد) لغاية مدينة (عكة) جنوبياً وهو يشمل على الاراضي التي كانت يعبر عنها في تلك الاعصار باراضي تلك القوم (الرواديين) و(السميريين) و(الصيداويين)

وهذا القطر هو الذي نريد ان نشغل بتار يخ في هذا الباب غير اننا قبل ان نقص مختصر
الحوادث القديمة التي وقعت فيمرأينا من الساقع ان نذكر هنا على سبيل التقديم بعض ما يتعلق
به من المسائل الجغرافية وتعداد مدائن القديمة الاصلية ونبتدئ من جهة الشمال فتقول
ان اول ما يسدول لناظر من تلك الجهة هو الجزيرة التي كانت تدعى في سالف الازمان باسم
(ارادوس) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (ارواد) وهو ذلك الاسم بعينه مع بعض تحريف
اعتراه وهي موضوعة على القرب من الساحل تحت عين درجة الطول التي توجد عليها مدينة
(شيتي اولارناكة) التي هي احدي مدن جزيرة (قبرص) وهي جزيرة ضيقة جدا
فلذلك كانت ارضها مستغرقة بموضع مدينة كانت توجد فيها تسمى مدينة (ارادوس او ارواد)
وقد كانت هي قاعدة مملكة الارواديين السالفين وكانت هذه المملكة عبارة عن المدينة
المذكورة مع مدينتين اخريين كانتين على الساحل القريب منها كانتا بالتبعية اليها وهما
(اولا) مدينة (انتارادوس) وهي المعروفة باسم (طرطوش) الآن وفي السهل
الذي توجد فيه هذه المدينة الاخيرة يظهر ان قد كان موضع مقبرة اموات تلك المدينة الكائنة
بالجزيرة المذكورة و(ثانيا) مدينة (ماراتوس) وهي المعروفة الآن باسم (عريظ)
وفيها يشاهد اعظم آثار فن العمارة الفنيقية التي بقيت لغاية عصرنا هذا وقد كانت مملكة
الارواديين هذه اعنى مدينة (ارواد) والمدينتين التابعتين لها على السواحل القريبة منها
بعد ان انضمت الى مملكة الصيداويين لم يزل لها ملك مخصوص ملحق بطريق التبعية للملك
الاكبر الذي كان له درجة الاعلوية على سائر بلاد الفنيقية

ثم الى جهة الجنوب وعلى القرب من مصب النهر الذي كان يسمى في ذلك العصر باسم
(ايلوتيروس) وهو المعروف الآن بالنهر الكبير كانت توجد المدينة المسماة باسم (سجيرا)
(وهي المسماة الآن باسم (سمرة) وقد كانت هي قاعدة مملكة السيميريين وهي وان كانت
قد دخلت في ضمن المحالفة الفنيقية قد كان لها كما كان للمدينة (ارواد) المذكورة قبلها
ملك مخصوص وفي عهد المملكة اليونانية والسلطنة الرومانية كانت هذه المدينة العتيقة قد
فقدت درجة عظمتها الاولى وانتقلت حالة اهميتها الاصلية الى مدينة اخرى كانت تدعى
باسم (اورتوريا) ثم فيما يلي ذلك الى جهة الجنوب ايضا يوجد مكان الذي كان قد اسس فيه
كل من أهالي (ارواد) و(صيدا) و(صور) ثلاث عمارات متجاورة ومحمودة في ذلك العصر
باسم (تريبوليس) (ومعناها المدن الثلاثة) وهي المحرفة الآن باسم (طرابلس)
وبعد ذلك ندخل في ارض الامة القديمة التي هي من ضمن الاقوام الفنيقيين وهي التي كانت
تعرف في قديم الايام بالصيداويين وهم كما هو عيّن نص التوراة (ابناء كنعان البكر يوز)
وقد كانت ارض الفنيقية في اول الامر محدودة بنهاية ارض المملكة الصيداوية المذكورة

الدرس الثام ٣٥٠ في التاريخ العام

واول مدينة يبذل لناظر منها هذه الجهة هي المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم
 (بوتريس) وهي التي تعرف الآن باسم (بثرون) ثم مدينة (الجيل) وهي التي كانت
 تسمى عند اليونان باسم (يلوس) وتعرف الآن باسم (جيل) (بصيغة التصغير) وقد كانت
 تابعة لمدينة (بوتريس) المذكورة قبلها وكانت مدينة (الجيل) هذه مدينة مقدسة وحرما
 مكرما محترما يصعد اليه اقصى اذكار العقائد الخرافية التي كانت هي دين الاقوام الفنيقيين
 في تلك الاعصار وكان لهم فيها موسم سنوي يشهرون فيه اسرار مشهورة عندهم تعظيما
 لعبودهم المعنى باسم (آدونيس) ثم يلي ذلك فننازلا الى جهة الجنوب أيضا المدينة التي كانت
 تسمى حينذاك باسم (بيريت) وهي المعروفة الآن باسم (بيروت) وقد كانت في ذلك العصر
 كرسى مملكة ولم تزل في كل عصر من الاعصار فرضة بحر يذعظية وميناء تجارية جسيمة
 ثم تليها المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (صيدون) وهي التي تعرف الآن
 باسم (صيداء) وقد كانت كذلك في سالف الزمان مدينة عظيمة وكرسى مملكة جسيمة ولكنها
 قد آلت الآن الى حالة حقيرة جدا ولم يبق من الاثار الدالة على عظامتها القديمة غير بقايا
 مقبرة متسعة جسيمة توجد هناك واصل لفظ (صيدا) مشتق من الصيد وذلك يدل على
 ان هذه الصناعة هي اول صناعة اتخذها اول سكان تلك الاوطان بمجرد ان توطنوا على
 ساحل البحر وفيه تمر نوا على فن الملاحة بمعنى السفر في البحر الملح وقد كانت هذه المدينة
 هي أقدم مدن الفنيقيين وكانوا يلقبونها بلقب (أم سائر المدن الفنيقية الاخرى) ماعدا
 مدينة (الجيل) فانهار بما لم تكن من جملة مدن الفنيقيين الاصليين بل كانت من مدن
 السنينيين (بالنون الموحدة الفوقية في وسطه وهم قوم اخرون من الكنعانيين)
 وعلى جنوب (صيدا) توجد المدينة التي كانت تدعى باسم (سار يبطا) وهي التي تعرف
 الآن باسم (سرفند) وقد كانت في سالف الدهر مدينة ذات ثروة كبيرة ودرجة من العظمة
 والاهمية لا بأس بها ولا سيما في الاعصار الغابرة جدا ثم صارت في القرن الثاني عشر قبل
 ميلاد المسيح عليه السلام تابعة من حيث السياسة لمدينة (صور) ثم مدينة (صور) هذه وقد
 كانت هذه المدينة الاخيرة مدة حقبة مديدة من مدة تاريخ الفنيقيين حاضرة لدرجة الاعلوية
 القصوى على سائر مدن الفنيقيين التي كانت اولاً المدينة (صيدا) من قبلها ومدلول لفظ
 (صور) في اللغة الكنعانية (صخرة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم عند العرب لغاية الآن وهي
 تنقسم عند علماء الجغرافية الى اليونان والرومانيين الى مدينتين (احدهما) كائنة على جزيرة
 من الصخر صغيرة قريبة جدا من الارض القارة و (الثانية) على الساحل وقد كانت
 هذه المدينة الثانية موضوعة في المكان الذي يعرف الآن باسم (رأس العين)
 وكانت تدعى في ذلك الزمان بالخصوص باسم (بالاتيروس) ومعناها مدينة (صور) القديمة

وفي ضواحي (صور) يلزم ان يكون متمهي الحدود الجنوبية للمملكة الصيداوية القديمة حسبما يفهم من الباب العاشر من سفر الخليفة من التواراة في تلك الاوقات ثم امتدت حدود تلك المملكة بعد ذلك الى جهة الجنوب وذلك انه بوقت ان كان بنو اسرائيل قد اغاروا على الاقوام الكنعانيين المتوطنين ببلاد فلسطين وفتحوا بلادهم واستولوا عليها واغاروا ايضا القوم المعروفون باسم (الفلسطينيين) على سائر السواحل الجنوبية من ذلك القطر كانت المدن البحرية من ولاية (جاليلة) التي هي احدى الولايات الاربعه التي كانت تتركب منها بلاد (فلسطين) في ذلك العصر قد تعصبت للمدافعة عن نفسها من غارة هؤلاء القومين الاجبيين وبلغت امنيتهما من حفظ جنسيتهما المالية الكنعانية غير انها لم يمكنها ان تستمر على هذه الحالة وحدها ولم يتيسر لها ان تبقى على حفظ نفسها من غاراتهم بفردتها فاضطرت بالطبيعة لأن تلجأ الى الصيد اويين وتبذل نفقهم لهم اذ كان يمكنهم ان يحموها من غارات القومين المذكورين وبذلك صارت تلك المدن الثغرية من ضمن المحالفة الفنيقية وقد كان اقدم تلك المدن البحرية الى جهة الجنوب واقصاها واعظمها ثروة واعماها هي المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (اكو) وتدعى عند اليونان في بعض الاحيان باسم (بطولوميس أو البطليموسية) ثم غلب عليها في الاعصار المتوسطة اسمها الاصل مع بعض تحريف فيه باسم (عكا) هداما اردنا ان نراده هنا باختصار من جغرافية هذه الاقطار وقد ساغ لنا الآن ان نتكلم بوجه الاختصار ايضا على الحوادث التاريخية التي وقعت بتلك البلاد في سالف الاعصار وهو اصل موضوع هذا الباب وذلك في ثلاثة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ عصر الصيد اويين اعني وقت ان كانت مدينة (صيدا) هي مقر ملكة الفنيقيين

مطلب — ذكر ميادى اخذ الصيد اويين في الاشغال بالسفر في البحر في سالف العصر — بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفتحوها في ذلك العصر وكان القوم المعروفون منهم باسم (الهيثيين) الذين كانوا هم اقواهم شوكة واشدهم صولة قد احدثوا لهم في تلك الديار دولة ووضعوا على مريهم ملكة الغراعة من رؤسائهم عائلة ملوكية اجنبية (وهي التي تعرف عند أهل التاريخ بدولة العرب أو عائلة الملوك الرعايا ودولة العمالقة بالديار المصرية) قد كان من بقي في مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيد اويين يظهر انهم لم يكن لهم اطماع حرية

ولا رغبة جهادية في الارض القارة فلذلك انصرف قوتهم وهمهم وتجردت نشاطتهم
 وشهامتهم للتشبيث بالاعمال البحرية حيث كانوا قد استوطنوا سواحلها ولا تدري هل
 ما وجد في الصيد او بين من هذا الاستعداد الغريب والتأهل الجيب للاشتغال بفن
 السفر في البحر والتجارة البحرية الذي تميزوا به عن غيرهم من سائر الاقوام الكنعانيين في
 ذلك العصر قد كان ظهر فيهم من أول الامر وهم في اوطانهم الاصلية مذ كانوا متوطنين على
 سواحل الخليج الفارسي أم لم يظهر فيهم ذلك الامر الا من بعد ان هاجروا من تلك الاوطان
 وتوطنوا على سواحل البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) فقط وعلى كل حال من هذين
 الحالين فمن المعلوم المحقق ان هذا الاستعداد كان من بعد ان انتقلوا الى هذه الاقطار الاخيرة
 قد نما وازداد مع غاية السرعة والازدياد وذلك انهم لما كانوا منحصرين في ارض ضيقة
 جدا فيما بين الجبل والبحر كفهم من سائر الذكور بحيث لا يكفي مقدار تلك الارض من
 طريق الزراعة لغذاء اهلها فطر الصيادون باشدا للوازم الضرورية وبيواعث غرائزهم
 الطبيعية لان يتخذوا لهم ما هو شبه بواطن جديدة ويتشبهوا بوسائل معاش وثروة مفيدة
 فوق امواج البحار ولا سيما وقد كان أكثر الامم المتوطنين على سواحل بحر سفيد في تلك
 الاعصار لم يزلوا بعد باقين بحالة الاقوام المتوحشين ولم يكونوا يعرفون ولا يقدرّون في ذلك العصر
 على اشاء قارب يمكنهم ان يذهبوا به الى ادى مسافة على امواج البحر وكان مثل المصريين مع
 كونهم قد كانوا في تلك الاحقاب الزمنية هم مركز اسبق الدائرة التمدنية ومحط اقصى الدرجة
 العمرانية لم يصلوا بعد من فن الملاحة اللهم الا للتجاسر على شئ يسير جدا من السفر على
 القرب من السواحل بدون ان يتباعدوا منها ولا يغضوا النظر عنها بخلاف الصياديين
 فانهم كانوا والحالة هذه اول من سافر في البحر وقد مكثوا مدة مديدة واعصارا عديدة
 من الدهر وهم وحدهم منفردون بفن الملاحة دون غيرهم من سائر سكان الدنيا بتمامها
 ولم يسبقهم احد في التجاسر على طويل الاسفار واقتحام اخطار الرياح العاصفة والزوايع
 الشديدة فوق اللجج والامواج المتسعة والاندفاع بغاية الجرأة الى أبعد السواحل البحرية
 الشاسعة لجلبوا منها المعادن والاشباب النفيسة والمواد الاولى من سائر الاصناف التي
 كانت تلزم لاعمالهم الصناعية ولقد مضت أعصار عديدة وادوار مديدة من الزمان
 قبل ان تظهر امة أخرى تراجمهم في هذا الميدان

وبالجملة فلم يكن البحر بالنسبة للصياديين معدن ثروة وغنى لا يتفد وميدان نشاط قوم
 أولى جراءة وصناعة واهال ذوي قطانة وبراعة لم يجدوا في حرائث ارضهم ما يقوم بضرورة
 معيشتهم فقط بل كان البحر ايضا ملجأ لهم ولا ملجأ لهم سواه ولم يكن لهم سبيل يوجهون
 اليه

اليه سائر قوتهم غير طريق التجارة البحرية وذلك انهم كانوا على الدوام والاستمرار تدفعهم غارات الاقوام المجاورين لهم الى السواحل البحرية وتقذفهم صولة الامم الاقوى شوكة منهم الى الجهات الثغرية (أولا) من أبناء جنسهم وهو القوم الهيشيون و (ثانيا) فيما بعد من ملوك دولتي وأدى النيل ووادي الفرات العظيمتين اللتين كانتا قائمتين في تلك الاوقات فلم يتيسر للصياديين أن يتوسعوا في داخل البر ولا ان يكون لهم منصب سيامي ولا مقام جهادي بين الامم السالفين ولم يقدر واحتي على أن يحفظوا حالة استقلال بانفسهم تامة لهم ولان أن يمتنعوا الابحالة استبداد بالنفس ضيقه تابعة للغير فاننا نراهم في أغلب أعصارهم التاريخي بالبعية لدولة من تلك الدول الكبيرة القائمة في ذلك العصر وفي الواقع ونفس الامر اذا كانت امة من الامم لا تجد في حرائة الارض التي هي قائمة عليها ما يقوم بضرورة غذائها ولا يتيسر لها ان تكون قوما فلاحين ولا جندا مجاهدين ولا ان تحفظ حالة استقلالها بالكلية من صولة الصائلين وكان فيهم مع ذلك تلك الشهامة الاهلية والخوة العصبية المالية التي ينتج عنها عظام الامور فلا سبيل لها غير طريق واحد وهو ان تندفع في ميدان التجارة والسياحة في البحر لا غير واقد كان ذلك هو حال القوم الفنيقيين في ذلك العصر ولما لم يكن لهم سابقة تتقدمهم ولا خصم يراهم في ذلك الامر الذي كانوا قد اندفعوا فيه بضرورة الحال لزم بالضرورة ان يمتنعوا فيه ويستقيموا عليه و يختصوا منه بمنزلة الاحتكار مدة احقاب مديدة من الاعصار

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية — لم يعلم لغاية الآن الوقت الذي فيه قد كان اول تشبث الصياديين بالاختذ في مبادئ الاسفار البحرية والنجاح في الاعمال التجارية فانه لم يعثر لغاية يومنا هذا في الآثار القديمة التي حصل العثور عليها فيما يتعلق ببلاد الشام وقدماء سكانها السالفين ما يدل على شيء من ذلك ولا تظن ان يحصل العثور على شيء من هذا القبيل في المستقبل ومن ثم فهم ان تلك الحادثة قد كانت في اعصار سابقة على تلك الآثار التي حصل عليها العثور لغاية الآن ولم يوجد أي شيء مما يستدل به على تاريخ الحادثة المذكورة في الروايات الاهلية والحكايات المالية المأثورة عن القوم الفنيقيين انفسهم فيما حكاه عنهم مؤرخو السلف ونقلوه البناء على وجه ضعيف وانما من الثابت المحقق ان الصياديين قد كانوا أمة بحارة وقوما في سفرة على البحر أولى جراءة وجسارة وملة ذات تجارة عظيمة وثروة جسيمة في وقت ان كان المصريون قد استيقظوا من غفلتهم الاهلية وقاموا بصيتهم المالية وطردهوا من بلادهم طائفة ملوك العرب الرعاة وعادوا لادبشارهم من هؤلاء الامم الاجانب بعد ان كانوا قد استعبدوهم

مدة اعصار مديد قفاستولوهم كذلك على سائر بلاد اسيا السابعة وقد ذكرنا فيما سلف في ضمن الباب الثاني المعد للبحث عن تاريخ المصريين والعراعنة السالدين انه قد كان من امر العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة ان فراعنة مصر كانوا قد استولوا على جميع بلاد الشام ومن ذلك الوقت كان الصيد او يون كغيرهم من سائر الامم والاقوام الذين هم لهم مجاورون قد صاروا تحت يد الدولة المصرية واقامت الدولة الفرعونية واطاعة اليدهم بدون انقطاع مدة اقامة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين اعني من ابتداء انصاف الثاني من القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر حادثة توسع الصيد او يون في الاسفار البحرية — ومن المعلوم من وجه ان مثل الصيد او يون المذكورين الذين هم قوم تجار يلزم لهم بالضرورة ان يكونوا تابعين لسلطنة كبيره ليكنونواهم سماسرتها المقدمون على غيرهم ومن وجه آخر قد كان المصريون ادعى ما كان متسلطنا عليهم من الاوهام الدينية ينفرون من الاسفار البحرية فلذلك كان لاسييل للفراعنة في الحصول على انشاء اسطول لهم غير ان يستعينوا بالقوم الفتيقيين وقد كان الفراعنة المصريون بالضرورة يكافئونهم على هذه الخدمة بأن يخوهم بأعظم المزايا التجارية ولذلك اتفقت كلمة المؤرخين من السلف السابقين على ان قالوا ان اعلى درجة بلغتها سعة الاسفار البحرية ونأسيس المناقدا التجارية في الجهات الشغرية من اكثر الاقطار لمدينة صيدا في تلك الاعصار قد كان بمدة عهد استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفتيقية (اعني فيما بين القرن السابع عشر فنانزلا لغاية القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام) وقد كان جل حركة أسفارهم على البحر واصل نقطة دائرة اتجارهم بذلك العصر في الناحية الشرقية من البحر المتوسط الايض (بحر سفيد) اذ لم يكن قد حدث في تلك الاقطار لغاية تلك الاعصار سفن بحرية اهلية تراجهم ولا مال بحارة تخصهم وفي جزائر بحر الارخبيل (بحر زائر الروم) وفي البحر الاسود.

مطلب — ذكر فراعنة صيدا و يون في بحار اليونان بتلك الزمان — وفي تلك المدة المنقضية فيما بين القرن السابع عشر فنانزلا لغاية القرن الخامس عشر ق م المذكورة اعلاه كان الصيد او يون اسوا مدينة (شيتي) (المعروفة ايضا باسم لازناكه) بجزيرة (قبرص) ومدينة (ابطاثوس) بجزيرة (كريد) وانشأوا على سواحل بلاد (سيليسيا) (وهي ما يعرف عنه الآن بجموع ولايتي سيلفتة وادب) عدة نزلات قساوسة مارية اضطراهلها الاصليون فيما بعد للهجرة منها الى الجبال الداخلية وصاروا هم اصل القوم المعروفين عند الامم السالفين بالقوم (السولميين) وقد كانت سفن الصيد او يون هي التي تخترق في ذلك الزمان سائر بحار بلاد اليونان وقد كان لهم اليد عليها لا يشاركهم فيها احد غيرهم وكانوا

يفقدون الى تلك البلدان ليأخذوا منها حواصلها البلدية ويعطوا للاهالي البيلاجية بمعنى
اليونانية حواصل الصنائع الآسية والديار المصرية اذ كان اليونان لغاية تلك الازمان
لا يعرفون بانفسهم شيئا مما يضاهاى تلك الحواصل الصناعية ولداعى ما كان يوجد على
سواحل الارض القارة ببلاد اليونان وبلاد آسيا الصغرى في تلك الاعصار من كثرة الاهالي
والسكان وما كان يوجد فيهم من الغيرة على حفظ حرمتهم وبقائهم على حالة استقلالهم
بانفسهم كانوا لا يذنون لاحد من الامم الاغراب ان يحدثوا في بلادهم زائل كبيرة بحيث
تشبه الزائل الاستعمارية الحادثة من اهالي الاوطان الاجنبية فلذلك لم يتيسر للصياد او بين
ان يحدثوا لانفسهم تراثل استعمارية بتلك البلدان بل كانوا يفقدون عليها فقط بوظيفة
اغراب لقصد التجارة فيها لا غير وغاية ما هناك انه ربما كان لهم فيها مجرد بعض
اماكن عمالات تجارية من قبيل ما يعبر عنه الآن باسم (الفكتوريات بمعنى اقليم
العملاء التجارية ببلاد الهند) واما في اراضي الجزائر اليونانية فقد كان للصياد او بين
اماكن تجارية ومواطن ملكية من نوع اخر ومحطات بحرية دائمة مستقرة ومراسى ثغرية قائمة
بذا تم مستقرة على سدة الملكية الحقيقية تلجئ اليها سفنهم التجارية ومن اعظم ما كان
لهم من هذا القبيل في جنوب بحر الارخبيل وهو بحر جزائر الروم المذكور انفا ما كان
يوجد بجزيرة (رودس) وجزيرة (طيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سنتورين)
وجزيرة (سيتيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سيريجو) من الاماكن التجارية
والمواطن البحرية العظيمة التي كانت من الامور الضرورية لفلاح الاعمال التجارية
والاشغال البحرية الحقيقية وحيث كان يوجد على البعد من تلك الاماكن الجزائرية
الى جهة الشمال وعلى القرب من سواحل اقليم (طراقة) وهو ولاية الروم على الآن
معادن ذهب يتحصل منها حواصل وافرة جدا كان قد انجذب الصياد اويون في تلك الاعصار
ايضا الى جزيرة (طاشوش) وهي ما يعرف الآن في لسان ارباب دولة بنى عثمان باسم
(ولاية الجزائر) الكائنة على سواحل اقليم الرومى المذكور اعلاه وكانوا قد استولوا
على ارض الجزيرة المذكورة فوعا فيها الاستخراج تلك المعادن الكثيرة اعمالا جسيمة جدا
بقيت اثارها بعد ذلك باكثر من عشرة قرون من الزمن الى العصر الذى كان قد وجد فيه
المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) وقد وصفها بتلك الاحقاب في كتاب تاريخه
الشهير مع غاية الاستغراب والاستعجاب ومن ثم كانت تسافر سفنهم التجارية الى السواحل
الغربية من تلك الجزيرة فتشتري من سكان تلك الاقطار ما كانوا يلتقطونه من الذهب
المستخرج من العروق الذهبية التي كانوا قد فتحوها بحث التجار الصياد او بين المذكورين لهم
في ذات الصخر من جبل (بنجوس) البكائن فيما بين اقليم (مقدونيا) و (طراقة) وهو

المعروف الآن بجبل (كاستانياتز) السكان باقليم (طراقة) المذكور
 مطلب — ذكر تجارة الصيد اويين بولاية بحر بنطش اوبنتسكان (وهو
 المعروف بالبحر الاسود الآن) — ولم يكن اخر الشطحات التجارية والاسفار الصيداوية
 البحرية في تلك الاقطار ينهى في تلك الاعصار الى جزيرة (طاشوش) المذكورة فقط بل
 كانت بحارتهم بعد ان يقفوا بتلك الجزيرة يأخذوا منها ما يلزم لهم من الازواد والذخائر اللازمة
 يخرجون منها ويسافرون الى جهة الشمال فيعملون تجار يد تجارية كان هي اكثر من ذلك
 ارباحا وفائدة فيعبرون كلا من بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شفق
 قلعة) الآن وبوغاز (اليوسفور) او بوغاز اسلامبول الآن) ويدخلون في بحر (بنطش
 اوبنتسكان) وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) وكان غيرهم من الامم الاقل جراءة
 منهم يتوهمون ان ما هو كائن في مدخل بوغاز (اليوسفور) هذا من الجزائر
 الصخرية من خواصها انها تتبع بعضها عن بعض ثم تنطبق على ما يمر بينهما من السفن
 ويتخيّلون انها مستحضرة لآلئ تلك كل من تجاسر على العبور فيما بينها فيكر تجاسر احد
 غيرهم من الامم السالفة على المرور منها واما النسوريون فبواسطة زوارقهم التجارية
 وان كانت غير متقنة الصناعة بعد في ذلك العصر كانوا قد تجاسروا على اتحام اخطار زوابع
 البحر الاحمر وان كانت لم تزل خطيرة في كل زمان حتى على السفن الاوربية التي تسافر
 فيه لغاية الآن وكانوا يطوفون على السواحل البحرية الشمالية من بلاد (اسيا الصغرى)
 وان كانت سكانها لا يكرمون الاغراب و ليس فيها مأوى مأمون لمسئ فليلقطون وهم
 سائرون كل ما عثروا عليه ويجمعون وهم ارون كل ما وجدوه من اعظام الخواصل
 الاصلية التي تخرج بتلك الاقطار حتى ينتهوا الى سواحل اقليم (كولشيد) (وهي ما يعرف
 الآن بجموع بلاد) ايميريسيا ومنجربليا) وكانوا يجذبون اليها بما وجد فيها من المعادن
 التي توجد في الاقليم اذ كور وهي التي قد تلح اليها في الخرافات اليونانية بما يذكر في
 حكاياتهم العامة بما معناه (جزرة الذهب) وذلك ان من الصيداويين كانت ترحل الى
 تلك النواحي فتحمل منها من انفس انواع المعادن الثمينة والجواهر النفيسة ما لا يحصى ولا
 يحصر وهذا هو الذي كان قد جذبهم لاقحام اخطار تلك الاسفار البعيدة ووجه قلوبهم
 لركوب تلك البحار الخطرة الشديدة وكانوا يجلبون من تلك الاقطار الذهب الذي كان
 (الكولشيديون) يستخرجونه بانفسهم من ذات مياه انهارهم مع ما كانت القوافل تجلبه
 من ذلك ايضا مرجبال (اورال) وبلاد (الارميين) (وهم قوم كان اليونان
 يتصورونهم ببلاد اسيا لهم عين واحدة كائنة في وسط رؤسهم) ويتخيّلون انهم يختطفون
 الذهب من الطير الموهوم المسمى بالعنقا على نهز كانوا يدعونه باسم (ارميسبيوس) وكان

الصيادون يجلبون من تلك الاقطار ايضا القصدير اذ كانوا يحتاجون اليه حاجة ضرورية في اصطناع التوج وهو مخلوط بالمعادن الثلاثة وهي النحاس والتوتيار القصدير وكان القوم (الايبيريون والاليبانيون) يستخرجونه من جبال (قوقازة) في تلك الاعصار ويجلبون منها ايضا الرصاص والفضة وقد كانوا يوجدان مخلوطين ببعض الجهات من ذلك القطر ويأتون ايضا منها بالمعادن المصنوعة التي كان القوم المعروفون باسم (الشاليبين) يعملونها في جبالهم وكانوا قد اشتروا بها في جميع الاقطار بتلك الاعصار ويجلبون ايضا التوج المتقن الصنعة من اعلى ما يكون والحديد المصنفي في هيئة قضبان ولا سيما حديد الصلب الذي لم يكن يمكن لامة من الامم غيرهم في ذلك العصر ان يصطنعوه وقد كان تختراعوه هؤلاء الذين كانوا اقواما بدويين وانما يكادون ان يكونوا متوحشين في فن صناعة المعادن يصطنعونه ويتقنونه هنذا حقا بغاية لا يعلم لها اول من الدهر

وقد كان تجار مدينة صيدا في عين ذلك العصر يترددون ايضا على سواحل بلاد (الايبير) (وهي بلاد الارنؤط الجتوبية التابعة لمملكة اليونان الآن) وعلى جنوب بلاد ايطاليا وجزيرة (صقلية) غير ان الظاهر انهم لم يكونوا قد اتخذوا لهم مواطن ثابتة ولما كن تجارية في تلك الجهات متمكنة

مطلب — ذكر تجارة الصيادوين ببلاد افريقية — ولم يكن الصيادون يقتصرون اكثر متاجرهم البحرية ويقتصرون في اكثرشطحاتهم السفرية على النواحي الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبحار بلاد اليونان وبلاد ينكسان فقط بل كانت الديار المصرية ايضا من اروج الاسواق الاصلية لطائفة التجار الفنيقية وكان مقدار وافر من تجارتها في البلدة البحرية يقيمون بمدن النواحي السفلى من الديار المصرية المعبر عنها في ذلك العصر باسم (الديلتة) وفي مدينة (منف او منفيس) وكان لهم فيها خطة مخصوصة (كما قد كان للتجار الاور وباو بين فيها في كل زمان) وكانت سفن التجار الصيادوين ومن تبعهم من اهالي المدن التي كانت لها بالتبعية ايضا تسافر على القرب من سواحل بلاد افريقية فيما وراء وادي النيل لغاية البلاد التي كانت تعرف عند قدماء الرومانين باقليم (زوجيتان) وهي البلاد التي حدثت على كانها فيما بعد ذلك من الزمان مدينة (قرطاجه) (مدينة تونس الآن) وكان الصيادون قد اسسوا في تلك الاماكن لداعي تردهم عليها في ذلك الزمان مدينتين قديمتين لقصد ان تكونا لبضائهم مخازن تجارية تسمى (احداهما) باسم (كبه) (بفتح الكاف في اوله) وكان موقعها على المكان الذي حدثت فيه (قرطاجه) فيما بعد و(الثانية) باسم (هيبيون) ومعنى هذا اللفظ في اللغة الفنيقية المكان المحاط بالاسوار

مطلب — ذكر سفر الصيادوين في البحر الاحمر — وقد كان اهل

صيد ايضا هم الذين يركبون السفن الحربية التي كانت تنقل الجنود المصرية الى اقاليم بلاد العرب الجنوبية لتدخل اهلها او تمسكهم في طاعة السلطنة الفرعونية وقد كانت تلك الاقطار من منذ تلك الاعصار هي محط رحال سائر الحواصل الصناعية والزراعية النفيسة التي تخرج ببلاد الهند من المعادن والياواهر والاحشاش الثمينة والاعطار ووسر الفيل وغير ذلك وهذه الوسيلة كانت السفر التجارية الفنية تتردد فيما بين الثغور المصرية . وذلك الاقطار العربية التي هي كذلك اقطار ذات حظوة طبيعية يتخرج بها النبات الطيب الرائحة المعروف بالخصالبان ويبت في الآس ومن ثم كان فتح البحر الاحمر واحتكار تجارته في يد الصياد او بين بالخصوص هو اعظم المزايا التي كانوا يحرصون بها في نظير دخولهم تحت طاعة الفرعنة السالفين

مطلب — ذكر اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الصياديين — على نحو وسط القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد حصل تغييرا حوالا عظيم في سائر الاقطار الكائنة في حوض البحر الابيض المتوسط في تلك الاعصار فكانت الاقوام البيلاجيون الذين هم من ابناء يافث (وهم اليونان او الهيلينيون) قد احدثوا لهم بحرية صارت في مدة قربية الى حالة هائلة بحيث يتخنى منها على السلطنة المصرية وكان الاقوام الليبيون اليافثيون (وهم اهل الجبال الليبية المعروفة بجبال برقة الآن) قد اتوا من طريق البحر واستوطنوا على نواحي اقرية الشمالية مع الاقوام البيلاجيين الوافدين من اهل جزائر الارخبيل اليونانية وبلاد اليونان الاصلية و بلاد ايطالية والفسلينييين الخارجين من جزيرة (كريد) واهل جزيرة (صقلية) و جزيرة (مردينيا) وعقد جميعهم عقد محالفة كانت بالاصالة محالفة بحرية اعنى انهم اجتمعوا بعضهم مع بعض على ان يكونوا على يد واحد بحيث يتعارفون على السفر في البحر وصار اهرام بذلك مدة قرنين او ثلاثة قرون من الدهر الدرجة العليا واليد القصوى على سائر الاقطار الكائنة في الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ولا شك ان مثل الحادث المذكور لا يمكن بالضرورة ان تتم على تلك البحار مع كون سفن الصياديين كانت قد تسلطت عليها واختصت باحتكار التجارة فيها دون غيرها للغاية تلك الاعصار بدت ان يحصل لشوكتها البحرية وقوتها التجارية مقدار عظيم جدا من الانهضام والانكسار فقد كان ذلك هو اصل مبادئ اضمحلال حال تلك المدينة الفنية العظيمة واول علامات زوال موهلة تلك الحاضرة الصيдаوية الجسيمة وذلك ان الصياديين قد صار لهم منذ ذلك العصر في مادة السفر والتجارة في البحر اخصام من اجون واقوام يحملون في البحر مثلهم وهم لهم مقاومون ولا شك في انهم كانوا قد توجهوا الى تلك الوجهة اقتداء بهم وانتحلوا تلك الحرفة تبعالهم وساروا معهم في طريق كان الصياديون من قبلهم قد ساروا فيها

وحدهم ولم يكن الاقوام الملاحون المستجدون هم انحصاراً من اجن للبحارة الصيد اويس فقط بل كانوا هم اعداءهم الطبيعيين حيث كان هؤلاء الاقوام العاملون في البحر معهم لا يمكنهم ان يقتصر واعلى ان يراجوهم في مواده عابثهم فقط بل لزمهم بالضرورة ان يكونوا معهم في حرب مستمرة على الدوام ويجهدوا كل الاجتهاد في ان يسدوا عليهم من البحر سائر الطرق التي كانوا يترددون عليها بفردهم قبل ذلك العصر ومن ثم كانت قد دنت صناعة الصيال البحرية سائر ببحار بلاد اليونان وصار السفر فيها غير مضمون الامان وسقطت سائر الاماكن البحرية والمواطن التجارية واحدة بعد واحدة بقوة صولة سكان الجزائر اليونانية البلديين وتعدى السفن القرصان على الاماكن التجارية الصغيرة التي كانت للصيد اويس فيها من الاقوام البيلاچيين واما ما كان للصيد اويس في تلك الاقطار من العماثر التجارية والنزائل البحرية الكبيرة كالتى كانت لهم بالنواحي المسماة باسم (طبره) و (ميلوس) و (طاشوش) فانها لداعى عظمها ولسكونها كانت يتيسر لها ان تدفع عن نفسها صولة الاقوام الصائلين قد امكنها ان تبقى على حالها دون غيرهما مدة مديدة من الزمان

مطلب — ذكر غارة الاسرائيليين على بلاد فلسطين — وبعده هذه الحادثة بقليل كانت قد حدثت حادثة أخرى من تلك الحوادث الزمنية الكبيرة التي توقع الامم بعضهم على بعض وتوجب مهاجرتهم من ارض الى ارض فان خرجت الكنعانيين الفلاحين المتوطنين في بلاد فلسطين من ديارهم وغيرت الاحوال السياسية من تلك البلاد بالكلية وهى حادثة غارة بنى اسرائيل على تلك الارض تحت قيادة النبي يوشع عليه السلام ولم تكن تلك الغارة قد توجهت على ذات الصيد اويس بطريق المباشرة فان يوشع عليه السلام يظهر انه كان قد حرص على ان لا يخاصم اهل صيدا بالخصوص بل كان قد وقف يحنوده من بنى اسرائيل الذين كان قد استعجبهم لتباعدة عصبية الملوك المتعصبين عليهم مع الملك (هاصور) عند حدود بلادهم كما هو في النوراة مذكور ولكنهم مع ذلك كان قد لحقهم بالضرورة شؤم عواقب الحادثة المذكورة وبيان ذلك انه كان قد ترتب على غارة بنى اسرائيل ببلاد فلسطين في ذلك العصر ان انقرضت دولة الكنعانيين في احدى وثلاثين امارة صغيرة كانت موجودة لهم في ذلك القطر واضطر سائر اهلها للهجرة من اوطانهم وانتقلوا الى جهة السواحل البحرية امام غارة بنى اسرائيل عليهم ولم يكن لهم ملجأ يأوون اليه ولا حتى يستندون عليه في قرارهم هذا سوى ارض مملكة صيدا المسدورة ولم يكونوا يجدون فيها ما يكفي مؤتهم الضرورية ولذلك اضطر والالاتقال منها الى بلاد أخرى يجدون فيها ما يلزم لراحتهم وسعادتهم بواسطة الاشتغال بزراعة الارض فيها ولقد كان ذلك دوا الباعث على ان الفنيقيين كانوا قد اضطرروا بضرورة مقتضيات الاحوال الراهنة وبواعث الضرورة المتساطنة على ان

المدرس الثامن ٣٦٠ في التاريخ العام

احد ثوالهم ما يطلق عليه على وجه الحقيقة لا المجاز له ظا التزائل الحقيقية اعني تلك التوطنات الفلاحية بمعنى انهم كانوا قد انتقلوا الى بعض بلاد اجنبية واستولوا على سائر ارضها واجلوا منها اهلها البلديين واشتغلوا بزراعتها بدلا عنهم في كل مكان حلوا فيه وذلك بخلاف التزلات التجارية التي قد كان من عوايد الفنيقيين ان يجد ثوالها على ساحل البحر

مطلب — ذكر نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان بناحية (طيبة) من بلاد اليونان — وقد كان اول نزلاتهم الحقيقية في ذلك الزمان بناحية (طيبة) باقليم (بيوتيا) من بلاد اليونان فقد ذكر في الخرافات اليونانية على حسب ما يحكي في القصص العامة الهيلينية ان اول مؤسس لتلك البلدة هو بطل كان يدعى باسم (قدموس) واصل مدلول هذا اللفظ في اللغة السامية القديمة بمعنى (المشرقي) ولم يزل يتصور فيه باذهان اهالي بلاد اليونان على الدوام والاستمرار لغاية الان صورة اصل الملاحاة البحرية التي كانت للقوم الفنيقيين في عصر الصيد اوبين قالوا وقد كان هذا الرجل لم يخرج في اول الامر عند نزوله مع اصحابه من الفنيقيين على البر من بلاد اليونان بل كان قد تلقاه سكان تلك البلدان بغاية العداوة والشنان وكانوا قوما عديدين وخصاما لا آجما هدين فحصل له في سفره هذا مشقات عديدة ولقي اخطارا شديدة ثم انتهى امره بان مهدا واطفانارها وارقدتها واستولى على تلك الناحية وزل فيها واستعمرها

مطلب — ذكر التزلات الفنية ببلاد افريقية — وقد كانت التزلة الفنية الثانية اكثر عددا واعظم قوة ومددا وكان حالها بخلاف ما ذكرناه بشأن التزلة اليونانية المذكورة سالفا وكان نزولها بارض افريقية ودليل ذلك ان اهالي الاقليم المعروفين عند السلف باقليم (البيزاسين) و(الزوحيتان) وهما القطران اللذان كانا يتركب منهما في سالف الزمان ما يعرف باسم (افريقية) الحقيقية وهي الارض التي تأسست فيها فيما بعد مدينة (قرطاجة) المشهورة وهي التي في مكانها ولاية تونس الآن لم يزلوا يفتخرون بانهم من ذراري الكنعانيين الذين كانوا قد نزلوا ببلاد فلسطين الجنوبية ثم هاجروا من تلك الديار وانتقلوا الى بلاد افريقية بضرورة غارة بني اسرائيل عليهم في سالف تلك الاعصار ولم يتيسر لاهل التاريخ العثور على سند قوي يعارضون به قوة اعتمادية هذه الرواية الاهلية قال المؤرخ قرانيسس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه وان دلتي ترجع عندي ان الصيد اوبين في الواقع ونفس الامر كانوا قد اضطروا لضرورة اقتضاء الاحوال في ذلك العصر لان نزول القوم الفنيقيين المتجشئين اليهم في ذلك القطر حيث كانت قد ضاقت ارض بلادهم الشامية عليهم لاسيما وقد

كانوا هم ذاتهم قد أنشأوا بلاداً فرريقية هذه من قبل كلاً من مدينتي (هيبيون) و (كبه) كما أوضحنا ذلك في سالف الذكر (هـ)

مطلب — ذكر الاقوام الليبيين الفنيقيين — وقد كان هؤلاء الاقوام الكنعانيون الفلاحون وهم غير القوم الفنيقيين الذين كانوا منهمكين في الاكثر على صناعة التجارة والسفر في البحر بذلك العصر قدامترجوا في تلك البلاد التي كانوا قد نزّلوا بها واستولوا عليها مع بعض قبائل من الليبيين الياقثيين كانوا قد وردوا الى ذلك القطر من الاقطار المجاورة لبحيرة (تريتون) وهي البحيرة الكائنة في جنوب افرريقية الحقيقية وتعرف الآن ببحيرة (فارون) (بالقاء الموحدة في اوله) او بحيرة (لودقه) ومن اختلاط هذين الجنسيتين من الناس تولدت تلك الامة الفلاحية الحربية الكبيرة المعروفة عند السلف باسم (الليبيين الفنيقيين) (بمعنى اهل جبال برقة المختلطين بالكنعانيين) وهم الذين كان منهم معظم القوة الجهادية التي امتازت بها فيما بعد ذلك مدينة (قرطاجة) الشهيرة وقد كانوا امة مختلطة وملة ممتزجة من القومين المذكورين غير ان تقاطيع وجوههم كانت اقرب الى الليبيين من الفنيقيين ولكنهم كانوا بطباع الكنعانيين متطبعين ولما ذهب ديارهم متبعين وكانوا لغاية العهد الذي كان فيه الخبر النصراني المشهور باسم (سنتوجستان) ولي امر الكنيسة النصرانية بمدينة (هيبيون) هم بغير اللغة الفنيقية لا يتكلمون وكانت تلك الامة قد فلتت ونجحت وارتقت حالها وصحلت على تلك الارض الخصبة التي كانت قد اقامت عليها وتربت فيها الى درجة قوية جدا حتى بلغ من شأنها انها بعد ان خرج منها جوع كثيرة نزّلوا بعدة اقطار من بلاد (اسبانيا) (وهي المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) والى بعض سواحل بلاد (الموريتانيا) وهي بلاد المغرب الاقصى مع سواحل غربي بلاد افرريقية لغاية رأس (نون) وانشأوا في جميع تلك الاماكن البحرية عدة ترلات استعمارية كان لهم اكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة وحاضرة كثيرة الاهل من هرة على الارض الضيقة التي كان يتركب منها كل من اقليم (البيزاسين والزوجيتان) اللذين كان فيهما ساكنهم لغاية العهد الذي قد كان فيه انعقاد الخضم بين مدينة (رومية) و (قرطاجة) كما يأتي ذكر ذلك في موضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى

مطلب — ذكر غارة الفلستينيين وخراب مدينة صيدا (في سنة ١٢٠٩ م) — وقد اعقب غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين في عهد قريب جدا غارة قوم آخرين يعرفون بالقوم (الفلستينيين) وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريد) في العصر الذي كان فيه فرعون رمسيس الثالث مستولياً على ديار مصر وكان اول نزولهم على السواحل الشامية حول نواحي (غزة) و (اسدود) و (عسقلان) و (غاطه)

و(اكارون) ولا شك في انهم كانوا قد هاجروا اليهم اقوام آخرون فيما بعد ذلك من جزيرة (كريد) المذكورة ايضا فكثر بهم عدتهم وعظمت قوتهم وصوتهم في ارض وقت وانتزوا الفرصة في ذلك الوقت من حادثة انحطاط الدولة المصرية في عهد الملوك الكسائي من ملوك العائلة المالكية المتحمة للعشرين وبعدهم مدة نحو مائة سنة من ههنا وترو لهم على البر كانت قد اشدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت اطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد (سورية) الجنوبية وتجاروا على ان شئوا الغارة على بني اسرائيل واهل صيدا معا حيث ارادوا ان يدخلوا كلاما من القومين المذكورين تحت طاعتهم فاغاروا عليهم في آن واحد ووقعت لهم مهادنة وقائع حرية كان لهم فيها عليهم مهادنة تصرات ظاهرة وبذلك استولوا في اقرب مدة من الزمن على سائر بلاد بني اسرائيل واذاقوهم اشد الجور والظلم مدة اكثر من نصف قرن وعلى نحو اول العهد الذي كان قد ابتدئ فيه عهد هذا الظلم من القوم الفلسطينيين على بلاد فلسطين او قبله ببعض سنين اعني في سنة ١٢٠٩ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بيقين كان قد قام من مدينة (عسقلان) اسطول من سفن القوم الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين فجأة امام مدينة (صيدا) واهلها في غلبة آمنون ولم يكونوا قد اخذوا حذرهم من قبل فتحصنوا دون هؤلاء القوم الصائين فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الغنيقية العظيمة هذه التي كانت هي بنت كنعان البكرية واخذوها بالقوة القهرية واخربوها وازالوها من ظهر الدنيا بالكلية وقد كانت هذه الحادثة هي خاتمة هذا العصر الاول من تاريخ بلاد الغنيقية وهو المعبر عنه عند المؤرخين بعصر الصيد او بين اي وقت ان كانت مملكة (صيدا) هي من كز قوة الغنيقيين

الفصل الثاني

في تاريخ عصر الصور بين أي وقت ان كانت مدينة صور هي من كز قوة الغنيقيين

مطلب — ذكر مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الغنيقية (من سنة ١٢٠٩ الى سنة ١١٥٨ ق م) — وقد كانت جموع الاقوام المهاجرين من اهل مدينة (صيدا) قد اجتمعوا في مدينة صور حول هيكل المعبود الاصيل الذي كان لا يقوم الغنيقيين في ذلك العصر وهو المدعو باسم (ميليكارت) والتجشوا اليه واحتموا اليهم من صولة الاقوام الاغراب انصائلين عليهم في ذلك القطر وكانت مدينة صور لغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية في جلة المدن الغنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت صفتها وارتقت حالتها دفعة واحدة وبلغ مقدار سكانها الى اكثر من اضعاف ما كانوا عليه مرتين وصارت هي الكرسي الاصيل والمركز السياسي

الدرس الثام ٣٦٣ في التاريخ العام

لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هي المركز الديني فقط وخلفت مدينة (صيدا) في كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية

وبوقوع حوادث (سنة ١٢٠٩ ق م) هذه حدث في تاريخ بلاد الفنيقية عهد جديد وهو عصر اعلوية الصوريين على غيرهم من سائر الفنيقيين وقد مكث ذلك العهد مدة خمسة قرون ومن اول العصر المذكور فقط كانت قد تكونت الامة الفنيقية الحقيقية واما قبل ذلك فلم يكن الفنيقيون الا عبارة عن القوم الصيدائيين لا غير وبيان ذلك ان الكنعانيين بمهاجرتهم الى بلاد سورية في سالف الازمان كانوا قدماء مديدة وهم المستولون على اكثر تلك الميلااد حتى جاء القرن الرابع عشر قبل الميلااد وفي اثناء هذا القرن وفي القرن الثالث عشر الذي يليه كانوا قد احاط بهم ونزل عليهم من كل جانب هجوم من الاعداء استلبوا منهم اكثر اراضيهم واغتصبوا منهم اغلب تلك الاماكن التي كانوا قد استوطنوا فيها واستولوا عليها وانتهى حال تلك المصائب العظيمة والنكبات الجسيمة الى ان اتعظ منها بعض القبائل الكنعانيين التي كانت قد بقيت في شمالي بلاد فلسطين واستيقظوا الى ان فهموا انهم اذا بقوا على حالة تفرق الكامة وعدم تعاون بعضهم ببعض صاروا غنيمة باردة محقة لصولة الصائدين واقمة حاضرة مأمونة موثقة لا كل الاكلين من الاغراب وانهم لا سبيل لحفظ حياتهم الخاصة بهم ولا لبقاء مادة ملتهم واستبدادهم الذاتي لهم غير ان يجتمعوا على قلب رجل واحد ويلتصموا في هيئة جسم متحد بواسطة توثيق روابط سياسية شديدة فيما بينهم ولذلك اتحد بعضهم مع بعض وتعاقدا على ان يكونوا ايدا واحدة على سائر اعدائهم الاجنبيين ومن ثم حدثت امة الفنيقيين المشهورين في عداد الامم الاقدمين

مطلب — ذكر كيف كانت حادثة المخالفة الفنيقية — وذلك ان جميع المدن ذات الدرجة الاولى من بلاد الفنيقيين كمدية (سميرة) ومدينة (الجبيل) و(بيروت) و(صيدا) اذ كانت هذه المدينة الاخيرة قد رجعت للعمارة الثانية بعد الخراب الاول كلها كانت قد اجتمعت وتعاهدت والتصمت وتعاقدت على ان تكون كلها في هيئة اجتماعية متحدة مع بقاء كل واحدة منها على حالة الاستقلالية المحلية التامة وهيئة ولاية امورها السابقة العامة اعني انهم اشترطوا ان تبقى مع ذلك كل مدينة منها تحت ولاية ملوكها السابقين كما كانت عليه قبل ان تدخل في عصبة القوم الفنيقيين المخالفين وقد كان نوع ولايتهم في كل مدينة منها من قبيل الدولة الملوكية المطلقة بقدر مجالس جمعيات شورى عومية تجتمع من اعضاء يؤخذون من اكثر الاهالي ثروة واموالا وباستشارة بعض اناس مخصوصين من آحاد طائفة امناء الدين والقضاة ذوي الجاه ونفوذا الكلمة بين الناس وكان هؤلاء المستشارون يمشون في مواكب الاحتفالات العمومية بمساواة ذات الملك وهم الذين يستشيرهم في بعض من يلزم بعثه من

السفراء أو النواب الذين يتوبون عن المالك في مجلس الشورى العمومية بمدينة صور حيث كان فيها مركز الملة الفنيقية

ومع ذلك فقد كان ملوك سائر المدن الفنيقية كلهم تحت طاعة ملك (صور) وهو الذي كان له اليد العليا عليهم وكلهم له بالتبعية وكان هو الرئيس الفريد والمولى الحقيقي الوحيد على سائر الملة الفنيقية ولذلك كان دون غيره هو الذي يتلقب بعنوان (ملك الصيد أو بين) وكان يحق له تقديس هذه الوظيفة الولائية العليا واتصافه بهذه الصفة السياسية الفصوى هو الذي يأمر وينهى ويقضى في سائر الامور المتعلقة بصحة الفنيقيين العامة ويقطع في كل ما يتعلق بامور تجارتهم ونزائلهم الاستعمارية الكائنة في جميع الاقمار الدنيوية ويعقد العهدة مع الملل الاجنبية ويتصرف في سائر القوى البحرية والعسكرية التي كانت موجودة قادمة الفنيقية في تلك الحقبة العصرية وغاية ما هنالك انه كان يستشير في ذلك مجلس شورى نواب سائر المدن الاخرى فقط

مطلب ١ ذكر ما كان للفنيقيين من التزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افر بقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٥١٠ ق م) يلزم ان تكون حادثة اجتماع سائر المدن الكنعانية المتنوعة في هيئة ذات اجتماعية اهلية واحدة وصورة هامة متحدة تحت عموم ولاية ملك (صور) قد وقعت في ظرف مدة الخمسين سنة التي اعقبت حادثة خراب مدينة (صيدا) وان كانت تلك المدة من تاريخ الفنيقيين لم يتكلم عليهم احد من مؤرخي السلف من اليونان والرومان وغيرهم من الامم الاقدمين المتبعة اقوالهم في المدارس الاوروربية ولا وجد شيء بعد مطلقا من الآثار المشرقية القديمة يدل على شيء من احوالها البتة والدليل على ذلك هو ما نراه في الواقع ونفس الامر من انه في وسط القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كانت قد حدثت حالة جديدة في مادة ترتيب هيئة الفنيقيين الاجتماعية وعادت الاخبار توجد عن احوالهم بالشأن في ضمن اخبار الامم السالفين واضحة بان مدينة (صور) الفنيقية قد خسرت من ذلك الحين ثابته على ارضها الاصلية وعادت بالشأن الى ما كانت قد تشبث به في سالف العصر من الاسفار البحرية الكبيرة بعد ان كان ذلك قد انقطع مسافة فترة من الدهر بسيرة بما كان قد حصل لمدينة (صيدا) من الخراب بغارة الامم الاغراب

ولكن لزم بالضرورة ان تكون الجهة الاصلية التي توجهت اليها هذه الاسفار البحرية الجديدة غير التي كانت تتوجه اليها الاسفار البحرية الفنيقية القديمة بوقت ان كانت درجة الاعلوية عليهم بيد اهل صيدا في سالف الايام وصار بالنسبة اليهم الامل في استرداد ما كان لهم من السلطنة العظمى دون غيرهم على بحر الارخبيل وبحار بلاد اليونان في سالف الزمان

الدرس الثام ٥٦٥ في التاريخ العام

من قبيل الاحلام والاهام ولذلك فلاجل امداد اسواقهم بالمواد الضرورية وحفظ قوتهم البحرية لزمهم ان يوجهوا انظارهم وينهبوا افكارهم واسفارهم نحو بحار جديدة واقطار بعيدة اخرى يتيسر لهم فيها ان يحصر وا في ايديهم حواصلها الزراعية والصناعية بحيث لا يشاركهم فيها احد من الامم الاخرى ويمكنهم بدون ان يخشوا من مزاحمة غيرهم لهم ولا من بأس صولة القرصان الصائلين عليهم ان يتحصلوا على ما يلزم لهم من المعادن اللازمة لتاجرهم المالية وصناعاتهم الاهلية فكانت توجهاتهم في ذلك العصر الجديد الى الجهات المغربية بواسطة سفر سفنهم على سواحل افريقية حيث كانوا في العصر السالف اعنى عصر الصيدار بين قد سبق لهم انهم انشأوا في تلك النواحي زلتين تجاريتين وهما كل من مدينتي (هيپون) و (كبه) وانزلوا فيها ايضا الاقوام النازلين منهم بتلك الجهات الذين حدث منهم اصل الامة الليبية الفنيقية كما سلفنا ذكر ذلك فيما تقدم

ومن ثم كان الصوريون (في سنة ١١٥٨ ق م) قد اسسوا ايضا بتلك البلدان مدينة عظيمة اخرى على سواحل ولاية (زوجيشان) وهي المدينة المسماة باسم (اوتيكة) وبذلك تيسر للفنيقيين ان يعملوا بسفنهم تجاريد سفرية جديدة واسفار بحرية بعيدة تتوجه من مين تلك الاقطار المغربية الى اقطار ابعدها اذ صار يمكنهم ان يأخذوا منها ازوادهم وميرتهم وشرعوا من ذلك العصر في ان يترددوا على سواحل ولايتي (نوميديا) وهي ولاية (قسنطين) و جزء من النواحي المسماة باسم (بيليك تونس) وعلى ولاية (الموريتانيا) وهي ولاية (فاس) من سلطنة (مراكش) مع جزء من بلاد الجزائر المغربية ولم يزالوا ابتدئون شيئا فشيئا حتى كسفوا سواحل بلاد (اسبانيا) (المعروفة عند العرب ببلاد الاندلس) وانشأوا فيها المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (قاديس) (بامالة الدال المهملة على الياء المثناة من تحت يليها سين مهملة ايضا) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (قادس) وقد كان تأسيسها من بعد عهد تأسيس مدينة (اوتيكة) السالفة الذكر بمدة يسيرة جدا

مطلب ذكر استيلاء الفنيقيين على ولاية (بيتيكه) من بلاد اسبانيا — ولم تحض من بعد انشاء مدينة (قادس) المذكورة الامدة قرن واحد من الزمن حتى تيسر للصوريين ان يتمكنوا بصفة الاسياد من غير منازع لهم في سائر النواحي الاكثر ثروة والاجزاء الاكبر خصوبة وخصوبة في ولاية (بيتيكه) اعنى في سائر وادي النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (بيتيس) ومنه سمى ذلك القطر باسم (بيتيكه) وهو الذي صار يعرف منذ الاعصار المتوسطة بلفظ (الوادي الكبير) وهذا القطر هو ما يعرف الآن باقليم (الاندلس) الاصل الحقيقى مع مملكة (غرناطة) من بلاد اسبانيا وقد كان اهل ذلك

الفطر الأصليين الذين استولى الفنيقيون الصوريون عليهم في ذلك العصر هم القومين الذين كانا يدعيان باسم (التورديتانيين والتورديليين) وكان الصوريون ايضا قد استولوا على صائر طول بلاد القوم المسمى باسم (الاستوليين) ونقلوا الى تلك الاقطار في تلك الايام كثير من الليبيين الفنيقيين الذين كانوا متوطنين بسواحل افريقية ليعملوا لهم في حراثة الارض فامتزجت تلك الامة بالاهالي البلديين الاصليين حتى نص العالم الجغرافي اليوناني الشهير باسم (استرابون) في كتاب جغرافيته المشهورة على ان اكثر سكان اقليم (التورديتانية) في عصره كانوا من ذراري الكنعانيين وكان سكان السواحل البحرية الكائنة حوالى مدينتي (ملقه) و (ابديره) لم ير الوايدهون في عهد الدولة الرومانية باسم (الاستوليين الفنيقيين) او (الليبيين الفنيقيين) وقد عثر في تلك الاماكن على بعض قطع من نوع الآثار القديمة المعبر عنها في اللغة الفرانساوية بلفظ (ميداليه) وهي لوحيات متخذة من المعادن الذهب والفضة والنحاس والتوج او غير ذلك ينقش عليها بعض كتابات تدل على بعض حوادث عظيمة اقصد تخليدها (كرها) فحصل الاستدلال بها حديث وجدت مكتوبة باللغة الفنيقية على انه في ذلك العصر بعينه قد كانت اللغة المذكورة هي التي يتكلم بها مدينتي (قادس) ومدينة (ملقه) ومدينة (سكس) ومدينة (ابديره) من تلك المواطن الانداسية

مطلب — ذكر جزيرة مالطة — وحيث كانت تجارة الصوريين على سواحل افريقية واسبانيا هي الغرض الاصل من اسفارهم البحرية صار لهم من الزم اللوازم الضرورية ان يتخذوا السفنهم فيما بين بلاد الفنيقية وتلك الاقمار البعيدة مكانا من البحر ترسو سفنهم فيه وتأخذ ازوادها وما يلزم لها من الميرة والمؤورات... وقد كان ذلك بطبيعته يلزم ان يكون هو جزيرة مالطة اذ كانت ادعى ما منحها الله سبحانه وتعالى به من حسن موافق مينائها للبحيرة وجمال موانئها الغربية هي مفتاح البحر لا يفيض المتوسط في كل عصر ولذلك كان الصوريون على نحو اخر القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام قد استولوا عليها ودعوا الى الجزيرة المجاورة لها التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (چولوس) وتعرف الآن باسم جزيرة (جوتزو) ثم خافهم عليها ما بعد ذلك القرطاجيون ودل ذلك ما عثر عليه في اماكن هاتين الجزيرتين ولم يبق محفووظا لغاية عصرنا هذا غير من آثارهما كل الفنيقيين

مطلب — ذكر جزيرة صقلية — وقد كان اسلاف اهل جزيرة صقلية

من جملة عصابة الاقوام الليبيين البيلاجيين اي اليونانيين الكبيرة وكانوا يشاركونهم في اسفارهم البحرية وتدخل سفنهم في ضمن تجار يدهم البحرية التجارية ثم انقطعت علاقتهم الى بلاد (لبية) مع جزيرة (صقلية) دفعة واحدة لاسباب لم تزل مجهولة لنا بعد وانتهر الصوريون فرصة ذلك التقاطع فيما بينهم فاستولوا على تجارة جزيرة (صقلية) وانشأوا

من مناقدهم التجارية ماملاً سائر سواحل قلانيا الجزيرة الغنية ولم يكن احد من الامم الا خرب في ذلك العصر يزاجهم عليها اذ كان اليونان لم يأتوا اليها الا بعد ذلك بمدة ثلاثة قرون من الزمن .

مطلب — ذكر جزير قسردينيا — واما جزيرة (سردينيا) فقد كانت ارباب السفن الصورية قد وجدوها على طريقهم في اسفارهم البحرية وراوا ان من اعلى اصلي مصلحتهم وانفع منفعة امنية تجارتهم ان يتخذوا فيها مكانا للنزول واخذوا الميرة اللازمة لبحارتهم مما لم يكونوا يستغنون بالضرورة عن ان يحدثوا لهم مناقد تجارية على سواحل تلك الجزيرة ايضا اذ كانت اما كنه في ذلك الزمان اوفق للصحة مما هي عليه الآن وكانت معمورة في ذلك العصر باهل كثيرين يربون مواشي كثيرة من الاغنام كانت اصوافها من انفس اصناف التجارة المتداولة في تلك الايام وكان يوجد في بلادهم ايضا معادن عظيمة من النحاس والرماس الممزج بالفضة ولذلك كان الصوريون قد اسسوا فيها مدينة (كاراليس) وهي التي هيلى . كانها الآن المدينة المعروفة باسم (كجليارى) وانشأوا ايضا على الساحل الغربى من الجزيرة المذكورة امام بلاد (اسبانيا) مدينة كانت تسمى باسم (نوره)

وما مر دناءهنا في المطالب المذكورة اعلاه من الاماكن التجارية والمواطن البحرية هو مجموع التزائل الاستعمارية التي كان اهل مدينة (صور) قد انشؤوها في اثناء القرن الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد في سائر الاماكن المهمة من البلاد الكائنة على السواحل الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) وكانت قد استحوذت بذلك على درجة شوكة بحرية وقوة تجارية ليست دون ما كانت قد استحوذت عليه من قبلها مدينة (صيدا) من هذا القبيل في سالف الجبل

مطلب — ذكر مخالفة مدينة (صور) مع بنى اسرائيل (في سنة ١٠٥١ ق م) وقد كان نزول القوم البحريين المعروفين باسم (الفلسطينيين) النازلين من اهل جزيرة (كريد) على سواحل الشام في سالف الايام وما حصل لهم من النجاح والظفر على سكان تلك الاقطار في ذلك العصر وتعلقت اطماعهم بان يستحوذوا لانفسهم على سائر النواحي الجنوبية من اقطار بلاد (سورية) قد ترتب عليه تبديل احوال العلائق التي كانت توجد بين بنى اسرائيل والفنيقيين في ذلك الجبل وذلك ان الاسرائيليين في اول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا اعداء للصيдаوين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شتموا القارة عليهم دفعة واحدة فظفروا بهم وغلبوهم وصاروا بحيث يخشى عليهم من ان يستولوا عليهم

ويستعبدوهم استعباداً مخلداً وترأى لهم من جهة أخرى ان (الآراميين) على نحو ذلك الوقت كانوا قد أخذوا بجهة شمال (سورية) في ان يستعمل امرهم ويعظم شأنهم اعوزتهم ضرورة الدفع عن انفسهم من عدو واحد على ان يتقارب كل من القومين المذمومين ويتحجب كل من هذين الخصمين الكبيرين وان كانا للغاية ذلك الوقت متعددين وتمكنت في اذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين

ولذلك كان الملك (هرام) ملك صور في ذات السنة التي كان (داود) عليه السلام قد اخذ فيها مدينة (اورشليم) من يد القوم المعروفين باسم (اليويزيين) وجعلها قاعدة المملكة العبرانية (اعني في سنة ١٠٥١ ق م) قد بعث اليه رسلاً من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين

مطلب — ذكر الممارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور (من سنة ١٠٣٨ الى سنة ٩٩٤ ق م) — وكان قد صنع الملك (هرام) الثاني ابن (ابي بعل) على سرير مملكة الصور بين في سنة ١٠٣٨ ق م) فبادر من اول مبادى مدة عهده بان شرع بمدينة صور في انشاء عمارات عظيمة وابتناء اعمال جسيمة تغيرت بها حالة منظر هذه المدينة بالكلية فجدد عمارة هيكل معبودهم المسمى باسم (ميلكارت) وكان قد انشئ فيها من قبله بالف سنة فهدم واقامه بالثاني على وجه من الابهة والزينة لا نظيره في سائر المباني وردم الخليج الفاصل من البحر بين الجزيرة التي سكناوا بعتق دون حرمتها المسماة باسم جزيرة (ميلسكارت) والجزيرة الاخرى التي كانت عليها حاضرة (صور) البحرية الاصلية بحيث صار كل من الجزيرتين المذكورتين جزيرة واحدة وضم اليها ايضا مساحة من قاع البحر تزيد عن اصل مساحة مجموع ارض هذه الجزيرة الالهية وجرى ردمها وتبقيتها في الجهة الجنوبية منها وانشأ فيها محلة مساكن جديدة واحاط مدينة (صور) البحرية هذه من جميع جهاتها بعد ان صارت بتلك الاعمال في حالة جديدة بجسور تقبها من امواج البحر وبنى عليها سوراً محمداً باقوى لاعمال الاستحكامية وانشأ على سائر محيط الميناء القديمة اربعة عظمة واحداث على الساحل الغربي من تلك الجزيرة ميناء اخرى جديدة تسع من الدفن ما يكاد يزيد عن ضمني ما كانت تسعه الميناء القديمة وانشأ ايضا في تلك المدينة الجزيرية قصراً مملوكاً عظيماً حتى صارت بذلك كله هي مدينة (صور) الحقيقية الاصلية وحازت درجة الاعلوية والاهمية على سائر المدن الحقيقية في تلك الحقبة العصرية وامام مدينة (صور) البرية التي كانت تسمى باسم (باليتوروس) ومعناه (صور القديمة) فقد كانت اخذت في الانحطاط والتخرب بالكلية

مطلب — ذكر علائق الملك (هرام) الثاني ملك صور مع سليمان عليه السلام — وبينما كان الملك (هرام) ملك صور المذكور مشغلا بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفي (داود) عليه السلام وخلفه على سرير مملكة بني اسرائيل (في سنة ١٠١٩ ق م) ولده سليمان فبادر ملك (صور) المذكور بأن بعث الى القدس الشريف سفارة لقصد تهنئة ولد حليفه بحادثة تقليده بملك بني اسرائيل وكان داود عليه السلام قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان بان يبني هيكل بيت المقدس لعبادة الله الواحد الاقدس فطلب من الملك (هرام) ان يعينه على تحصيل هذا المرام ولداعى ان ملك صور المذكور كان ملتبيا باعمال العمارات التي كان مشغلا بها في بلاده لم يمكنه ان يسعف سليمان على الفور بما كان قد طلبه منه ولزم ان لا يشرع في عمارة بيت المقدس الا (في سنة ١٠١٨ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لوتورمان المروى عنه اعلاه مامعناه وقد قصصنا قصة عمارة القدس الشريف في كتابنا (تاريخ القوم اليهود) فن اراد ان يطلع عليها فليراجعه (٨) ثم قال المؤرخ المذكور بعد ذلك ما هو بعد مسطور

ومن بعد ذلك بمدة يسيرة كان الملك (هرام) الثاني وسليمان عليه السلام قد اتفقا وتعاهدا على ان يعمل بمصاريف مشتركة من طرفهما الاعمال اللازمة للشرع في الاسفار البحرية بمينا (اوفر) على البحر الاحمر

وقد ذكرنا قصة تلك الحادثة ايضا فيما سلف فلاحاجة للرجوع اليها كما لاحاجة ايضا للعود على قصة عمارة بيت المقدس وانما ينبغي لنا أن نتص هنا على ان من الحوادث التاريخية الثابتة والوقائع الدهرية المقررة انه من مدة مديدة واعصار قديمة عديدة قد كانت بضائع الهند النفيسة من اعطى المواد الجارية عليها مدار تجارة الفينيقيين وكانوا يجلبون اكثرها الى مصر كز بلادهم ثم ينشرونها من البر بواسطة قوافل تجارية تسافر الى الديار المصرية والى بلاد وادي الفرات ومن طريق البحر الى سائر سواحل البحر الابيض المتوسط ولذلك كان جم غفير وقوم كثير من التجار الفينيقيين متوطنين بنواحي بلاد جزيرة العرب الجنوبية حيث كان يأتي اليها من الاقطار الهندية بعض سفن غليظة الانشاء والعمارة من صناعة اهل الهند كانت تدفعها الريح الهندية الدورية المعروفة في اصطلاح ارباب السفر في البحر باسم (الموسون) فتأتي اليها مشحونة بمواصل تلك الاقطار فيأخذها منهم التجار الفينيقيون وينقلونها في العادة الى بلادهم الاصلية بواسطة قوافل تسافر في اثناء محاري بلاد العرب الوسطانية علما شرع كل من الملك

(هram) الثاني ملك صور وسليمان عليه السلام في انشاء اسطول بحري بمينا (اولهر) المذكورة كان ذلك اصل منشأ عمل الاسفار البحرية المستقيمة من مين آخر الخليج العربي (البحر الاحمر) الى سواحل بلاد الهند وكان قد تم اتمام الحصول على هذا المرام كل التمام غير انه لم يستمر الا لغاية وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فقط

مطلب — ذكر من خلف الملك (هram) الثاني على ملكة (صور) من الملوك الفنيقيين (من سنة ٩٩٤ الى سنة ٨٧٦ ق م) — ذكر مؤرخ اليهود المشهور باسم (يوسف) قائمة الملوك الذين تقلدوا بملكة (صور) من بعد (هram) الثاني المذكور مدة قرن ونصف من الدهر وبقيت محفوظة لنا لغاية هذا العصر واكثرهم لفائدة في ذكره بالنسبة لعلم التاريخ ولذلك نقتصر منهم على ذكر الملك المسمى باسم (ايتبعل) حيث ذكر في نصوص الوراثة انه هو ابو امرأة المشهورة باسم (هازايل) التي كان قد تزوج بها ملك بني اسرائيل المسمى باسم (احوب) وكان قد صار له تأثير كبير على عقل صهره هذا وترتب على ذلك ما ترتب من اسوأ العواقب لملكة بني اسرائيل حيث نشأت فيهم بدسية هذه المرأة القبيحة ديانة عبادة الاصنام الصريحة وقد كان الملك (ايتبعل) هذا هو اول عائلة ملوكية عادية كانت قد استقرت على سرير المملكة بمدينة (صور) بعد فتن سياسية شديدة وبحسن ادمية امتدت مدة من الزمن مديدة

مطلب — ذكر ملك صور المشهور باسم (بيجماليون) واخته المسماة باسم (الياسار) المسماة ايضا باسم (ديدون) (من سنة ٨٧٦ الى سنة ٨٦٩ ق م) — وقد كانت مبادئ عهد الملك الرابع مع ملوك هذه العائلة الملوكية الجديدة قد اشتهرت بمجاذبة فتنه شديدة ترتب عليها ان حدثت على سواحل افريقية فيما بعد ذلك العهد مدينة (قرطاجنة) الشهيرة التي صارت هو قرية مدينة (رومية) الكبيرة وتفصيل ذلك ان ملك صور المسمى باسم (ماتان) كان قد توفي وقد خلف ولدين (احدهما) ذكر يبلغ من العمر احدى عشرة سنة يدعى باسم (بيجماليون) و (الثاني) انثى كانت اكبر منه سنابعض سنوات سمي باسم (الياسار) وكان ابوهما قد عهد اليهما بان يجلسا على سرير المملكة بطريق الشركة وكان عوام الرعية يرغبون في تغيير صورة ولاية الاسر الفنيقية من هيئة الحكومة الملوكية السيادية والاعيانبة بمعنى كون ولاية الامور من الطبقة العليا من الاهالي التي كانت عليها لغاية ذلك العهد ويبدلون بها الى هيئة دولة ادمية فاناروا فتنه داخلية ولوا على سرير المملكة الصورية (بيجماليون) بن (ماتان) وحده دون اخته (الياسار) واتخذوا له مجلس شوري من ارباب المناصب الدولية المساعدين

على هيئة الدولة الاهلية وبذلك اخرجوا عن حق المملكة اخته (الياسار) المذكورة
فما كان منها الا انها تزوجت برئيس طائفة خدمت ديانة معيودهم المسمى باسم (ميلسكارت)
واسمه (زيسار بعل) وقد كان من اصول ترتيب درجاتهم السياسية انه ثاني ذات من ارباب الرتب
السياسية بعد ذات الملك فكان بحسب درجة منصبه هذا هو رئيس اهل العصبة السيادية
وحيث كان الملك (بيجماليون) قد نشأ مربى على الميل للعصبة الاهلية كان بعد تقليده
بقلادة الملك ببعض سنوات قد قتل (زيسار بعل) المذكور اذ كان يرى انه من احم له
على سرير المملكة فاشتدت في قلب اخته (الياسار) هذه حرارة بغية الانتقام وغية الانخذ
لزوجها من اخيها بالشار ولذلك صارت رأس عصبة اهلية قوية كبيرة تعصبت لتقصده
عزل اخيها هذا عن سرير الملك واعادة ما كانت عليه صورة الدولة الصورية من الهيئة
السيادية وسعوا في الحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة (صور)
فعموا على ان يهاجروا من اوطانهم الاصلية ويخرجوا من ديارهم الصورية استنكافا
من ان يبقوا فيها تحت ذل العصبة الاهلية وقاموا جميعا فوجدوا في ميناء تلك المدينة عدة
سفن مجهزة للاقلاع فاستولوا عليها على حين غفلة من اهلها وركبوا فيها وكانوا عدة ألوف
عديدة وسافروا في البحر تحت قيادة (الياسار) السالفة الذكر ليبحثوا لهم عن
مكان آخر يحدثون فيه مدينة (صور) أخرى في بعض الاقطار حتى نزلوا بسواحل
افريقية واختطوا فيها مدينة (فرطاجه) الشهيرة ولما هي واقعة هذه المهاجرة اشتهرت
(الياسار) المذكورة باسم (ديدون) ومعاه في اللغة الفينيقية (الهاربة) وكان
وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة (٨٦٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام
وهي السنة السابعة من عهد تقايد الملك (بيجماليون) بمملكة الصوريين

مطلب — ذكر كيفية تأسيس مدينة (فرطاجه) (في سنة ٨٦٩ ق م)

— وقد كان اتجاه سفره ولاء اقوام المهاجرين من الصوريين نحو سواحل افريقية حيث
كان لاوطانهم الاصلية في تلك الاقطار من مالف الانصار من قبل مواطن تجارية
ومنازل بحرية قد كانت لم تزل تزداد وكثوا يرون انهم اذا نزلوا بتلك البلاد لا يعدون من
ابناء اوطانهم الاصيلين واخوانهم الفينيقيين السالقين من لا يد وان يكون فيه الاستعداد
لقبولهم فيها والاعانة على نزولهم عابرا ولذلك نزلوا من اقليم (زوجيتان) على السكان
الذي كان قد نزل عليه من قبلهم ببعض قرود زمنية سالفة اخوانهم الصيداويون وكانوا
قد اختطو فيه مدينة (كبه) وكانت في ذلك العصر قد اخذت في الانحطاط التام وكانت
تلك البلاد بوقت ان نزل عليها الصوريون المهاجرون اليها يليها ملك للقوم الليبيين يقال
له (يايون) فجأت (ديدون) واشترت منه قطعة ارض لتبذل فيها انزلتها هذه المركبة

من القوم الصور بين الفارين معها او اختطت فيها مدينة سميت باسم (قرطاجة) وهو لفظ مأخوذ من اللغة الفنيقية من كباتر كيباوصفيا معناه في الاصل (المدينة الجديدة) ثم حرفه اليونان بلفظ (قارشيدون) وجاء الرومانيون ايضا فحرفوه الى لفظ (فرطجة)

مطلب — ذكر استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفنيقيين (من القرن التاسع لغاية القرن السابع ق م) — ومن بعد مهاجرة (الياسار) على الغور اعني في ذات مدة عهد الملك (بيجماليون) كانت مدينة (صور) وسائر المدن الفنيقية الاخرى قد اضطرت للدخول تحت سيادة ملوك بلاد الاسورية اذ كانت دولتهم في ذلك العصر قد استفحلت كل الاستفحال مع غاية السرعة والاستبجال وشوكتهم قد استحكمت وبلغت الى غاية اوج الكمال وكان بعض ملوكهم السالفين من قبل هذا العصر قد اغاروا على بلاد الفنيقية مرتين (احدهما) من ملكهم المشهور باسم (تجلاتاسر) في القرن الثاني عشر (الثانية) من ملكهم المسمى باسم (آسورنازيربال) في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام غير ان الاسوريين في تلك الاعصار كانوا قد ظهروا ببلاد الفنيقية ظهورا قصيرا فلم تطل مدتهم ولم تستقر في تلك البلاد دولتهم حتى جاءت مدة تملك الملك (بيلوخوس) الثالث ومن ابتداء ذلك العهد لغاية زوال المملكة النينوية كانت وطأة الدولة الاسورية قد ثقلت على الدوام والاستمرار على اعناق اهل تلك الاقطار

ومع ذلك فقد كان الفنيقيون قد هموا على عدة منارات بان يلقوا عن اعناقهم كرب الطاعة للدولة الاسورية اذ كان ذلك اثقل عليهم من بذل الطاعة لسيادة الدولة المصرية بكثير جدا وكان البطل الذي قام بتدبير هذه المقاومات الاهلية في النصف الاخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو رجل من الملوك الصوريين يقال له (ابولي) مكث مدة ثلاثين سنة وهو يقاتل الاسوريين مع غاية المواظبة التي لم يقطعها فاطع ولم يمنعه مانع فكان قد جاءه اولا الملك (سرجون) واقام على حصار مدينة (صور) مدة خمس سنين (من سنة ٧٤٠ الى سنة ٧١٥ ق م) فلم يزل الملك (ابولي) هذا يدفع هجوم الاسوريين عن مدينته بطول تلك المدة مع الشجاعة وحسن التدبير حتى خاب امل الملك (سرجون) ولم يظفر بمراذه من الاستيلاء على تلك المدينة البحرية غير انه في مدة الحصار المذكور كان اليونان قد انتهزوا الفرصة من تلك الحادثة واخرجوا سائر النزلات الاستعمارية التي كانت للصوريين بجزيرة (طاشوش) وجزيرة (كريد) واكثر الاماكن التجارية الصورية التي كانت عامرة بجزيرة (صقلية) ثم جاء الملك (سنهابيب) بمد ذلك مدة من الزم فظفر به وغلبه وعزله عن سرير المملكة

الدرس الثام ٣٧٣ في التاريخ العام

الصورية واستولى دوعلى مدينة (صور) الكائنة في وسط امواج البحر وقد كان ذلك في مبادئ الغزوة الحربية الكبيرة التي كان تدشع فيها القتال (حزقيا) ملك بني اسرائيل (في سنة ٧٠٠ ق م) وكان هذا الملك الفاتح الاسورى قد جرد مدينة (صور) التي هي كعبة الصنم المعروف باسم (ميسكات) في هذه الغزوة جزاء لها وتنكيلا بها مما كان قد تقرر لها من درجة الاعلوية السياسية على سائر المدن الفينيقية منذ خمسة قرون زمنية وامامك الاسوريين المسمى باسم (اسورادون) فكان قد شن الغارة ايضا على مدينة (صيدا) اذ كانت قد خرجت ايضا عن طاعة الدولة الاسورية فادفع بها كما وقع بمدينة صور واخذها عنوة وعاملها بغيابة البحر والقسوة

مطلب — ذكر تخريب بختنصر لمدينة صور (من سنة ٥٨٩ الى سنة ٥٧٤ ق م) — ولما كان فرعون مصر المعروف باسم (نخاوس) قد انتهز فرصة اخذ الدولة الاسورية في الزوال فاستولى مؤقتا على بلاد (سورية) كانت سائر المدن الفينيقية قد تلقت الجنود المصرية مع غاية الفرح والمسرورية اذ كان قد تراءى لهم انهم لهم منقذون من اسر القوم الاسوريين فلما جاء (بختنصر) المشهور فهزم ملك مصر المذكور على نهر الفرات (في سنة ٦٠٦) كما اسلفنا ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب كانت قد سقطت جميع هذه الامصار في قبضة ذلك الملك الجبار وكانت مدينة (صور) وان كانت في ذلك العصر قد زالت عنها مرتبة الاعلوية على سائر المدن الفينيقية غير انها كانت لم تزل هي اقواها شوكة واعظمها اهمية وصولا وكانت لم يزل لها املاك عظيمة متسعة في غربي البحر الايض المتوسط وتجارة بحرية جسيمة تجتمع من انواع الثنى والثروة ماله صورة عظيمة

ثم (في سنة ٥٩٠ ق م) كانت مدينة (صور) قد حثها فرعون مصر المسمى باسم (اپريص) على القيام على (بختنصر) كما حدث كذلك الملك (صدقيا) ملك يهودا على الخروج عن طاعة الدولة المصرية فعصى كل منهم ما عليه وخرجوا عن طاعته في آن واحد فما كان من بختنصر الا انه بعد السنة التي كان قد اخرج فيها يث المقدس (سنة ٥٨٧ ق م) التفث الى تلك الحاضرة الفينيقية العظيمة وجاء اليها ونصب الحصار عليها فكانت عواقب تلك الثورة على القوم الفيين مشؤمة واي مشؤمة وذلك ان بختنصر طاروا لاعدية (صور) البرية المسموعة باسم (بالياتير) اي صور القديمة واخذها اخذ عزيزة قنادر واخرها بالكلية وامام مدينة (صور) البحرية فكانت قد قاومتها مدة ثلاث عشرة سنة وابدت في الدافع عن نفسها منه اعجب المدافعات واغرب المجزات ثم انتهى امرها بان اخذها بالقوة القهرية واباحها للاستلاب لمومه العسكرية

الدور الثامن ٣٧٤ في التاريخ العام

وأخرب بقوتها وأبقى على بعض (في سنة ٥٧٤ ق م) وأصابها من جبروتها بمصائب شديدة ونواصب عديدة بحيث صارت تلك الحاضرة الفنيقية ذات الأنفة والكبرياء العنيدة من سوء الحال والجهد إلى درجة انحطاط لم تقم منها بعد وصارت من العيش النكد انما تبت كما نبت جبل السيل في أسفل الوادي لا غير اعني انها لم تيسر لها بعد ذلك العهد ان تعود لما كانت عليه من اصلاح شأن مادة بحريتها بالثاني . ولان تسترجع ما كانت قد اشتهرت به من سعة تجارتها ولا ان تهين ما كان لها من التزائل الاستعمارية والاماكن الزراعية والتجارية بنواحي (اسبانيا) وجزيرة (سردينيا) وسواحل افريقية وكانت مدينة (قرطاجة) الشهيرة قد خلفتها عايم ارتوارتها عنها

مطلب — ذكر حال بلاد الفنيقية في عهد انصافها بالتبعية للدولة السكلدانية والدولة الفارسية — وقد كانت صارت بلاد الفنيقية منذ ذلك العصر ميدانا للعرب بين فرعون مصر (ايريس) وبخت نصر ملك الاسوريين واصاب مدينة (صور) من ذلك اتلاقات جسيمة جدا (في سنة ٥٧٣ ق م) وبقيت تحت يد الدولة العراقية بعد اقامة دولتهم الثانية حتى جاء ملك فارس المشهور باسم (كيرش او قيروس) فزالها واستولى على سائر الاقطار التي كانت تحت ولايتها فاذعنت بلاد الفنيقية كلها لسيادة الملك الفارسي المذكور بعد اخذ مدينته (بابل) من دون أدنى مقاومة ولا مدافعة عن نفسها ومن ذلك الوقت صارت بلاد الفنيقية ولاية ملحقة بالدولة الفارسية قال المؤرخ فرانسيص لونيومان المذكور في آخر هذا الفصل من تاريخه الكبير المشهور ما تعريبه بتمامه هكذا ولما اخذ الملك (كيرش) مدينة (بابل) كانت جميع المدن الفنيقية قد انزلت من تحت طاعة الدولة السكلدانية الى طاعة الدولة الفارسية واذعنت للدولة الفاتحة الجديدة بدون ان يحصل منها ادنى اهتمام بمقاومة ولا مدافعة عن نفسها باكلية وظهر القوم الفنيقيون للقوم الغالبين تمام الطاعة والامتثال وبذلوا لهم مثل ما كانوا يذلونه للدولة القديمة من مرتب الاموال وصاروا يؤدون اليهم ايضا ما يلزم لهم من السفن اللازمة لغزواتهم الحربية حسيما كانوا يرغبون ويعطونهم من ذلك ما كانوا يطلبون كما في غزوة الملك (قبيرش) لدار مصر غير ان الملك الفارسي المذكور لما اراد ان يش الغارة ايضا في ذلك العصر على مدينة (قرطاجة) امتنعت السفن الفنيقية من التوجه اليها رابت ان تسعى في استعباد اخوانهم القرطاجيين اذ كان اصلهم من ابناء اوطانهم الاصاين كما سلفنا ذكر ذلك فيما تقدم ولذلك بقيت مدينة (قرطاجة) بحالة الحرية من اسير الدولة الفارسية (هـ)

الفصل الثالث

في ذكر درجة تمدن الفنيقيين وانحلافهم وعوايدهم وما كان لهم من التأثير
على احوال الامم المتقدمين

مطلب — ذكر تجارة الفنيقيين البحرية — قد فهم مما اسلفناه في ضمن
الفصلين السابقين من مختصر تاريخ الفنيقيين ان صناعة التجارة على وجه العموم ولا سيما
التجارة البحرية قد كانت هي الشغل الشاغل الاصلى والعمل الغالب الاولى على القوم
الفنيقيين و يصح ان يقال ان توارىخهم الاهلية اذا صرنا للتظرف عما يوجد فيها من بعض
حوادث عارضية حربية وقعت منهم في بعض الاحيان لقصد الدفع عن اراضيهم الخصوصية
قد كانت كلها في الحقيقة في سائر طول اعصارهم التاريخية عبارة عن سيرة دار تجارة متسعة
جدا لا غير وقد كانت هذه الوظيفة هي التي تدعوهم اليها طبيعة ومنع بلادهم الاصلية
وتقتضيها ضرورة احوالهم المسكانية وبيان ذلك ان اما كنهم كانت على نهاية الارض
القارة من بلاد آسيا على سواحل بحر ملط عظيم يصل بطريق المباشرة بينها وبين القارة
الافريقية والاوروپية فلزم بالضرورة ان تكون بلاد الفنيقية بحسب حسن موافقتها
هذا السعيد هي من كثر التجارة بين بلاد المشرق والمغرب ولذلك لزم ان يكون التواصل بين بلاد
آسيا واوروپية و افريقية من اول الامر قد حصل بواسطة اساطيلها البحرية دون خيبرها
من الامم من منذ اعصار طويلة من سالف الدهر

ولا يصعب على الاذهان ان تتصور مع غاية الوضوح والبيان حقيقة انواع البضائع
الاصلية وكيفية الاعمال التجارية الاولى التي كان عليها مدار تجارة الفنيقيين بطريق
البحر في تلك الازمان وذلك ان جميع الامم والاقوام الذين كان الفنيقيون يرحلون للبادلة
معهم كانوا الميزالوا بعد اقوام متوحشين وأعماديين لا صناعة عندهم ولا فن لديهم
وكانوا على حالة اشبه بما كان عليه سكان بلاد (الاقيا نوسية) (جزائر البحر المحيط)
البلديون بوقت ان نزل عليهم اول السياحين الاوروبايين وقد كان الكنعانيون من وجه
آخر عندهم من التقدم في الصناعة بقدر ما كان لهم من الحسنى والمهارة في التجارة تقريرا
وكاوا قد بلغوا في بعض اعمال الصنایع والفنون الى اعلى درجة الكمال فان مصنوعاتهم
من المواد المعدنية قد ذكرت في نصوص الآثار المصرية من اول عهد العائلة المالوكية المصرية
الثامنة عشرة مع غاية الاطراء والايغال واشترت من سوجاتهم في سائر اقطار الدنيا القديمة
وكان في ايديهم بالخصوص احتكار بعض الوان صبغية يصططعونها ويتجبرون فيها

لاشار كهم فيها احد من الامم الا آخريين كصناعة اللون الاحمر الارجواني وهو صيد حمره
 بنفصية تنوع من السواد والسمرة الى الوان مختلفة كانوا يتخذونها من باطن نوع من القواقع
 او الودع المعروف بالمحار وهو نوع من الحيوانات البحرية كانوا يصيدونه من سواحل
 بلادهم وقد حصل العثور على عدة تموزجات عديدة منه في الآثار الفنيقية القديمة
 التي حصل العثور عليها ولم تزل توجد في الاتيقف ثلث الافرنجية المار جودة الآن
 وكانوا يصطنعون ايضا من اصناف الزجاج ما يضاهاى ما خرج من معامل اقرالتي كانت
 مشهورة بمدينة (البندقية) ببلاد اوروپة في الاعصار المتوسطة بل كان السلف يقولون
 بان الفنيقيين هم اول من اخترع صناعة الزجاج واذا كان الحال كما توضح اعلاه فقد
 ظهرت الفنيقيين لم يكونوا مجرد سماسرة يعملون بالتوسط في الاحذ والعطابين الامم المتدنيين
 والاقوام الاخرين الذين كانوا على انواع الصنایع والعنون مترتين اعني المصريين
 والاسوريين فقط بل كانوا كذلك قوما يصطنعون بايديهم بعض الصنایع وينتجولون
 بانفسهم بعض الحرف والعنون وكان لهم معامل ابتداعية وحواصل صناعية يروجونها
 في تلك الابواب التجارية التي كانت مفتوحة لهم بواسطة نشاطهم البحرية وبهذه
 المثابة كانت تجارتهم كلها عمل بطريق المبادلة فكانوا يسافرون اولاً الى بلاد اليونان ثم
 الى بلاد (اسبانيا) ثم الى بلاد (الغولة) (وهي ما عاينه مكان بلاد فرانسة الآن)
 ثم الى بلاد (ايطاليا) ثم الى بلاد (ليبيا) (وهي بلاد افريقية الغربية) وقد كانت
 سائر هذه الاقطار في تلك الاعصار كلها بلاداً متوحشة وسكانها اقوام بدوية متعشقة
 لا يحسنون شيئاً من الصنایع البشرية ثم بعد ذلك صاروا يسافرون الى الجرثا لبريطانية
 (وهي جزائر انجلترا) حتى بلغ من شأنهم ايضاً انهم كانوا يسافرون مدة حقبة من الدهر
 فيما بعد الى بلاد الهند ومن سكان جميع تلك الاقطار كانوا يأخذون ما كان يتيسر لهم
 من كل قطر في ذلك العصر من انواع المعادن واصناف الانخشاب وسائر المواد الاولى
 الطبيعية التي تخرج من تلك البلدان ويعطونهم بدلاً عنها من حواصل معاملهم الصناعية
 ونتائج اعمالهم الابتداعية فيبيعون لهم في نظير ذلك من الآلات والادوات المتخذة من
 المعادن والاقشة وانواع الاواني والامتعة المتخذة من الفخار والزجاج وقد كان سائر
 سكان تلك الاقطار لداعي مخالطتهم بالفنيقيين قد انتشرت فيهم معرفة تلك الآلات
 والامتعة المعاشية واحسوا بضرورة لزومها لهم مع كونهم قد كانوا في تلك الاعصار
 لا يحسنون صناعتها بانفسهم
 واما في الاعصار الاقرب عهداً منا فقد كانت حاله تجارة الفنيقيين المذكورة قد تعيرت
 بالضرورة

بالضرورة ولا شك في انهم قد كانوا هم الذين ساعدوا اكثر من كل بلدين اخرى على نشر
اهتياك التمدن المادية في هذا ارجاء حوض البحر المتوسط الايض (بحر سفيد) وكانت
احوال سكان تلك الاقطار قد ترققت بخالطتهم وتقدمت بمعاشرتهم وصاروا بالنسبة
لما كانوا عليه في الاعصار السالفة أمما متحضرين واقواما متمصرين ومع ذلك فقد كانت تجارة
الفنيقيين معهم وان كانت منذ ذلك العهد مع اقوام متمدنين لم يتورها فتور بعد بل
كانت قد بقيت على ما كانت عليه في سالف العهد من النشاط والاجتهاد ونجاية ما هناك ان
كيفية اعمالهم وانواع البضائع التي كانت تدور عليها دائرة اشتغالها هي التي كانت قد تغيرت
فقط وذلك ان امدن الامم المتمدنة بالاقطار المغربية واهل الامصار الاوروبية واولهم اليونان
انما كانوا يأخذون من بلاد آسيا كل ما كان يلزم لهم من امتعة الزينة والرفاهية بحسب
ما صاروا اليه وتعودوا عليه من الاخذ في اسباب الحياة التمدنية والمعيشة الشهوانية وقد كان
سكان تلك الاقطار المغربية وان كانوا قد بلغوا من درجات الترقيات العمرانية في تلك الاعصار
ايضا الى انهم صاروا يتقنون بعض الصنایع والفنون ويخرج من ايديهم بمسكثرة من ذلك
حواصل ما يحسنون لم يزالوا يرغبون ولم يغتنأوا يطلبون كثيرا من حواصل فروع الصناعة
المشرقية

مطلب ذكر التجارة الفنيقية البرية وقد علم بالضرورة ايضا انه كان قد انهم
لتجارة الفنيقيين البحرية المتسعة تجارة برية بطريق القوافل السفرية لم تكن دونها في
الامتداد والسعة فقد كان لهم عدة طرق تجارية عظيمة وجملة خطوط سفرية قديمة على البر
ايضا تسافر فيها التجار الفنيقيون ويخترقون بها قارة اوروپة في سالف تلك الحقبة قياتون منها
بحواصل صناعية نفيسة تخرج ببعض اقطار شاسعة لم يكن يتيسر لهم ان يصلوا اليها بواسطة
اسفارهم البحرية وكان اعظم تلك الطرق هو الذي كانوا يسافرون فيه في خلال بلاد (الغولة)
(وهي بلاد فرانسة الآن) فيجلبون الى مصاب نهر (الرون) بنواحي البحر الايض المتوسط
ما يخرج باقليم (كرنوالية) (يسلادانجلترا) من القصدير قبل ان يظهر القرطاجيون
ويسافروا في البحر سفر مستمرا الى حد الجزائر الابريطانية بمدية مديدة جدا وكان التجار
الفنيقيون ايضا يجلبون العنبر الاصفر وهو الكهر باو الكهرمان من سواحل بحر (بلتيق)
(وهو جزء عظيم من البحر المحيط الشمالي) وكان هذا الصنف هو اعظم الاصناف
التجارية التي كانوا يجلبونها في اسفارهم البحرية الى الاقطار الآسية ولا يصح عقلا ان
يقال بان سفن مدينة (صيد آء) او (صور) كانت في عصر من الاعصار مطلقا تسافر بحرا
الى حد بحر (بلتيق) وتتردد على سواحل بلاد (البروسيا) التي هي الموطن الاصلي

لعتبر بل الظاهر انهم كانوا يأتون به بطريق البر ويشترونه في سفنهم من عند مصاب النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (الايروان) والمدعو الآن باسم نهر (البو) (بفارسية مفتحمة يليها واوسا كنة في آخره) حتى ان اليونان مكثوا مدة مديدة من الزمن يظنون انهم انما كانوا يلتقطون العنبر من ذلك النهر وليس الحال كذلك بل كانوا يأتون به من سواحل بحر (بليتيق) المذمكور ويسافرون به على البر في قوافل تخرق سائر بلاد (جرمانيا) او (المانيا) ويأتون في عودتهم ببعض بضائع يجلبونها من مصنوعات بلاد آسيا ثم صاروا به كذلك يأتون في عودتهم ببعض بضائع من صناعة بلاد (الايثروية) (وهي ما يعرف ببلاد التوسكانة من بلاد ايطاليا الآن) ويرجعون من ذات الطريق التي جاؤا منها فينتشرون في سائر بلاد (المانيا) و (اسكانديناو) ببلاد اوروية وكان قد حصل بحال طتهم مع اهالي تلك الاقطار البلديين تأشير عظيم على اول ما كانوا قد تشبهوا به من الانخذلي مبادى الصنایع والفنون بتلك الاحقاب السالفة

وقد كانت اسفار التجار الفنيقيين البرية كثيرة جدا وصادوا داخل بلاد آسيا حيث سكنت قوافلهم ترحل اليها فتأتى منها الى مين الكنعانيين البحرية بالبضائع الطبيعية او الصناعية التي كانت سفنهم تأتى بها من صنایع البلاد المغربية وتنشرها بدلا عنها في تلك الاقطار الآسية وكان لسير قوافلهم التجارية هذه في داخل الاقطار الآسية ثلاثة دروب اصلية فكانوا يخترقون (اولا) صحارى بلاد العرب ويذهبون الى بلاد اليمن حيث يجدون هناك السفن الواردة من بلاد الهند ترسو على سواحل تلك الجهات وكانوا يذهبون من طريق اخر ايضا فيذهبون من بلاد (آرام) (وهي بلاد الشام) ويمرون ببلاد الجزيرة الفراتية حتى يصلوا من تلك الطريق الى بلاد الاسورية وبابل ومن ثم يأخذون في مبدأ طريق تجارية اخرى تمر بخلال بلاد الميديه وفارس وبلاد (اريان) حتى يصلوا بطريق البر الى بلاد الهند وكان اقوافلهم طريق ثالث يسافرون منه الى بلاد الارمن ومنها الى الاقاليم الكائنة في سفح جبال (قوقازة) فيجلبون منها ما كانت تلك الاقطار مشهورة به من قديم تلك الاعصار من المعادن والمصنوعات المعدنية

مطلب — ذكر ما كانت قد اشتهرت به مدن الفنيقيين من الغنى والثروة وكثرة الاموال — وقد كانت جميع هذه المتاجر المتنوعة باستمرارها في القوم الفنيقيين المذكورين مدة عدة عديدة من القرون برا وبحرا قد تراكم منها في المدن الفنية اموال جسيمة وخيرات عظيمة جدا فكانت كثرة تلك الاموال هي السبب الموجب لكون تلك المدن قد سقطت الى اسوأ حال اذ كانت هي التي هيجت اطماع الملوك الاسوريين والكلدانيين اليها

اليها ونسككت ايضاً في السبب في ان اهل تلك المدن قد غلب عليهم من غاية ارتكاب الرذائل والفواحش ونهاية فساد الاخلاق ما يؤدي دائماً الى تطرق يد الغلبة والفتح من الامم الاخراب الى كل امة كانت بهذه الحالة الذميمة ودليل ذلك ما ورد في نصوص التوراة من ان احداً انبياء بني اسرائيل المسمى باسم (حزقييل) صاح على الصوريين بما معناه بالعزبية هكذا (قد كنتم في لذات جنّة الرب وكانت ملاسكم محلاة بسائر انواع الجواهر والاحجار النفيسة وكان يبرق عايم في جنب الذهب حجر الخضر والياقوت الاصفر واليشم والزبرجد والجزع والياقوت الازرق والبهرمان (او الياقوت البهري) والزمرد وتضرب بين ايديكم الطبول والزامير غير انكم قد تدنستم بكثرة مظالمكم ومظالم تجارتكم ولذلك اردت ان اخرج من بينكم نارا قد اكلتكم واصارتكم الى رماد (انتهى ما نقل من التوراة)

مطلب — ذكر ما كان قد حصل من الفنيقيين في سالف الاعصار من توطيين الترائل الاستعمارية في كثير من الاقطار — وقد كان الفنيقيون لاجل تسهيل متاجرتهم وتأسيسها على اقوى قدم من الثبات والامان ينشئون منقاد صيرفية مستمرة ومعامل تجارية دائمة مستقرة في سائر الاماكن التي اعتادت سفقتهم وتجارتهم على التردد عليها من قبيل ما هو حاصل في عصرنا هذا على سواحل افريقية وما انبثى عليه في اول الامر تأسيس عمارات الاسيطنانات الاوروبية بالاقطار الهندية وقد ذكرنا من ذلك على ترتيب تواريخ سلسلة الترائل الاستعمارية وجملة المعامل التجارية الاصلية التي كانت متصلة للفنيقيين من غير انقطاع على سائر سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) لغاية المسكان المعروف عند السلف باسم (عمودي هر قول) (وهو المعروف الآن ببوغاز جبل طارق) غير انها كان اكثرها عبارة عن منقاد تجارية لا ترائل استعمارية حقيقية ولم يعهد لبني كنعان انهم هموا بنشأ ترائل استعمارية حقيقية اعني اما كن زراعية تشتمل على متسع عظيم من الارض انزلوا فيه سكاناً فلاحين لهده حراثة الارض وكان لهم ولاية الامر عليهم غير دفعتين اثنتين فقط (احداها) نزلة ولاية (بيوتيا) ببلاد اليونان حيث اختطوا هناك مدينة (طيبة) و (الثانية) نزلة (افريقية) التي كانت قد نشأت منها بتلك الاقطار الامة المعروفة عند السلف بالامة الليبية افريقية وفيما عداها تين الترائل المذكورتين لم تكن سائر السجلات الاستعمارية التي انشأها الفنيقيون في عصر بلوغهم لاهلى درجة من الدلاح والنجاح اعني في الوقت الذي كان يدهم احتكار الممالك التجارية البحرية في سالف تلك الحقب الدهرية دون غيرهم من الامم الا عبارة عن مجرد منقاد تجارية فقط

مطلب من ذكر ما حصل من تأثير المزايل الحقيقية على احوال سائر الامم الذين كانت قد تأسست عندهم — وكانت جميع هذه الماقد التجارية قد نتج عنها تأثير عظيم جدا على احوال البلاد التي كانت قد تأسست فيها وكل من قدم بها صار مركزا لاخطاط حاضرة عظيمة حدث حوله في تلك الدنيا القديمة وذلك ان اهالي كل بقعة من تلك البقاع البلديين وسكانها الاصليين كانوا في تلك الاعصار اقواما متوحشين واعمالهم بدويين فكانوا يأتون من كل جانب ويجمعون حول كل مكان فيه عمالة تجارية من الهالات الفتيقية المذكورة ويخذبون اليها بمحاذية ما يجدونه عندها من الفوائد الماشية ويفترون خصوصا ما يجدونه حولها من اسباب المعيشة المحصرية ولذلك كانت جميع تلك الماقد التجارية مرا كرات ذات حركة ونشاط لانتشار اسباب التمدن المادية وبالسرورة متى احتاطت امة متوحشة مع نشاط الحركة والاستمرار بامة متمدة فلانلبث ان تنهز بدعواتها وتتفاق باخلاقها وطبائعها في اقرب وقت خصوصا اذا كان الامم المتوحشون الخاطرون بالامم المتمدنين اقواما أولى فهم وفطنة وانما الامم مستعديرة للتقدم في طريق التمدن والجران كما كان ذلك هو شأن الامم الاور وباوين في كل زمان وبذلك تحدث في الامم المتوحشة حاجات جديدة وضرورات شديدة تبعثها على ان ترغب وتتطلب مع الضرايف حواصل صناعة الامة المتمدة التي تجلبها اليها حيث يظهر لها فيها من دقيق الصناعة و جديد الابدعة ما لم يكن يخطر لها على بال من قبل ثم لا تسخر ان يحدث فيها التثوق لأن تقف على امرار اصطناعها وتعرف طرائق عملها وابتداعها فتجتمد بنفسها في ان تستخرج المنافع اللازمة من ذات موارد أرضها بدلا من ان تسلمها لايدي الامم الاخرى فيستفيدون منها ويتفخعون بها دونهم

ومن المعلوم ان ديار مصر وبلاد الاسورية قد كانا في ذلك العصر هما أول مركز نقطة التمدن والحضارة وأول منشأ التقدم في العمارة وقد كان الكنعانيون بالنسبة اليهم في ذلك العصر بمثابة السفراء المرسلين والدعاة العاملين فكانت لا توجد بلدة من الاقطار السواحلية من أول جزائر بلاد اليونان الى مدجبل الطارق (ببلاد اسبانيا) في مبادئ تلك الاعصار التي لم يكن يتضح فيها قسام الوضوح ما كان حاصل فيها من حسن تأثير تلك الاسفار البحرية غير انه كان أشير اليها في خرافات اليونان مما يعرف عندهم بـ (فارابدل) (هرقول) الذي هو المعبود الاهلي والاله الملى لاهالي مدينة (صور) الا وقد اقتبست أشياء من انوار تمدن الفنيقيين وعلمت منهم جزءا من علوم هؤلاء لقوم المتمدنين وبواسطة تأثيرهم عليهم و نتيجة انتشار اعمالهم فيهم كانت بلاد اليونان وايطاليا وبلاد (الغولة) (بلاد فرنسا) واسبانيا

واسبانيا كل تلك البلاد في مبادئ خروجها من الحالة التوحشية متخلقة بانحلاق الامم
الاسيين ومتعودة بعوايد الملل المشرقيين واقاموا على تلك الحال مدة من السنين حتى جاء
الوقت الذي كان فيه سكان تلك الاقطار الاوروپاوية قد احسوا بانهم قد تقدموا في طريق
التمدن والعمران الى درجة عظيمة بحيث يحسبهم بواسطة اقتراح قرائحهم الشخصية
واختلافهم من لبان تلك التربية الاجنبية ان يتزعموا القطر ويملعوا البستها ويظهروا بظهور
حالة تمدنية وكيفية عمرانية يظهر عليها طابع هيثة خاصة بهم ولقد صدق من قال في هذا
المقام ولو بلغ ما بلغ قوله من درجة الغلو والايغال وبالغ في المقال بما كان للفنيقيين على سائر
الامم السالفين من فضل وظيفه التعليم وما كان لهم من الحظ العظيم في ارشاد اقدم نوع
الانسان في اول عصر طفوليته الى طريق التمدن والعمران فانهم هم الذين كانوا اول من نشر
بالخصوص في سائر الاقطار والجهات بدعة الكتابه الهيئات التي هي اعظم الابتداعات
البشرية وانفع الاحتراعات الانسانية وكانوا قد بلغوها الى درجة كمال بحيث يصح
يقال انهم لها هم المخترعون الحقيقيون وذلك ان جميع انواع حروف الهيئات التي تكتب بها
جميع الامم في سائر اقطار الدنيا بتماها انما هي مأخوذة من الحروف التي كان يكتب بها
الفنيقيون وهي اثنان وعشرون حرفا اصلية وسائر حروف غيرهم من الامم ترجع اليها
وتنبو عليها مع بعض حروف اخرى هي بينها واسطة ولكها متولدة عنها بكيفية تولد يمكن
تصورها بطريقة محقة

وقد كان من الفنيقيين يأخذ من فن المصريين وفن الاسور بين معاقس كان عبارة عن توفيق
اشكال في الامتين المذكورتين وتطبيق اصول الصناعتين السابقتين وصار له كذلك
تأثير عظيم وعمل جسيم على فن اليونان

مطلب — ذكر ديانة الفنيقيين وما كانوا يعبدونه من الاصنام المعبودين — وقد
كانت ديانة الفنيقيين قرية بعدا من ديانة الاسوريين والبابليين وكانت آلهتهم الاصليون
ومعبوداتهم الاهليون عبارة عن ذاتين اصليتين (احداها) ذكركان يسمى عندهم باسم
(بعل) وكانوا يعبدونه على صور مختلفة كثيرة ويدعون به باسماء متنوعة عديدة فكانوا
يعبدونه في مدينة (صور) باسم (ميليكارت) وفي مدينة (الجيل) باسم (آدونيس)
وفي سائر الجهات الاخرى من بلادهم باسم (مولوخ) او (مولوك) و(الثاني) انثى
ويعمون بها باسم (استرته) وهي التي منها تولدت الالهة المعبودة عند اليونان باسم (الزهرة)
التي كانت تعبد بمدينة (بافوس) بجزيرة (قبرص) وقد كانت صورة عبادتهم لهذه
الاصنام المعبودة لهم تشتمل على اعمال تعبدية من ارضل ما يكون وافعال تنسكية من
اقبحه يخل بمكارم الانحلاق كما كان الحال كذلك بمدينة (بابل) ولكن كانت تختص

عبادة الكنعانيين بالخصوص بما كان منطبقا فيها من طابع القسادة والجبر الذي كان يظهر على قواعد أعمالهم التعبدية ولم توجد أمة من الأمم السالفة تقرب منهم فيما كانوا يعملونه على حسب ما كانوا يزعمونه تقريرا لاصنامهم من الأعمال التنسكية المشتملة على سفك الدماء البشرية وتعاطي الفواحش الدنيئة قال المؤرخ (كروزر) المشهور مانعه (مربا) ان الفرع قد صك ان هو الاساس الاصلي والباحث القوي الاولى لديانة القوم الفنيقيين وكان دينهم دائما شديدا لظلم السفك الدماء بمحااطا باظم ظلمات التغيلات السوداء (ا) وفي الواقع ونفس الامر من تأمل فيما كان الفنيقيون يلتزمونه في تنسكاتهم الدينية من انواع الصوم والاحتشاء عن تعاطي بعض المواد الغذائية وما كانوا يفعلونه باجسادهم من انواع العذاب الاختيارية ولا سيما ما كانوا يجاسرون عليه من التقربات القبيحة بقتل النفوس البشرية التي كانوا يعتقدون وجوبها على الاحياء تعبد لاصنامهم المعبودة لهم لا يستغرب من كون امواتهم كانوا اولي بان يحسدوا على الممات من احيائهم على الحياة ولقد كان من اصول دينهم ان يتهلك اشدا الاحساسات الطبيعية حرمة ويحبط مرتبة الارواح البشرية الى ادنى الدرجات الدنيئة باوهام فاسدة وافهام مكداذبة من الفواحش وافسق انواع النفس الفاضل وينتهي حال المتأمل في احوال تعبداتهم هذه الى ان يقول يا هل ترى ما اذا كان يسترتب على ذلك من سوء العواقب الاخلاقية على اخلاق الامة الفنيقية قال المؤرخ المروي عنه هلاه بعد ذلك ما معناه وكان اشبع جميع التنسكات التعبدية واشنع الاعمال التنسكية في ديانة الامة الفنيقية هو ما كانوا يعملونه من التقرب لمعبودهم المدعو باسم (بعل مولوخ) بحرق اولادهم وهم على قيد الحياة بفعل ذات والديهم اما لاعتقاد الخلقهم بالحضرة الالهية المعبودة لهم او لقصد اطفاء نار غضبها عليهم (ا) وكان الفنيقيون قد نقلوا معهم تلك العادة الشنيعة الى سائر التلال الاستعمارية التي كانوا قد احدثوها في سائر الاقطار التي نزلوا فيها ولا سيما بنزلة (قرطاجة) اذ كانت قد بلغ فيها هذا الامر الديني الى ان صار من جملة الترتيبات الدولية الاصلية والشعائر السياسية الملية

ومن المعلوم بالضرورة ان دين كل امة وخصوصا كيفية اعمالهم التعبدية لا بد وان يكون عليه طابع قري يحتمل الخاصة بهم ولذلك كان ما نقل اليها من السلف من وصف اخلاق الفنيقيين ليس مما يمدح فقد روي لنا انهم كانوا وما اولى بهروسة سارة قود ناة تقص وكأية واناسا فاسقين سفا كير للدماء يتحكم فيهم حب النفس وشدة الاطماع لارحة في قلوبهم ولا يفون بعهودهم والظاهر ان روح دياتهم بانغماسهم الى حالة وجودهم التي كانت محض تجارية وصناعية قد اجتمعا على ان اغلقا ابواب قلوبهم عن الشعور باحاساسات الكرم والمرؤة وهن ضرورة الترقى

الدرس الثام ٣٨٣ في التلخيص العام

الى مرتبة اعلى من تلك المرتبة فانهم ولو بلغوا بما بلغوا من الخلق والمهارة واظهروا ما اظهروا
من الاتقان والسطارة في تحصيل الاشياء المادية قد كانوا في ما يتعلق بالمواد المعنوية والاشياء
العقلية في الحقيقة انما هم ذراري ذلك التسلسل الملعون بالخصوص فيما يروى عن نوح عليه
السلام انه دعا باللعنة العامة على ذرية ولده حسام (انتهى هذا الباب معربا من مختصر الامم
المشرقية والهند للشيخ فرنسيس لونورمان)

مسائل

تضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب السادس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل ما أخذ هذا الباب

مقدمه

٢ — ما اصل الفنيقيين

٣ — ما اصل المكنعانيين وما كيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها في اول الامر متوطنين

٤ — ما المراد من لفظ الفنيقية وما جغرافية ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية

الفصل الاول

٥ — كيف كانت مبادئ اخذ الصيد اوديين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصر

٦ — ما تاريخ استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية

٧ — كيف كانت حادثة توسع الصيد اوديين في الاسفار البحرية بتلك الحقبة المصرية

٨ — كيف كان سفر الصيد اوديين في بحار اليونان بتلك الازمان

٩ — كيف كانت تجارة الصيد اوديين في بحر بنطس او بنسكان

١٠ — ما تاريخ تجارة الصيد اوديين ببلاد افريقية

١١ — ما قصة اسفار الصيد اوديين بالبحر الاحمر

١٢ — ما اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الامة الصيد اودية

١٣ — ما تلخيج غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين

١٤ — ما قصة نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان بمدينة (لمبيه) من بلاد اليونان

١٥ — ما قصة النزلات الفنيقية ببلاد افريقية

١٦ — ماذا يذكر من القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالقوم اليبوس الفنيقيين

١٧ — ما تاريخ غارة القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بال فلسطينيين وما قصة

خراب مدينة صيدا بغارة هؤلاء القوم الصابليين

(الفصل

الفصل الثاني

- ١٨ — كيف كانت مبادئ الخدمة في صور في حياة درجة الاعلوية على سائر المدن
الغنيقية
- ١٩ — كيف كانت حادثة المحالفة الغنيقية وما كيفية هيئتهم الاجتماعية
- ٢٠ — ماقصة ما كان للغنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد
افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية
- ٢١ — ماقصة استيلاء الغنيقيين على اقليم (بيتية) ببلاد اسبانية
- ٢٢ — مآثر بنج جزيرة (مالطة) في سالف الاعصار
- ٢٣ — مآثر بنج جزيرة (صقلية) في سالف تلك الحقبة العصرية
- ٢٤ — مآثر بنج جزيرة (سردينيا)
- ٢٥ — ماقصة محالفة بني اسرائيل مع ملكة صور وكيف كانت معاملة الملك (هرام)
مع داود عليه السلام
- ٢٦ — ماقصة العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور
- ٢٧ — كيف كانت علائق الملك (هرام) الثاني مع سليمان بن داود عليهما السلام
- ٢٨ — مآثر بنج من خائف الملك (هرام) الثاني على ملكة صور من الملوك الغنيقيين
- ٢٩ — مآثر بنج الملك المشهور باسم (بجماليون) واخته (الباسار) او (ديدون)
- ٣٠ — ماقصة تأسيس مدينة (قرطاج) على سواحل افريقية
- ٣١ — ماقصة استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الغنيقيين
- ٣٢ — ماقصة تخريب (بختنصر) المشرق وبلدنة (صور)

الفصل الثالث

- ٣٣ — كيف كانت تجارة الغنيقيين البحرية
- ٣٤ — كيف كانت تجارة الغنيقيين البرية
- ٣٥ — ماذا يحكى عما كانت قد اشتهرت به المدن الغنيقية من كثرة الغنى والثروة
ووفرة الامتعة المالية

- ٣٦ — كيف كانت نزلات الفتيقيين الاستعمارية
- ٣٧ — كيف كان تأثير تمدن التزائل الفتيقيين على سائر الامم المتقدمين وما حقيقة ما كان لهم من الصنایع والفتون
- ٣٨ — ما حقيقة ديانة الفتيقيين وما كيفية عبادتهم لاصنامهم المعبودين وما ذاتقل عن السلف من صفة اخلاقهم التي كانوا بها مشهورين



الباب السابع

في تاريخ السوريين والليديين وسكان بلاد آسيا الصغرى والارمن السالفين

(معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ (جيلمان)

وفيه عدة فصول

الفصل الاول

في تاريخ بلاد سورية

ذكر جغرافية تلك البلدان واصل اهلها وما كانوا عليه من الاديان

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (سورية) في هذا الباب من سالف الاحقاب وما اوضاعها الجغرافية وبيان اقسامها الطبيعية والسياسية — قال المؤرخ (جيلمان) في كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم ما تعريبه بعد مرقوم ان المراد من بلاد (سورية) من سالف الاحقاب الدهرية هي البلاد المشمولة فيما بين ولاية (سيليسيا) (ولاية سيلقية وادنه) وبين بلاد (يهودا) (بلاد فلسطين الآن) والبحر الداخلى فى البر (بحر الحزر) ونهر الفرات وحيث كانت تلك البلدان تخترقها عدة فروع من جبل (طوروس) (جبل كوران) وجبل (امانوس) (جبل الماداغ) وجبال لبنان كانت تشتمل على اودية نزيهة وسهول خصبة كثيرة توجد دائما فى سفح تلك الجبال الكبيرة وذلك بخلاف نواحي الشرق منها حيث ترى صحارى قفرا وبوادي حفر آجفرا لانباتها تتمد فيما بين نهر الفرات وشمال بلاد (سورية) المذكورة وليس فى تلك الاقطار من الانهار الاصلية غدير نهر (الاورنت) (وهو المعروف بنهر العاصى الآن)

وكانت تنقسم تلك الاقطار بالتسمية الطبيعية الى قسمين عظيمين (احدهما) سورية العليا وهى الكائنة فى جهة الشمال (والثانية) كانت تعرف باسم (كوليسورية) ومعناها سورية الفارغة وهى الكائنة فى جهة الجنوب

واما اقسامها السياسية فقد كانت تختلف بحسب اختلاف الاعصار وفي عهد القولة الرومانية كانت تنقسم على هذه الكيفية الآتية بعد وهي
(اولا) ولاية (الكوماجين) في جهة الشمال وكانت قاعدتها مدينة (ماموزات) وهي موطن الفيلسوف الشهير باسم (لوسيانوس)

(ثانيا) ولاية (لاسيرتيك) الكائنة في جنوب الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (هيرا بوليس) بمعنى المدينة المقدسة وهي مدينة (بنيج الآن) وقد كان فيها معبد شهير لصنهم المسمى باسم (استرته) وكان فيها مدينة كبيرة أخرى تدعى باسم (زوجه) كان بهما قنطرة مصنعة من سفن على نهر الفرات تصاهبها مدينة (ابامه) الكائنة على الجانب الاخر من النهر المذكور

(ثالثا) ولاية (البيرييه) في جهة الغرب وهي مصابة من جهة الشمال لولاية (سيليسيا) المذكورة اولا وكانت مدينتها الاصلية تدعى باسم (مير ياندروس) واصل عمارتها من نزل قديمة قديمة كانت قد نزلت على القرب من مضائق جبال (سيليسيا) و (ايسوس) (اوجاسيوم)

(رابعا) ولاية (سيلاسية) على القرب من البحر الملح (البحر المتوسط الابيض او بحر سفيد) وكان بها قلعة حصينة تدعى بقلعة (سيلوسيه)

(خامسا) ولاية (كالسيديس) على الشرق من الولاية المذكورة قبلها وكانت قاعدتها مدينة (كالسيس) فاشتق اسمها منها

(سادسا) ولاية (شاليبوتيد) وهي على اقصى من الولاية المذكورة قبلها الى جهة الشرق تصل الى نهر الفرات بواسطة الصحراء حيث يوجد المسكن المسمى باسم (نيساك) وكان اكثر عبور المسافرين على نهر الفرات في تلك الايام من ذلك المسكن

(سابعا) ولاية (اليليرين) وهي عبارة عن واحة في وسط الصحاري كانت توجد فيها مدينة (يلير) (وهي مدينة تدمر المشهورة)

(ثامنا) ولاية (كوليسورية) في جهة الجنوب بوادي نهر العاصي بين سلسلة جبال لبنان الاصلية وسلسلة جبال لبنان الموازية لها وكانت قاعدتها من سالف الزمان هي مدينة

(دمشق) السكائنة على النهر المسمى باسم (كربركرواس) (وهو المعروف بنهر دمشق الآن) وهو يتوزع الى عدة جداول او غدران صغيرة كثيرة تروى ضواحي تلك المدينة الشهيرة وهي كائنة في وسط وادنزيه جميل جدا وقد كان في تلك الولاية ايضا مدينة (هيليبوليس) المعماة باسم بعلبك الآن وكان بها في سالف الزمان معبد يدعى الصنع والبنيان لعبادة الشمس (وهي ما كان يدعى عندهم باسم (بعل) في قديم الزمان) لم يزل يتردد عليه السواحون يتفرجون على هيئة بعض الآثار الباقية منه لغاية الآن وتلك الاطلال كائنة على متسع من الارض تبلغ مساحتها من اربعة كيلومترات الى خمسة من آثار عمارات عهد الدولة الرومانية والاغلب على الظن انها من عهد قيصر الروم المسمى (انطونينوس) التي واما آثار مدينة تدعى الشهيرة فانها من حيث مجموعها هي اعظم شأنها واهول واجسم بنيا ما واجل غيراتها من حيث بعض تفاصيل ودقائق هي دون اطلال هيكل الشمس المذكور قبل

(تاسعا) ولاية (لاوديسينيه) على حدود بلاد الفنيقية وقاعدتها مدينة (لاوديسه) (عائرا) ولاية (آيامينيه) على شمال الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (آبامه) وكانت قلعة حصينة عظيمة كائنة في قطر ذي خصوصية جسيمة ومن مدن هذه الولاية ايضا مدينة (حص) وقد كانت مشهورة من سالف تلك الازمان بما كان يوجد فيها من هيكل للصنم المشهور باسم (بعل) وكذلك مدينة (جاء) وكانت تدعى ايضا باسم (ايتقانيا) واخر اقسام بلاد سورية السياسية الولاية المعماة في تلك الاعصار باسم (كاسيوتيد) في جهة الغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت قاعدتها مدينة (انطاكية) وموقعها في وسط سهل خصب جدا على شواطئ نهر العاصي وعلى البعد منها بمسافة قليلة غابة اشجار من القار (او الدفلى) والعرو تقي قرية كبيرة هناك كانت تعرف باسم (دقنه) مشهورة بما كان يوجد فيها من هيكل الصنمين المعروفين عند اليونان باسم (ابواللون) و (ديانه) ومن مدن هذه الولاية الاخيرة ايضا المدينة التي كانت تسمى في تلك الاعصار باسم (لاوديسه) وهي المعروفة باسم (لاطاخيه) الآن

مطلب - ذكر اصل السوريين واحوال سكان بلاد الشام السالفين - وقد كان اصل السوريين من نسل (آرام) خامس ابناء سام بن نوح عليه السلام ولذلك فديعبر عنهم بالآراميين وقد يعبر عن بلاد سورية ايضا كما في ان توراة ييلاد (آرام) وحينئذ قد كانوا هم الاقارب الاقربون لقبائل السامية التي كانت تحيط ببلادهم غير انهم لما كانت

مواطنهم على أرض خصبة واقطار متسعة غير جدية لم يضطروا للعمل والارتحال ولم يكونوا قبائل اولى انجماع وانتقال كاخوانهم العرب ولا اقواما بحارة كما قد كان ذلك شأن القوم الفنيقيين بل كانوا قوما اهل فلاحه وتجارة وذلك انهم كانوا في ذلك العصر من جهة مصافين لبحر الفرات ومن اخرى على سواحل البحر الملح فكان هاتان الجهتان يابيين مقتوحين لهما ينتفعان بهما وطريقين متسعين يرتعان الاستفادة منهما وكانت القوافل التجارية التي تجلب البضائع المشرقية الى بلاد الفنيقية تمر بالضرورة في خلال بلادهم فتدعو سكان الاقطار السورية للمشاركة في اسفارهم البرية حيث كانوا يتكسبون معهم منها ويتقسمون هينج من الارباح عنها

مطابق ذكر ديانة السوريين وما كان لهم في الاعصار السالفة من الاصنام المعبودين — وأما ديانة السوريين السالفين فقد كانت نظيرة من عدة وجوه كثيرة لاديان الأمم الذين كانوا لهم مجاورين فكانوا يعبدون الصنم المشهور باسم (بعل) ويعتقدون انه هو ربهم الاعلى وهو عين الصنم الذي كان يعبد بجيرانهم الكلدانيون مع تخریف خفيف في اسمه وكان في نظر عامتهم هو ذات الشمس او كوكب المشتري او غير ذلك من الكواكب السيارة والظواهر انهم كانوا يعبدون ايضا القمر باسم (بعل جاد) وقد كان من معبودات بلاد سورية الاهلية المعبودة المسماة باسم (آتار جاتيس) او (ديرسو) وكان التعبد لها في الاكثر بمدينة (بنبيس) ولا شك انما في الاصل كانت تختلط بمعبودة القوة الفنيقيين المسماة ايضا باسم (ديرسو) وهي في اعتقادهم عبارة عن الهة نصفها امرا ونصفها سمكة كان لها عابدات متعددة بمدينة (يونه) و(هسفلان) و(ازون) وكان لكيفية عبادتهم في تلك الاماكن مشابهة كبيرة مع كيفية عبادة الهة المسماة باسم (سييدله) التي كانت تعبد كذلك باقليم (افريجيا) (بيلا دآسيا الصغرى) حتى انتهى الحال باتحاد كل من الصغرى المذكورين وجعلهما آلهة واحدة وكان كل من طائفتي قسمهما في ايام مواسمها الدينية ينهمكون على انواع وحشية من الرقص على نغم المزمار والطبول ويحلدون انفسهم بالسياط حتى يبرز الدم من ابدانهم ويقطعون اطرافهم في احوال جنونية واعمال سر سامية يعملونها في تلك المواسم الدينية ومن اخص الاعمال السدينية الخاصة باديان السوريين السالفين انهم كانوا يمتنعون من اكل السمك ومحترمون الحمام وأما ما كان يوجد في بلاد الفنيقيين من عسايد التقرب لآلهتهم باسالة الدماء والاعمال المخزنة والتنسك بانواع الفواحش المسترذلة وخلق انواع العذاب الاليم

الدرس الثامن ٣٩١ في التاريخ العام
يقضاء الشهوات الجسمانية فقد كان ذلك يوجد ايضا عند كثير من الامم المتوطنين ببلاد
آسيا الغربية

ذكر ممالك سورية المستقلة

مطلب — ذكر اصل منشأ الدول والممالك ببلاد سورية من أوائل تلك الاحقاب
الدهرية — قد كان السور يون في أول الامر منقسمين الى عدة قبائل لكل قبيلة
شيخ أو رئيس ، مخصوص يقوم بولاية امرها على وجه الاستبداد والاستقلال ثم تقوى
بعض تلك القبائل على بعض وتعالى امرهم على غيرهم فتغلبوا على القبائل المجاورة لهم
وادخلوهم تحت طاعتهم وصار لهم الدولة على تلك القبائل المستتعة بعد ان كانت كل
واحدة منها مستقلة ومن ثم نشأ في بلاد سورية عدة ممالك أو دول صغيرة لا تعلم لاهل التاريخ
الا بذكرها في الكتب المنزلة ولم يقف احد من العلماء بالتواريخ القديمة على حقيقة
المواقع الجغرافية التي كانت لكل واحدة من تلك الممالك الكثيرة وهي مملكة (سوبا) ومملكة
(جماه) ومملكة (ارباد) ومملكة (مماشنة) ومملكة (جاءور) ومملكة (روهوب)
ومملكة (دمشق) ولم يعلم الجميع هذه الممالك والدول السورية حقيقة احوال تاريخية لغاية
ان خرج بنو اسرائيل من بلاد (فلسطين) في عهد كل من الملك (شاول) والملك النبي
(داود) عليه السلام حيث كان قد صار بنو اسرائيل في ذلك الجبل قوما اهل جهاد
فتوجهوا لقتال اهل تلك البلاد وتلاقوا مع بعض ملوك الاقوام السوريين فذكر في سفر
(سمويل) من التوراة ان (شاول) حارب ملوك (سوبا) وكان الملك (حداد عزير)
معاسرا لداود عليه السلام فاراد هذا الملك السوري ان يفعل ببلاد (سورية) كما فعل ملوك
بنو اسرائيل ببلاد يهودا أعني انه يجمع سائر القبائل السوريين المتفرقين ويجعلهم عصبة
واحدة ودولة متحدة من كبة من جميع القوى المالية والجنود الاهلية لفصد منع تقدم
ما كان قد حصل من الشروع فيه من افشاح تلك البلاد بجهاد الاسرائيليين فلم يتم له ذلك
المرام بل كان داود عليه السلام قد توجه اليه فهزمه كل الانهزام وكان قد رغب في
المخالفة مع ملك بني اسرائيل عدة رؤساء صغيرين من ملوك الطوائف السوريين واراد
اهل مملكة (دمشق) ان يأخذوا بثار ما حصل من الانهزام لملك السوريين المذكور
فاتدب لهم داود عليه السلام وشنت جموعهم وهزمهم شرهزيمة واضطروا للامتثال له
والدخول تحت طاعته واجبر هؤلاء الاقوام السوريين على دفع خراج الى دولة بني اسرائيل
بمدينة (اورشليم) (بيت المقدس)

مطلب — ذكر عروب الملوك السوريين مع بني اسرائيل — وما علم من التوراة أيضا انه كان قديم هؤلاء الاقوام السوريون مرة أخرى بحرب جديدة على بني اسرائيل أرادوا أن يتنزوا فيها فرصة قيام القوم العمونيين على الاسرائيليين تخاف كذلك أنهم ولم ينجم عملهم ومع كون ملكهم المدعو باسم (حداد عزير) المذكور آنفا قد استعان على بني اسرائيل في هذه الحرب بسائر القبائل السوريين المتوطنين بالجانب الايسر من نهر الفرات هلك منهم فيها ١٠٠٠٠ رجل في سهل (هيلام) حيث كانت واقعة تلك الحرب ومن وقت أن سقط القوم السوريون في هذه الواقعة لم يؤثر ملكهم هذا ذكر بل كان قد ظهر رجل آخر من جملة خدمه يقال له (ريزون) فلم يرض بهذه الهزيمة وكان قد احلث له مملكة بمدينة (دمشق) وجاء احد خلفائه عليها وكان معاصرا للملك يهوذا المدعو باسم (آفيا) بن (رجيم) بن سليمان عليه السلام فتح حدود مملكة (دمشق) على أكثر بلاد سورية

وبينما كانت هذه الدولة ذات الشوكة القوية قد تأملت ببلاد سورية كانت دولة العبرانيين قد سقطت في حالة الاضمحلال بما كان قد اعترها في ذلك العصر من الفشل والاختلال فجاء صاحب مملكة (دمشق) هذه المدعو باسم (ابن حداد الاول) وانتهاز فرصة ما كان واقع في اسباط بني اسرائيل من التفرق والشقاق واجبر ملكي دولتي (يهودا) وبني اسرائيل المتخاصمين على ان يشتر يامنهم خزية مخالفتهم هما باغلي الاثنان وقام ملك دولة يهوذا المسمى باسم (آسا) فسلم اليه سائر خزائن بيت المقدس وصار عضدا مساعدا له على دولة بني اسرائيل الاخرى وقام السوريون فسلبوها ونهبوها وتلفوا جالها واخربوها واستولوا منها على عدة مدن واجبروا الملك (عمري) على ان يأذن للتجار السوريين في ان يدخلوا

مع غابة اطلاق العنان والحرية في مدينة (سمرية) ويبذوا جهاد يار اليه فيموا فيها وجاء الملك (ابن حداد الثاني) ولد (ابن حداد الاول) وخليفته على سرير مملكة (دمشق) في نحو (سنة ٩٠٩ ق م) فاراد ان يزيل مملكة بني اسرائيل بالكلية وحضر امام مدينة (سمرية) يتبعه ٣٣ ملكا ورثس قبيلة من طوائف السوريين ووضع عليها الحصار غير انه تحكم الفشل والاختلال في معسكره فاضطر للفرار مع العار والشنار وذكر بالتوراة أيضا انه كانت قد توجهت بعد ذلك غارة اخرى من السوريين على بلاد الاسرائيليين فترتب عليها وقوع واقعة حربية قتل فيها كافي ١٠٠٠ رجل من السوريين وكان قد امكن الملك (احوب) ان يأسر ملك (دمشق) في هذه الواقعة ويقتله

ويقتله لسكرته اختار ان يبقى عليه ويعقد معه عهد محالفة ولا شك في ان واقعة نصره عليه لم تكن تامة كما ذكر حيث لم تلبث الحرب ان قامت على ساقيها بينهما بالثاني ووقعت بينهما واقعة حربية اخرى قتل فيها (احوب) مع انه كان قد انضم للملك (يهوشافاط) ملك يهودا فاعانه عليه وخلف (احوب) على سرير مملكة بني اسرائيل ولده (يهورام) فشن عليه الغارة بمدينة (سمرية) ملك دمشق وحصره فيها اضيق الحصر حتى اصاب تلك المدينة اشق المجاعة والكرب ولم ينقذها من غائلة تضيق الجنود الا راميين عليها غير سالفة فرغ قامت بهم وتمكنت منهم ثم كانت عاقبة الملك (ابن حداد) هذا ان قام عليه بعد ذلك بقليل رجل من قواد عسكره يقال له (هازايل) وخنقه ومع ما حصل في مدة عهد الملك (ابن حداد الثاني) المذكور من بعض مصائب الدهور فقد كان للملك اسكه على مملكة دمشق من اليهجرة والظهور ما بعث الاقوام السوريين على ان اتخذوه بالهم بعد موته وعبدوه

اللقائد (هازايل) فانهم بعد ان قلدوه بمملكة دمشق وعلى منصب الملك اقروه قد كان مذمنا الاسرائيليون في اول امره مدينة (راموت) ببلاد (جلعاد) او (شالاد) وهي البلاد الكائنة على شرف الجبال الواقعة على نهاية حوض نهر الاردن الاسفل) ثم سار الملك (ياهو) وابنه (يهوياس) فظفر بهما وغلبهما وانحرب عليهما مملكة بني اسرائيل اشدهم الخراب والتفت بعد ذلك الى محاربة الملك (يواش) ملك يهودا فشن ارة عليه واجبره على ان يفقد مدينة القدس منه بتسليم جميع ما في خزائن البيت المقدس الاموال والامتنعة النفيسة اليه وبعد ان قتل الملك (يواش) الحبر الاكبر (ركريا) بسنة واحدة كان الملك (هازايل) ملك دمشق المذكور قد عاد الى مدينة بيت المقدس بالثاني وانتزعها من يد بني اسرائيل واباحها للسلب والنهب ولم ينقذهم الله سبحانه وتعالى من شدة هذا الكرب الابعوت عدوهم هذا الشديد الصعب

مطلب — ذكر زوال دولة السوريين وانظمامها الى دولة الاسوريين — وخلفه على سرير مملكة الاسرائيليين له يدعى ايضا باسم (ابن حداد) فاسترد بنو اسرائيل منه سائر القلاع والحصون والمدن التي كان ابوه قد اخذها منهم بل يظهر ان (يربعم) لثاني ابن (يواش) ملك بني اسرائيل كان قد استولى على مدينة (دمشق) وألحقها ولة العبرانيين في ذلك الجبل وذلك ان حين انصباب المصائب على رؤس السوريين كان قد حان وأوان زوال دولتهم كان قد آن وكان قد ظهر في بلاد المشرق في ذلك الزمان دولة ذات

شوكة قوية كانت قد اخذت في ان تدخل تحت طاعتها سائر الامم الاراميين كما ادعها .
 كذلك تحت ربة ساطنتها بني اسرائيل والفنيقيين (وهي دولة القوم الاسوريين)
 وكان آخر ملوك دمشق المدعو باسم (ريزان) اراد ان يتدارك هذا الخطر بان يتعه
 مع ملكي يهودا وبني اسرائيل على دفع غائلة هذا الامر فاجابه ذلك الملك (فانح) صاحبه .
 ملكة بني اسرائيل وامتنع (آخر) بن (يوشم) ملك يهودا ولما اغار على ملكه
 كل من صاحب ملكة بني اسرائيل وملك (دمشق) معا التمس الامداد عليهم من
 (تجلا تلمر) ملك الاسوريين فيادر ملك (نينوى) هذا بالجابة دعاه وحضر يحنو
 (اولا) امام مدينة (دمشق) ووضع الحصار حولها فاحذها واستولى عليها وقت
 (ريزان) المذكور وانتزع جملة نفوس من اهلها واجلاهم الى شواطئ نهر (قبرور)
 (وهو نهر يصب في نهر العاصي) وانزل بدلا عنهم في بلاد سورية تراثر استعمارية من الاقوام
 الاسوريين ووضع بها جنودا يحافظين وعمالا من طرفه ومن ذلك الوقت صارت بلاد
 سورية كلها ولاية تابعة للدولة الاسورية ولم يترتب على انحطاط مدينة (نينوى) فائدة
 للاقوام السوريين بل كانت دولة القراعنة المصريين قد توجهت اليهم بالتهديد وباتت تقال
 الدولة العراقية القديمة الى مدينة بابل تعدت صواتها كذلك اليهم ونزات الجنود المكادانية
 عليهم فهزمهم مع العبرانيين في واقعة (ماجدو) وتبعته فرعون مصر فهزمته ايضا
 في واقعة (قرقازيا) او (فرقيش) واجبرته على ان يفر الى ديار مصر ومن ذلك العهد
 صار السوريون غنيمة باردة واقمة حاضرة محسرة لكل من جاء فاستولى على بلاد آسيا
 من الملوك الفاتحين في كل عصر كختمصر وكيرش والاسكندر وغاية ما هناك انه فيما
 بعد ذلك من الزمن كانت قد حدثت ببلاد سورية دولة جديدة تعرف في التواريخ القديمة
 بدولة (السيلاوسية) او (السيلاوقية) وفي تلك القرون الاخيرة لغاية عهد السلطنة الرومانية
 كانت مدينة (بليز) او (تدمر) التي هي مدينة سليمان عليه السلام القديمة لم تزل ظاهرة
 في اقصى درجة ابهرتها باهر قبايس حلل بسببها

الفصل الثاني

في تاريخ بلاد آسيا الصغرى

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (آسيا الصغرى) وما اوصافها الجغرافية
 المراد

— المراد من قولهم (آسيا الصغرى) هو هذه البقعة جزيرة البارزة في البحر الأبيض المتوسط (بحر سفيد) على هيئة رأس عظيم جدا من الارض القارة التي يطلق على أثرها اسم (آسيا) على وجه الاطلاق فهي الجزء البارز من تلك البر فيما بين بحر بنطش او بينت كسان وبحر جزيرة (قبرص) على وجه بحيث يدفع امامه امواج بحر الارخبيل (او بحر جزائر الروم) وواحد لها الجنوبية مستورة بيجبال شامخة من ضمن سلسلة جبال (كوران) لم تنزل في كل عصر من الاعصار ماوى لاعم غير مضبوطين واقوام بر وابطقوا نيل الملل غير مضبوطين فهم دائماء مستعدون للتزول على البحر وعلى السهول الكائنة تحت ارجلهم ينتهبون التجار المسافرين ويستلبون اموال الاقوام الفلاحين ويتكئون من هذا القطر الكثير الجبال من المشرق الى المغرب كل من الاقاليم التي كانت تعرف عند السلف بهذه الاسماء القديمة وهي (هككاريا) و (ليسيا) و (بنفيليا) و (سيليسيا) وهذه الاقاليم تنحرف الى جهة الجنوب نحو البحر ثم (ابسيديا) و (ايزوريا) و (ليكاوونيا) وهذه الاقاليم تنزل الى جهة الشمال من اعلى الجبال الى داخل تلك البلاد وعلى الغرب من آسيا الصغرى المذكورة كل من ممالك (تروادة) و (ميزيا) و (ليزيا) و (ايوليد) و (يونيا) وهي بلاد اليونان الكائنة بسواحل (آسيا) و (دوريد) وكل هذه الاقاليم كائنة على ساحل من البحر كثير الهضبات والوهاد جدا تخترقها عدة مجار من المياه تكسب تلك الارض خصوبة عظيمة ولا يوجد في البحر امام الساحل الجنوبي منها غير جزيرتين عظيمتين وهما جزيرتا (رودس) و (قبرص) واما في داخل البحر من الساحل الغربي فيشاهد عدة عديدة وسلسلة مديدة من جزائر جميلة وهي جزائر (لنوس) و (لسبوس) و (شيو) و (ساموس) و (كوس) و جزائر (اسبورادة) ولم تنزل تلك الجزائر كلها من قديم الزمان معجورة بالناس الذين فيها يابون وملجأ التجار الذين اليها يلتجئون وفي جهة الشمال من آسيا الصغرى الى جهة بحر (بنطش) المتصل ببحر الارخبيل بواسطة كل من بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز (الدردانيل او شنى قلعه) وجون (الپروپونتيد) وهو بحر صرة) و بوغاز (البوسفور) وهو بوغاز اسلا مبول الآن يوجد كل من اقليم (ميزيا) و (بيثيا) و (بفلاجونيا) و مملكة (بنطش او بينت كسان) وفي وسط آسيا الصغرى يوجد اقليم (افريجيا) و (لقابادوسية) ومملكة اخرى حدثت ايضا فيما بعد يقال لها (جالاسيا) وكل هذه الاقاليم الاخيرة كائنة في ادنى نواحي هذا القطر نعمنا خلقية واقلاها كرامة طييعية ثم ان بلاد آسيا الصغرى هذه تنفصل عن باقى بلاد آسيا العليا والكبرى بيجبال (امانوس) (جبل المساداغ) وهو جزء من سلسلة جبال (كوران) يمتد الى جهة الشرق وتتكون منه تلك

البحيث جرز برقة على وجه طبيعي مضبوط جداً بحيث لا يمكن الدخول منها إلى بلاد (سورية) الأمن بابين ضيقين مسافة ما بينهما قدر ٢٥ كيلومتراً يدعى أحدهما وهو الكائن في جهة الشمال باسم باب (الماداغ) والثاني وهو الكائن في جهة الجنوب باب (سورية) وأعظم الأنهار بلاد آسيا الصغرى هو النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) وهو المعروف الآن باسم (قزبل يرمق) وهو الحد الفاصل بين نوعين متباينين من الأنسال البشرية القاطنين في تلك الأقطار الأرضية أما سكان الجانب الغربي من ذلك النهر وهم (الليديون) و (الافريجيون) و (الميزيون) و (الكاريون) فقد كانوا على وجه العموم من جلس نسل أهل إقليم (طراقة) الأوروبيين وأما سكان الجانب الشرقي منه وهم (القادوسيون) (السيليسيون) و (البنقيليون) و (الصوليميون) وهم سكان إقليم (ليسيا) و (بيسيديا) السالفون فهم من جنس النسل السوري العربي وقد كان نهر (قزبل يرمق) هذا فاصلاً بين فرقتين مختلفتين من اللغات التي يتكلم بها هؤلاء الأقوام بتلك الجهات (أحدها) على الجانب الأيمن منه وقد كانت كلها من طائفة اللغات السامية الأصل و (الثانية) على الجانب الأيسر وهي من طائفة اللغات الهندية الجرمانية وذلك فيما عدا بلاد الأرمن فأنهم خرجوا عن آسيا الصغرى والظاهر أنها ادعى ما عليه طبيعة لغة أهاها يقتضي أن تعد من جملة الفرع الهندي الجرمانى أيضاً وستكلم عليها في فصل مخصوص من يأتي بعد

مطلب — ذكر أحوال سكان بلاد آسيا الصغرى السالفين — ومع ما يوجد بين الأمم القاطنين على غربي نهر (قزبل يرمق) من القرابة الشديدة من حيث اللغات التي كانوا يتكلمون بها فقد كانوا مختلفين من وجوه عديدة فكان (الكاريون) و (الليديون) و (الميزيون) منهم يعترفون باتساعهم إلى أصل واحد ويتعبدون جميعاً على وجه الشروع بعمل قربانات إلى معبودهم العام المدعو باسم (أايوس كاريوس) مدينة (ميلانة) بخلاف القوم (الليكاوونيين) فإنهم مع كونهم كانوا يتكلمون بغير اللغة التي كان يتكلم بها (الكاريون) كانوا لا يشاركونهم في ذلك وكان كل من الأمم (البيثنيين) و (المارياندينيين) و (البلاجونيين) يتكلمون منهم في جهة الشمال الشرقي من الأمم المذكورة قبلهم طائفة ثانية كان دليل رجوعهم إلى أصل الطراقيين الأوروايين أقوى وأصح وأظهر وأوضح مما يشاهد في أحوال هؤلاء الأقوام المذكورين وذلك أن سكان الجانبين من بونغاز (البوسفور) كانوا يتكلمون في العصر المذكور بلغة واحدة وكانت أخلاقهم وطباعهم متحدة وهي شدة الشغف بالحرب وسفك الدماء والانهماك على السلب والنهب

فكان الفرق بين كل من (النكاريين) و(الليديين) وبين (البيشنيين) و (البفلاجونيين) عظيمًا جدًا وكان (الميزيون) و (الافريجيون) هم الذين تحقق فيهم درجة الانتقال بين الاصلين المذكورين وتعتقد فيهم هروقة القرابة بين جميع هؤلاء الامم المذكورين ولقد صدق من قال من اهل التاريخ ان واسطة عقد الانتقال بين الامم الآسيين والاقوام الاوروبيين المذكورين كانت بلاد (افريجيا)

وقد انقضت الروايات المنقولة عن المؤرخين المتقدمين مع ما يظهر من احوال اللغات التي كان هؤلاء الاقوام يتكلمون بها على كل من جانبي بونغاز (البوسفور) المذكور على ان سائر هؤلاء الامم كانوا متحدى الاصل والنسب مختلطين بعضهم مع بعض وهل كان اصلهم من بلاد آسياء ثم انتقل منهم اقوام مهاجرون الى بلاد اوروپة ام كان الحال بالعكس قال جمهور المؤرخين السالفين ان (الافريجين) كانوا في الاصل من الاوروپاويين وكانوا قاطنين بسفح الجبل المدعو باسم (برميون) بتلك الاقطار وكانوا يدعون حينئذ باسم (البريجس) ومعناه في لغة (الليديين) الرجل الحار وقال المؤرخ الروماني المشهور باسم (استرابون) ان (الاطراقيين) و (الميزيين) كان اصلهم من البلاد التي كان الرومانيون يدعونها ببلاد (ميزيا) وهي الكائنة على شواطئ نهر (طونة) ببلاد اوروپة ثم هاجر جميع هؤلاء الاقوام من بلاد اوروپة الى بلاد آسيا وقال المؤرخ (اكسانتوس) الليدي ان انتقال القوم (الافريجين) من شواطئ اوروپة الى شواطئ آسيا قد كان بعد حرب مدينة (تروادة) المشهورة وقال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني بعكس هذه القضية فذكر في كتاب تاريخه المشهور ان جماعة كثيرين من (التوصكريين) وهم قدماء الترواديين ومن (الميزيين) الذين هم من قدماء الاقوام الآسيين المذكورين كانوا قد انتقلوا من بلاد آسيا الى اوروپة قبل تلك الحرب المذكورة فطردوا (الاطراقيين) من مواطنهم الاصلية واجبروهم على ان يهروا بونغاز البوسفور وتوطنوا باقليم (بيثنيا) وتقدموا هم الى حد نهر (بينوس) وهو المعروف الآن باسم (سلاميريا) بولاية (تيساليا) وقال بعض السلف من اهل التاريخ ايضا ان (الميزيين) هم في الاصل نزلة من القوم الليديين فكانوا قد بعثوا الى تلك النواحي لتصد تسكين الغضب الالهى وفي الحقيقة قد كانت لغة (الميزيين) نصفها ليدي ونصفها افريجي وبالجملية فقد كان يوجد بعض روايات عامية وخرافات اهلية متحدة بسواحل اوروپة وآسياء معا كقصة الملك (ميداس) ملك نواحي نهر (البيكتبول) وهو نهر (سرد) او (سرت) الآن حيث كانت تلك القصة الخرافية تحكى بين سكان (افريجيا) و (مقدونيا) معا ومن هذه الوقايغ كلها يتج انحاء

اصل جميع سكان اقليم (طراقة) وبلاد آسيا الصغرى اعنى قرايوسكان بلاد اليونان مع ام
آسيا الكبرى على وجه العموم

واما بلاد (القبادوسية) و (بنطش) و (بيثيا) و بلاد (الجالاسيين) فحيث كانت قد تكون
يها بعض عمالك ودول صغيرة أو كبيرة في الحقبة العصرية المتقضية فيما بين عهد الاسكندر
الا كبر وعهد السلطنة الرومانية فسيأتى الكلام عليها في مواضعها

ولا يعرف لاهل التاريخ شيء من اخبار بلاد (الليكاوونيين) غير انها بلاد متكونة من هضبات
جبلية باردة الهواء تكثر فيها المواشى الحيوانية كان فيها من قديم الاحقاب الزمنية المدينة
المسماة باسم (انكيوم) (وهي قونية الآن) ولامن اخبار بلاد (ايزوريا) وهي خطة من
جبال كوران كثيرة القلاع والحصون الصغيرة من قديم الزمان ولامن اخبار بلاد
(الابسيديين) الكائنة على قمة جبال كوران المدة كورة وقد هضر بعض السواحدين من الافرنج
المتأخرين على اطلال عظيمة وآثار جسية لمدينتين قديمتين للقوم (الابسيديين) المذكورين
كانت تدعى (احداهما) باسم (سلجه) وكانت موضوعة على رأس جبل وعرجداو (الثانية)
باسم (ساجالاسوس) كائنة كذلك على قبة صخرة شامخة تشرف اشرفا فاراسيا على واد
منسفل ذي ثروة وخصوبة بليغة يشتمل على عدة قرى عديدة

واما (اللبسيون) فسيأتى الكلام على تاريخهم في باب تاريخ الاقوام اليونانيين واما
(البنفيليون) و (السيليسيون) فلا تاريخ لهم يذكر ولا اثر عنهم يؤثر غير انه حصل العثور
على آثار مدن قديمة كثيرة ببلاد (سيليسيا) ولا سيما آثار مدينة (سوليس) ذات على
ما كانت قد بلغت تلك الولاية في قديم الاعصار من علو مرتبة التمدن والابتنضار واما
كان موقع تلك البلاد في عين باب بلاد اسيا العليا لزم بالضرورة ان يكون قدميها في خلال
سهولها ومضائق جبالها سائر الملوك الفاتحين للممالك القديمة من عهد الملك (نينوس)
لقاية الاسكندر الا كبر ومن خلفه من الملوك السالفين ولذلك عثر بعض السواحدين المتأخرين
في اندر بندى المضيق بين الجبلين المعروف الآن باسم (جلوك بوغاز) وهو المشهور عند
السلف باسم (يلكس سيليسيا) بمعنى ابواب سيليسيا على نقوش بارزة مصطنعة في الصخور
يظهر عليها طابع فن تصوير الاسوريين ومنها نقوش اخرى تراهى لبعض العلماء
الاوروبايين انها من الاعمال ال اثرية التي انشأها (كسرى) ملك فارس فان جميع هذه
الآثار تثبت مرور هؤلاء الملوك الاقدمين الفاتحين لممالك المشرق وتؤكد بقاء ذكرهم
في تلك البلاد

واما البقلا جونيون فلم يحد ثوالهم دولة الا مسافة حقبة قصيرة من الدهر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة قرنين من ذلك العصر وكانوا غنيمة يتنازعها كل من ملك (بنتش) وملك (بيثيا) في سالف الاعصار وليس لاهل النار مخ معلومات صحيحة الا ما تدرجدا فيما يتعلق بحقيقة احوال بلاد (الكارية) وبلاد (افريجية) واما مملكة (تروادة) ومملكة (ليديا) فانهما اوضح حالا من جميع بلاد هؤلاء الاقوام الآسيين لداعي انهما كانا أكثر علاقة ومعاملة مع بلاد اليونان في تلك الازمان

اما (الكاريون) فمن اخبارهم ما يظهر من انهم كان قد حدث لهم في الاعصار الغابرة دولة عظيمة ظاهرة وكانوا يدعون في تلك الاعصار القديمة باسم (الليبيين) وانهم كانوا قد ملأوا البحر جزائر الارخبيل (بجزائر الروم) وما فيه من الجزائر بسفنهم البحرية وكان قد استولى عليهم الملك (كريزوس) ملك (الليديين) وضم بلادهم الى مملكته حتى جاء الملك (هكشيرش اوقيروس) ملك فارس ففتحها واستولى عليها ونصب عليها من طرفه ولائها الاصليين ومن اخبار الكاريين المذكورين انهم قد كان لهم حظ عظيم ومدخل جسيم في ثورة المدن اليونانية واليونانية الكائنة بسواحل بلاد آسيا الصغرى على الدولة الفارسية وانهم كانوا قد صار لهم حصيانهم ومنع طغيانهم وادخالهم معهم تحت الطاعة الفارسية بالثاني وكان التجار في النوع البشري بتلك الاعصار يجدون سهولة في اخذ الرقيق الذي كانوا يتجرون فيه من سكان تلك البلدان حتى صار لفظ (الكارى) مرادفا للفظ الاسير في تلك الازمان ويرى انهم كانوا دائما يخدمون الدول الكبيرة ذوات الشأن بالاجرة كدولة مصر واليونان ودولة العبرانيين في عهد داود عليه السلام

واما بلاد (افريجية) فقد كان من مدنها الاصلية في تلك الازمان مدينة (لاوديسة) وهي المعروفة الآن باسم (اسكى حصار) ومدينة (آيامه سيبوتوس) وهي المسماة الآن باسم (دينابس) وغيرهما ومن اشهر الاماكن المشهورة بهذه الولاية ايضا المكان المعروف باسم (تنبره) وهو السهل الذي هزم فيه الملك (كيرش) جيش الليديين والقرية المشهورة باسم (ابسوس) وهي البقعة التي وقعت فيها واقعة الحرب الكبيرة بين خلفاء الاسكندر الاكبر وبعثا اقتسموا بلاد سلطنته فيما بينهم كما سيأتى ابضاح ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقد كانت ولاية (افريجية) هذه مشهورة عند السلف بجودة ما يخرج بها من صنف الصوف الجيد فيؤخذ الى مدينة (ميليث) وهي اكبر المدن اليونانية واليونانية ببلاد آسيا

الدرس الثامن في تاريخ العالم

الصغرى و يصطنع فيها منه اجود الاقشة الفاترة وكانت مشهورة ايضا من سالف الاز
بالفلاحة المتقنة وما كان يخرج فيها من انواع الحبوب المستحسنة وانواع الاطعمة المصنعة

وقد كان هذه البلدة من سالف الالعصار الغابرة ايضا مملكة من هرة ودولة كبيرة ظاهرة توازف
انها الى عصرنا هذا اوقعت آثارها عندنا بما تواتر لدينا من الروايات التي تناقلها الناس
من الامم والاقوام المتوطنين على جوانب بوغاز (البوسفور) (بوغاز اسلا بول) مما يمكن من
بعض ملوك تلك الولاية وهو الملك المشهور باسم (ميداس) من انه كان اذا لمس شيئا مما اعتدال الى
ذهب في الحال ولا شك في ان ذلك من قبيل الحرافات العائمة والخيالات الوهمية وانما
من الثابت المحقق والمعلوم الصادق المصدق انه كان يوجد في تلك الولاية دولة كانت قد
سبقت في السلطنة على بلاد آسيا الصغرى دولة (الليديين) وربما كانت هي للواسطة
في التمدن والتقدم في المواد الدنيوية الذي كان قد جاء من بلاد آسيا العليا الى مملكة
(ليديا) ومملكة (تروادة) وسائر بلاد اليونان في سالف الزمان وليسكن من سكانها
ضاهت عنا اخبار ذلك التمدن القديم واندرست آثار ذلك التقدم العظيم ولم يبق لنا منها
غير ما علم من بعض روايات عامية قديمة متهمدة وبعض آثار واهية مبهمدة شوهدها عليها
بعض نقوش بارزة هي لغاية الآن غير مفهومة ووجدت خصوصا على وادي (سجاريوس)
وهو المعروف الآن بنهر (ساكاريا) بلاد آسيا الصغرى يصب في بحر (بنطس)

وقد كان ايضا من جملة دول بلاد آسيا الصغرى القديمة العظيمة ومما سكنها المستقلة
الجسيمة مملكة (تروادة) ولكن تاريخها مما يتعاقب بتاريخ بلاد اليونان وسياتي له باب
من هذا الكتاب

الفصل الثالث

في تاريخ الليديين

مطلب — ذكر ابن كانت مواطن الليديين وما اخبار بيوت ملوكهم السالفين
انه فيما بين صفح جبل (تمولة) او (تمولوس) ونهر (هرموس) السكان على الجانب الايمن
من النهر المسمى باسم (بكتول) او (بكتولوس) وهو المسمى بنهر (سارد) او (سرت) او
(باجوايت) الا ان يرتفع جبل شامخ جدا يشرف على سهل رحب منسوب يرتفع فيه من جهة
الشرق

